ندوات

مركز الابحاث العقائدية

المجلد الثالث

تأليف
مركز الابحاث العقائدية

مقدّمة المركز

(١) عدم تحريف القرآن

تمهيد

سلامة القرآن من التحريف

حسبنا كتاب الله

معاني التحريف

التحريف بالترتيب

التحريف بالزيادة

التحريف بالنقصان

تنبيهان

الأوّل : نفي قصد التغلّب في البحث العلمي

الثاني : طرح البحث تارة على صعيد الروايات وتارة على صعيد الأقوال

التحريف بالنقصان حسب الروايات

القسم الأوّل : الحمل على اختلاف القراءات

القسم الثاني : ما قيل لا بعنوان القرآن

القسم الثالث : ما يصحّ حمله على نسخ التلاوة

القسم الرابع : الروايات القابلة للحمل على الدعاء

البحث في سند الروايات

كتاب فصل الخطاب

التحريف بالنقصان حسب الأقوال

ملحق البحث( )

١ . حول قرآن عليّ (عليه السلام)

٢ . موقف العلماء من الميرزا النوري وكتابه

٣ . حول جمع القرآن الموجود

٤ . مسألة تهذيب كتب الحديث من مثل هذه الروايات

(٢) العصمة حقيقتها . أدلّتها

مُقدِّمة

الفصل الثاني الأقوال في العصمة

أقوال علمائنا في عصمة الأنبياء والأئمّة (عليهم

الفصل الثالث الأدلة العقلية على العصمة

توطئة خاصة

الأدلّة العقلية

قول وفعل وإقرار المُرسل والإمام (عليهم السلام) هل هو حجة أم لا ؟ !

حصر العصمة في حال التبليغ والفتيا

تذييلات

الأوّل : مسألة السهو لنبيّنا (صلى الله عليه وآله) بالخصوص

الثاني : النوم

الثالث : العصمة في الغضب والرضا

الفصل الرابع أدلّة العصمة من الكتاب والسنّة

المبحث الأوّل : أدلة العصمة من القرآن

المبحث الثاني : أدلّة العصمة من السنّة

تتمة في عصمة فاطمة الزهراء (عليها السلام)

فاطمة أمُّ أبيها

فصلُ وفحوى الخطِاب

المعنى الأوّل :

المعنى الثاني :

المعنى الثالث :

المعنى الرابع :

المعنى الخامس :

المعنى السادس :

المعنى السابع :

المعنى الثامن :

المعنى التاسع :

المعنى العاشر :

المعنى الأخير :

(٣) البخاري وصحيحه

تمهيد :

وَالَّذِينَ اجتنبُوا الطَّاغوتَ أَن يَعبدوهُ وَأَنابُوا إِلَى الله لَهُمُ البِشرَى فبشِّرْ عُبادِ الَّذِينَ يستَمِعُونَ القولَ فَيتبعُونَ أَحسَنَهُ أُولئك الَّذِينَ هداهمُ اللَّهِ وَأُولئكَ هُم أُولُو الأَلبابِ ( ) .

القسم الأوّل : صحيح البخاري

القسم الثاني : شخصية البخاري

القسم الثالث : معارضة البخاري لفقه أبي حنيفة

القسم الرابع : دراسة تاريخ أهل الحديث في القرون الثلاثة

القسم الخامس : الإسرائيليات في صحيح البخاري

قيمة تعليقات البخاري :

طريقة البخاري في تثبيت العناوين :

(٤) منع تدوين الحديث

تمهيد :

السبب الأوّل : ما نقل عن الخليفة أبي بكر

أما الجواب عن السؤال الأوّل :

أما الجواب عن السؤال الثاني :

أما الجواب عن السؤال الثالث :

أما الجواب على السؤال الرابع :

السبب الثالث : ما ذهب إليه ابن قتيبة وابن حجر

السبب السابع : ما ذهب إليه غالب كتّاب الشيعة

السبب الثامن : بيان ما توصلنا إليه

خاتمة المطاف

(٥) البدعة

الأسئلة والأجوبة

(٦) آية المباهلة

تمهيد :

مقدّمات البحث

المقدّمة الأُولى : بحث المسائل على أُسُس متقنة

المقدّمة الثانية : الاستدلال بالكتاب والعقل والسنة

بعض التقسيمات في الاستدلال بالسنّة :

المقدّمة الثالثة : أهميّة البحث عن الإمامة

دوران البحث بين علي (عليه السلام) وأبي بكر :

آية المباهلة

المباهلة في اللغة :

تعيين من خوج مع الوسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في المباهلة

مع ابن تيمية في آية المباهلة

خاتمة المطاف

(٧) آية التطهير

تمهيد :

المواد من أهل البيت (عليهم السلام) في آية التطهير

آية التطهير وأزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

بحث في مقتضى سياق الآية :

معنى إذهاب الوجس والإرادة

الإرادة التكوينية والجبر :

بعض التحريفات في كتب القوم

(٨) آية الولاية

تمهيد :

الجهة الأُولى : في شأن نزول هذه الآية المبلركة

قول المحدّثين :

مع ابن تيمية :

الجهة الثانية : وجه الاستدلال بالآية المبلركة على الإمامة

معنى الولاية :

الجهة الثالثة : الاعتراضات والمناقشات

الاعتراض الأوّل :

الاعتراض الثاني :

الاعتراض الثالث :

الاعتراض الرابع :

(٩) حديث الدار

تمهيد :

نصّ حديث الدار

رواة حديث الدار

دلالة حديث الدار على إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام)

الخصوصية الأولى :

الخصوصية الثانية :

الخصوصية الثالثة :

مع علماء أهل السنة في حديث الدار

مع الفضل بن روز بهان :

مع ابن تيمية :

تحريف الحديث :

مع النووي :

مع هيكل :

مع البوطي :

خاتمة المطاف

(١٠) حديث الغدير

تمهيد :

نصّ حديث الغدير

وهنا ملاحظات لابدّ من الإشارة إليها :

الجهة الأُولى : الجهود التي بذلت في سبيل إثبات هذا الحديث

وهذه الجهة تشتمل على نقاط :

رواة حديث الغدير :

دواعي عدم نقل الحديث :

إثبات التواتر اللفظي لحديث الغدير :

دلالة حديث الغدير على إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) :

الجهة الثانية : الجهود التي بذلت في سبيل إبطال هذا الحديث

مسألة أن علياً (عليه السلام) لم يكن في حجّة الوداع :

مسألة عدم التسليم بصحة حديث الغدير :

مسألة عدم تواتر حديث الغدير :

مسألة مجيء «المولى» بمعنى «الأُولى»

مسألة دلالة حديث الغدير على إمامة علي (عليه السلام) بعد عثمان :

مسألة دلالة حديث الغدير على الامامة الباطنية :

(١١) حديث الولاية

تمهيد :

رواة حديث الولاية

نصّ حديث الولاية وتصحيحه

دلالة حديث الولاية على العصمة

دلالة حديث الولاية علىولاية أمير المؤمنين (عليه السلام)

وجود حركة النفاق فيزمن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) :

المناقشات في حديث الولاية

(١٢) حديث الثقلين

تمهيد :

الجهة الأُولى : في تحقيق ألفاظ حديث الثقلين

الجهة الثانية : رواة حديث الثقلين

الجهة الثالثة : دلالات حديث الثقلين

تتمّة تشتمل على مطالب

المطلب الأوّل : اقتران حديث الثقلين بأحاديث أُخرى

المطلب الثاني : تكرار الوصية بالكتاب والعترة في عدّة مواطن

المطلب الثالث : مسألة الدعوة الى الوحدة الاسلامية على ضوء حديث الثقلين

الجهة الرابعة : المناقشات والمعارضات في حديث الثقلين

(١٣) حديث الطير

تمهيد :

الجهة الأُولى : رواة حديث الطير وأسانيده

الجهة الثانية : دلالة حديث الطير على إمامة أمير المؤمنين (عليه السلام)

ملاك الأحبية على صعيد الواقع التاريخي

الشاهد الأوّل :

الشاهد الثاني :

الحسد لأمير المؤمنين (عليه السلام) :

الجهة الثالثة : محاولات القوم في ردّ حديث الطير

الأوّل : المناقشة في سند الحديث

الثاني : تحريف اللفظ

الثالث : تأويل الحديث وحمل مدلوله على خلاف ما هو ظاهر فيه

الرابع : المعارضة

الخامس :

ندوات مركز الأبحاث العقائديّة

المجلّد الثالث

إعداد

مركز الأبحاث العقائدية

مركز الأبحاث العقائدية :

ا إيران . قم المقدسة . صفائية . ممتاز .رقم ٣٤

ص . ب : ٣٣٣١ / ٣٧١٨٥

الهاتف : ٧٧٤٢٠٨٨ (٢٥١) (٠٠٩٨)

الفاكس : ٧٧٤٢٠٥٦ (٢٥١) (٠٠٩٨)

ا العراق . النجف الأشرف . شارع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)

شارع السور جنب مكتبة الإمام الحسن (عليه السلام)

ص . ب : ٧٢٩

الهاتف : ٣٣٢٦٧٩ (٣٣) (٠٠٩٦٤)

ا الموقع على الإنترنيت : www . aqaed . com

ا البريد الإلكتروني : info @ aqaed . com

شابِك (ردمك) :

سلسلة الندوات العقائدية / المجلّد الثالث

إعداد

مركز الأبحاث العقائدية

صفّ الحروف والإخراج : محمّد حسين الجبوري

الطبعة الأُولى . ٢٠٠٠ نسخة

سنة الطبع : ١٤٣٤ هـ

المطبعة : ستارة

* جميع الحقوق محفوظة للمركز *

(٣١) ابن تيميّة وإمامة علي (عليه السلام)

السيّد علي الحسيني الميلاني

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمدّ وآله الطيبين الطاهرين ، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الأوّلين والآخرين .

بحثنا حول عقائد ابن تيميّة ومواقفه من الشيعة الإماميّة وأئمتهم وعقائدهم .

حول ابن تيميّة وعقائده وأفكاره كتب ألفّها علماء وكتابّ من الشيعة والسنةّ ، منذ قديم الأيامّ ، واذا أردنا أن نتكلم عّما فيّ كتبه وعمّا في كتب القوم حول هذا الرجل ، فلابدّ وأن يكون بحثنا في ثلاثة فصول :

الفصل الأوّل : في عقائده .

الفصل الثاني : في علمه وحدود معلوماته .

والفصل الثالث : في عدالة هذا الرجل .

ولابدّ في كلّ شخصيةّ يراد الاستفادة منها ، ويراد الاقتداء بها ، وأخذ معالم الدين ومعرف الشريعة من تلك الشخصية ، لابدّ وأن تتوفرّ فيها هذه الجهات الثلاث :

أن لا يكون منحرفاً في عقائده .

وأن يكون عالماً حقاً .

وأن يكون عادلاً في سلوكه ، أي في أقواله وأفعاله وكتاباته وأحكامه وإلى آخره .

فالمنحرف فكرياً لا يصلح لأن يكون هادياً .

والجاهل لا يصلح لأن يكون إماماً .

والفاسق لا يصلح لأن يقبل كلامه ويرتّب الأثر على أقواله .

والبحث حول هذه الشخصيّة من هذه الجهات كلّها ، يستغرق وقتا كثيراً ،

وقد خصّصت ليلة واحدة فقط للبحث عن ابن تيمية ، فرأيت من الأنسب والأرجح أن أتعرّض لما في كتابه منهاج السنة من التعريض بأمير المؤمنين (عليه السلام) وأكتفي بهذا المقدار ، لأنّ كتابه منهاج السنة مشحون بالتعريض والتعرّض لأمير المؤمنين ، وللزهراء البتول ، وللأئمة الأطهار وللمهدي عجّل الله فرجه ، ولشيعتهم وأنصارهم ، بصورة مفصلة ، وحتى أنه في كتاب منهاج السنّة يدافع بكثرة وبشدة عن بني أمية ، وعن أعداء أمير المؤمنين بصورة عامة ، وحتى أنه يدافع عن ابن ملجم المرادي أشقى الآخرين ، ويسبّ شيعة أهل البيت سباً فظيعاً .

بغض ابن تيمية لأمير المؤمنين (عليه السلام)

وأبدأ بحثي بكلمة لابن حجر العسقلاني الحافظ بترجمته من كتاب الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، حيث يذكر قضايا مفصلة بترجمة ابن تيميّة وحوادث كلّها قابلة للذكر ، إلا أنّي أكتفي بنقل مايلي :

يقول الحافظ : وقال ابن تيميّة في حقّ علي : أخطأ في سبعة عشر شيئاً ، ثم تخالف فيها نص الكتاب . . . .

ويقول الحافظ ابن حجر : وافترق الناس فيه . أي في ابن تيميّة . شيعاً ، فمنهم من نسبه إلى التجسيم ، لما ذكر في العقيدة الحمويّة والواسطيّة وغيرهما من ذلك كقوله : إنّ اليد والقدم والساق والوجه صفات حقيقية لله ، وأنه مستو على العرش بذاته . . . .

إلى أن يقول : ومنهم من ينسبه إلى الزندقة ، لقوله : النبيّ (صلى الله عليه وآله) لا يستغاث به ، وأنّ في ذلك تنقيصاً ومنعاً من تعظيم النبي (صلى الله عليه وآله) . . . .

إلى أن يقول : ومنهم من ينسبه إلى النفاق ، لقوله في علي ما تقدّم . أي قضية أنه أخطأ في سبعة عشر شيئاً . ولقوله : إنه أي علي . كان مخذولاً حيثما توجّه ، وأنه حاول الخلافة مراراً فلم ينلها ، وانما قاتل للرئاسة لا للديانة ، ولقوله : إنه كان يحب الرئاسة ولقوله : أسلم أبو بكر شيخاً يدري ما يقول ، وعلي أسلم صبياً ، والصبي لا يصح إسلامه ، وبكلامه في قصة خطبة بنت أبي جهل ، وأنّ علياً مات وما نسيها .

فإنّه شنّع في ذلك ، فأرموه بالنفاق ، لقوله صلى الله عليه وسلم : ولا يبغضك إلا منافق .

إلى هنا القدر الذي نحتاج إليه من عبارة الحافظ ابن حجر بترجمة ابن

تيميّة في الدرر الكامنة [1] .

والآن أذكر لكم الشواهد التفصيليّة لما نسب ابن تيمية إليه من النفاق .

إنّه يناقش في إسلام أمير المؤمنين ، وفي جهاده بين يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إلى أن يقول في موضع من كلامه ، أقرأ لكم هذا المقطع وأنتقل إلى بحث آخر ، يقول :

قبل أنْ يبعث الله محمداً (صلى الله عليه وآله) لم يكن أحد مؤمناً من قريش] لاحظوا بدقة كلمات هذا الرجل [لا رجل ،

ولا صبيّ ،ولا امرأة ،ولا الثلاثة ،ولا علي .وإذا قيل عن الرجال : إنّهم كانوا يعبدون الأصنام ، فالصبيان كذلك : علي وغيره .] فعلي كان يعبد الصنم في صغره ! ! [وإن قيل : كفر الصبي ليس مثل كفر البالغ . قيل :ولا إيمان الصبي مثل إيمان البالغ . فأولئك يثبت لهم حكم الإيمان والكفر وهم بالغون ،وعلي يثبت له حكم الكفر والإيمان وهو دون البلوغ ، والصبي المولود بين أبوين كافرين يجري عليه حكم الكفر في الدنيا باتّفاق المسلمين [2] .

أكتفي بهذا المقدار من عباراته في هذه المسألة .

ويقول :

إنّ الرافضة تعجز عن إثبات إيمان علي وعدالته . . . فإنْ احتجوّا بما تواتر من إسلامه وهجرته وجهاده ، فقد تواتر إسلام معاوية ويزيد وخلفاء بني أُميّة وبني العباس ، وصلاتهم وصيامهم وجهادهم [3] .

ويقول في موضع آخر :

لم يعرف أنّ علياً كان يبغضه الكفارّ والمنافقون [4] .

1- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١ : ١٥٤ ـ ١٥٥ .
2- منهاج السنّة ٨ : ٢٨٥ .
3- منهاج السنّة ٢ : ٦٢ .
4- منهاج السنّة ٧ : ٤٦١ .

ويقول :

كلّ ما جاء في مواقفه في الغزوات كلّ ذلك كذب .

إلى أن يقول مخاطباً العلاّمة الحلّي (رحمه الله) يقول :

قد ذكر في هذه من الأكاذيب العظام التي لا تنفق إلاّ على من لم يعرف الإسلام ، وكأنّه يخاطب بهذه الخرافات من لا يعرف ما جرى في الغزوات [1] .

بالنسبة إلى علوم أمير المؤمنين ومعارفه ، يناقش في جلّ ما ورد في هذا الباب ، في نزول قوله تعالى : ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾ [2] يقول :

إنّه حديث موضوع باتفّاق أهل العلم [3] .

مع أنّ هذا الحديث موجود في :

١ . تفسير الطبري .

٢ . مسند البزّار .

٣ . مسند سعيد بن منصور .

٤ . تفسير ابن أبي حاتم .

٥ . تفسير ابن المنذر .

٦ . تفسير ابن مردويه .

٧ . تفسير الفخر الرازي .

٨ . تفسير الزمخشري .

٩ . تفسير الواحدي .

١٠ . تفسير السيوطي .

1- منهاج السنّة ٨ : ٩٧ .
2- الحاقة : ١٢ .
3- منهاج السنّة ٧ : ٥٢٢ .

ورواه من المحدّثين :

١ . أبو نعيم .

٢ . الضياء المقدسي .

٣ . ابن عساكر .

٤ . الهيثمي ، في مجمع الزوائد .

أكتفي بهذا المقدار [1] .

حديث : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » يقول فيه :

وحديث « أنا مدينة العلم وعلي بابها » أضعف وأوهى ، ولهذا إنّما يعدّ في الموضوعات [2] .

مع أنّ هذا الحديث من رواته :

١ . يحيى بن معين .

٢ . أحمد بن حنبل .

٣ . الترمذي .

٤ . الزّار .

٥ . ابن جرير الطبري .

٦ . الطبراني .

٧ . أبو الشيخ .

٨ . ابن بطّة .

٩ . الحاكم .

١٠ . ابن مردويه .

1- الآية في سورة الحاقة ، فلاحظ التفاسير ، ومجمع الزوائد ١ : ١٣١ ، وحلية الأولياء ١ : ١٠٨ .
2- منهاج السنّة ٧ : ٥١٥ .

١١ . أبو نعيم .

١٢ . أبو مظفّر السمعاني .

١٣ . البيهقي .

١٤ . ابن الأثير .

١٥ . النووي .

١٦ . العلائي .

١٧ . المزّي .

١٨ . ابن حجر العسقلاني .

١٩ . السخاوي .

٢٠ . السيوطي .

٢١ . السمهودي .

٢٢ . ابن حجر المكّي .

٢٣ . القاري .

٢٤ . المنّاوي .

٢٥ . الزرقاني .

وقد صحّحه غير واحد من هؤلاء الأئمّة .

وحول حديث أقضاكم علي ، يقول :

فهذا الحديث لم يثبت ، وليس له إسناد تقوم به الحجّة . . . لم يروه أحد في السنن المشهورة ،ولا المسانيد المعروفة ، لا بإسناد صحيح ولا ضعيف ،وإنّما يروى من طريق من هو معروف بالكذب [1] .

هذا الحديث موجود في : صحيح البخاري في كتاب التفسير باب قوله

1- منهاج السنّة ٧ : ٥١٣ .

تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا ﴾ [1] كذا في الدرّ المنثور ،وعن النسائي أيضاً ابن الأنباري ،

ودلائل النبوّة للبيهقي ، وهو في الطبقات لابن سعد ، وفي المسند لأحمد بن حنبل ، وبترجمته (عليه السلام) من سنن ابن ماجة ، وفي المستدرك على الصحيحين وقد صحّحه ، وفي الاستيعاب ، وأُسد الغابة ، وحلية الأولياء ، وفي الرياض النضرة وغيرها من الكتب[2] .

يقول :

وقوله : ابن عباس تلميذ عليّ كلام باطل[3] .

ويقول المنّاوي في فيض القدير بشرح حديث « علي مع القرآن والقرآن مع علي » يقول : ولذا كان أعلم النا س بتفسيره .

. . .

إلى أن قال : حتّى قال ابن عبّاس : ما أخذت من تفسيره فعن علي[4] .

ويقول أيضاً :

وأما قوله : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « لأقضاكم علي » والقضاء يستلزم العلم والدين ، فهذا الحديث لم يثبت ، وليس له إسناد تقوم به الحجّة ، وقوله : « أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل » أقوى اسناداً منه ، والعلم بالحلال والحرام ينتظم القضاء أعظم مما ينتظم للحلال والحرام[5] .

يقول :

والمعروف أنّ علياً أخذ العلم عن أبي بكر[6] .

يقول :

1- البقرة : ١٠٦ .
2- الطبقات الكبرى ٢ : ٣٣٩ .
3- منهاج السنّة ٧ : ٥٣٦ .
4- فيض القدير في شرح الجامع الصغير ٤ : ٤٧٠ .
5- منهاج السنّة ٧ : ٥١٢ ـ ٥١٣ .
6- منهاج السنّة ٥ : ٥١٣ .

له . أي لأمير المؤمنين . فتاوى كثيرة تخالف النصوص[1] .

كانت العبارة هناك سبعة عشر موضعاً ، وعبارة ابن تيميّة هنا : له فتاوى كثيرة تخالف النصوص من الكتاب والسنّة .

يقول :

وقد جمع الشافعي ومحمد بن نصر المروزي كتاباً كبيراً فيما لم يأخذ به المسلمون من قول عليّ ، لكون قول غيره من الصحابة اتبع للكتاب والسنة[2] .

والحال أنّ هذا الكتاب الذي ألّفه المروزي هو في المسائل التي خالف فيها أبو حنيفة علي بن أبي طالب في فتاواه ، فموضوع هذا الكتاب . كتاب المروزي . الفتاوى التي خالف فيها أبو حنيفة علي بن أبي طالب وعبد الله بن مسعود .

لاحظوا ، كم فرق بين أصل القضيّة وما يدّعيه ابن تيمية ! !

يقول :

وعثمان جمع القرآن كلّه بلاريب ، وكان أحياناً يقرؤه في ركعة ، وعلي قد اختلف فيه هل حفظ القرآن كلهّ أم لا ؟[3] .

ويقول :

فإن قال الذابُّ عن علي : هؤلاء الذين قاتلهم علي كانوا بغاة فقد ثبت في الصحيح : إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) قال لعمّار بن ياسر (رضي الله عنه) : « تقتلك الفئة الباغية » ، وهم قتلوا عمّاراً ، فههنا للناس أقوال : منهم من قدح في حديث عمّار ، ومنهم من تأوّله على أنّ الباغي الطالب ، وهو تأويل ضعيف ، وأما السلف والأئمة فيقول أكثرهم كأبي حنيفة ومالك وأحمد وغيرهم : لم يوجد

1- منهاج السنّة ٧ : ٥٠٢ .
2- منهاج السنة ٨ : ٢٨١ .
3- منهاج السنّة ٨ : ٢٢٩ .

شرط قتال الطائفة الباغية[1] .

ففي قتال علي مع الناكثين والقاسطين والمارقين يقول : إنّ أبا حنيفة ومالكاً وأحمد وغيرهم كانوا يقولون بأنّ شرط البغاة لم يكن حاصلاً في هؤلاء حتّى يحاربهم علي (عليه السلام) .

يقول :

جميع مدائن الإسلام بلغهم العلم عن الرسول من غير علي[2] .

فإذن ، لم يكن لعلي دور في نشر التعاليم الإسلاميّة والأحكام الشرعيّة والحقائق الدينيّة أبداً ! !

1- منهاج السنّة ٤ : ٣٩٠ .
2- منهاج السنّة ٧ : ٥١٦ .

تكذيب ابن تيمية فضائل أمير المؤمنين (عليه السلام)

وأمّا في فضائله ومناقبه في القرآن الكريم ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾[1] إلى آخر الآية ، يقول :

وقد وضع بعض الكذّابين حديثاً مفتوى أنّ هذه الآية نزلت في علي لما تصدّق بخاتمه في الصلاة ، وهذا كذب بإجماع أهل العلم بالنقل ، وكذبه بيّن من وجوه كثيرة[2] .

وهذا الحديث الذي يكذّبه ابن تيمية ، قد رواه عن ابن عباس :

١ . عبد الرزاق .

٢ . عبد بن حميد .

٣ . ابن جرير الطبري .

٤ . أبو الشيخ .

٥ . ابن مردويه .

ورواه عن سلمة بن كهيل :

١ . ابن أبي حاتم .

٢ . أبو الشيخ .

٣ . ابن عساكر .

ومن رواة هذا الخبر :

١ . الطواني .

٢ . الثعلبي .

1- المائدة : ٥٥ .
2- منهاج السنّة ٢ : ٣٠ .

٣ . الواحدي .

٤ . الخطيب البغدادي .

٥ . ابن الجوزي .

٦ . المحب الطوي .

٧ . الهيثمي .

٨ . المتقي الهندي .

وأيضاً : تجدون هذاالخبر في تفاسير : الفخر الرازي ،والبغوي ،والنسفي ،والقرطبيوالبيضاوي ،وأبي السعود العمادي ، والشوكاني .

ويقول الآلوسي الحنفي بتفسير الآية : غالب الأخباريين على أنّ هذه الآية نزلت في علي كرّم اللهوجهه .

وأضاف الآلوسي : إنّ حسّانا أنشد في ذلك أبياتا ، فذكر الآلوسي تلك الأبيات [1] .

قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ [2] ، يقول حول نزولها في علي (عليه السلام) : إن هذا كذب ليس بثابت [3] .

مع أنّ من رواة نزول هذه الآية في علي :

١ . عبد الرزاق بن همّام الصنعاني .

٢ . عبد بن حميد .

٣ . ابن جرير .

٤ . ابن المنذر .

1- روح المعاني في تفسير القرآن ٣ : ٣٣٤ .
2- البقرة : ٢٧٤ .
3- منهاج السنّة ٧ : ٢٣٨ .

٥ . ابن أبي حاتم .

٦ . الطواني .

٧ . ابن عساكر .

٨ . الواحدي .

٩ . أبو نعيم .

١٠ . الفخر الرازي .

١١ . الزمخشري .

١٢ . محب الدين الطبري .

١٣ . ابن الأثير .

١٤ . السيوطي .

١٥ . ابن حجر المكي .

مع ذلك يقول : إنّ هذا كذب ليس بثابت ، لكنّ هذه التفاسير الباطلة يقول مثلها كثير من الجهال .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾[1] ، يقول حول نزولها في عليّ (عليه السلام) :

إن هذا كذب موضوع بإتفاق أهل العلم بالحديث[2] .

مع أنّ من رواة نزول الآية في علي :

١ . عبد الله بن أحمد بن حنبل .

٢ . الطبري .

٣ . الحاكم .

٤ . إبن أبي حاتم .

1- الرعد : ٧ .
2- منهاج السنّة ٧ : ١٣٩ .

٥ . الضياء المقدسي .

٦ . الطواني .

٧ . ابن مردوية .

٨ . أبو نعيم .

٩ . ابن عساكر .

١٠ . ابن النجّار .

١١ . الديلمي .

١٢ . الهيثمي .

١٣ . السيوطي .

١٤ . المتقي الهندي .

ويقول الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد .

ويقول الهيثمي في مجمع الزوائد بعد أن يروي هذا الحديث يقول :رجال السند ثقات .

والضياء المقدسي أخرج هذا الحديث في كتابه المختارة الملتزم فيه بالصحة[1] .

وحول حديث : « علي مع الحق والحق مع علي » ، يقول :

من أعظم الكلام كذباً وجهلاً ، فإنّ هذا الحديث لم يروه أحد عن النبي (صلى الله عليه وآله) ، لا بإسناد صحيح ولا ضعيف ، فكيف يقال : إنّهم جميعاً رووا هذا الحديث ؟وهل يكون أكذب ممنّ يروي عن الصحابة والعلماء أنهمّ رووا حديثاً ، والحديث لا يعرف عن واحد منهم أصلاً بل هذا من أظهر الكذب[2] .

1- الآية في سورة الرعد ، فراجع الطبري والدر المنثور وغيرهما بتفسيرها ، والمستدرك ٣ : ١٢٩ ، ومجمع الزوائد ٧ : ٤١ .
2- منهاج السنّة ٤ : ٢٣٨ .

والحال أنّ من رواة هذا الحديث من الصحابة :

أولا : أمير المؤمنين (عليه السلام) ، أخرج الحديث عنه الترمذي في صحيحه ،والحاكم في المستدرك .

ثانياً : سيدّتنا أمُ سّلمة ، أخرج الحديث عنها الطواني ،وأبو بشر الدولابي ،والخطيب البغدادي ،وابن عساكر .

ثالثاً : سعد بن أبي وقاّص ، أخرج الحديث عنه الزارّ ، وقد قال الهيثمي بعد أن روى الحديث هذا : فيه سعد بن شعيب ولم أعرفه ، وبقيّة رجاله رجال الصحيح .

رابعاً : أبو سعيد الخدري ، رواه عنه الحافظ أبو يعلى ، وقد روى عنه الهيثمي هذا الحديث في مجمع الزوائد وقال : رواه أبو يعلى ورجاله ثقات .

خامساً : عائشة ، فإنّها روت هذا الحديث ، والحديث موجود في الإمامة والسياسة لابن قتيبة .

سادساً : صحابي آخر روى هذا الحديث ، أخرجه الطواني في الكبير .

قال المتقي : تكون بين الناس فرقة واختلاف فيكون هذا وأصحابه على الحقّ . يعني علياً . هذا في كنز العمال [1] .

فهؤلاء الصحابة ، وهؤلاء كبار العلماء والمحدّثين ، الذين يروون هذا الحديث بأسانيدهم عن أُولئك الصحابة .

وفي حديث المؤاخاة يقول :

أمّا حديث المؤاخاة فباطل موضوع . . . إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لم يؤاخ علياوّلًا غيره ، وحديث المؤاخاة لعلي ، وحديث مؤاخاة أبي بكر لعمر ، من الأكاذيب . . . .

---

1 - كنز العمال ١١ : ٦٢١ ، المستدرك ٣ : ١١٩ ـ ١٢٥ ، مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٥ ، ٢٤٣ و٩ : ١٣٤ ، الامامة والسياسة ١ : ٩٨ ، تاريخ مدينة دمشق ٢٠ : ٢٦١ ، ٤٢ : ٤١٩ ، ٤٤٩ ، تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢٢ ، سنن الترمذي ٥ : ٢٩٧ .

إنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) لم يؤاخ علياوّلًا غيره ، بل كل مّا روي في هذا فهو كذب . . .

إنّ أحاديث المؤاخاة بين المهاجرين بعضهم من بعض والأنصار بعضهم من بعض كلّها كذب ، والنبي (صلى الله عليه وآله) لم يؤاخ عليّاً . . .

إنّ أحاديث المؤاخاة لعلي كلّها موضوعة .

وهذه نصوص في أجزاء متعددة في كتابه ، لاحظوا من الجزء الرابع إلى الجزء السابع في الطبعة الجديدة ذات الأجزاء التسعة ، يكذّب هذا الحديث في مواضع عديدة [1] .

والحال أنّك تجد حديث المؤاخاة في : الترمذي (٥٩٥/٥) ، الطبقات لابن سعد (٦٠/٢) ، المستدرك (١٦/٣) ، مصابيح السنّة (١٧٣/٤) ، الاستيعاب (١٠٨٩/٣) البداية والنهاية (٣٧١/٧) ، الرياض النضرة (١١١/٣) ، مشكاة المصابيح (٣٥٦/٣)الصواعق المحرقة –١٢٢– ، تاريخ الخلفاء – ١٥٩– .

هذه بعض المصادر .

والرواة من الصحابة لهذا الخبر هم :

١ . علي (عليه السلام) .

٢ . عبد الله بن عباس .

٣ . أبو ذر .

٤ . جابر .

٥ . عمر بن الخطاب .

٦ . أنس بن مالك .

٧ . عبد الله بن عمر .

٨ .زيد بن أرقم .

وغيرهم .

1- منهاج السنّة ٤ : ٣٢ و٥ : ٧١ و٧ : ١١٧ ـ ٢٧٩ .

وتجدون هذا الحديث أيضاً في : مناقب أحمد (ح ١٤١) ، وفي ترجمة أمير المؤمنين من تاريخ دمشق (برقم ١٤٨) ، وفي كنز العمال (١٠٦/١٣) .

وأيضاً تجدون هذا الخبر في كتب السير والتواريخ ،راجعوا : سيرة ابن هشام (١٠٩/٢) ، السيرة النبويّة لابن حبّان – ١٤٩– ، عيون الأثر لابن سيد الناس (٢٦٤/١) الحلبيّة (٢٣/٢) ، وفي هامشها سيرةزيني دحلان (٣٢٢/١) .

والعجيب أنّ غير واحد من أعلام القوم يردّون على ابن تيميّة في هذه المسألة بالخصوص :

يقول الحافظ ابن حجر . بعد ذكر الخبر عن الواقدي وابن سعد وابن إسحاق وابن عبد البر والسهيلي وابن كثير وغيرهم . :

وأنكر ابن تيميّة في كتاب الرد على ابن المطهّر الرافضي . أي كتاب منهاج السنة . أنكر المؤاخاة بين المهاجرين ، وخصوصاً مؤاخاة النبي لعلي ، قال : لأنّ المؤاخاة شرّعت لإرفاق بعضهم بعضاً ، ولتأليف قلوب بعضهم على بعض فلا معنى لمؤاخاة النبي لأحد منهم ،ولا لمؤاخاة مهاجري لمهاجري ، وهذا ردّ للنصّ بالقياس وإغفال عن حكمة المؤاخاة .

يقول الحافظ : وأخرجه الضياء في المختارة من المعجم الكبير للطواني ، وابن تيميّة يصرّح بأنّ أحاديث المختارة أصح وأقوى من أحاديث المستدرك للحاكم النيسابوري [1] .

وقال الزرقاني المالكي في شرح المواهب اللدنيّة ، تحت عنوان ذكر المؤاخاة بين الصحابة : وكانت كما قال ابن عبد البر وغيره مرّتين ، الأُولى بمكةّ قبل الهجرة بين المهاجرين بعضهم بعضاً عَلى الحق والمواساة ، فآخى بين أبي بكر وعمر ، وهكذا بين كلّ اثنين منهم ، إلى أن بقي علي ، فقال : آخيت بين أصحابك فمن أخي ؟ قال : « أنا أخوك » . وجاءت أحاديث كثيرة في مؤاخاة النبي لعلي ، وقد روى الترمذي وحسّنه ، والحاكم وصحّحه ، عن ابن عمر أنهّ (صلى الله عليه وآله) قال لعلي : « أما

1- فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٧ : ٢١١ .

ترضى أن أكون أخاك ؟ » قال : بلى ، قال : « أنت أخي في الدنيا والآخرة » .

يقول الزرقاني : وأنكر ابن تيميّة هذه المؤاخاة بين المهاجرين ، خصوصاً بين المصطفى وعلي ، وزعم أنّ ذلك من الأكاذيب ، وردّه الحافظ . أي ابن حجر العسقلاني . بأنهّ رد للنصّ بالقياس [1] .

ويقول ابن تيميّة حول حديث التشبيه ، هذا الحديث الذي بحثنا عنه قريباً ، يقول :

هذا الحديث كذب موضوع على رسول الله (صلى الله عليه وآله) بلاريب عند أهل العلم بالحديث [2] .

مع أنّ هذا الحديث من رواته :

١ . عبد الرزّاق الصنعاني .

٢ . أحمد بن حنبل .

٣ . أبو حاتم .

٤ . محمد بن إدريس الرازي .

٥ . الحاكم النيسابوري .

٦ . أبو بكر البيهقي .

٧ . ابن مردويه .

٨ . أبو نعيم .

ومن أصحّ أسانيده وأجودها رواية عبد الرزّاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيبّ ، عن أبي هريرة ، عن رسول الله .

وقد قرأنا هذا النصّ سابقاً .

يقول ابن تيميّة : حول حديث «وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي » ، يقول :

1- شرح المواهب اللدنيّة ٢ : ١٩١ .
2- منهاج السنّة ٥ : ٥١٠ .

كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) [1] .

والحال أنّ هذا الحديث من رواته من الصحابة :

١ . أمير المؤمنين .

٢ . الإمام الحسن المجتبى .

٣ . أبو ذر الغفاري .

٤ . عبد الله بن عباس .

٥ . أبو سعيد الخدري .

٦ . البراء بن عازب .

٧ . أبو ليلى الأنصاري .

٨ . عمران بن الحصين .

٩ . بريدة بن الحصيب .

١٠ . عبد الله بن عمر .

١١ . عمرو بن العاص .

١٢ .وهب بن حمزة .

ورواه من الأئمّة الحفّاظ :

١ . أبو داود الطيالسي .

٢ . ابن أبي شيبة .

٣ . أحمد بن حنبل .

٤ . الترمذي .

٥ . النسائي .

٦ . أبو يعلى الموصلي .

٧ . ابن جرير الطبري .

1- منهاج السنّة ٧ : ٣٩١ .

٨ . الطبراني .

٩ . الحاكم .

١٠ . ابن مردويه .

١١ . أبو نعيم .

١٢ . ابن عبد البر .

١٣ . ابن الأثير .

١٤ . الضياء .

١٥ . ابن حجر .

١٦ . جلال الدين السيوطي .

يقول ابن عبد البر : هذا إسناد لا مطعن فيه لأحد ، لصحّته وثقةرجاله .

وصحّحه ابن أبي شيبة ، وصحّحه أيضا ًالسيوطي ، وصححّه ابن جرير الطبريوأخرجه أحمد في المسند بسند صحيح [1] .

وأيضاً أخرجه الترمذي وحسنّه ،والنسائي في الخصائص بسند صحيح ،وابن حبّان في صحيحه ،وأخرجه الحاكم

وصحّحه على شرط مسلم .

وقال الحافظ ابن حجر بترجمة أمير المؤمنين من الإصابة قال : أخرجه الترمذي بإسناد قوي عن عمران بن حصين .

حديث « اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه » ، يقول :

كذب باتّفاق أهل المعرفة بالحديث [2] .

مع أنّ هذا الحديث أخرجه :

١ . أحمد بأسانيد صحيحة .

---

1 - مسند أحمد ١ : ٣٣١ و٤٣٧ ، المستدرك : ١٣٤ ، سنن الترمذي ٥ : ٢٩٧ ، المصنف لابن أبي شيبة ٧ : ٥٠٤ ، المعجم الكبير ١٢ : ٧٨ ، صحيح ابن حبان ١٥ : ٣٧٤ ، السنن الكبرى ٥ : ١٣٢ .
2- منهاج السنّة ٧ : ٥٥ .

٢ . ابن أبي شيبة .

٣ . ابن راهويه .

٤ . ابن جرير .

٥ . سعيد بن منصور .

٦ . الطواني .

٧ . أبو نعيم .

٨ . الحاكم .

٩ . الخطيب .

١٠ . وأخرجه النسائي بسند صحيح .

١١ . الزّار بأسانيد صحيحة .

١٢ . أبو يعلى بسندين صحيحين .

١٣ . أخرجه ابن حبّان في صحيحه .

١٤ . وأخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد وقال : رجال إسناده ثقات [1] .

حديث يوم الدار في قضيّة (وأنذِرْ عشيرَتكَ الأقربين) [2] ، يقول :

هذا الحديث كذب عند أهل المعرفة بالحديث ، فما من عالم يعرف الحديث إلاّ وهو يعلم أنّه كذب موضوع [3] .

وإذا كان كذلك ، فحينئذ جميع من روى هذا الحديث من علمائهم يعلم بأنّه كذب موضوع ، مع ذلك رواه في كتابه ، أو إنّ هؤلاء الرواة ليسوا بعلماء أصلاً ! !

1- مسند أحمد ١ : ١١٨ ، المستدرك للحاكم ٣ : ١٠٩ ، المعجم الكبير ٢ : ٣٥٧ ، المعجم الصغير ١ : ٦٥ ، المصنف لابن أبي شيبة ٧ : ٤٩٩ ، السنن الكبرى للنسائي ٥ : ٤٥ ، صحيح ابن حبان ١٥ : ٣٧٦ ، مسند أبي يعلى ١ : ٤٢٩ ، مجمع الزوائد ٧ : ٦٧ .
2- الشعراء : ٢١٤ .
3- منهاج السنّة ٧ : ٣٠٢ .

من رواته أحمد في المسند ، ومن رواته علماء كثيرون .

يقول الهيثمي بعد روايته : ورجال أحمد وأحد إسنادي الزّار رجال الصحيح غير شريك وهو ثقة[1] .

وأخرجه أيضاً :

١ . ابن اسحاق .

٢ . الطوي .

٣ . الطحاوي .

٤ . ابن أبي حاتم .

٥ . ابن مردويه .

٦ . أبو نعيم الإصفهاني .

٧ . الضياء المقدسي .

٨ . المتقي الهندي .

والسيوطي يرويه عن جماعة ،والبيهقي يرويه في دلائل النبوة ،وأبو نعيم أيضاً في دلائل النبوة ، يروون النصّ الكامل لهذا الخبر وينصّون على صحتّه في غير واحد من الكتب كما قرأنا .

وأيضاً ينصّ على صحتّه الشهاب الخفاجي في شرح الشفاء للقاضي عياض وغيره من كبار علمائهم .

حديث : « هذا فاروق أُمتّي » ، وكذا ما روي عن غير واحد من الصحابة أنهّم كانوا يقولون : ما كنا نعرف المنافقين إلا ببغضهم عليّاً ، يقول :

أمّا هذان الحديثان فلا يستريب أهل المعرفة بالحديث أنهّما حديثان موضوعان مكذوبان على النبي (صلى الله عليه وآله) ، ولم يرو واحد منهما في شيء من كتب العلم المعتمدة ،ولا لواحد منهما إسناد معروف[2] .

1- مجمع الزوائد ٨ : ٣٠٢ .
2- منهاج السنّة ٤ : ٢٨٦ ـ ٢٩٠ .

عجيب ! ! إنّه يقول :

ونحن نقنع في هذا الباب بأنْ يروى الحديث بإسناد معروفين بالصدق من أيّ طائفة كانوا .

يعني حتّى من الشيعة يقبل ، ثمّ يقول :

كلّ من الحديثين يعلم بالدليل أنهّ كذب ، لا تجوز نسبته إلى النبي .

أمّا حديث : « هذا فاروق أُمتّي » ، فمن رواته من الصحابة :

١ . سلمان الفارسي .

٢ . ابن عباس .

٣ . أبو ذر .

٤ . حذيفة .

٥ . أبو ليلى .

من رواته من أئمّة الحديث وحفاّظه :

١ . الطواني .

٢ . الزّار .

٣ . البيهقي .

٤ . أبو نعيم .

٥ . ابن عبد البر .

٦ . ابن عساكر .

٧ . ابن الأثير .

٨ . ابن حجر .

٩ . المحب الطوي .

١٠ . المنّاوي .

١١ . المتقي الهندي .

وغيرهم .

يقول : ليسا في الكتب المعتمدة ،والحديث موجود في : مسند الزّار ، في معجم الطواني ، في تاريخ دمشق ، في الاستيعاب ،وأسد الغابة ،والإصابة ،ومجمع الزوائد ،وكنز العمّال ، في فيض القدير ،والرياض النضرة ،وذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى [1] .

ومن أسانيده الصحيحة ما أخرجه الطواني في الكبير ، وقد ذكرت بعض أسانيده الصحيحة .

أمّا قول بعض الصحابة : ما كنّا نعرف المنافقين إلا ببغضهم عليا ً،ً فهذا مروي :

١ . عن أبي ذر .

٢ . عن عبد الله بن مسعود .

٣ . عن عبد الله بن عباس .

٤ . عن جابر بن عبد الله الأنصاري .

٥ .وعن أبي سعيد الخدري .

٦ .وعن أنس بن مالك .

٧ .وعن عبد الله بن عمر .

ومن رواة هذه الأخبار :

١ . أحمد بن حنبل .

٢ . الترمذي .

٣ . البزّار .

٤ . الطبراني .

٥ . الحاكم .

1- المعجم الكبير ٦ : ٢٦٩ ، كنز العمال ١١ : ٦١٦ ، فيض القدير ٤ : ٤٧٣ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٠٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤١ .

٦ . الخطيب البغدادي .

٧ . أبو نعيم الإصفهاني .

٨ . ابن عساكر .

٩ . ابن عبد البر .

١٠ . ابن الأثير .

١١ . النووي .

١٢ . الهيثمي .

١٣ . المحب الطوي .

١٤ . الذهبي .

١٥ . السيوطي .

١٦ . ابن حجر المكّي .

١٧ . المتقي الهندي .

١٨ . الآلوسي ، في تفسوه [1] .

ومن أسانيده الصحيحة أيضاً ما ذكرته هنا ، ومن جملتها ما أخرجه أحمد في مسنده : حدثّنا أسود بن عامر ، حدثّنا إسرائيل ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري : وكنّا نعرف منافقي الأنصار ببغضهم علياً .

في مناقب الصحابة لأحمد بن حنبل رقم ٩٧٩ .

وقال محققه : إسناده صحيح .

وهذا الكتاب مطبوع أخراً في الحجاز ، من منشورات جامعة أُمّ القرى في مكةّ المكرمة ، والمحقق منهم .

حديث « مثل أهل بيتي كسفينة نوح » ، يقول :

1- المعجم الأوسط ٢ : ٣٢٨ ، فوائد الصواف : ٨٦ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٣٢ ، نظم درر السمطين : ١٠٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٨٥ .

وأمّا قوله : « مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح » فهذا لا يعرف له إسناد ، لا صحيح ولا هو في شيء من كتب الحديث التي يعتمد عليها ، فإن كان قد رواه مثل من يروي أمثاله من حطّاب الليل الذين يروون الموضوعات ، فهذا مما يزيده وهنا [1] .

والحال أنّ من رواة الحديث من الصحابة :

١ . أمير المؤمنين .

٢ . أبو ذر .

٣ . عبد الله بن عباس .

٤ . أبو سعيد الخدري .

٥ . أبو الطفيل .

٦ . أنس بن مالك .

٧ . عبد الله بن الزبير .

٨ . سلمة بن الأكوع .

ومن رواته في الكتب المعتمدة :

١ . أحمد بن حنبل .

٢ . البزّار .

٣ . أبو يعلى .

٤ . ابن جرير الطبري .

٥ . النسائي .

٦ . الطبراني .

٧ . الدارقطني .

٨ . الحاكم .

1- منهاج السنّة ٧ : ٣٩٥ .

٩ . ابن مردويه .

١٠ . أبو نعيم الإصفهاني .

١١ . الخطيب البغدادي .

١٢ . أبو المظفّر السمعاني .

١٣ . المجد ابن الأثير .

١٤ . المحب الطبري .

١٥ . الذهبي .

١٦ . ابن حجر العسقلاني .

١٧ . السخاوي .

١٨ . السيوطي .

١٩ . ابن حجر المكّي .

٢٠ . المتقي .

٢١ . القلي .

٢٢ . المنّاوي .

وغيرهم .

فإنْ كان هؤلاء من حطّاب الليل ، فأهلاً وسهلاً ، ما عندنا أي مّانع ، ما عندنا أي مضايقة من قبول هذه الدعوى ، وأهلاً وسهلاً ، وهو نعم المطلوب .

وهذا الحديث أخرجه الحاكم وصحّحه على شرط مسلم ، وأخرجه الخطيب في المشكاة ، وهو ملتزم في هذا الكتاب تبعاً لمصابيح السنّة بأنْ لا يخرج الموضوعات ، وانمّا الصحاح والحسان فقط .

وله أسانيد صحيحة أيضاً غير هذه [1] .

1- المعجم الصغير ١ : ١٣٩ ، ٢ : ٢٢ ، مشكاة المصابيح ٢ : ٥١٩ ، ح ٦١٨٣ ، المستدرك ٢ : ٣٤٣ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٦٨ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٩١ ، المطالب العالية ٤ : ٧٥ ، فيض القدير ٢ : ٦٥٨ ، كنز العمال ١٣ : ٨٢ ، ٨٥ ، المصنف لابن أبي شيبة ٧ : ٥٠٣ .

وحول حديث الطير ، يقول :

إنّ حديث الطير من المكذوبات الموضوعات عند أهل العلم والمعرفة . . . [1] .

لكنّ هذا الحديث . على ما عثرنا عليه نحن . رواه عن رسول الله من الصحابة :

١ . علي (عليه السلام) ، وهو عند الحاكم .

٢ . عبد الله بن عباس ، وهو عند جماعة منهم ابن سعد .

٣ . أبو سعيد الخدري ، رواه الحاكم أيضاً .

٤ . سفينة ، حديثه عند الحاكم ، وعند أحمد بن حنبل .

٥ . أبو الطفيل ، حديثه عنه الحاكم .

٦ . أنس بن مالك ، حديثه عند الترمذي والبزّار والنسائي والحاكم والبيهقي وابن حجر .

٧ . سعد بن أبي وقّاص ، حديثه عند أبي نعيم الإصفهاني .

٨ . عمرو بن العاص ، وحديثه موجود في كتاب له إلى معاوية ، يرويه الخوارزمي في المناقب .

٩ . يعلى بن مرّة ، روى هذا الحديث عنه جماعة منهم أبو عبد الله الكنجي .

١٠ . جابر بن عبد الله الأنصاري ، حديثه عند ابن عساكر .

١١ . أبو رافع ، حديثه عند ابن كثير .

١٢ . حبشي بن جنادة ، حديثه عند ابن كثير أيضاً .

1- منهاج السنّة ٧ : ٣٧١ .

ومن رواة هذا الحديث من الأئمّة :

١ . أبو حنيفة ، إمام الحنفيّة .

٢ . أحمد بن حنبل .

٣ . أبو حاتم الرازي .

٤ . الترمذي .

٥ . البزّار .

٦ . النسائي .

٧ . أبو يعلى .

٨ . محمّد بن جرير الطبري .

٩ . الطبراني .

١٠ . الدارقطني .

١١ . ابن بطّة العكبري .

١٢ . الحاكم .

١٣ . ابن مردويه .

١٤ . البيهقي .

١٥ . ابن عبد البرّ .

١٦ . الخطيب .

١٧ . أبو المظفر السمعاني .

١٨ . البغوي .

١٩ . ابن عساكر .

٢٠ . ابن الأثير .

٢١ . المزّي .

٢٢ . الذهبي .

٢٣ . ابن حجر العسقلاني .

٢٤ . السيوطي .

وغيرهم .

وقد أفرد بعضهم لجمع طرق هذا الحديث كتباً خاصّة ، منهم :

١ . ابن جرير الطبري .

٢ . ابن عقدة .

٣ . ابن مردويه .

٤ . أبو نعيم .

٥ . أبو طاهر بن حمدان .

٦ . الذهبي ، يقول : لي جزء في جمع طرقه ، وهذا تصريح الذهبي نفسه في كتاب تذكرة الحفّاظ وغيره من كتبه .

وقد نصّ غير واحد من العلماء على صحّة بعض أسانيده ، منهم : الحافظ ابن كثير ينصّ في تاريخه على صحّة بعض أسانيد هذا الحديث ، وجودة بعض طرقه ، ولا أُريد أن أُطيل عليكم ، والإ لّذكرت لكم كل ذلك[1] .

1 - المعجم الكبير ١ : ٢٥٣ و٧ : ٨٢ ، المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٣٠ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٠٠ ، سنن النسائي ٥ : ١٠٧ ، مسند أبي يعلى ٧ : ١٠٥ ، خصائص النسائي : ٥١ ، لسان الميزان ١ : ٣٧ ، تاريخ دمشق ٣٧ : ٤٠٦ .

بحث ابن تيمية في خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام)

وتصل النوبة إلى بحث ابن تيميّة في خلافة أمير المؤمنين ، وهل يرضى ابن تيمية بخلافة علي باعتبار أنّه خليفة رابع أو لا يرضى ؟ وهل يرتضيه بأن يكون من الخلفاء الراشدين أو لا ؟

أوّل شيء يكرّره ابن تيمية في كتابه منهاج السنة عدم ثبوت خلافة أمير المؤمنين يقول :

إضطرب الناس في خلافة علي على أقوال : فقالت طائفة : إنّه إمام وإنّ معاوية إمام . . . ، وقالت طائفة : لم يكن في ذلك الزمان إمام عام ، بل كان زمان فتنة . . . ، وقالت طائفة ثالثة : بل علي هو الإمام وهو مصيب في قتاله لمن قاتله ، وكذلك من قاتله من الصحابة كطلحة والزبير كلّهم مجتهدون مصيبون . . . ، وطائفة رابعة تجعل علياً هو الإمام ، وكان مجتهداً مصيباً في القتال ، ومن قاتله كانوا مجتهدين مخطئين . . . ، وطائفة خامسة تقول إنّ علياً مع كونه كان خليفة وهو أقرب إلى الحقّ من معاوية فكان ترك القتال أولى[1] .

خمس طوائف ولم يذكر قولاً سادساً .

يقول :

وأما علي فكثير من السابقين الأولين لم يتّبعوه ولم يبايعوه وكثير من الصحابة والتابعين قاتلوه[2] .

ويقول :

1- منهاج السنّة ١ : ٥٣٧ ـ ٥٣٩ .
2- منهاج السنّة ٨ : ٢٣٤ .

ونحن نعلم أنّ علياً لمّا تولّى ، كان كثير من الناس يختار ولاية معاوية وولاية غيرهما [1] .

ومن جوّز خليفتين في وقت يقول : كلاهما خلافة نبوة . . . وإن قيل : إنّ خلافة علي ثبتت بمبايعة أهل الشوكة ، كما ثبتت خلافة من كان قبله بذلك ، أو ردوا على ذلك أنّ طلحة بايعه مكرهاً ، والذين بايعوه قاتلوه ، فلم تتفق أهل الشوكة على طاعته .

وأيضاً فإنّما تجب مبايعته كمبايعة من قبله إذا سار سيرة من قبله [2] .

وإن لم يسر سيرة من قبله فلم يبايعه أحد على ذلك .

ويقول :

وأمّا علي فكثير من السابقين الأوّلين لم يتبعوه ولم يبايعوه وكثير من الصحابة والتابعين قاتلوه [3] .

فإذا نسب إلى الشيعة أنّهم يبغضون الصحابة إذن يبغضون كثيراً من الصحابة والتابعين الذين قاتلوا علياً .

أقول : نعم نبغضهم ويبغضهم كلّ مسلم .

قال في الجواب عن حديث « من ناصب علياً الخلافة فهو كافر » ، قال :

إنّ هذه الأحاديث تقدح في علي ، وتوجب أنّه كان مكذباً لله ورسوله ، فيلزم من صحتها كفر الصحابة كلهم أو وغيره ، أما الذين ناصبوه الخلافة فإنّهم في هذا الحديث المفترى كفّار ، وأما علي فإنه لم يعمل بموجب هذه النصوص .

قال :

وأما علي فكثير من السابقين الأولين لم يتّبعوه ولم يبايعوه وكثير من

1- منهاج السنّة ٢ : ٨٩ .
2- منهاج السنّة ٤ : ٤٦٥ .
3- منهاج السنّة ٨ : ٢٣٤ .

الصحابة والتابعين قاتلوه [1] .

لاحظوا نصّ العبارة :

ونصف الأُمّة أو أقل أو أكثر لم يبايعوه ، بل كثير منهم قاتلوه وقاتلهم ، وكثير منهم لم يقاتلوه ولم يقاتلوا معه [2] .

إذن ، نصف الأُمّة كانوا مخالفين لعلي ، ونحن نقول : ارتدّت الأمةُ بعد رسول الله باعتراف ابن تيمية ، ارتدت عن ولاية أمير المؤمنين إنْ كان كلامه حقاً .

ثمّ يقول . ولاحظوا عباراته ، كلمات حتّى سماعها يحزّ في النفس ، فكيف قراءتها والنظر فيها والتأمل فيها . يقول :

لكنّ نصف رعيته يطعنون في عدله ، فالخوارج يكفّرونه ، وغير الخوارج من أهل بيته وغير أهل بيته يقولون : إنه لم

ينصفهموشيعة عثمان يقولون : إنّه ممّن ظلم عثمان . وبالجملة ، لم يظهر لعلي من العدل ، مع كثرة الرعيةوانتشارها ، ما ظهر لعمر ،ولا قريب منه[3] .

لاحظوا العبارات :

وأمّا تخلّف من تخلّف عن مبايعته ، فعذرهم في ذلك أظهر من عذر سعد بن عبادةوغيره لما تخلّفوا عن بيعة أبي بكر[4] .

ثمّ يصعد أكثر من هذا ويقول :

وروي عن الشافعي وغيرهم أنّهم قالوا : الخلفاء ثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان[5] .

لاحظوا نصّ العبارة :

والخلفاء الثلاثة فتحوا الأمصار ،وأظهروا الدين في مشارق الأرض

1- منهاج السنة ٨ : ٢٣٤ .
2- منهاج السنة ٤ : ١٠٥ .
3- منهاج السنة ٦ : ١٨ .
4- منهاج السنة ٤ : ٣٨٨ .
5- منهاج السنة ٤ : ٤٠٤ .

ومغاربها ، ولم يكن معهمرافضي ، بل بنو أميّة بعدهم ، مع انحراف كثير منهم عن علي وسبّ بعضهم له ، غلبوا على مدائن الإسلام كلّها من مشارق الأرض إلى مغربها ، وكان الإسلام في زمنهم أعزّ منه فيما بعد ذلك بكثير . . .وأظهروا الإسلام فيها وأقاموه . . . ويقال : إنّ فيهم من كان يسكت عن علي ، فلا يربّع به في الخلافة لأنّ الأمةُ لم تجتمع عليه . . .

وقد صنّف بعض علماء الغرب كتاباً كبيراً في الفتوح ، فذكر فتوح النبي (صلى الله عليه وآله) ، وفتوح الخلفاء بعده أبا بكر وعمر وعثمان ، ولم يذكر عليّاً مع حبّه له وموالاته له ، لأنّه لم يكن في زمنه فتوح[1] .

وكان بالأندلس كثير من بني أُمية . . . يقولون : لم يكن خليفةوانمّا الخليفة من اجتمع الناس عليه ، ولم يجتمعوا على علي . وكان من هؤلاء من يربّع بمعاوية في خطبة الجمعة ، فيذكر الثلاثة ويربّع بمعاويةولا يذكر علياً . . .[2] .

إلى أنْ يقول :

فلم يظهر في خلافته دين الإسلام ، بل وقعت الفتنة بين أهله ، وطمع فيهم عدوّهم من الكفّار والنصارى والمجوس[3] .

قال :

وأمّا علي فلم يتفق المسلمون على مبايعته ، بل وقعت الفتنة في تلك المدّة ، وكان السيف في تلك المدة مكفوفاً عن الكفار مسلولاً على أهل الإسلام[4] .

وهذا كان حجّة من كان يربّع بذكر معاويةولا يذكر علياً[5] .

1- منهاج السنّة ٦ : ٤١٩ ـ ٤٢٠ .
2- منهاج السنّة ٤ : ٤٠١ ـ ٤٠٢ .
3- منهاج السنّة ٤ : ١١٧ .

4- منهاج السنّة ٤ : ١٦١ .
5- منهاج السنّة ٤ : ١٦٢ .

ولم يكن في خلافة علي للمؤمنين الرحمة التي كانت في زمن عمر وعثمان ، بل كانوا يقتتلون ويتلاعنون ، ولم يكن لهم على الكفّار سيف ، بل الكفّار كانوا قد طمعوا فيهم ، وأخذوا منهم أموالاً وبلاداً [1] .

فإذا لم يوجد من يدّعي الإماميّة فيه أنّه معصوم وحصل له سلطان بمبايعة ذي الشوكة إلا عليّ وحده ، وكان مصلحة المكلّفين واللّطف الذي حصل لهم في دينهم ودنياهم في ذلك الزمان أقلّ منه في زمن الخلفاء الثلاثة ، وعلم بالضرورة أن ما يدّعونه من اللطف والمصلحة الحاصلة بالأئمّة المعصومين باطل قطعاً [2] .

يقول :

ومن ظنّ أنّ هؤلاء الاثني عشر هم الذين تعتقد الروافض إمامتهم ، فهو في غاية الجهل ، فإنّ هؤلاء ليس فيهم من كان له سيف إلاّ علي بن أبي طالب ، ومع هذا فلم يتمكّن في خلافته من غزو الكفّار ، ولا فتح مدينة ولا قتل كافراً ، بل كان المسلمون قد اشتغل بعضهم بقتال بعض ، حتّى طمع فيهم الكفّار بالشوق والشام ، من المشركين وأهل الكتاب ، حتّى يقال إنهمّ أخذوا بعض بلاد المسلمين ، وإنّ بعض الكفّار كان يحمل إليه كلام حتّى يكف عن المسلمين ، فأي عزّ للإسلام في هذا . أي في حكومة علي .

. . . وأيضاً فالإسلام عند الإماميّة هو ما هم عليه ، وهم أذلّ فرق الأمّة ، فليس في أهل الأهواء أذلّ منّ الرافضة [3] .

ثمّ يقول العبارة التي نقلها ابن حجر ، وقرأناها في كتاب الدرر الكامنة ، يقول :

فإنّ علياً قاتل على الولاية ، وقتلُ بسبب ذلك خلق كثير ، ولم يحصل

1- منهاج السنّة ٤ : ٤٨٥ .
2- منهاج السنّة ٣ : ٣٧٩ .
3- منهاج السنّة ٨ : ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

في ولايته لا قتال للكفّار ولا فتح لبلادهم ، ولا كان المسلمون في زيادة خير [1] .

فما زاد الأمر إلاّ شدّة ، وجانبه إلا ضعفاً ، وجانب من حاربه إلا قوّة والأمة إلاّ افتراقاً [2] .

ثمّ يقول :

ولهذا جعل طائفة من الناس خلافة علي من هذا الباب ، وقالوا : لم تثبت بنص ولا إجماع [3] .

ثمّ يقول :

لأن النص والإجماع المثبتين لخلافة أبي بكر ليس في خلافة عليّ مثلها ، فانه ليس في الصحيحين ما يدلّ على خلافته ، وإنّما روى ذلك أهل السنن ، وقد طعن بعض أهل الحديث في حديث سفينة [4] .

فعلى هذا لا يبقى حينئذ دليل على امامة علي مطلقاً حتّى في المرتبة الرابعة .

ويقول :

وأحمد بن حنبل ، مع أنه أعلم أهل زمانه بالحديث ، احتج على إمامة علي بالحديث الذي في السنن : « تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ، ثمّ تصير ملكاً » وبعض الناس ضعفّ هذا الحديث ، لكن أحمد وغيره يثبتونه [5] .

يقول :

وعلي يقاتل ليطاع ويتصرّف في النفوس والأموال ، فكيف يجعل هذا

1- منهاج السنّة ٦ : ١٩١ .
2- منهاج السنّة ٧ : ٤٥٢ .
3- منهاج السنّة ٨ : ٢٤٣ .
4- منهاج السنّة ٤ : ٣٨٨ .
5- منهاج السنّة ٧ : ٥٠ .

قتالاً على الدين [1] .

نصّ العبارة بلا زيادة ونقيصة .

حتّى أنّه يجعل علياً مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ تِلْكَ الدارُ الاخِرَةُ نَجْعَلُها لِلذينَ لا يُرِيدُونَ عُلُواً فِي الارْضِ وَلا فَسادا وَالعَاقِبَةُ لِلْمتقِينَ ﴾ [2] .

ثمّ يقول :

فمن أراد العلوّ في الأرض والفساد لم يكن من أهل السعادة في الآخرة [3] .

وعلي إنّما قاتل لأنْ يكون له العلوّ في الأرض ، إنه إنما :

قاتل ليطاع هو [4] .

ثمّ يقول :

والذين قاتلوا من الصحابة لم يأت أحد منهم بحجّة توجب القتال ، لا من كتاب ولا من سنة ، بل أقرّوا بأن قتالهم كان رأياً رأوه ، كما أخبر بذلك علي (رضي الله عنه) عن نفسه [5] .

وأمّا قتال الجمل وصفيّن ، فقد ذكر علي (رضي الله عنه) أنه لم يكن معه نصّ من النبي (صلى الله عليه وآله) ، وانما كان رأياً ، وأكثر الصحابة لم يوافقوه على هذا القتال [6] .

أن القتال كان قتال فتنة بتأويل ، لم يكن من الجهاد الواجب ولا المستحب [7] .

وقتل خلقاً كثيراً من المسلمين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة

1- منهاج السنّة ٨ : ٣٢٩ .
2- القصص : ٨٣ .
3- منهاج السنّة ٤ : ٥٠٠ .
4- منهاج السنّة ٤ : ٥٠٠ .

5- منهاج السنّة ١ : ٥٢٦ .
6- منهاج السنّة ٦ : ٣٣٣ .
7- منهاج السنّة ٧ : ٥٧ .

ويصومون ويصلّون [1] .

وقال طاعناً في الإمام وهو يقصد الدفاع عن عثمان . حيث يقولون من جملة ما نقموا عليه إنّه كان يتصرف في بيت المال هو وبنو أُميّة . :

وأين أخذ المال وارتفاع بعض الرجال ، من قتال الرجال الذين قتلوا بصفّين ولم يكن في ذلك عزّ ولا ظفر ؟ . . . حرب صفّين التي لم يحصل بها إلاّ زيادة الشر وتضاعفه لم يحصل بها من المصلحة شيء [2] .

ولهذا كان أئمّة السنّة كمالك وأحمد وغيرهما يقولون : إنّ قتاله للخوارج مأمور به ، وأما قتال الجمل وصفينّ فهو قتال فتنة .

ولهذا كان علماء الأمصار على أن القتال كان قتال فتنة وكان من قعد عنه أفضل ممن قاتل فيه [3] .

وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ندم على أمور فعلها من القتال وغيره . . . وكان يقول ليالي صفّين : لله درّ مقام قامه عبد الله بن عمر وسعد بن مالك ، إن كان ورّاً إنّ أجره لعظيم ، وإن كان إثما إنّ خطره ليسير [4] .

والحال أنّ عبد الله بن عمر وسعد بن مالك يعني سعد بن أبي وقاّص كلاهما قد ندما على عدم بيعتهما مع علي وتخلفّهما عن القتال معه في حروبه ، والنصوص بذلك موجودة في المصادر .

يضيف إنّ علياً كان يقول لابنه الحسن (عليه السلام) في ليالي صفينّ :

يا حسن يا حسن ما ظنّ أبوك أنّ الأمر يبلغ إلى هذا ، ود أبوك لو مات قبل هذا بعشرين سنة [5] .

1- منهاج السنّة ٦ : ٣٥٦ .
2- منهاج السنّة ٨ : ١٤٣ .
3- منهاج السنّة ٨ : ٢٣٣ .
4- منهاج السنّة ٦ : ٢٠٩ .
5- منهاج السنّة ٦ : ٢٠٩ .

الأحاديث الصحيحة المتقنة في الكتب المعتوة يكذّبها ويطالب فيها بسند صحيح ، ثمّ يذكر مثل هذا ولا يذكر له أي سند ، وأيّ مصدر ، وغير معلوم من قال هذا ؟ ويرسله إرسال المسلمّات ، يا حسن يا حسن ما ظنّ أبوك أن الأمر يبلغ إلى هذا ، ود أبوك لو مات قبل هذا بعشرين سنة ! !

يقول :

ولمّا رجع من صفيّن تغيرّ كلامه . . . وتواترت الآثار بكراهته الأحوال في آخر الأمر [1] .

وكان علي أحياناً يظهر فيه الندم والكراهة للقتال ، ممّا يبينّ أنه لم يكن عنده فيه شيء من الأدلة الشرعية [2] .

وممّا يبينّ أنّ عليا لمّ يكن يعلم المستقبل ، إنه ندّم على أشياء مما فعلها . . . وكان يقول ليالي صفين : يا حسن يا حسن ،

ما ظنّ أبوك أنّ الأمر يبلغ هذا ، لله درّ مقام قامه سعد بن مالك وعبد الله بن عمر . . . [3] .

هذا كرّره مرّة أخرى ، وقال بعد ذلك :

هذا رواه المصنّفون [4] .

ومن المصنّفون ؟ غير معلوم .

يقول :

وتواتر عنه أنّه كان يتضجّر ويتململ من اختلاف رعيّته عليه ، وأنه ّما كان يظن أنّ الأمر يبلغ ما بلغ ، وكان الحسن رأيه ترك القتال ، وقد جاء النصّ الصحيح بتصويب الحسن . . . وسائر الأحاديث الصحيحة تدلّ على أن ّالقعود عن القتال والإمساك عن الفتنة كان أحبّ إلى الله ورسوله [5] .

1- منهاج السنّة ٦ : ٢٠٩ .
2- منهاج السنّة ٨ : ٥٢٦ .
3- منهاج السنّة ٨ : ١٤٥ .
4- منهاج السنّة ٨ : ١٤٥ .
5- منهاج السنّة ٨ : ١٤٥ .

يقول : وأمّا حديث أُمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، فهذا كذب .

لابدّ وأن يكذبّه ، لأنهّ يصر ّعلى أن عليّا لمّ يكن عنده دليل شرعي على قتاله ، فلابد وأنّ يكون هذا الحديث كذبا .

نصّ العبارة :

لم يرو علي (رضي الله عنه) في قتال الجمل وصفّين شيئاً . . . وأماّ قتال الجمل وصفينّ فلم يرو أحد منهم فيه نصا إلاّ القاعدون ، فإنّهم رووا الأحاديث في ترك القتال في الفتنة ، وأمّا الحديث الذي يرُوى أنه ّأمر بقتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، فهو حديث موضوع على النبي (صلى الله عليه وآله) [1] .

وهذا الحديث يرويه من الصحابة :

١ . أبو أيّوب الأنصاري .

٢ . أمير المؤمنين (عليه السلام) .

٣ . عبد الله بن مسعود .

٤ . أبو سعيد الخدري .

٥ . عمّار بن ياسر .

وغيرهم .

ومن الحفّاظ :

١ . الطبري .

٢ . الزّار .

٣ . أبو يعلى .

٤ . ابن مردويه .

٥ . أبو القاسم الطواني .

٦ . الحاكم النيسابوري .

1- منهاج السنّة ٦ : ١١٢ .

٧ . الخطيب البغدادي .

٨ . ابن عساكر .

٩ . ابن الأثير .

١٠ . الجلال السيوطي .

١١ . ابن كثير .

١٢ . المحب الطوي .

١٣ . أبو بكر الهيثمي .

١٤ . المتقي الهندي .

ومن أسانيده الصحيحة ماروا ه الزّار والطواني في الأوسط ، وترون النص على صحتّه في مجمع الزوائد يقول بعد روايته : وأحد إسنادي الزّار رجاله رجال الصحيح ، غير الربيع بن سعيد ووثقّه ابن حبانّ ، وله أسانيد أخُرى صحيحة [1] .

1- المستدرك ٣ : ١٣٨ ، مجمع الزوائد ٥ : ١٨٦ ، ٦ : ٢٢٥ ، ٧ : ٢٣٨ ، مسند أبي يعلى ١ : ٣٩٧ ، المعجم الأوسط ٨ : ٢١٣ ، ٩ : ١٦٥ ، المعجم الكبير ٤ : ١٧٢ ، ١٠ : ١٩١ ـ ١٩٢ ، الاستيعاب ٣ : ١١١٧ ، تاريخ بغداد ٨ : ٣٣٦ ، ١٣ : ١٨٨ ، تاريخ دمشق ١٦ : ٥٤ ، ٤٢ : ٤٦٨ ، ٥٩ : ١٢٩ ، أسد الغابة ٤ : ٣٣ ، ميزان الاعتدال ١ : ٢٧١ ، ٥٨٤ ، لسان الميزان ٢ : ٤٤٦ .

افتواء ابن تيميّة على أمير المؤمنين (عليه السلام)

وأمّا الأشياء التي نسبها إلى أمير المؤمنين ،والأكاذيب التي هي في الحقيقة كذب عليه ، في كلماته كثرة ، منها : إنّ علياّ ً كان يقول مراراً : إنّ أبا بكر وعمر أفضل منيّ ، وكان يفضلهّما على نفسه .

يقول :

حتى قال : لا يبلغني عن أحد أنّه فضلّني على أبي بكر وعمر إلا ّجلدته جلد المفتري [1] .

هذا الشيء الذي نقله لم يذكر له مصدراً عن أمير المؤمنين ،وأمير المؤمنين لم نسمع أنّه جلد أحداً من الصحابة لأنه فضّله على الشيخين ، مع أنّ كثيرين من الصحابة كانوا في نفس الوقت وفي حياة أمير المؤمنين يفضلّون عليا عَلَى الشيخين بمسمع منه ومرأى .

إنّ ابن حزم في الفصل [2] ، وكذا ابن عبد البر في الاستيعاب [3] بترجمة أمير المؤمنين ، هذان الحافظان الكبيران يذكران أسماء عدّة كبيرة من الصحابة كانوا يقولون بأفضليّة علي من الشيخين ، ولم نسمع أن عليا جُلِد واحدا منهم .

وأمّا هذا الخبر ، فقد كفانا الدكتور محمّد رشاد سالم . الذي حققّ منهاج السنة في طبعته الجديدة . مؤنة تحقيقه حيث قال : بأنّه ضعيف [4] .

وكذب على علي وفاطمة الزهراء فزعم أنه روي :

1- منهاج السنة ٧ : ٥١١ .
2- الفصل في الملل والنحل ٤ : ١١١ .
3- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٣ : ١٠٩٠ .
4- منهاج السنة ٧ : ٥١١ ، الهامش .

كما في الصحيح عن علي (رضي الله عنه) ، قال : طرقني رسول الله (صلى الله عليه وآله) وفاطمة ، فقال : « ألا تقومان تصليان ؟ » فقلت : يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثنا بعثنا ، قال فولّى ،وهو يقول : (وكَانَ الانسِْان أكثر شَيء جَدَلاً) [1] .

وكذب على أمير المؤمنين في قضيّة ثوب الخمر [2] .

أكتفي بما ذكرت ،وأكرّر دعاء النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : « اللهم والِ من والاه ،وعادِ من عاداه ،وانصر من نصره ،واخذل من خذله » .

وصلى الله على محمّد وآله الطاهرين .

1- منهاج السنة ٣ : ٨٥ ، الآية في سورة الكهف : ٥٤ .
2- منهاج السنة ٧ : ٢٣٧ .

(٣٢) التحريفات والتصرفات في كتب السنّة

السيّد علي الحسيني الميلاني

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمدّ وآله الطيبيّن الطاهرين ، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الأوّلين والآخرين .

وبعد ، فإنّي أحمد الله سبحانه وتعالى على أنْ وفقّني لهذه البحوث في هذه الليالي المباركة ، بطلب من « مركز الأبحاث العقائديّة » ، وكانوا قد طلبوا منّي أن أبحث عن الموضوعات التي عينوّها هم ، وبطلب منهم ، وعلى أن تكون البحوث على أساس الكتاب والسنّة المعتبرة المتفّق عليها بين المسلمين ، ولذا فقد لاحظتم أنيّ اثبتُ حتّى مسّألة تفضيل الأئمة على الأنبياء على أساس أحاديث الفريقين ، وأثبتُ العصمة كما يقول بها أصحابنا على أساس أحاديث الفريقين .

وحاولت أن تكون الأدلّة التي أستند إليها من أقدم كتب أهل السنةّ وأتقنها ، حتىّ في مسائل مظلومية الزهراء (عليها السلام) ، لم أعتمد إلاّ على كتبهم وعلى أقدم المصادر الواصلة إلينا من مؤلفّاتهم ومصنفاتهم ، ونقلنا عنها ما جاء فيها من تلك القضايا ، وما كنّا نتوقعّ منهم أن ينقلوا أكثر من هذا فيما يتعلقّ بالزهراء (عليها السلام) .

وأمّا ما في كتبنا ، وما في رواياتنا ، وعن أهل البيت فيما يتعلقّ بالعصمة ، وما يتعلقّ بمظلومية الزهراء ، وما يتعلقّ بمسائل تفضيل الأئمّة على الأنبياء ، وكذا ما يتعلقّ بمسائل الإمامة وغير ذلك من المسائل ، فلابدّ وأن نعقد مجالس وبحوثاً أُخرى ، لأنْ تكون تلك الروايات محور بحوثنا في تلك الجلسات الأُخرى ، إلا أنّ الإخوة في هذا المركز طلبوا مني أن تكون المصادر سنّية فقط ولا أنقل شيئاً عن كتب أصحابنا ، وقد لاحظتم أنيّ وبحمد الله على التوفيق وفقتّ لما كنا نرّمي إليه في هذه المجالس ، وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن تكون هذه المباحث معينة لمن يريد أن يبحث عن هذه القضايا بإنصاف ، وأن تكون مفيدة له في هذا المجال .

الصفحة 54

الصفحة 55

أساليب القوم في التحريف

كما لاحظتم في خلال البحوث أنّي تعرّضت ونبهّت على بعض التحريفات الواقعة منهم في نقل الأحاديث ، وفي رواية الأخبار والقضايا والحوادث ، ونبّهت أيضاً على أنهّم ـ أي أهل السنةّ ـ حاولوا قدر الإمكان أن يتكتموا على حقائق القضايا ولا ينقلوا لنا الحوادث كما وقعت ، ومع ذلك فقد عثرنا على ما كنّا نريده من خلال رواياتهم والنظر في أخبارهم وكتبهم ، ثمّ طلبتم أن أذكر موارد أُخرى من التحريفات في هذه الليّلة ، فأقول :

إنّ للقوم أساليب عديدة في ردّ ما يتعلقّ بأهل البيت وبمسائل الإمامة ، وكل مّا يستدل به الإمامية في بحوثهم .

فأوّل شيء نراه في كتبهم أنهّم يغفلون الخبر ، ويحاولون التعتيم عليه وعدم نقله وعدم نشره ، ولذا نرى أنّ كثيراً من الأخبار الصحيحة بأسانيدهم غير مخرّجة في الصحيحين ، أو الصحاح الستةّ من كتبهم ، فأوّل محاولة منهم هي إغفال الأخبار الصحيحة التي يستند إليها الشيعة فلا ينقلونها .

ثمّ إذا نقلوا حديثاً يحاولون أن يحرقوه ،والتحريف يكون على أشكال في كتبهم .

تارة ينقلون الحديث مبتوراً وينقصون منه محلّ الاستدلال ومورد الحاجةوتارة يبهمون في ألفاظه ، فيرفعون الأسماء الصريحة ويضعون في مكانها كلمة فلان إبهاماً للأمر .

وتارة يحذفون من الخبر ويضعون في مكان المقدار المحذوف كلمة كذا وكذا .

وتارة زواهم يصحفون الألفاظ .

فإن لم يمكنهم التلاعب بمتنه ، انبروا للطعن في سنده ،وحاولوا تضعيف الحديث أو تكذيبه .

فإن لم يمكنهم ذلك أيضاً ، وضعوا في مقابله حديثاً آخر وادعّوا المعارضة بين الحديثين .

وهذه أساليبهم .

أمّا المستنسخون ،والناشرون للكتب ،والرواة لتلك الروايات والمؤلفات فحدّث عنهمولا حرج .

أتذكر أنّيرأيت في أحد المصادر ، عندما يروي خبر مبيت أمير المؤمنين (عليه السلام) على فراش رسول الله في ليلة الهجرة ، الرواية تقول : بات علي على فراش رسول الله أتذكّر أنّه في أحد المصادر كلمة التاء بدلّها الناسخ باللام ، التاء من بات بدّلها باللام .

ينقلون عن بعض الصحابة ،وكما قرأنا في الجلسات الماضية ، أنّهم كانوا يعرضون أولادهم على أمير المؤمنين ، يأتون بأبنائهم ويوقفونهم على الطريق ، فإذا مرّ أمير المؤمنين قالوا للولد : أتحبّ هذا ؟ فإن قال : نعم ، علم أنه منه والا .. .

فينقلون عن بعض الصحابة أنّهم كانوا يقولون .وهذا موجود في المصادر . : كنّا نبور أولادنا بحبّ علي بن أبي طالب ، نبور أي نختبر ، نختبرهم نمتحنهم ، لنعرف أنّهم من صلبنا أو لا ، كنّا نبور أبناءنا بحبّ علي بن أبي طالب .

لاحظوا التصحيف : كنّا بنور إيماننا نحبّ علي بن أبي طالب[1] .

الباء أصبحت نوناً ، نبور أصبحت بنور ، أبناءنا أصبحت إيماننا ، كنّا بنور إيماننا نحبّ علي بن أبي طالب .

وهكذا يصحّفون الأخبار .

1- شواهد التنزيل ١ : ٤٤٩ ، النهاية في غريب الحديث ١ : ١٥٩ ، لسان العرب ٤ : ٨٧ .

وإمّا أنْ يرفعوا الحديث أو قسماً من الحديث ويتركوا مكانه بياضاً ،ويكتبون هاهنا بياض في النسخة ،وهذا أيضا كثير في كتبهم ، هنا بياض في النسخة ، لاحظوا المصادر ، حتّى الكتب الكلاميّة أيضاً .

أتذكّر أنّ موضعاً من شرح المقاصد حذف منه مقدار ،وقد كتب محققّه أن هنا بياضاً في النسخة ،وكذا في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ،وفي تاريخ دمشق لابن عساكر ،وغير هذه الكتب .

فهكذا يفعلون ،وكلّ ذلك لئلاّ يظهر الحق ،وما أكثر هذا .

ويا حبّذا لو انوى أحد لجمع هذه القضايا وتأليف كتاب في ذلك .

وأمّا أنكم لو قارنتم الطبعات الجديدة للكتب ، وقابلتموها مع الطبعات السابقة حتىّ تفسير الكشافّ للزمخشري ، له أبيات ، أربع خمس أبيات في تفسوه ، هي في بعض الطبعات غير موجودة ، لأنّ تلك الأبيات فيها طعن على المذاهب الأربعة . وهكذا في قضايا أُخوى .

وكثواً ما توى أنّ المؤلفِّ اللاحقّ يلخصّ كتاب أحد السابقين ، وليس الغوض من تلخيصه لذلك الكتاب إلا طرّح ما في ذلك الكتاب ممّا يضرّ بأفكاره ومبادئه والكتاب الأصلي ربمّا يكون مخطوطا ً أو لربماّ لا تعثر على نسخة منه أبدا ، وًقد حكموا عليه بالإعدام .

حتّى إنّ كتب أبي الفوج ابن الجوزي في القضايا التافهة طبعوها ونشروها ، له كتاب في أخبار المغفليّن ، له كتاب في أخبار الحمقى ، وأخبار الطفيليين ، وكتبه من هذا القبيل طبعت .

لكنّ لابن الجوزي رسالة كتبها في تكذيب ما رووه من أنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قد صلىّ خلف أبي بكر في تلك الصلاة التي جاء إلى المسجد بأمر من عائشة لا من الوسول حتّى إذا ، إطلّع على ذلك خوج معتمدا ً على رجلين ، ونحىّ أبا بكر عن

المحواب وصلّى تلك الصلاة بنفسه الشويفة ، فيروون أنّ رسول الله اقتدى بأبي بكر في تلك الصلاة وصلىّ خلفه .

فلابن الجوزي كتاب في تكذيب ما ورد في هذا الباب ، أي في صلاة النبي خلف أبي بكر ، يكذّب هذه الروايات ابن الجوزي ، هذه الوسالة لم ينشروها ، وحتّى لم يكثرّوا نسخها ولم يستنسخوها .

أتذكّر أنّي راجعت كتابا ألّفُ في مؤلفاتّ ابن الجوزي المخطوط منها والمطوع فلم يذكر لهذا الكتاب إلا نسّخة واحدة ، والحال أنّه يذكر لمؤلفّاته الأخُوى في مكتبات العالم نسخا كَثوة .

ولماذا ؟

لأنّهم يعلمون بأنّ تكذيب مثل هذا الخبر يضرّ باستدلالهم بصلاة أبي بكر الزعومة على إمامة أبي بكر بعد رسول الله .

وكم لهذه الأُمور من نظائر ، ويا حبذّا لو تجمع في مكان واحد .

نماذج من التحريفات

وأمّا أنكم إذا طلبتم أن أذكر لكم بعض الأشياء ، إضافة إًلى ما اطلعّتم عليه في خلال البحوث ، أذكر لكم موارد معدودة فقط ، ولا أُطيل عليكم :

١ . هناك حديث يروونه عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت ذهبوا ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض »[1] .

هذا الحديث موجود في المصادر ، ومن المصادر التي يروى عنها هذا الحديث مسند أحمد ، وهذا الحديث ليس الآن موجوداً فيه .

٢ . قوله : « أنا مدينة العلم وعلي بابها » ، مصاديه كثيرة ، ومن مصاديه صحيح الترمذي ، ينقل عن صحيح الترمذي هذا الحديث في جامع الأُصول [2] لابن الأثير ، وأيضاً في تاريخ الخلفاء [3] للسيوطي ، وأيضاً في الصواعق لابن حجر [4] ، والفضل ابن روزبهان يعترف بوجود هذا الحديث [5] في صحيح الترمذي ويحكم بصحّته .

وأنتم لا تجدونه الآن في صحيح الترمذي ، وكم لهذا من نظير !

وأمّا في الصحيحين ، فكنت أتذكّر موردين أحببت أن أذكرهما لكم في هذه الليلة بطلب منكم طبعاً ، واكتفي بهذا المقدار .

1- المستدرك ١ : ٤٤٨ ، ٣ : ١٤٩ ، ٤٥٧ ، الجامع الصغير ٢ : ٦٢٠ ، كنز العمال ١٢ : ٩٦ ، سبل الهدى والرشاد ١١ : ٦ .
2- جامع الأصول ٨ : ٤٩٥ ، ح ٦٥٠١ .
3- تاريخ الخلفاء ١ : ١٧٠ .
4- الصواعق المحرقة : ١٢٢ .
5- انظر دلائل الصدق ٢ : ٤٣٩ .

٣ . لاحظوا هذا الحديث في صحيح مسلم ، يروي هذا الحديث مسلم بن الحجّاج بسنده عن شقيق ، عن أُسامة بن زيد ، قال شقيق : قيل له . أي لأُسامة . : ألا تدخل على عثمان فتكلّمه ؟ فقال : أترون أنيّ لا أكلّمه إلا أسمّعكم ، والله لقد كلمته فيما بيني وبينه ، مادون أنْ أفتتح أمراً لا أُحب أن أكون أول من فتحه ، ولا أقول لأحد يكون علي أميرا إنهً خيّر الناس بعدما سمعت رسول الله يقول : يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندرق أقتاب بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يا فلان مالك ؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول : بلى قد كنت آمراً بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه .

قيل له : ألا تدخل على عثمان فتكلّمه ؟ قال : قد كلّمته سراراً ، وناصحته ، وأمرته بالمعروف ونهيته عن المنكر ، لكن لا أُريد أنْ تطلّعوا على ما قلته له ، كلمتّه بيني وبينه . . . ثم ذكر هذا الحديث عن رسول الله .

هذا في الصفحة ٢٢٤ من صحيح مسلم في الجزء الثامن في هذه الطبعة [1] .

ولا بأس أن أقرأ لكم ما في صحيح البخاري ، لتعرفوا كيف يحرّفون الكلم : قال قيل لأُسامة : ألا تكلمّ هذا ؟ قال : قد كلّمته مادون أن أفتح باباً أكون أولّ من يفتحه ، وما أنا بالذي أقول لرجل بعد أن يكون أميرا عًلى رجلين : أنت خير ، بعدما سمعت من رسول الله يقول : يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كطحن الحمار برحاه ، فيطيف به أهل النار ، فيقولون : أيْ فلان ، ألست كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر ؟ فيقول إنيّ كنت آمر بالمعروف ولا أفعله [2] .

لاحظوا كم اختصر من الحديث من الأشياء التي قالها أُسامة بالنسبة لعثمانوليس في نقل البخاري هنا اسم عثمان ، قيل لأُسامة : ألا تكلمّ هذا ، فمن هذا ؟ غير معلوم في هذا الموضع ، ألا تكلمّ هذا ؟

1- صحيح مسلم ٨ : ٢٢٤ ، كتاب الزهد والرقاق .

2- صحيح البخاري ٨ : ٩٧ ، كتاب الفتن ، مسند أحمد ٥ : ٢٠٩ .

أمّا في موضع آخر ، أتذكّر أنيّ رأيته يذكره على العادة : فلان ، ألا تكلم فلان ، مع الاختصار للحديث .

قال : قيل لأُسامة : لو أتيت فلاناً فكلمته ؟ قال : إنكمّ لتروّن أنيّ لا أكلمُه إلّا أسمّعكم ، إني أكلّمه فُيّ السر دون أن أفتح بابا ، لا أكون أوّل من فتحه ،ولا أقول لرجل إن كان عليّ أميرا إنه خير الناس ، بعد شيء سمعته من رسول الله ، قالوا : وما سمعته يقول ؟ قال : سمعته يقول . . . إلى آخره [1] .

أيضاً مع اختصار في اللفظ ، وقد رفع اسم عثمان ووضع كلمة فلان .

وهذا في صحيح البخاري ص ٥٦٦ من المجلد الثاني .

وذلك المورد الذي لم أعطكم عنوانه ، هو في ص ٦٨٧ من المجلد الرابع .

هذا بالنسبة إلى عثمان .

٤ .وأمّا بالنسبة إلى الشيخين ، فأقرأ لكم حديثاً آخر في صحيح مسلم ، ثم أقرأ ما جاء في صحيح البخاري :

في حديث طويل يقول : ثمّ نشد عباّسا وًعليا ّ نًشد أي عمر بن الخطابّ . بمثل ما نشد به القوم أتعلمان ذلك ؟ قالا : نعم ، قال : فلمّا توفيّ رسول الله قال أبو بكر : أنا وليّ رسول الله ، فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك ، ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها . يعني علي والعباس . فقال أبو بكر : قال رسول الله : ما نورّث ما تركنا صدقة ، فرأيتماه . عمر يقول لعلي والعباس . فرأيتماه ، أي فرأيتما أبا بكر كاذباً آثماً غادراً خائناً ، ثم يقول عمر : والله يعلم إنه لصادق بارراشد تابع للحق ، فليكن علىْ بالكم ، فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً ، ثم توفي أبو بكر وأنا ولي رسول الله وولي أبي بكر ، فرأيتماني كاذبا آثمًا غادرًا خائنًا ،والله يعلم إنّي لصادق بارّراشد تابع للحقّ . . . فوليتها ثم جئتني أنت وهذا وأنتما جميع ،وأمركما واحد ، فقلتما إدفعها إلينا . . . إلى آخر الحديث .

1- صحيح البخاري ٤ : ٩٠ ، كتاب بدء الخلق .

ومحلّ الشاهد هذه الجملة : فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً ، فرأيتماني كاذبا آثمًا غادرًا خائنًا .

هذا في صحيح مسلم (١٥٢/٥) في باب حكم الفيء من كتاب الجهاد [1] .

وللنظر في صحيح البخاري : ثمّ قال لعلي وعباس : أنُشدكما بالله ، هل تعلمان ذلك ؟ قال عمر : ثم توفىّ الله نبيه ّ، فقال أبو بكر : أنا ولي رسول الله فقبضها أبو بكر ، فعمل فيها بما عمل رسول الله ،والله يعلم إنّه فيها لصادق بارّراشد تابع للحقّ [2] .

فأين صارت الجملة : فرأيتماه . . .والله يعلم إنّه فيها لصادق بارّراشد تابع للحق ّ.

ثمّ توفّى الله أبا بكر ، فكنت أنا ولي أبي بكر ، فقبضتها سنتين من إمارتي ، أعمل فيها بما عمل رسول الله ، وما عمل فيها أبو بكر ،والله يعلم إنّي فيها لصادق بارّراشد تابع للحق . فرأيتماه إلى آخره . . . فرأيتماني إلى آخره .

هذه في الصفحة ٥٠٦ من المجلد الثاني .

أمّا في ص ٥٥٢ من المجلّد الرابع يقول : فتوفّى الله نبيهّ فقال أبو بكر : أنا وليرسول الله ، فقبضها فعمل بما عمل به رسول الله ، ثمّ توفّى الله أبا بكر فقلت : أنا وليهّ ووليرسول الله ، فقبضتها سنتين أعمل فيها ما عملرسول اللهوأبو بكر ، ثمّ جئتماني وكلمتكما واحدة ،وأمركما جميع . . . إلى آخره [3] .

فلا يوجد : فأيتماه كذا وكذا . . .والله يعلم إنّه بارّراشد تابع للحق ، فأيتماني كذا وكذا والله يعلم أنيّ بارّراشد تابع للحق ، فلا هذا موجودولا ذاك موجود .

1- صحيح مسلم ٥ : ١٥٢ ، كتاب الجهاد والسير ، باب حكم الفيء .
2- صحيح البخاري ٤ : ٤٤ ، باب دعاء النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الإسلام .
3- صحيح البخاري ٤ : ٤٤ ، باب دعاء النبي (صلى الله عليه وآله) إلى الإسلام .

أمّا في ص ١٢١ من المجلّد الرابع يقول : أنُشدكما بالله ، هل تعلمان ذلك ؟ قالا : نعم ، ثم توفىّ الله نبيه فقال أبو بكر : أنا وليرسول الله ، فقبضها أبو بكر يعمل فيها بما عمل به فيهارسول الله ،وأنتما حينئذ ،وأقبل على عليوعباس وزعمان أنّ أبا بكر كذا وكذا ،والله يعلم إنّه فيها صادق بارّراشد تابع للحق [1] .

كذا وكذا بدل تلك الفقرة .

ثمّ توفّى الله أبا بكر فقلت : أنا وليرسول اللهوأبي بكر ، فقبضتها سنتين أعمل فيها بما عملرسول اللهوأبو بكر ، ثمّ جئتماني وكلمتكما واحدة ،وأمركما جميع . . .

في بقيّة الحديث لا يوجد ما قالاه بالنسبة إلى عمر نفسه : فأيتماني . . .وأنّه حلف بأنهّ أي هو بارّراشد صادق تابع للحق .

وهذا حديث واحد ،والقضيّة واحدة ،والراوي واحد .

في صحيح مسلم على ما جاء عليه مشتمل على الفقرتين : فأيتماه . . . فأيتماني .

أمّا في صحيح البخاري ، في أكثر من ثلاث موارد على أشكال مختلفة .

وهذا فيما يتعلّق بالشيخين .

ولماذا هذا التحريف ؟ لأنّ عمر بن الخطّاب ينسب إلى عليوالعباس أنهّما كانا يعتقدان في أبي بكر وفي عمر أن كلا منهما كاذب غادر خائن إلى آخره ،وهما يسمعان من عمر هذا الكلام ، ولم نجد في الحديث أنّهما كذبّا عمر في نسبة هذا الشيء إليهماوسكوتهما على هذه النسبة تصديق ،وحينئذ يكون الشيخان بنظر عليوالعباس كاذبين خائنين غادرين ،وإلى آخره .

نحن لا نقول هذا الحديث صدق أو كذب ، نحن لا ندري بأصل القضيّة ، إنمّا ننظر في الصحيحينوالفرق بين الروايتين ، أمّا لو أردتم أن تستفيدوا من هذا

1- صحيح البخاري ٥ : ٢٤ ، كتاب المغازي .

الخبر أشياء فالأمر إليكم ، ولسنا الآن بصدد التحقيق عن مفاهيم هذا الحديث ومداليله ، وإنّما أردنا أن نذكر لكم الفرق بين الشيخين البخاري ومسلم في نقلهما للخبر الواحد ، أي لقضيّة واحدة .

فهذه من جملة الموارد ، وقضيّة عثمان مورد آخر ، وهكذا موارد أُخرى .

كلمة الختام

وأرى من المناسب أن أقطع الكلام بهذا المقدار ، وأكتفي بهذا الحدّ ، وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفّق كلّ من يريد معرفة الحقّ ، والأخذ بالحقّ ، أن يوفقّه في هذا السبيل ، وأن يهديه إلى الصراط المستقيم .

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يزيدنا علماً وبصيرةً وفهما وًدقةً وتأملاً في القضايا العلمية والتحقيقية وخاصة العقائدية منها ، فإنّ الإنسان إن فارق هذه الدنيا وهو على شكّ من دينه ، إن فارق هذه الدنيا ولم يكن على ثقة بما يعتقد به ، فإنهّ سيحشر مع من لا اعتقاد له .

إنّ الأُمور الاعتقادية يعتبر فيها الجزم ، ولابد فيها من اليقين ، وكل أمّر اعتقادي لم يصل إلى حد اليّقين فليس باعتقاد .

فعلى من عنده شكّ ، على من لم يصل إلى حدّ اليقين أن يبحث ، أن يحققّ ، والإ فإن مْات على هذه الحال كانت ميتته ميتة جاهليّة ، فكيف بمن كان على شكٍّ أو حتىّ إذا لم يكن عنده شك يّحاول أن يشككّ في الأمورُ الاعتقادية ، ّويوقع الناس في الشكّ .

إنّ الأُمور الاعتقادية لابد فّيها من اليقين والقطع والجزم ، ولربما ّيكون هناك رجل قد بلغ من العمر ما بلغ ويكون في أول ّ مرحلة من مراحل فهم عقائده الدينيّة ، وقد تقرّر عند علمائنا أن ْلا تقليد في الأصُول العقائدية ّ ، فحينئذ لا يجوز الأخذ بقول هذا وذاك لأنّه قول هذا وذاك ، ولا يجوز اتبّاع أحد لأنهّ كذا وكذا ، والاعتبارات والعناوين الموجودة في هذه الدنيا لا تجوزّ لأحد ولا تسوّغ لأحد أن يتبّع أحدا ًمن أصحاب هذه العناوين ، لأن له ذلك العنوان ، وهذا لا يكون له عذرا عًند الله سبحانه وتعالى ، إنّ الأُمور الاعتقادية لابد فّيها من القطع واليقين .

وقد عرفنا أنّ القطع واليقين إنمّا يتحققّان ويحصلان عن طريق القرآن العظيم ، وعن طريق السنةّ المعتبرة ، ولاسيماّ السنة ّ المتّفق عليها بين المسلمين ، فإنّ تلك السنةّ ستكون يقينيةّ ، والله سبحانه وتعالى هو الموفق ّ .

وفي الختام أُذكرّكم بأنّ بحوثنا هذه لم تكن نقدا لًأحد أو ردا لّآخر ، وانما كًانت بحوثا علمًية ، وّدروسا عقائدًية ، ومّن أراد أن يقف على هذه البحوث ويطّلع عليها فليتّصل بـ « مركز الأبحاث العقائدية » ، فإن المسؤولين في هذا المركز سيحاولون أن يوفّروا لمن يراجع هذا المركز ما يحتاج من هذه البحوث أو غيرها .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمدّ وآله الطاهرين .

(٣٣) ردّ الشبهات عن واقعة الطفّ

السيّد كمال الحيدري

بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على محمّد وآله الطيبين الطاهرين .

الزاوية الأولى : البعد الفقهي

في الواقع أنّ التساؤلات عن قضية الإمام الحسين (عليه السلام) متعدّدة الجوانب والزوايا ، يعني أنّ قضية الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام يمكن أن تدرس من زوايا متعدّدة ، فمثلاً تارةً يقع الحديث عن هذه القضية المباركة وهذا القيام المقدّس للإمام الحسين (عليه السلام) بأنّه هل هي قضية في واقعة شخصية ، أو أنها لا يمكن أن يستفاد منها حكم شرعي للاقتداء بهذه القضية ؟

لأنّكم تعلمون أنّ هناك بحثاً فقهياً بيّن علمائنا في أن الشرائط التي كان فيها الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام ، هل يجوز من الناحية الشرعية أن يقوم فيها الإنسان ، مع علمه ولو من خلال فهم الشرائط العامّة ، لا يحتاج إلى علم الغيب من خلال فهم الشرائط الاجتماعية والسياسية التي كانت تحكم زمان الإمام الحسين (عليه السلام) بإمكان الإنسان أن يصل إلى نتيجة ، أنّه لا يمكنه أن يكون منتصراً في مثل هذه بين طرفين غير متكافئين ، فهل يجوز القيام ؟

أو أنّ ذلك يُعدّ من الإلقاء بالنفس في التهلكة فلا يجوز ذلك ؟

من هنا تجد أن بعض الآراء الفقهية ذهبت إلى أنّه قضية الإمام الحسين هي قضية في واقعة خارجية لا يجوز الاقتداء بها ،وإنّما الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام هو أعرف بتكليفه ،والاّ لا يمكننا أن نتأسّى به في مثل هذه الحركة التي قام بها ، وهذه مسألة فقهية ولها ثمرات عملية مهمّة في حياة البشر إلى قيام الساعة ، هذه زاوية .

الزاوية الثانية : دراسة تاريخ صدر الإسلام من الناحية السياسية والاجتماعية

زاوية أخرى يمكن أن تلحظ من خلالها قضية الإمام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام ، هو أنّه نحن إذا راجعنا تاريخ الإسلام وتاريخ وقوع هذه الحادثة ، نجد أنّها وقعت في سنة ٦٠ هـ ، هذا من حيث الزمان

ووقعت في منطقة قريبة من الكوفة ، هذا من حيث المكان

ووقعت بين طرفين : أحدهما ابن بنت رسول الله ،والطرف الآخر شيعة علي في الكوفة ، هذا من حيث الأفراد

لو نظرنا إلى هذه القضية من حيث الزمان والمكان والأفراد ، واقعاً إنّ الإنسان يصاب بعجب شديد ، ما الذي حدث حتىّ أنّ الأُمةّ الإسلامية وصلت إلى درجة أنهاّ تتقربّ إلى الله بقتل الحسين (عليه السلام) ، وبتلك الصورة الفجيعة التي ينقلها لنا التاريخ ، ما الذي حدث ؟

أليسوا هؤلاء إلى الأمس القريب كانوا يعيشون تحت راية وتحت خلافة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) في الكوفة ؟

أليس هؤلاء كثير منهم قد رأى أنّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف كان يتعامل مع الحسن والحسين (عليهما السلام) ؟[1]

لا إشكال أنّ كثيراً من الصحابة وكثيراً من التابعين كانوا إماّ قد رأوا سلوك وسيرة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) إزاء الحسن والحسين (عليهما السلام) ، أو لا أقل سمعوا ذلك بنحو التواتر ، بنحو يقطعون به ما للحسن والحسين (عليهما السلام) من المقام الرفيع والمكانة عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

من هنا واقعاً الإنسان يصاب بهذا العجب وبهذا السؤال الذي لابدّ من أن

1- المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٦٩ و١٧٠ و١٧٧ و٤٧٩ .

يبحث عنه بحثاً اجتماعياً ، بحثاً سياسياً ، وهو أنه في هذه الفترة التي لم تمض إلا خمّسين عاما فقطً على رحلة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ما الذي حدث في المجتمع الإسلامي ؟ وبالخصوص بالمجتمع المدني والكوفي والمكّي الذي أدّى إلى وقوع مثل هذه الحادثة في كربلاء

هذه قضية مهمّة جداً ، نحن نعلم أن الثورات عندما تقع لا أقل تّبقى فترة طويلة إلى أن تنسى الأصول الأصلية للثورة ، أما أنّه في قضية الإمام الحسين (عليه السلام) ، الفترة لم تكن طويلة جداً ، لماذا أن الناس وصلوا إلى هذه الدرجة ؟

ما الذي فعله حكّام تلك الأزمنة ؟ يعني ما بعد الرسول الأعظم الذي بدأ ذلك الانحراف الخطير في مسألة السقيفة ؟ ما الذي حدث التي كانت نتائجه ما رأيناه في كربلاء ؟

هذه قضية لابدّ أن ندرس من خلالها قضية الحسين (عليه السلام) ، ولكنه ليست زاوية وبحث فقهي ، وإنمّا بحث اجتماعي أوّلا ، وبحث سياسي ثانياً .

ثمّ بالأضافة إلى ما ذكرناه نحن نعلم أنّه هناك الآلاف من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانوا في المدينة ، لماذا أنّ هؤلاء أيضاً لم يخرجوا مع الحسين (عليه السلام) ؟ ما الذي أسكت هؤلاء ؟ لماذا لم يتكلمّ أحد منهم بشيء ؟ لماذا لم يلتحق أحد منهم بالإمام الحسين ؟

هذه أسئلة كثيرة لابدّ أن يجاب عليها من هذا البعُد ومن هذه الزاوية يعني دراسة تاريخ صدر الإسلام من الناحية السياسية والاجتماعية حتّى نعرف ما آلت إليه الأمُور وأدتّ إلى شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء في هذا التاريخ المعينّ ، هذه قضيّة أيضاً في مسألة الإمام الحسين وفي ثورة الحسين (عليه السلام) لابد أن ندرس .

الزاوية الثالثة : البعد العقائدي

زاوية ثالثة : لابدّ أن نقف عليها إن صحّ التعبير عنها يمكن أن نعبرّ عنها

زاوية عقائدية ، نحن عندما نرجع إلى كلمات الأنبياء السابقين من آدم (عليه السلام) وإلى الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمّ عندما نأتي إلى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأصحاب الكساء من أمير المؤمنين والزهراء البتول والإمام الحسن (عليه السلام) نجد أن هناك تأكيداً خاصاً على قضية الإمام الحسين (عليه السلام) ، أتصور أن الإنسان بمجرد أنّ يراجع مراجعة عاوة هذه القضية تلوح له في الأفق بأنّ أهل البيت بالخصوص والأنبياء السابقين عموماً لابد أنه يذكرون شيئاً عن قضية الإمام الحسين (عليه السلام) بالإمكان أن الإخوة يرجعون إلى كتاب البحار ، إلى كتاب العوالم ، وإلى الكتب الأخرى ، تجد بأنّ آدم له قصة في كربلاء[1] ، نوح له قصة في كربلاء[2] ، إبراهيم له قصة في كربلاء[3] ، وهكذا تستمرّ القضية إلى النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)[4] ، وأمير المؤمنين (عليه السلام) عندما يرجع من صفين[5] ، وهكذا تجد أنّ هناك تأكيداً خاصاً من الأنبياء عموما ومن أصحاب الكساء النبي الأكرم وعلي وفاطمة[6] والحسن[7] خصوصاً على قضية الحسين (عليه السلام) .

ماذا توجد في قضية الحسين (عليه السلام) ؟ واقعاً أنّ الذي يستدعي كل هذا التأكيد فقد ذلك البعدُ المأساوي والعاطفي في قضية الحسين (عليه السلام) ذلك البعد الذي يرتبط بالمصيبة في قضية الحسين (عليه السلام) استدعى مثل هذا التأكيد على قضية الإمام الحسين (عليه السلام) أو أنه لا ، قضية الإمام الحسين (عليه السلام) لها إرتباط بالنظام العام والهندسة العامّة التي وضعها الله سبحانه وتعالى للبشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، واقعاً أين تكن هذه الأهمية ؟

1- بحار الأنوار ٤٤ : ٢٤٥ ح ٤٤ ، الدمعة الساكبة ٤ : ٧٧ .
2- الأمان من أخطار الأسفار : ١١٨ ـ ١١٩ .
3- بحار الأنوار ٤٤ : ٢٤٣ ح ٣٩ .
4- مجمع الزوائد ٩ : ١٨٨ ـ ١٨٩ ، كامل الزيارات : ١٤٣ ـ ١٤٨ الأحاديث ١ ـ ٧ .
5- الإرشاد ١ : ٣٣٢ وانظر تاريخ دمشق ١٤ : ١٩٨ ـ ١٩٩ و٢٢١ ، تهذيب الكمال ٦ : ٤١٠ ـ ٤١١ ، تهذيب التهذيب ٢ : ٣٠١ ، البداية والنهاية ٨ : ٢١٧ .
6- العوالم : ٥٣٤ ح ٩ .
7- الأمالي للصدوق : ١٧٧ ـ ١٧٨ ح ٣ .

أنتم عندما تأتون إلى الروايات الواردة فيما يرتبط بالثواب على البكاء على الإمام الحسين[1] واقعاً هل تجدون مثل هذه الروايات في مسألة الثواب على البكاء على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)؟ ! ، تجدون مثل ذلك في البكاء على الإمام أمير المؤمنين؟ ! ، تجدون مثل ذلك في البكاء على الزهراء البتول عليها أفضل الصلاة والسلام ؟ !.[2] مع أنّنا نعلم جميعاً أنّ هؤلاء أيضاً أصيبوا بمصائب ، وكثير منهم أيضاً استشهدوا في سبيل الله ، قتلوا ظلما ، ولكن مثل هذا التأكيد نحن لا نجده في أي بُعد من هذه الأبعاد .

بل أكثر من ذلك أنا بودّي أنّ الإخوة يتتبعّون المناسبات الدينية في كل السنة على مستوى نصف شعبان[3] ، على مستوى

ليالي القدر ، على مستوى ليلة القدر[4] ، على مستوى ليلة الجمعة[5] ، على مستوى ليالي رجب[6] ، على مستوى الأعياد[7] ، هل يمكن أن تجد مناسبة دينية أكّد عليها الإسلام وليس للحسين (عليه السلام) حضور في تلك المناسبة أو لا تجد ؟

واقعاً هذه من الغرائب أنّه أنت عندما تتبعّ كل ألمناسبات الدينية لا فقط أن هّناك ذكر للحسين (عليه السلام) ، بل هناك زيارة مخصوصة للإمام الحسين (عليه السلام) ، ومثل هذا التأكيد أنت لا يمكنك أن تجده بالنسبة إلى أي إمام من أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) ، لماذا مثل هذا التأكيد ؟

أنتم تعلمون بأنّ الشعار الذي يرفعه الإمام الحجّة (عليه السلام) عندما يظهر هو :

1- كامل الزيارات : ٢٠٠ ـ ٢٠٧ الباب ٣٢ الأحاديث ١ ـ ١٢ ، علل الشرائع ١ : ٢٢٥ ـ ٢٢٦ .
2- الخصال : ٦٣٥ ، الأمالي للمفيد : ٣٤٠ ـ ٣٤١ ح ٦ .
3- كامل الزيارات : ٣٣٣ ح ١ .
4- المصدر السابق : ٣٤١ ح ٦ .
5- وسائل الشيعة ١٤ : ٤٧٩ ـ ٤٨٠ ح ١٩٦٤٦ .
6- المصدر السابق : ٤٦٦ ـ ٤٦٧ ح ١٩٦١٢ .
7- كامل الزيارات : ٣٣٥ ح ٦ .

(يالثارات الحسين)[1] ، لماذا هذا التأكيد لرجعوا أنتم إلى الروايات الواردة في ليلة النصف من شعبان تجدون أن الأنبياء جميعاً بمن فيهم أولو العزم يزورون الإمام الحسين (عليه السلام)[2] هذه القضية على ماذا تدلّ ؟ علي أي شيء أنّه يقُصد ، ولا يَقصد زُاروا لا يزور هذه القضية ماذا تريد أن تشير ؟ ما هي دلالتها الالتزامية ؟

دلالتها المطابقية واضحة أنّهم يزورون الإمام الحسين (عليه السلام) ، دلالتها الالتزامية مدلولاتها العقائدية أين تكمن ؟ هذه مسألة واقعاً لابدّ أن تدرُس ، هناك مجموعة أنا فقط أشير إليها كإثارات في قضية الإمام الحسين (عليه السلام) لأنه في الأعم الأغلب لا أجد أنه يُتعرّض لها من خلال المنبر الحسيني في هذه الزوايا المرتبطة بقضية الإمام الحسين (عليه السلام) فأي وقت وسعنا لعلّنا نقف على بعض هذه الزوايا في هذه الجلسة في خدمة الإخوة .

من المسائل الأخرى التي لابدّ أن تثار في قضية الإمام الحسين (عليه السلام) نحن نعلم بأن الإمام عليه أفضل الصلاة والسلام ، لا أقل من إخبارات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)[3] وأئمّة أهل البيت[4] كان يعلم أنّه سوف يقتل في كربلاء هذا بحث فقهي ومرتبط من جهة أخرى ببحث كلامي وهو أن الإمام كان يعلم أنّه سوف يقتل في كربلاء أو لا يعلم أنّه يقتل وإذا كان يعلم فلماذا أقدم على مثل هذا العمل هل يجوز الإقدام ؟ أو لا يجوز الإقدام ؟

هذه المسألة لابدّ أن تدرس طبعاً هذه غير مختصة بقضية الإمام الحسين (عليه السلام) ولكن عادة تُثار في قضية الإمام الحسين أن الإمام (عليه السلام) عندما كان يعلم بذلك ولا أقل عندما وصل إلى وسط الطريق وأُبلغ أنّ من دعاه إلى الكوفة قد

1- الأمالي للصدوق : ١٩٢ ح ٤٠٥ .
2- كامل الزيارات : ٣٣٣ ـ ٣٣٤ ح ٢ .
3- المصدر السابق : ١٤٤ ـ ١٤٥ ح ٢ .
4- المصدر السابق : ١٤٩ ح ١ ، اللهوف : ١٩ .

غدر بسفيره في الكوفة ، فلماذا لم يقفل راجعاً لماذا بقي وأتمّ المسير ولماذا لم يرجع ؟ مع أنهّ علم أن تلك الأصوات وتلك الرسائل التي جاءته من الكوفة تدعوه إلى القيادة والإمامة ونحو ذلك الآن تراجعت عنه وسَلّمت سفيره إلى الموت لماذا أنّ الإمام سلام الله عليه بقي مستمرّاً في المسيرة ؟ أليس هذا من باب الإلقاء في التهلكة لماذا أنّ الإمام أقدم على ذلك ؟ خصوصاً كما قلت نحن نعتقد بأنّ الأئمّة (عليهم السلام) يعلمون ما يجري عليهم ، مع علمهم بذلك هذه بعد قضية أوسع من القضية المرتبطة بالإمام الحسين (عليه السلام) يعني الجارية في جميع الأئمّة في الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، في الإمام الحسن (عليه السلام) ، في الإمام الكاظم (عليه السلام) ، في الإمام الرضا (عليه السلام) ، الذين أقدموا على أكل كلّ شيء فيه سم أو خرجوا إلى المسجد أو نحو ذلك هذه قضية فيها زاوية عقائدية وفيها بحث أيضاً من جهة أخرى .

من القضايا التي تثار حول قضية الإمام الحسين (عليه السلام) هي هذه المسألة وهو أنه على المنبر عادةً يسمع وله أيضاً مستند هذا الحديث أنّه الآن الرواية صحيحة أو غير صحيحة لا أعلم ، ولكنّه له مستند أيضاً في كلمات علمائنا هو أن الإمام (عليه السلام) في تلك الهويمة التي أخذته عند قبر جده (صلى الله عليه وآله وسلم) أُبلغ بأنّه سوف يقتل في كربلاء وقيل له هذه الجملة : «شاء الله أن يراك قتيلا»[1] ثمّ يضاف إلى ذلك : «وأن لك عند الله مقاماً لن تناله إلا بالشهادة»[2] .

فإذا كانت القضية مشيئة إلهية بذلك إذن هنا تأتي مسألة عقائدية مهمّة جداً وهي مسألة الجبر والتفويض والاختيار ، إذا كان الله سبحانه وتعالى ضمن تقديره في النظام الأحسن شاء أن يرى الإمام الحسين (عليه السلام) قتيلا في كربلاء ، إذن فما ذنب اولئك الذين قتلوه في كربلاء ؟

1- اللهوف : ٣٩ ـ ٤٠ .
2- الأمالي للصدوق : ٢١٥ ـ ٢١٧ ح ١ .

هذه قضية ، مجموعة قضايا بعضها بحث فقهي ، وبعضها بحث سياسي اجتماعي ، بعضها بحث عقائدي تُنظر إليها من زوايا متعدّدة ، هذه مجموعة من الإثارات في هذا المجال لعلنّا إن شاء الله من خلال البحث نجيب على بعضها إذا وفقنّا الله ووسعنا الوقت .

القضية التي أُريد أن أتحدّث عنها في هذا اليوم للإخوة هي قضية مرتبطة ببحث قرآني من جهة وببحث قضية الحسين (عليه السلام) ، من جهة ثانية ، نحن عندما نرجع إلى القرآن الكريم نجد أنّ القرآن يؤكّد على مجموعة من الأشخاص الذين عبّر عنهم بالأنبياء والمرسلين وجعل هؤلاء قدوة وأسوة للناس إلى قيام الساعة ، أسوة وقدوة أيضاً للمسيرة وفي المسيرة التي من أجلها خُلق الإنسان .

مثلا عندما تأتون إلى إبراهيم الخليل القرآن الكريم صريح في هذا المعنى يقول : ﴿ إِنِّي جاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً ﴾[1] ، أو عندما تأتي إلى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : ﴿ لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُوا اللهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ ﴾[2] .

ونحو ذلك من الآيات التي تبيّن أنّ الأنبياء وخصوصا أنبياء أولو العزم لهم قدر خاص ومقام خاص في النظرية القرآنية في السير إلى الله سبحانه وتعالى .

تعلمون أنّ الإنسان لم يُخلق سدى في هذا العالم وانمّا خلق لأجل هدف ، وهذا الهدف الله سبحانه وتعالى نظر له من الناحية التنظيرية ، وأعطاه بُعداً عمليا أيضاً ، يعني من ناحية إيجاد قدوات في هذه المسيرة إلى الله سبحانه وتعالى ، ومن أهم أولئك الأنبياء الذين أكّد عليهم القرآن وبيّن مقاماتهم بما لم يبيّن مقام أحد من الأنبياء في القرآن هو إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام ، لعله في أكثر من ستين موضعاً في القرآن نجد أنّ القرآن يشير إلى مقامات إبراهيم الخليل .

1- البقرة : ١٢٤ .
2- الأحزاب : ٢١ .

نعم ، آيات أخرى موجودة في أنبياء آخرين يعني عندما تأتي إلى يوسف أيضاً تفصيل لحياته وسلوكه ولكن أن يذكر مقامات نبي كما ذكرت مقامات ودرجات إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، هذا لا نعهده لنبي آخر في القرآن الكريم ، أنا أشير إلى بعض هذه الآيات لأنّه مقدّمة لأصل بحثنا جملة من هذه الآيات التي أشير إليها ، انظروا إلى هذه الآيات قال : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾[1] ، ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[2] ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾[3] ، ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ ... ﴾[4] ، إلى آخر القصة المعروفة في سورة البقرة . ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾[5] ، ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾[6] ، ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾[7] ، هذه في إبراهيم .

جملة معترضة : هذه من الآيات التي يستدلّون بها على أنّ المراد بأهل البيت لا يختصّ بعلي وفاطمة والحسنين وانمّا يشمل أثناء الشخص يقولون المراد من أهل البيت في الآية ما يشمل امرأة إبراهيم الخليل يعني هذه من موارد النقض على آية التطهير في سورة الأحزاب . ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴾[8] ، ﴿ إِنَّ

1- الأنبياء : ٥١ .
2- الأنعام : ٧٩ .
3- الأنعام : ٧٥ .
4- البقرة : ٢٦٠ .
5- النساء : ١٢٥ .
6- البقرة : ١٢٤ .
7- هود : ٧٣ .
8- هود : ٧٥ .

إِبْراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكِ مِنَ المشركين * شاكراً لِ نعمه اجتباه وهداه إِلىٰ صِراط مُستقيمُ * وآتيناه في الدنيا حسنة وإنه فِي الآخرة لمن الصالحين ﴾[1] ، ﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا ﴾[2] ، ﴿ واذكر عبادنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أولي الأيد يوالأبصار * إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار ﴾[3] ، ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم ﴾[4] ، ﴿ وجعلها كلمة باقية في عقبه ﴾[5] ، ﴿ ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ﴾[6] ، ﴿ واجعل لي لسان صدق في الآخرين ﴾[7] ، وعشرات الآيات التي تبيّن لنا مقام إبراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام .

السؤال المطروح قرآنياً : أنّه إبراهيم الخليل بماذا استحق هذه الدرجات من الله سبحانه وتعالى ؟ ، لو سألنا القرآن الكريم بأنّ إبراهيم (عليه السلام) الذي وصل إلى هذه القمة في القرب إلى الله سبحانه وتعالى بماذا استحق هذه الدرجات وهذه المقامات والأوسمة الإلهية من الله سبحانه وتعالى ؟

القرآن الكريم في كلمة واحدة وجملة واحدة يشير إلى هذه الحقيقة يقول تعالى في سورة البقرة : (إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين)[8] ، هذا المقطع من الآية المباركة في سورة البقرة تحتاج إلى توضيح ، الإسلام في القرآن لم يستعمل بالمعنى الاصطلاحي عندنا يعني كشريعة من الشرائع في قبال

1- النحل : ١٢٠ ـ ١٢٢ .
2- مريم : ٤١ .
3- ص : ٤٥ ـ ٤٦ .
4- الأحزاب : ٧ .
5- الزخرف : ٢٨ .
6- الحديد : ٢٦ .
7- الشعراء : ٨٤ .
8- البقرة : ١٣١ .

اليهودية والنصرانية ، لا يوجد في القرآن آية استعمل فيها الإسلام وأُريد منها الشريعة الإسلامية لأنكم تعلمون أنّ القرآن يقول : ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾[1] ، فالقرآن الكريم يبيّن أن هناك شرائع ومناهج متعدّدة ولم يستعمل الإسلام في القرآن بمعنى شريعة في قبال الشرائع الأخرى ، هذا الاستعمال لا يوجد كما أنّه لم يستعمل القرآن الشهيد بمعنى المقتول في سبيل الله ، الآيات القرآنية التي استعملت الشهداء ، الشهداء لا يراد منها الشهيد الفقهي ، وإنّما يراد منه الشهيد القرآني ، والشهيد القرآني بحسب اصطلاح القرآن غير الشهيد الفقهي ، نعم ، القرآن يقول من يقتل في سبيل الله ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله ﴾[2] لا يُعبّر عن هؤلاء بأنهّم شهداء ، الشهداء له معنى آخر في القرآن ، كذلك القرآن لم يستعمل الإسلام بمعنى الشريعة هذا هو الاصطلاح الأوّل .

الاصطلاح الثاني التي آيات كثيرة في القرآن الكريم تقول : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾[3] ، من الواضح أنّ المراد

من هذا الإسلام ليس هو الإسلام الاصطلاح الذي هو الشريعة ، بقرينة أنّ جملة من الآيات القرآنية ذكرت أنّ الأنبياء السابقين كانوا من المسلمين ، أي أسلام هذا ؟ المراد منه يعني الشريعة الإسلامية ، من الواضح لا ; لأنّه أولئك لم يكونوا على شريعة الإسلام إنّما كانوا على شرائعهم الخاصّة ، من الآيات مثلا في قوله بالنسبة إلى إبراهيم الخليل (عليه السلام) قال : ﴿ أَنْ أَكُونَ مِنَ المسلمين ﴾[4] ، أو بالنسبة إلى لوط (عليه السلام) يقول : ﴿ فَما وَجَدنا فيها غير بَيْت مَنْ المسلمين ﴾[5] ، أو بالنسبة إلى ملكة سبأ : ﴿ وَأَسلَمتْ مُع

1- المائدة : ٤٨ .
2- آل عمران : ١٦٩ .
3- آل عمران : ١٩ .
4- يونس : ٧٢ .
5- الذاريات : ٣٦ .

سُلَيمْان للهِ رَبّ العالَمين ﴾[1] ، وهكذا أو ﴿ حَنيفا مسلما ﴾[2] ، وغير ذلك من الآيات القرآنية .

إذن المراد من الإسلام في القرآن الكريم هو التسليم بالمعنى اللغوي لا المعنى الاصطلاحي ، معنى الانقياد معنى الطاعة معنى العبودية لله سبحانه وتعالى ، ﴿ إِنَّ الدينَ عَندَ اللّه الإِسلام ﴾[3] ، يعني أنّ حقيقة جميع الشرائع الإلهية تكمن في جملة واحدة ﴿ وَاعبُدْ رَبك حَتَى يَأتيك اليَقين ﴾[4] ، يكمن في العبودية يكمن في الطاعة يكمن في الانقياد لله سبحانه وتعالى ولهذا تجد ﴿ بَلى مَنْ أَسلَمْ وَجهه للّه وَهو مُحسن فله أجرُه عَندَ رَبه ﴾[5] ، وغير ذلك من الآيات التي تبيّن أنّ الإسلام ليس المراد منه في القرآن هو المعنى الاصطلاحي وإنّما المعنى الذي يشمل جميع الشرائع الإلهية هذه مسألة .

المسألة الأخرى : التي لابدّ أن نقف عنده هذه الآية لنفهمها جيدّا هو أنه الإسلام في القرآن الكريم بمعنى الانقياد ، وبمعنى الطاعة أيضاً ، له درجات ليست له درجة واحدة ، الانقياد في القرآن الكريم ، والطاعة لله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم ليست لها درجة واحدة وإنّما لها درجات متعددّة ، وهذا ما استعمله أيضا القرآن الكريم .

مثلا عندما تأتي إلى قوله تعالى المرتبة الأولى من الإسلام طبعاً هذه من الآيات التي وقع فيها الكلام أنّ الإسلام راد منها الإسلام الاصطلاحي أو راد منها الإسلام اللغوي هذه الآية المباركة ، قال تعالى : ﴿ قالَتِ الأَعرابُ آمنا قُلْ لمْ

1- النمل : ٤٤ .
2- آل عمران : ٦٧ .
3- آل عمران : ١٩ .
4- الحجر : ٩٩ .
5- البقرة : ١١٢ .

تُؤْمنوا ولكن قولوا أَسلَمنا ولَما يَدخل الإيمانُ في قلوبكم ﴾[1] ، وهذه الآية لها حديثها الخاص بها ، هذه الآية من الواضح

تبيّن لنا أنّ هناك درجة من الإسلام والانقياد لله لا يلازم الإيمان بالله ، قد يكون مسلماً ولا يكون مؤمنا ، وهو الإسلام قبل الإيمان هذه درجة .

درجة أخرى من الإسلام أشارت إليها أيضاً الآيات المباركة ، قال تعالى في سورة الزخرف : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾[2] ، هذه الآية المباركة تبيّن لنا بأنّ هناك درجة من الإسلام وراء الإيمان والا ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا ﴾ من الواضح أنّ الإيمان بعد الإسلام بالاصطلاح الأول وبالمعنى والدرجة الأولى .

إذن عندما قالت الآية ﴿ وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ تريد أن تبيّن أنّ هناك درجة أخرى بعد الإسلام بعد الإيمان بالله سبحانه وتعالى الذي هو الإسلام بعد الإيمان ، وفي روايات أهل البيت (عليهم السلام) إشارات وروايات كثيرة بهذا المضمون أنّ هناك إسلام مقابل الإيمان وما بعد الإيمان ، ومن الواضح هذا لا يمكن أن يراد به المعنى الاصطلاحي وإنّما المعنى اللغوي يعني الانقياد والطاعة لله سبحانه وتعالى ، ومن الآيات التي تبيّن لنا أنّ الانقياد لله سبحانه وتعالى له درجات هذه الآية المباركة ، الآية المباركة ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ﴾[3] ، أي إسلام هذا ؟

إبراهيم الخليل (عليه السلام) يخاطب هنا كنبيّ من الأنبياء بل نبيّ من أنبياء أولي العزم يعني إلى ذلك الوقت لم يكن مسلماً حتّى يحتاج إلى الإسلام حتّى يؤمر بالإسلام أي إسلام هذا ؟

من الواضح أنّه لا يمكن أن نقول بأنّ المراد من الإسلام يعني أولّ درجات الانقياد ، وانما درجة من الانقياد والطاعة تحتاج إلى مقام عال جدّاً ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ

1- الحجرات : ١٤ .
2- الزخرف : ٦٩ .
3- البقرة : ١٣١ .

رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ ﴾ ، من الواضح خطاب بين الله وبين إبراهيم الخليل وهذا الخطاب لا يكون إلاّ بعد أن كان نبياً لأنه حوار بينه وبين الله سبحانه وتعالى .

إذن هذا الإسلام الذي أشارت إليه الآية المباركة لا يمكن أن يراد به الإسلام في المرتبة الأولى أو الثانية أو الثالثة بل درجة من الدرجات العالية من الإسلام والانقياد لله سبحانه وتعالى ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ﴾ ، ولعلّه . والله العالم . إنّ هذه الآية المباركة إنّما جاءت بعد دعاء إبراهيم الخليل عندما كان يرفع إبراهيم الخليل قواعد البيت وهناك دعى عندما كان يرفع ، ماذا قال ؟ ﴿ وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾[1] ، ذاك الدعاء هنا الله سبحانه وتعالى استجاب له ﴿ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[2] ، من خصائص القرآن الكريم أنّه عندما يعطي درجة لشخص ، لنبي لرسول لوصي لأي مقام من المقامات لا يكتفي بأن يدّعي له تلك الدرجة ، وانّما يشفع ذلك من خلال مظهر عملي لذلك الشيء ، إبراهيم الخليل الله

سبحانه وتعالى : ﴿ قالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قالَ أَسْلَمْتُ ﴾[3] ، فهذا يحتاج إلى مظهر عملي ما هو مظهره العملي ؟

هنا نأتي إلى سورة الصافات نجد هذا المعنى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ * فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ * فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ * فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾[4] إذن ذاك الأمر بالإسلام والانقياد والطاعة لم يكتفي به من إبراهيم الخليل أن يقوله بلسانه : ﴿ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ، ذاك الإسلام يحتاج إلى مظهر عملي وإلى سلوك يؤكّد تلك الحقيقة ، ما هو ذلك السلوك ؟

1- البقرة : ١٢٨ .
2- البقرة : ١٣١ .
3- البقرة : ١٣١ .
4- الصافات : ١٠٠ ـ ١٠٣ .

أنّ الله سبحانه وتعالى أمره بذبح ابنه ، اللطيف في سورة الصافات نجد أنّ القرآن الكريم أولاً يبين لنا من هو إسماعيل ، يقول : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ – ﴿ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ ﴾ – ﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ ، يعني يبيّن أنّ مثل هذا الولد كانت له مثل هذه الدرجات ، ومن الواضح أنّ علاقة الأب بمثل هذا الولد سوف تتضاعف مما لو لم يكن هذا الولد بمثل هذه المواصفات التي أشار إليها القرآن الكريم : ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ * وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾[1] .

ثمّ القرآن الكريم يقول : ﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾[2] ، فلهذا في آيات أخرى القرآن الكريم عندما يأتي إلى إبراهيم الخليل (عليه السلام) يقول : ﴿وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾[3] ، يعني عندما وعدنا بأن يفي لنا ، وفّى بما وعد ، وفّى أو لم يفِ ؟ فلهذا من هنا لا نستطيع أن نفهم آية سورة البقرة عندما قالت : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾[4] ، أنّها واحدة من تلك الابتلاءات العظيمة والمهمّة كانت هي ابتلاءه بذبح ابنه : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ * وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ * سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ * كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴾[5] .

هذه المقدّمة التي كنت أريد أن أشير إليها بالنسبة إلى مقام إبراهيم الخليل (عليه السلام) . إذن إبراهيم الخليل (عليه السلام) استحقّ هذه المقامات والدرجات من الله سبحانه وتعالى لأنّه أسلم لله وشفع ذلك وثبت ذلك من خلال استعداده بذبح ابنه ، والإ ذبح ابنه أو لم يذبح ابنه ؟

1- الصافات : ١٠٣ ـ ١٠٥ .
2- الصافات : ١٠٦ .

3- النجم : ٣٧ .
4- البقرة : ١٢٤ .
5- الصافات : ١٠٧ ـ ١١١ .

من الواضح أنه لم يذبح ابنه ، ولكنّه فقط استعدّ لأن يقوم بهذا الفعل والإ لّم يفعل ذلك .

الآن إذا انتهت هذه المقدّمة القرآنية المختصرة تعالوا معنا إلى كربلاء ، الآن أنا لا أريد أن أتكلّم عن أهل بيت الإمام الحسين (عليه السلام) وفيهم أمثال علي الأكبر ، عليه أفضل الصلاة والسلام واقعاً له مقام خاصّ بين أهل بيت الإمام الحسين (عليه السلام) ، طبعاً بحث الإمامة وبحث العصمة هذا ضعوه على جانب .

مما يؤسف له في مثل هذه الأيام بعض الأحيان سمعت على المنبر من بعض أهل المنبر أنّهم يحاولون بطريق أو بآخر أن يدخلوا بحث مسألة عصمة علي الأكبر وزينب ، وهذا واقعاً أبحاث لا فقط لا نُسأل عنها وليست من مسؤوليتنا ، بل كثير منها خلاف ما نعتقده ، أنا لا أريد أن أقول أن علي الأكبر (عليه السلام) وزينب (عليها السلام) ومثل هذه المقامات ليسوا بمعصومين ، ولكنّه نحن العصمة التي نقولها هي شيء آخر غير هذه الذي ينسب إلى هؤلاء ، من باب الحمل على الصحّة يُقال : أنّ هؤلاء لا يعرفون معنى العصمة ، نحن عندما نقول أنّ الإمام معصوم ليس مرادنا أنه لا يفعل فعلا مخالفا للشّريعة . الذهنية العرفية والعامّية تتصورّ معنى العصمة يعني لا يرتكب خلاف الشريعة ، هذا ليس معنى العصمة ، عندما نحن ما نعتقده في المعصوم أنّه على مستوى الفكر معصوم ، على مستوى الخلق معصوم ، على مستوى السلوك معصوم ، فسلوك المعصوم أدنى درجات العصمة ، ومن هنا يكون قوله حجّة علينا ، نحن عندما نجعل . كما يقول أهل الفن . العصمة حداً أوسط لإثبات حجّيّة الأقوال ، هذا معناه أنّ ما يقوله وما يخرج من ذهنه الشريف يخطئ الواقع أو لا يخطئ الواقع ؟

وهذا لا علاقة له بأنّ هذا الإنسان يعصي الله أو لا يعصي الله قد يكون إنسان من حيث العمل لا يعصي الله سبحانه وتعالى ، ولكن هذا بالضرورة أنّ قوله

حجّة عليّ ، لا علاقة لأحدهما بالآخر ، طبعاً هذا الاشتراك اللفظي يؤديّ إلى مثل هذه . لعله نقول بأنه علي الأكبر (عليه السلام) وزينب سلام الله عليها من حيث السلوك كانوا في مثل هذه المقامات ، ولكنّه أنتم تعلمون من اعتقاداتنا أنّ قول علي الأكبر إذا لم يستند إلى إمام معصوم إلى الرسول الأعظم ، هل هو حجّة علينا أو ليست بحجّة علينا ؟

الآن لو يأتي الإمام الحسين (عليه السلام) ويقول شيئاً ذلك القول حجّة عليّ أو ليس بحجة علي ؟

حجّة عليّ ، قوله فعله تقريره حجة أما غير الأئمة الاثنى عشر غير المعصومين الأربعة عشر لو قال قولا من غير أن يسنده ، هل هو حجّة أو ليس بحجّة ؟

لا يقول أحد من علمائنا بحجّيّة مثل تلك الأقوال .

نعم ، نحن يكفينا هذه الجملة من الإمام الحسين (عليه السلام) في بيان مقام علي الأكبر « أشبه الناس خَلقاً وخلُقا »[1] هذه جملة خُلقاً ، هذه الكلمة فيها مطلب كثير ، لأنّه أنت إذا رجعت إلى القرآن الكريم القرآن يقول : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ

﴿ [2] ، أشبه الناس خُلقاً برسول الله هو علي الأكبر ، بيني وبين الله لو هذه الكلمة تفتُح تعطى مقامات أكثر بكثير مما يحاول البعض من بعض الكلمات أن يستفيد منها بعض مقامات هؤلاء . هذه جملة معترضة . .

لرجع إلى البحث الإمام الحسين (عليه السلام) في أهل بيته كان من أمثال علي الأكبر عليه أفضل الصلاة والسلام ، وكذلك في أصحابه ، هذه الجملة ، الإمام الحسين (عليه السلام) يقول ، يعني يقولها إنسان معصوم : «فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من

1- اللهوف : ٦٧ .
2- القلم : ٤ .

أصحابي ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عني جميعاً خيراً» [1] ، هذه شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) في أصحابه وأهل بيته .

ثمّ أنت ، انظر كلمات أصحابه وأهل بيته في ليلة العاشر من المحرم واحد منهم الذي هو زهير هكذا يقول : «والله لوددت أنّي قتُلت ثم نشرُت ثم قتلتُ حتى أقتل ألف قتلة وأن الله يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن أنفس هؤلاء الفتية من أهل بيتك» [2] ، طبعاً احفظوا لنا شهادة الإمام الحسين (عليه السلام) في حقّ هؤلاء أنهّم أبر وأصدق وأوفى من عرفت من الأصحاب ، يعني هذه الكلمات لم تصدر من باب المبالغة ، من باب المجاملة ، وإنّما هي تشير إلى حقيقة لأصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) ، أولئك أهل بيته ، وفيهم أمثال علي الأكبر ، وأولئك أصحابه ، وفيهم من يقول هذا ، وهؤلاء الإمام الحسين في كربلاء استعدّ لأن يقدِّمهم في سبيل الله أو قدمّهم في سبيل الله ؟ أي منهما هذه الجملة احفظها .

إبراهيم الخليل (عليه السلام) قدّم ابنه في سبيل أو استعدّ لذلك ؟ استعد فقط ، ولكن الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام لا فقط استعدّ لذلك بل قدمّ ذلك فعلا وعملا ﴿ لَنْ تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [3] وانفاق كلّ شخص بحسبه ، أنا وأنت نريد أن ننفق قد ننفق مالا ، قد ننفق علماً ، ولكن الإمام الحسين (عليه السلام) عندما ينفق في سبيل الله ينفق هؤلاء الفتية الذي هم أشبه الناس خَلقاً وخلُقا ومنطقا برسول الله ، هذا انفاق الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء ، وانفاق فعلي ، لا انفاق لفظي ، لا استعداد لذلك .

فلهذا وجدت رواية في العوالم من الروايات القيّمة في هذا الباب ، الرواية في العوالم المجلد السابع عشر صفحة ١٠٦ هذه الرواية عن إبراهيم الخليل ،

1- انظر : روضة الواعظين : ١٨٣ ، الإرشاد ٢ : ٩١ ، تاريخ الطبري ٤ : ٣١٧ .
2- تاريخ الطبري ٤ : ٣١٨ .
3- آل عمران : ٩٢ .

الرواية قالت : «سمعت الرضا (عليه السلام) يقول : لما أمر الله عزّ وجلّ إبراهيم (عليه السلام) أن يذبح مكان ابنه

إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه تمنّى إبراهيم (عليه السلام) أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعزّ ولده عليه بيده فيستحقّ بذلك رفع درجات أهل الثواب على المصائب» .

هذا كلام الإمام الرضا (عليه السلام) بأن الإنسان إبراهيم الخليل يتمنّى أنّه لو قد أُمر بذبح ابنه ولم يؤمر بأن يذبح الكبش فداءاً لابنه ; لأنّه لو ذبح كان قد يصل إلى درجة لم يصل إليها من خلال هذا الفداء فلهذا أوحى الله عزّ وجل لما رأى من إبراهيم الخليل هذا المعنى يقول : «فأوحى الله عزّ وجلّ إليه يا إبراهيم من أحبّ خلقي إليك ؟ فقال : يا ربّ ما خلقت خلقا هو أحبّ إليّ من حبيبك محمدّ (صلى الله عليه وآله وسلم) . فأوحى الله إليه أفهو أحب إليك أم نفسك ؟

قال : بل هو أحبّ إليّ من نفسي ، قال فولده أحب إليك أم ولدك ؟ قال : بل ولده . قال : فذبح ولده ظلما على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي ؟ قال : يا ربّ بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي .

قال : يا إبراهيم فإن طائفة تزعم أنّها من أُمة جدهّ ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلما وعدوانا كما يذبح الكبش ويستوجبون بذلك سخطي ، فجزع إبراهيم وتوجّع وأقبل يبكي فأوحى الله يا إبراهيم . . .»[1] إلى آخر الرواية .

إذن هذه الرواية تشير لنا حقيقة ، وهو أنّ إبراهيم الخليل (عليه السلام) كان ملتفتاً إلى هذه النكتة ، وهو أنه استعد لذبح ولده ولكن لم يفعل أيّهما كان أقرب وأعلى مقاماً ودرجة عند الله أن يذبح أو أن يفدي ولده بالذبح العظيم ؟ هذه الرواية تشير إلى أنّ إبراهيم (عليه السلام) كان ملتفتاً لو ذبحه لكان مقامه أعلى عند الله سبحانه وتعالى .

تعالوا معنا إلى كربلاء نجد أن الإمام الحسين (عليه السلام) استعدّ ذلك الاستعداد

1- الخصال : ٥٨ ـ ٥٩ ، العوالم : ١٠٦ .

الإبراهيمي أولا ، وفعله وقام به ثانياً .

هذه اجعلوها في طائفة الأدلّة التي نحن من خلالها نثبت أفضلية أصحاب الكساء خصوصاً وأئمة أهل البيت (عليهم السلام) عموماً على جميع الأنبياء السابقين غير أولي العزم ; لأنّه تعلمون واحدة من المسائل التي تطرح في بحث الإمامة هي مسألة أفضلية الأئمّة (عليهم السلام) على الأنبياء السابقين بمن فيهم أنبياء أولي العزم ; لأنّ المسألة مسألة مطروحة في كلمات علمائنا ، وفيها أقوال متعدّدة أيضاً ، ولكن القول المشهور بين علماء الإمامية وينقله الشيخ المفيد يقول : إنّ أصحاب الكساء خصوصاً وأئمّة أهل البيت عموماً هم أفضل من جميع الأنبياء السابقين بمن فيهم أنبياء أولي العزم إلا الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم)[1] .

اجعلوا هذا الذي بيّناه واحدة من طرق وأدلّة اثبات هذه الحقيقة ، هذه واحدة من المقامات التي يمكننا أن نذكرها للإمام الحسين (عليه السلام) ، أتصوّر الآن صار ساعة أتكلّم فعندنا ساعة أخرى موجودة وأنا أشرت إلى مجموعة من الإثارات في أوّل قضية الإمام الحسين (عليه السلام) فأتصوّر أنّ الإخوة عندهم أسئلة نجيب عليها ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

1- انظر : تفضيل أمير المؤمنين (عليه السلام) للشيخ المفيد : ١٩ .

الأسئلة والأجوبة

سؤال : ما الدليل على هذا الفهم قرآناً أو سنّة أو عقلا وكيف استفدتم ذلك ؟

الجواب : الواقع بأنّ الأدلّة التي أشار إليها علمائنا في محلهّا لإثبات عصمة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) واثبات عصمة أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) فيها من الدلالة ما يكفي لذلك من هذه الأدلّة ، كما يعلم الإخوة دليل آية التطهير [1] من هذه الأدلة دليل أو حديث الثقلين المتواتر [2] وذكرت أنا من خلال كلامي إذا كان الأخ الكريم ملتفت إلى هذه النقطة أنا ذكرت أن العصمة السلوكية أساساً لا ملازمة بينها وبين حجية الأقوال والأفعال والتقريرات ، الإنسان يكون معصوماً على مستوى السلوك يعني لا يشتبه في سلوكه لا يخطئ لا يعصي الله سبحانه وتعالى لكن هذا ليس بالضرورة أن كلّ ما يقوله وكلّ ما يقرره وكل ما يفعله لابد أن يكون صحيحاً وخالياً عن الخطأ ، مضافاً إلى الأدلة الموجودة في محلها والإخوة الملتفتون يعلمون أنّه نحن عندنا كتاب في العصمة عنوان العصمة أشرنا إلى هذه الحقيقة هناك .

سؤال : يُرجى توضيح موضوع : «شاء الله أن يراني قتيلا» من ناحية علم الكلام .

الجواب : طبعاً تلك الإثارات التي أثرتها في أول بحث قضية الإمام الحسين (عليه السلام) الواقع أنّ كل إثارة منها تحتاج إلى بحث مستقل ،ولا تكفي دقائق معيّنة للإجابة ، ولكنّه كما يقال ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه ، هذه القضية من القضايا التي لابدّ أن تبحث قرآنياً يعني شاء الله أن يراني قتيلا أو شاء الله أن يراك قتيلا هذه من قبيل قوله تعالى : ﴿ وَما تَشاؤُنَ إِلا أَنْ يَشاءَ اللهُ رَبُ

1- الأحزاب : ٣٣ .
2 - مسند أحمد ٣ و٥ : ١٨٢ و١٨٩ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٢٩ ح ٣٨٧٦ ، المستدرك للحاكم النيسابوري ٣ : ١١٠ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٦٢ ـ ١٦٣ ، تحفة الأحوذي ١٠ : ١٩٧ ، المصنف لابن أبي شيبة ٧ : ٤١٨ ح ٤١ .

العالَمِينَ ﴾ [1] ، إذن مشيئتك تتحقّق إذا لم يشأ الله أو لا تتحقق ؟ لا تتحقّق ، هل تدلّ الآية على الجبر أو لا تدل ؟ في محله ظاهر أنّ تلك الآية لا تدلّ على الجبر .

هذا المقطع لو ثبت أنّه صدر من أحد المعصومين (عليهم السلام) أيضاً مضمونها مضمون تلك الآية المباركة وهو أنّه ﴿ وَما تَشاؤُنَ إِلا أَنْ يَشاءَ اللهُ رَبُ الْعالَمِينَ ﴾ فَلا تُنافي الاختيار .

سؤال : ما المراد من الإسلام في ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيرَ الْإِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ ... ﴾ [2] ؟

الجواب :واضح ، بيّنا نحن قلنا أنّ الآية قالت : ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلامُ ﴾ [3] ، والإسلام حقيقة ، هذه الحقيقة فيها

شرائع متعدّدة ، فلهذا توجد هناك مجموعة من المشتركات بين الشرائع تلك المشتركات هي الدين الإلهي ، يعني فيما يرتبط بالتوحيد ، فيما يرتبط بالنبوّة ، فيما يرتبط بالمعاد ، الحد الأدنى من هذه الأصول الاعتقادية ، هذا هو الدين الإلهي ، يعني ما من شريعة إلاّ وجاءت بهذه الأصول الاعتقادية هذا هو الدين الإلهي ، هذا الدين الإلهي لا يختصّ بالشريعة الإسلامية ، عند إبراهيم (عليه السلام) كان كذلك ، عند اليهودية كان كذلك ، عند المسيحية كان كذلك ، عند أي شريعة أُخرى من الشرائع التابعة لأنبياء أولي العزم كانت هذه الأُصول محفوظة هناك .

سؤال : فهمنا من كلامكم أنّ مقام إبراهيم (عليه السلام) أهمّ وأعظم من مقام النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

الجواب : لم يسع المجال أن أشير إلى هذه الحقيقة لأنّه حديثي ما كان منصب ، أولا : في حديثي لم يكن أي أشارة إلى هذا المعنى ، نحن قلنا بأنّ القرآن أكدّ على مقامات إبراهيم الخليل بما لم يؤكدّه على نبي آخر ، هذا ليس معناه أنه

1- التكوير : ٢٩ .
2- آل عمران : ٨٥ .
3- آل عمران : ١٩ .

هو أفضل من الخاتم وإلاّ تعالوا معنا في سورة يوسف أنت لا تجد نبياً من الأنبياء بلا استثناء أن الله سبحانه وتعالى ينقل لك قصّة حياته مذ كان عمره أربع خمس سنوات إلى أن توفاه الله سبحانه وتعالى ، تفاصيل حياته تجد نبياً من الأنبياء ، موسى الذي ذُكر عشرات المرات في القرآن الكريم ، ذُكرت مثل هذه التفاصيل عن حياته ؟

لا لم تُذكر فضلا عن إبراهيم ونوح والخاتم إذاً ليس ذكر التفاصيل وبيان الدرجات لنبي دون آخر بالضرورة يريد أن يبيّن القرآن أهمّيّة أو أفضلية ذاك ، وانمّا توجد هناك بعض الخصوصيات تجد القرآن يؤكدّ ، والا تعالوا معنا إلى موسى (عليه السلام) القرآن الكريم لعله في ٦٥ أو ٧٠ مورداً ذكر القرآن الكريم قصّة موسى ولم يذكر لنا الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) حتّى بربع هذا العدد ، هذا معناه أنّ موسى أفضل ؟

لا ليس الأمر كذلك ، وإنّما هناك خصوصيات في حياة الأنبياء تستدعي بعض الأحيان أن تبرز وإلاّ عندما نرجع إلى القرآن الكريم أنت لا تجد . هذه جملة معترضة أقولها . للخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) هذه الحقيقة تجدها في القرآن الكريم بشكل واضح ، القرآن في هذه الآية التي قرأتها للإخوة ، القرآن الكريم عندما يأتي إلى جميع الأنبياء بلا استثناء بما فيهم نوح وإبراهيم (عليهما السلام) كلّهم يعبرّ عنه وأنا ﴿ مِنَ المسْلمِين ﴾[1] إلاّ في موضعين في القرآن الكريم القرآن يعبرّ : ﴿ وَأَنَاَ أَولَّ المُسلمِين ﴾[2] . وهذا لا يقوله إلاّ في الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، جميع الأنبياء القرآن يُعبر عنهم أنهّم من المسلمين ، أمّا الخاتم يعبرّ عنه أولّ المسلمين ، ومن الواضح أن هذه

1- يونس : ٧١ ـ ٧٢ قال تعالى : وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ . . . . . وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ

النمل : ٩١ قال تعالى : إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

فصلت : ٣٣ قال تعالى : وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ .

2- الأنعام : ١٦٣ والزمر : ١٢ .

الأوّلية ليست الأولية النسبية يعني في أمُتة أولّ المسلمين ، جميع الأنبياء هم في أممهم أول المسلمين ، إذن هذه الأولية غير الأوّلية النسبية ، أولية كما يقول علمائنا أوليّة رتبية . إذن هذه لا توجد فيها مثل هذه الدلالة .

سؤال : قلتم أنّ معنى الشهداء لم يرد في القرآن بالمعنى الاصطلاحي فما معنى الآية الشريفة ﴿ وَيتخَّذ مِنكم شُهدَاءُ ﴾[1] ؟

الجواب : المراد من الشاهد في القرآن الكريم بحسب الاستقراء والشواهد التي في ذيلها كلّها ترد من الشاهد هو الشاهد على الأعمال لا المقتول في سبيله ﴿ وَيتخَّذ مِنكم شُهدَاءُ ﴾ ، يعني شهداء على الأعمال لا المقتول في سبيل الله يعني القرآن لم يستعمل ذلك وإلاّ في الروايات استعمل الشهيد بمعنى المقتول في سبيل الله[2] .

سؤال : يثير البعض جدوى البحث في مقاماتهم فما نظركم في ذلك وفقّكم الله .

الجواب : القضية قضية درك مقامات أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) وبيان درجاتهم وأفضليتهم بالنسبة إلى الآخرين ، هذه

مسألة مرتبطة ببُعد وجداني عاطفي في الإنسان ، القرآن الكريم والروايات تؤكدّ على هذه المسألة ، أنتم تعلمون أن المدخل إلى أهل البيت (عليهم السلام) هي مسألة المودّة والحبّ : ﴿ قُلْ لا أَسئَلُكمَ عُلَيْه أجرًا إلا المَوَدَّةِ فِي القُرَبَى ﴾[3] ، القرآن الكريم يجعل الباب للدخول إلى الشيء هو حبّ الشيء ، الإنسان إذا أحبّ شيئا آثار الحب أمران :

الأمر الأوّل : الطاعة ، لا يمكن أن تحبّ شيئا وتخالفه ، أنت عندما تحب أباك تحبه حبا قلبيًا أو أباك يحبك ، بينك وبين الله يمكنه أن يؤذيك أو لا يمكن ؟ لا يمكنه ، فلهذا واحدة من أهمّ آثار الحبّ هي الطاعة ، تورث الطاعة عند الإنسان ، المحبّ مطيع لمن أحبّه ، هذه نقطة .

1- آل عمران : ١٤٠ .
2- وسائل الشيعة ٢ : ٥٠٦ ح ٢٧٦٨ .
3- الشورى : ٢٣ .

النقطة الثانية : وتورث الاخلاص في الطاعة ، الآن أنا أضرب مثال عوفي الإخوة يلتفتون إليه أنت جنابك عندما تهيئ كلّ احتياجات ومستلزمات ابنك في قبال هذه التهيئة للمستلزمات تتوقّع أجرا أو تخالف من ابنك أيًا منها ؟

الجواب : لا تتوقّع أجرا منه ولا تخاف منه ، وانمّا تقوم بهذا العمل لأنكّ تحبه ، لو لم توجد هذه العلاقة الحبية بينك وبين الله تقوم له بهذه الأعمال بشهادة أنّ الآخرين الذي لا تربطهم بك علاقة حبّ تقوم لهم بمثل هذه الأعمال أو لا تقوم ؟

أنت عندك استعداد أن تضحّي من أجل أولادك وأهل بيتك ، لماذا ؟ لأنك تحبهّم ، البعض يسأل ما معنى أن الإنسان يعبد لا طمعاً ولا خوفا بل يعبده حبا ؟ الذي نحن نعتقده في الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) هؤلاء لا يعبدون الله طمعاً ولا خوفا وانمّا يعبدونه حبّا[1] لأنّ الحبّ كما يورث الطاعة يورث الإخلاص في الطاعة ، هذه المقدمّة احفظوها الآن تعالوا إلى :

المقدّمة الثانية : الإنسان من الناحية الوجدانية إذا وجد إنسان له من الكمالات عشرة وإنسان آخر له من الكمالات مائة من الناحية القلبية والعاطفية إلى أي جهة يميل إلى هذه الاتّجاه أو إلى هذا الاتّجاه ؟

أنا ما أتصوّر أنّ الإنسان يميل بحسب ارتباطه العاطفي ، الإنسان أساسا مجبول على حب الجمال ، مجبول على حب الكمال ، مجبول على حبّ «أنّ الله جميل يحب الجمال»[2]

وهذه فُطِر الإنسان عليها فنحن عندما نؤكدّ على مقامات أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ، درجات أهل البيت (عليهم السلام) ليست القضية قضية نظرية حتّى يقول لنا قائل ما هي الثمرة العملية ؟ نعم ، هناك ثمرة عملية ، وهو نحن عندما نعرف أنّ مقامات

1- شرح مئة كلمة لأمير المؤمنين (عليه السلام) لابن ميثم البحراني : ٢١٩ .
2- الكافي ٦ : ٤٣٨ ح ١ .

الإمام الحسين (عليه السلام) هذه ، ومقامات الأمير (عليه السلام) تلك ، ومقامات الإمام الحسن (عليه السلام) تلك ،

ومقامات الولاء (عليها السلام) تلك ، بينكم وبين الله لارتباطكم القلبي بهؤلاء يزداد أو يضعف أيّ منهما ؟

وإذا لزداد الارتباط القلبي والوجداني والعاطفي فهو أفضل طريق للطاعة والانقياد والإخلاص في الطاعة لله سبحانه وتعالى ، فلهذا تجدون أنّ الروايات أكدّت التأكيد العجيب «من عرفكم فقد عرف الله ، من جهلكم فقد جهل الله»[1] ، لماذا ؟ لأنّه أساساً باب الوصول إلى الله يمرّ من خلال هؤلاء ، لماذا يمرّ من خلال هؤلاء ؟

ليس فقط المعرفة توصل الإنسان ، المعرفة طريق للإيمان ، والإيمان طريق للعمل ، والعمل طريق للوصول إلى الإخلاص في القرب إلى الله سبحانه وتعالى ، والبحث له مقام آخر وخصوصاً في قضية الحسين (عليه السلام) ، يعني قضية الحسين (عليه السلام) أهمّ باب أكدّ عليه أهل البيت (عليهم السلام) لربط الناس بهم ، لماذا ؟

لأنّه في قضية الحسين (عليه السلام) يوجد فكر وعقل أو وجدان وعاطفة ؟ يعني خطاب الحسين (عليه السلام) إلى الأُمّة خطاب الحسين (عليه السلام) إلى البشرية خطاب عقلاني أو خطاب وجداني ؟

من الواضح أنّه الظاهر منه خطاب وجداني ، فهو الذي يستطيع أن يربط الأُمّة بهم ، فلهذا تجد تأكيد أهل البيت (عليهم السلام) على قضية الحسين (عليه السلام) ; لأنّه هو المدخل الطبيعي لربط الأُمّة بمختلف مستوياتها بمسألة الحسين (عليه السلام) ، هذه إثارة أخرى في قضية الحسين (عليه السلام) نحن عندما نأتي إلى الإمام أمير المؤمنين ، الأئمّة الآخرين (عليهم السلام) نجد أنّ خطابهم خطاب عقلاني خطاب فكري ، والخطاب الفكري لا يستطيع أن يستقطب كلّ طبقات الأُمّة ، وانما يستقطب طبقة معيّنة فلهذا الذين يرتبطون بالإمام الصادق (عليه السلام) بينك وبين الله من هم ؟

1- كامل الزيارات : ٥٠٤ .

طبقة مخصوصة في الحوزات العلمية أمّا الذين يرتبطون بالإمام الحسين (عليه السلام) من هم ؟ كلّ طبقات الأُمّة من عالم وجاهل ، وكبير وصغير ، ومثقّف ، أساساً القضية وجدانية ، والقضية الوجدانية لا تعرف الحدود ، فلهذا تجد أنّ أئمة أهل البيت (عليهم السلام) أكّدوا على قضية الإمام الحسين (عليه السلام) ; لأنّها المدخل الطبيعي إلى ولاية أهل البيت (عليهم السلام) ; لأنّهم إذا لرتبطوا بأهل البيت (عليهم السلام) وجدانياً عند ذلك تأتي قضية الطاعة وقضية الانقياد والإخلاص لهم عليهم أفضل الصلاة والسلام .

سؤال : ما هو الدليل العقلي والنقلي على أنّ الأئمة (عليهم السلام) والرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) أفضل من بقية الأنبياء حتّى أولي العزم ؟

الجواب : فيما يرتبط بالنبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) من مسلّمات القرآن الكريم أفضليته على باقي الأنبياء السابقين ، أمّا فيما يرتبط بالأئمة (عليهم السلام) من قبيل الإمام أمير المؤمنين بمقتضى آية المباهلة أيضا ثبت لنا هذه الحقيقة ، أمّا باقي الأئمة (عليهم السلام) أيضا له حديثه الخاص به ، والبحث ليس بحثا عقليا ، وانما هو بحث نقلي لابد أنّ يستند إليه إلى الآيات والروايات في هذا المجال .

سؤال : هل أنّ الأنبياء والأئمّة (عليهم السلام) يسلمون ثم يؤمنون بما أن الإيمان أعلى درجة من الإسلام أم أنهمّ يكونون مؤمنين مباشرة من دون المرور بدرجة الإسلام ولماذا طلب إبراهيم (عليه السلام) ؟

الجواب : هذا ليس سؤالاً واحداً ، كم سؤال موجود هنا ، وهو أن الأئمة (عليهم السلام) هل يمرون بهذه المرحلية إن صح التعبير أنّهم يسلمون ثمّ يؤمنون ثم ثم أو أنه ليس الأمر كذلك ؟

الجواب : لا ليس الأمر كذلك الأئمّة (عليهم السلام) هم يولدون لهم مثل هذه المقامات ، طبعاً لا أريد أن أقول بأنهّم لا يتكاملون ولا يزدادون ولا يزادون لا لا ، ليس الأمر كذلك .

الآيات والروايات خصوصاً الروايات صريحة في أنّه لهم درجات متعددّة

ولكنّه مذ يولدون هم في أعلى درجات الإيمان ، ومن هنا فنحن نعتقد بعصمة هؤلاء عليهم أفضل الصلاة والسلام مذ يولدون وإلى أن يرتحلون من هذا العالم .

أمّا لماذا أنّ إبراهيم الخليل (عليه السلام) طلب : ﴿ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ﴾[1] حتّى يطمئن قلبه ؟ فنحن بيّنا في أبحاث التفسير في ذيل هذه الآية المباركة ليس المراد أنّ إبراهيم الخليل (عليه السلام) كان على شكّ وأراد أن يطمئن ; لأنّ الاطمئنان القلبي في القرآن له درجات ، بعض درجاته لا تنسجم مع العصمة ، وبعض درجاته تنسجم مع العصمة ، وهذا الاطمئنان الذي طلبه إبراهيم الخليل (عليه السلام) هي من تلك الدرجات التي لا تتنافى مع العصمة له عليه أفضل الصلاة والسلام .

سؤال : نرجو منكم الإجابة على الشبهات التي تدور حول مسألة الطفّ فقط .

الجواب : واقعاً الأسئلة التي أشرت إليها ، إلى بعضها في مقدّمة هذا البحث كانت متعددّة .

المسألة الأولى : التي يمكن أن تثار عادةً هي مسألة الزاوية الفقهية ، وهي أن قضية الحسين (عليه السلام) هل هي قضية بتعبير اصطلاحي قضية حقيقية أو قضية خارجية في واقعة ، بعبارة أخرى بأنّه هل يمكن الاقتداء بها أو لا يمكن الاقتداء بها ؟

الجواب : لابدّ أن يعلم الإخوة أنّ هناك قاعدة عامةّ إلا مّا خرج بالدليل ، قاعدة عامة تقول : إن كلّ فعلّ كل سلوّك يصدر منهم (عليهم السلام) فهو قابل للاقتداء والتأسّي ; لأنّ القرآن الكريم يقول : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[2] ، ومن الواضح أنّه الاتيان والنهي ليس فقط على مستوى اللفظ ، لو كان على مستوى الفعل أيضاً لابدّ أن نأخذ به ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ لماذا ؟

1- البقرة : ٢٦٠ .
2- الحشر : ٧ .

باعتبار أنّ القرآن صريح في هذا المعنى يقول : ﴿ ما يَنْطق عُنَ الِهوىَ * إن هوِ ْإلاُوَحي يّوحَىْ ﴾[1] والآية عندما تقول : ﴿ ما يَنْطق عُنَ الِهوىَ ﴾ ، ليس فقط ليس النطق عن هوى ، ليس الفعل عن هوى ، ليس التقرير عن هوى ،وإنّما ذكر النطق باعتبار هي الوسيلة الغالبة كما في قوله تعالى : ﴿ لا تَأكْلُواُ أموَالكم بَينُكّم بَالبَاطُلْ ﴾[2] ، يجوز التصرّف من غير أكل أو لا يجوز ؟

لا يقول فقيه إنّ الآية قالت لا تأكلوا أمّا التصرّف الغصبي من غير الأكل يجوز أو لا يجوز ؟ يقول إنما أشارت الآية إلى الأكل باعتبار هي الحالة العامّة وإلاّ التصرفات الأخرى أيضا تكون مشمولة لهذه الآية المباركة عندما قالت الآية : ﴿ ما آتاكُمُ لرَّسوُلُ ﴾ ، الآن ﴿ آتاكُمُ ﴾ أعم من أن يكون قولا أو فعلا أو تقريراً لماذا لابدّ الأخذ به ؟

لأنّه ﴿ ما يَنْطق عُنَ الِهوىَ * إن هوِ ْإلاُوَحي يّوحَىْ ﴾ ، وبعبارة أخرى أنّه معصوم فإذا ثبتت عصمته فكلّ فعل تقرير سلوك وقول يكون حجّة علينا ، هذه القاعدة عامّة في سلوك المعصومين في أقوال المعصومين في تقريرات المعصومين (عليهم السلام) ، على الاختلاف الموجود بين هذه السبل الثلاثة .

الآن سلوكهم صدر من الإمام المعصوم ،وهو القيام في كربلاء ضمن تلك الشرائط التي نعرفها هل هو حجّة علينا ؟ يمكن الاقتداء والتأسّي به أو لا يمكن ؟

مقتضى القاعدة الأصلية العامّة في الشريعة أنّها حجة ويمكن الاقتداء بها إلا إذّا ثبت دليل من الخارج أنه لا ، هذه القضية كانت مختصّة بالإمام الحسين (عليه السلام) كما ثبت عندنا بالنسبة إلى تعدّد الزوجات بالنسبة إلى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنّها قضية خاصّة بالرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) عند ذلك لا يمكن أن يقتدى بها وتجعل أسوة

1- النجم : ٣ ـ ٤ .
2- البقرة : ١٨٨ .

وقدوة أمّا ما لم يدلّ الدليل على ذلك فالقاعدة العامة على حالها ، هذه مسألة .

المسألة الأخرى : التي لابدّ أن يشار إليها هي من الأسئلة التي تثار عادةً هو أنّه اختلاف مواقف الأئمّة (عليهم السلام) ، يعني نحن عندما ننظر الى موقف الإمام الحسين (عليه السلام) نجد أنّه كان له موقف بحسب الظاهر يختلف عن موقف الإمام الحسن (عليه السلام) ، وكذلك عندما نأتي إلى السجّاد (عليه السلام) نجد أنّ موقف السجاد يختلف عن موقف أبيه (عليه السلام) .

الجواب على هذه : أيضاً أتصوّر تحتاج إلى تحليل تاريخي لنعرف أنّ الشرائط التي كانت تحكم زمن الإمام الحسن (عليه السلام) وزمن الإمام الحسين (عليه السلام) وزمن الإمام السجّاد (عليه السلام) هل كانت هذه الشرائط واحدة ؟

يعني الشرائط السياسية والشرائط الاجتماعية والشرائط الدينية هل كانت واحدة أو كانت متعدّدة أيّ منهما ؟ إذا ثبت أنّ الشرائط من الناحية التحليلية والتاريخية إذا ثبتت أنّ الشرائط كانت واحدة ومع ذلك اختلفت مواقف الأئمّة (عليهم السلام) واقعاً السؤال يحتاج إلى جواب ، أمّا إذا اختلفت الشرائط هذه كما يقولون بالأبحاث الفقهية ، الإخوة يعلمون بأنّ الإنسان إذا صلّى في مكان صلاته تمام ، وصلّى في مكان صلاته قصر ، هل يمكن أن يعترض عليه أو لا يعترض عليه ؟

يقولون إذا اتحدت الشرائط لأمكن الاعتراض عليه ; لأنّه يقال له لماذا مرّة تصلّي تماماً ومرّة تصلي قصراً ؟ أمّا إذا اختلفت الشرائط ، يعني صلّى التمام في الحضر ، وصلّى القصر في السفر ، هل يعترض عليه أو لا يعترض عليه ؟ لا يعترض عليه ، لماذا ؟ لاختلاف الموضوع ; لأنّ التمام موضوعه الحضر ، والقصر موضوعه السفر ، ومع اختلاف الموضوع يختلف الحكم والمحمول المترتّب على ذلك الموضوع ، نحن إذا أثبتنا أنّ الشرائط الموضوعية التي كانت تحكم عهد الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، عهد الإمام الحسن (عليه السلام) ، عهد الإمام الحسين (عليه السلام) ، عهد الإمام السجّاد (عليه السلام) ، عهد الإمام الباقر (عليه السلام) ، والصادق (عليه السلام) ، وعهد الكاظم (عليه السلام) ، عهد

الرضا (عليه السلام) ، ثمّ عهد الأئمّة الثلاثة الآخرين (عليهم السلام) ; لأنّ السيد الشهيد الصدر رحمة الله تعالى عليه وقدّس سره الشريف عنده بحث قيّم في اختلاف شرائط حياة الأئمّة (عليهم السلام) .

إذن الجواب بجملة واحدة طبعاً بنحو فتوائي وإلاّ بنحو استدلالي لابدّ أن نقف على كلّ الشرائط التي كانت تحكم حياة أهل البيت (عليهم السلام) بنحو فتوائي أنّ الشرائط كانت مختلفة ، ومع تعدّد الشرائط واختلاف الشرائط طبعاً المواقف سوف تختلف وإلاّ نفس الإمام الحسين (عليه السلام) عاصر عصر زمن معاوية عشر سنوات قام عليه أو لم يقم ؟

يعني من سنة ٥٠ هـ إلى سنة ٦٠ هـ كان الإمام الحسين في زمن إمامته وعاصر معاوية ولكنّه قام عليه أو لم يقم ؟ لم يقم ، فإذن لا يوجد اختلاف في الموقف ، وإنّما عندما جاء يزيد إلى الحكم وإلى الخلافة وعبرّ الإمام تلك المقولة المعروفة : «على الإسلام السلام إذا ابتليت الأُمّة بمثل هؤلاء»[1] ، بطبيعة الحال أنّه يستلزم موقفاً يختلف عن موقف الإمام الحسن (عليه السلام) ، وعن موقف الإمام السجّاد (عليه السلام) .

فالجواب : هو أنّه اختلاف الشرائط يستلزم اختلاف المواقف طبعاً ، التفت جيداً إلى هذه النكتة العقائدية ، نحن لا نبحث شرائط الأئمّة السياسية والاجتماعية لتصحيح فعل الأئمّة ، ليس الغرض من الدراسة هذا حتىّ نقول أن صلح الحسن كان صحيحاً أو صلح الحسن لم يكن صحيحاً لا لا ، صلح الحسن لاريب أنّه صحيح لماذا ؟

لأنّه فعل صدر من معصوم ، إنّما نبحث تاريخ الإمام الحسن (عليه السلام) ، صلح الإمام الحسن (عليه السلام) ، شرائط صلح الحسن (عليه السلام) ، نحلّل عهد ذلك العهد والصلح حتىّ نقف على الشرائط التي صالح فيها الإمام الحسن (عليه السلام) لماذا ؟ حتّى إذا ابتلينا

1- مثير الأحزان : ١٥ .

بشرائط كشرائط الحسن (عليه السلام) تكليفنا الشرعي ما هو ؟ تكليفنا الشرعي هو الموقف الحسني لا الموقف الحسيني ، وندرس ثورة الحسين (عليه السلام) ، وشرائط ثورة الحسين (عليه السلام) ، لا لنقول بأنّ ثورة الحسين (عليه السلام) إذن كانت صحيحة «الحسن والحسين إمامان إن قاما وان قعدا»[1] ، هما إمامان مفروضا الطاعة ، ولكنّه إنّما ندرس الشرائط ، وهذا نصّ كلام الإمام الحسن (عليه السلام) عندما قيل له لماذا صالحت معاوية وأنت تعلم أنّه ضال باغ إلى آخره ؟

الإمام أجاب بجملة علمية قال : « ألست إماماً مفترض الطاعة عليكم ؟ ! إذن لا ينبغي أن يسفه رأي»[2] لما كنت إماماً معصوم إذن عملي حجّة عليكم سواء فهمتم الحكمة في ذلك أو لم تفهموها ، ثمّ الإمام الحسن (عليه السلام) يذكر شاهدا قرآنيا لبيان هذه الحقيقة ، يقول : أنتم وضعكم بالنسبة لي كوضع موسى مع الخضر ، كيف أن موسى لم يفهم حقيقة فعل الخضر اعترض عليه لم يفهم وجه الحكمة اعترض عليه لم يرض بفعله أنتم كذلك لم تفهموا وجه الحكمة في مصالحتي لمعاوية وبعد ذلك ستفهمون .

إذن نحن لا ندرس حياة الأئمّة ، تاريخ الأئمّة ، ونحلّل عهد الأئمّة حتى نصل إلى نتيجة أنه صحيح أو ليس بصحيح ، لا ، هو حقّ لاريب فيه .

وبعبارة دقيقة «علي مع الحق يدور حيثما دار»[3] ، فاعل يدور ما هو يدور علي حيثما دار الحق أو يدور الحق حيثما دار علي أيّ منهما ؟ لا إشكال أنّه لا نستطيع أن نقول يدور علي حيثما دار الحق ; لأنه نحن نريد أن نأخذ الحجيّة من فعل علي (عليه السلام) فلا يمكن أن نقول أن فعل الإمام علي (عليه السلام) حقّ إذا طابق الحقّ ، هذا يلزم منه الدور ، قضية بشرط المحمول تصير متى نقول ؟

1- علل الشرائع ١ : ٢١١ ح ٢ .
2- انظر : المصدر السابق .
3- مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٥ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤٤٩ ، تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢٢ ح ٧٦٤٣ ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٩٧ .

ومن هنا تختلف هذه القضية مع قضية عمّار أو هكذا جملة نحن عندنا في حقّ عمّار أيضا يدور مع الحق حيثما دار[1] ، هناك يدور عمّار حيثما دار الحقّ ، وهو علي في زمانه أمّا أمير المؤمنين (عليه السلام) عندما قالت الجملة : يدور حيثما دار ، لا يدور علي حيثما دار الحقّ يدور الحقّ حيثما دار علي ، لماذا ؟ ; لأنّه إمام معصوم قولا فعلا وتقريرا .

وأمّا فيما يرتبط بالإثارة الأخرى التي نحن أثرناها في مقدّمة البحث ، وهو أنّه قد يقول قائل بأنه الذين قتلوا الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء هم الذين دعوه إلى كربلاء ، وبعبارة أخرى هم شيعته الذين دعوه ثمّ انقلبوا عليه فقتلوه .

الجواب : بنحو الإجمال نستطيع أن نقول هذه الجملة ، يعني أنا من خلال الإثارات التي أثرتها في مقدّمة هذه الأبحاث تقريباً كان هناك بعض تلك الإثارات تستبطن الجواب أيضاً ، لماذا أن هؤلاء دعوه ثم انقلبوا عليه ؟ واقعا لمرض في نفوسهم أو لأنّه الانحرافات التي حكمت الأُمّة الإسلامية بعد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، يعني الانحراف الذي بدء في

السقيفة ، الانحرافات استطاعت أن تتغلغل في جسم الأُمّة ، وفي جسد الأُمّة ، وفي وجدان الأمةُ إلى درجة أنهم كانوا يتقربون إلى الله بقتل الحسين (عليه السلام) .

أنا عندما أقول يتقرّبون إلى الله بقتل الحسين لأنكم تعرفون مقولة ابن سعد في ظهر يوم العاشر : «يا خيل الله اركبي والي الجنة ابشري»[2] ، إذن واقعاً كان يعدهم الجنّة بقتل الحسين (عليه السلام) ، هذا الانحراف من أوجده في جسم الأُمّة ؟ لا يستطيع أن يقول قائل إنّ هذا الانحراف ولد في عشية وضحاها ، هذا الانحراف الذي حصل وهو أنّه سبعون ألف منبر أو كذا ألف منبر لمدّة تقريباً ستين إلى سبعين سنة يسبوّن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) على المنبر .

1- مناقب الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ٢ : ٣٥١ .
2- بحار الأنوار ٤٤ : ٣٩١ .

الذي وضع أساسه أمير المؤمنين (عليه السلام) ، هذا الانحراف من أوجده في الأُمّة ؟ لماذا أنّ الأمةُ وصلت إلى درجة أنه سنّة رسول الله ، هذه طبعاً لم تمض من رحلة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) إلا سّنوات قليلة ، أن سّنة رّسول الله تخالف صراحة خليفة رسول الله ، والناس يسكتون على ذلك لماذا ؟

إذن القضية أنّ هذه الانحرافات وصلت في جسم الأُمّة خوافاً ؟ ما وصلت هذه الانحرافات وانما كانت هناك أجهزة عملت بدأبة وباستمرار لمدّة أربعين خمسين سنة إلى أن استطاعت أن تحرف الأُمّة إلى هذه الدرجة فوجد الإمام الحسين (عليه السلام) أنّه لا يجد طريقاً للوقوف أمام هذا الانحراف إلا بأن يعطي دمه الشريف . وبهذا المقدار نكتفي .

إن شاء الله في جلسات أخرى نحاول أن نكون في خدمة الإخوة وأجيب على تساؤلات أخرى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(٣٤) إزاحة الشبهات عمّا ورد في فضائل الزيارات

السيّد عادل العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيّد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمدّ وعلى آل بيته الطيّبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين .

إنّ الموضوع الذي سنبحثه هو إزاحة الشبهات عمّا ورد في فضائل الزيارات ، باعتبار أنّ الزيارة شعيرة من الشعائر الإسلامية ، والزيارة تعني الحضور بين الزائر والمزور ، فلابدّ أن نسلّط الضوء على الزيارة باعتبار المفهوم الإسلامي للزيارة .

يعني ما جاء في الآيات الكريمة وفي الروايات الشريفة ، لا سيّما مع روايات عديدة تذكر بعض الفضائل لمن يزور النبيّ أو الولي أو العالم الصالح ، فإنّ هناك روايات تدلّ على علو شأن الزائر ومقام الزيارة ، وشموخها ، فلابد إذن من تسليط الضوء على مفهوم الزيارة من خلال مصادر ومراجع الإسلام ، أي : من خلال مصدر التشريع الإسلامي ، ومن خلال مصدر المعارف الإسلامية وهو القرآن الكريم والروايات الشريفة ، أي : السنّة المتمثّلة بقول المعصوم ، أي : النبي والإمام(عليهم السلام) ، أو فعلهما أو تقريرهما .

ولماذا هذا الموضوع ؟

لأنّه هنالك شبهات تثار من قبل الجهال أولاً ، كما تثار من قبل الأعداء ثانياً ، بالنسبة إلى ما جاء في فضيلة الزيارة ، والفضائل التي وردت في الزيارات ، فلابدّ لنا أن نزيح ونزيل هذه الشبهات بأدلّة قاطعة وبراهين ساطعة .

معنى الشبهة

إنّ الشبهات جمع (شبهة) ، والشبهة مشتقة من (الاشتباه) ، والمقصود من

الشبهة عندما يلتبس الحقّ بالباطل والباطل بالحقّ ، فيشتبه الأمر على الإنسان فلا يميزّ الحق مّن الباطل .

يعني ربّما تأتي شبهات تدور حول حقّ بحيث يكون الحقّ غير واضح عند غير أهله ; لأن الحق واضح كوضوح الشمس ، ولكن لمن كان من أهل الحقّ ، ففي إحدى المناجاة الخمسة عشر للإمام زين العابدين ، وهي مناجاة المريدين «سبحانك ما أضيق الطرق على من لم تكن دليله ، وما أوضح الحقّ عند من هديته سبيله»[1] .

فتجد سبيل ربّ العالمين ، صراط ربّ العالمين ، هو صراط واحد ، ربمّا تجده واضحا لمَن اهتدى ، وربماّ تجده غير واضح لمن ضلّ عن السبيل ، فالمؤمن المصلّي في كلّ يوم يطلب من ربه تكرارا أنً يهديه إلى الصراط المستقيم (اهدنا الصراط المستقيم) .

وعليه الشبهة بمعنى ما يدور حول تلبيس الحقّ ، عندنا حقّ فيأتي الباطل ويلبس الحقّ ، كما ورد «كلمة حق أريد بها باطل»[2] ، ففي بعض الأحيان ترى كلمة حقّ ولكن يراد منها الباطل فيشتبه الأمر ، كما ورد هذا المعنى في القرآن الكريم في قصّة موسى على نبينّا وآله وعليه السلام ، أنهّ عندما بينّ لقومه بأن يذبحوا بقرة قالوا : ﴿ **إِنَّ البقرَ تشابَه عَلينا** ﴾[3] ، يعني كان هناك شيء حقّ لابدّ أن يعملوا به بأن يذبحوا بقرة ، إلا أنهّ اشتبه عليهم الأمر ، هم الذين جعلوا هذا الاشتباه ، حيث الجهّال ألقوا شبهات فيما بينهم فاشتبه عليهم البقر ، فقالوا : بيّن لنا ما لونها ; لأنهّ اشتبه عليهم الأمر .

كما جاء في (ألفية ابن مالك) تقسيم الاسم إلى معرب ومبني ، لماذا المبني ؟ لأنّه يشبه الحرف ، قريب من الحرف في الشباهة (لشبه من الحروف مدني) إمّا شبه

1- مفاتيح الجنان : ١٢٣ مناجاة المريدين .
2- شرح نهج البلاغة ٢ : ١٠٤ ، نهج السعادة ٢ : ٤٠٩ .
3- البقرة : ٧٠ .

وضعي وإمّا شبه معنوي ، فهناك اشتباه وهذا الاشتباه ربّما يجعل الباطل لبعض الناس حقاً ، ويتصور واقعا أنهً حقّ معّ أنه باطل .

فالمراد من الشبهة عندما نقول إزاحة الشبهات ، يعني ربّما كلمة باطلة تصوّر وتزيّن هذه الكلمة بنحو بحيث من كان قليل العلم والمعرفة يشتبه عليه الأمر فيتصوّر أنّه هذا هو الحق ، فيتبعّ الباطل وهو غافل ، فلابد لأهل العلم والعلماء من إزاحة الشبهات ، لاسيّما عن عامّة الناس .

مصدر الشبهة

من أين تأتي الشبهة ؟ أترون ؟ إنّما الشبهة تأتي من الشيطان ، فإنّ أساس الشبهات من إبليس ; لأنهّ أولّ من ألقى الشبهة في حواره مع الله سبحانه وتعالى ، كما يصوّر الحوار بين الله تعالى والشيطان في القرآن الكريم ، فإنك تجد الشيطان يلقي الشبهة ، وذلك حينما أمره الله تعالى أن يسجد مع الملائكة لآدم(عليه السلام) فاعترض ربّه أنّه لم تأمرني بالسجود لآدم وآدم خلقته من التراب وأنا من النار ؟ ! لأنّ النار فيها النور ، وفيها فوائد ، بخلاف التراب الذي يكون موضع وطئ الأقدام ، فالتراب لا قيمة له في مقابل النار ، ألقى هذه الشبهة للملائكة ، والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ إني أَعلَمَ مُا لا تعلمَوْنَ ﴾[1] لابدّ أن تسجد ، وهذه شبهة شيطانية لابدّ أن ترد ، وقد أزاح هذه الشبهة بأنهّ علم آدم الأسماء فإنه يحمل نور العلم ، والنور خير من النّار .

فأوّل من ألقى الشبهة هو الشيطان ، الشيطان يقول في مقام الاحتجاج مع الله سبحانه وتعالى ، عجيب أمر الشيطان إنّه يحتجّ مع الله !

هناك رواية لطيفة في بحار الأنوار في مجلدات السماء والعالم في كتاب (المعاد) أنّ الشيطان يلقي شبهات ستّ هي أساس كُلّ الشبهات التي ترد على تمويه الحق ، الحق هو الله سبحانه وتعالى ، الحق الحقيق هو الله سبحانه وتعالى ;

1- البقرة : ٣٠ .

لأنّ الحق بمعنى الثابت ، والثابت هو واجب الوجود لذاته ، هو الله سبحانه وتعالى ، ﴿ سَنُرِيهِم آيَاتنَا فِيَ الآفاق وفَي أَنْفُسهم حْتىَ يَّتبينَ لَهَمَّ أنه الَحُق ﴾[1] .

﴿

فالشيطان يحاول أن يضيّع الحق ، يحاول أن يجعل غشاوة على الحق في طريق عبادة الحق ، ﴿ وعزّتك لاَغْوِيَنّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[2] ، صمّم على أن يلقي الشبهات بآليّات مختلفة ، مثل : الوسوسة ، الإغواء ، التسويل الشيطاني ، الوحي الشيطاني والشياطين يوحون إلى أوليائهم ، الوحي الشيطاني ربّما يكون عاملاً لإلقاء الشبهات بين الناس .

فأساس الشبهات من الشيطان ، ثُمّ أولياء الشياطين هم الذين يلقون الشبهات بين الناس ، فتجد الشبهة تنتشر سريعاً بين الناس كانتشار النار في الهشيم ، وتوجب إغواء الناس وضلالهم وعدم هدايتهم .

فالشبهات ترد على الحقّ ، الحق هو الله سبحانه وتعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ . . . أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾[3] ، نحن نريكم الآيات الآفاقية والأنفسية حتّى يتبيّن أنّه الحق ، بأن الله سبحانه وتعالى هو الحق ، ثم يتجلّى الحقّ في النبوة ، أيّ : في النبي (صلى الله عليه وآله) ، ويتجلّى في الإمامة ، أي : في الإمام علي (عليه السلام) ، «فعلي مع الحق والحق مع علي»[4] ، وإذا بأهل الشبهة أولياء الشياطين ، الشياطين أنفسهم يوحون إلى أوليائهم هذه الشبهات بأن يموّهوا الحقّ ويضيعّوه بأي نحو كان ، لذا تجد في التاريخ الإسلامي كثيراً ما كان يتمثّل الشيطان للناس لكي يلقي الشبهة فيما بينهم ، فالشبهات من الشيطان ، والحقّ هو الله ومن الله وإلى الله عزّوجلّ ، وحينئذ يلبُسَ الأمر .

1- فصلت : ٥٣ .
2- ص : ٨٢ .
3- فصلت : ٥٣ .
4- كفاية الأثر : ٢٠ ، ١١٧ ، ١٨١ ، الفصول المختارة : ٩٧ ، ١٣٥ ، ٢١١ ، ٢٢٤ ، ٣٣٩ ، الاحتجاج ١ : ٩٧ ، تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤٤٩ ، الامامة والسياسة ١ : ٩٨ .

الله سبحانه وتعالى هو الحقّ ، ويدمغ الباطل بالحجّة والدليل ، دليل الحق وحجّة الحق هو ، ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾[1] .

فالحقّ يأتي بدليله ، والدليل على ثلاثة أقسام :

الدليل الأوّل : الدليل الفطري

الله سبحانه وتعالى في بعض المولد يدمغ الباطل ، ويرفع الشبهات بالفطرة الموحّدة السليمة ، الإنسان عندما يرجع إلى فطرته يجد الحقّ واضحاً ويعرف الحق ثم يُعرف الباطل فإنه تعرفُ الأشياء بأضدادها ، فإذا عرف الحق سيعرّف الباطل ، واذا عرف الباطل سيعرف الحقّ ، كما ورد : «اعرف الحقّ تعرف أهله»[2] .

فالله سبحانه وتعالى بفطرة الإنسان . في بعض المولد . يبيّن الحق ، وهذه حجّة فطرية ، ودليل فطري من الأدلّة التي نستدلّ بها في رفع الشبهات وإزاحتها ، وإنّي في أغلب محاضراتي أو مؤلفّاتي أنتهج هذا المنهج ، وأستفيد من هذا الطريق ، أي :

طريق الفطرة ، لأنّي أعتبر طريق الفطرة طريقاً جمهوريا ً ، فإنه ّعند كل ُالّجمهور الفطرة موجودة ، والفطرة السليمة تلك الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فطرة التوحيد ، فطرة النبوّة ، فطرة الإمامة ، فطرة المعاد ، فإنّها عند كلُ ّالناس ، فأفضل طريق طريق الفطرة ، ونجد الأئمّة(عليهم السلام) في مقام التوحيد يتمسكون بهذا الدليل وبهذه الفطرة .

عندما يسأل الإمام كيف تستدلّ على التوحيد ؟ يقول (عليه السلام) : هل ركبت سفينة ؟ يقول : نعم .

فقال له : هل انكسرت بك السفينة ؟

قال : نعم .

1- الإسراء : ٨١ .
2- روضة الواعظين : ٣١ ، الطرائف : ١٣٦ ، فيض القدير ١ : ٢٨ ، ٢٧٢ ، ٤ : ٢٣ ، تفسير القرطبي ١ : ٣٤٠ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢١٠ .

فقال : عندما انكسرت بك السفينة وكنت على لوح هل توجّه قلبك إلى مكان خاص لينجيّك ؟

قال : نعم .

قال : هو الله ، هذا الذي تسألني عنه هو الله [1] .

ففي تلك اللحظة فطرة الإنسان تتوجّه إلى مكان خاصّ إلى يد غيبية تنجيه من الغرق ، واقعا ً هكذا تنجيه من الغرق .

لابأس أن أذكر هذه القصّة ، وربمّا سمعتموها من التلفاز أن ّسماحة آية الله الشيخ جوادي آملي حفظه الله عندما ذهب إلى الاتّحاد السوفيتي قبل سقوطه برسالة من قبل السيدّ الإمام (رحمه الله) ، قال :

لمّا التقيت بگورباتشوف أردت أن أحرك فطرته التوحيدية ، فدار حديث بيني وبينه عن التوحيد ، فقلت له : إذا كنت راكبا ً الطائرة وصار خلل في الطائرة وسقطت الطائرة ، ففي حالة السقوط قلبك إلى أين يتجّه لينجيّك في تلك الحالة ؟

قال : قلبي يتّجه إلى الحزب الشيوعي ، فإنّ الحزب هو الذي ينجيّني في تلك الحالة ، فأراه الله سبحانه وتعالى سقوط حزبه ، أي : أنّه حتىّ الحزب لم ينجيّه ، بل صار سببا لفشله ولانحطاطه ولسقوط الاتحادّ السوفيتي .

وعلى كُلّ حال فالفطرة الموحدّة التي لا غبار عليها دليل لإزاحة الشبهة .

الدليل الثاني : الدليل العقلي

وهو الحجّة الباطنية لله سبحانه وتعالى ، فإنّه تعالى جعل حجتّين في مقام الاستدلال ، في مقام إثبات الحق ّ في مقام إحقاق الحق وإزهاق الباطل وإزاحة الشبهات ، الحجّة الظاهرية وهم الأنبياء والرّسل ، والحجة الباطنية وهو الدليل العقلي ، والمسلمات العقلية ، والبديهيات العقلية ، كاجتماع النقيضين محال ،

1- توحيد الصدوق : ٢٣١ ، بحار الأنوار ٣ : ٤١ ، ٦٤ : ١٣٧ ، ٨٩ : ٢٣٢ ، ٢٤٠ .

وارتفاع النقيضين محال ، وكاجتماع الضدّين محال ، وتنتهي النظريات في مقام الاستدلال ، وفي مقام الأشكال الأربعة في

القياس إلى مثل هذه القواعد الأوّلية البديهية العقلية ، اجتماع النقيضين محال ،وارتفاع النقيضين محال واللتان يعتوان من أبده البديهيات ، وجميع البديهيات والنظريات تنتهي إلى هذه البديهية ، فهذه حجّة عقلية .

الدليل الثالث : الحجّة النقلية

النص السمعي النقلي من الآيات القرآنية والروايات الشريفة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) والعترة الهادية (عليهم السلام) ، فعلينا في مقام إراحة الشبهات فيما نحن فيه بالنسبة إلى مسألة الفضائل التي وردت في الروايات علينا أن نأخذ شيئاً من الفطرة ، وشيئاً من الدليل العقلي ، وشيئاً من النقليات من الآيات القرآنية ، والروايات الشريفة ، حتىّ يتضّح الأمر عندنا وتزال الشبهات ، بل نصل إلى الحقّ ، ونصل إلى ما هو الواقع والمطابق لنفس الأمر ، فهو جى الانتباه !

الزيارة لغة واصطلاحاً

الزيارة لغةً : بمعنى حضور الزائر عند المزور ، واصطلاحاً : بمعنى حضور الزائر عند المزور ، ولكن المزور إنمّا يكون ولي من أولياء الله ، إمّا النبي أو الوصي ، أو الولي والعبد الصالح أو العالم الرباني أو المؤمن المتقي أو غير ذلك .

فمن يحضر عند هؤلاء عند قبورهم وأضرحتهم فإنّ حضوره يسمّى بالزيارة ، أو يقرأ الزيارة التي وردت لولي أو وصي أو إمام ، فتسمّى بالزيارة اصطلاحاً .

طبعاً الزيارة تختلف باختلاف متعلّق الزيارة ، تارة زيارة تجارية تاجر يزور تاجر فتكون زيارة اقتصادية ، تارة رئيس جمهورية يزور دولة أُخرى لكي يتحدّث بحديث ثنائي حول الدولتين مثلا فتكون زيارة سياسية ، وتارة زيارة مأموم لإمام على ما عندهم من المبدأ والعقيدة الرابط بينهما ، ونسمّيها بالزيارة

العقائدية ، أو الزيارة المبدئية ، يعني إنّما يحضر المأموم عند إمامه فيزوره باعتبار الإمامة ، باعتبار المبادئ ، باعتبار العقيدة التي يحملها بالنسبة إلى ذلك الإمام ، فهذه الزيارة عقائدية ، وبحثنا حول هذه الزيارة ، الزيارة العقائدية .

إذن ، المقصود من الزيارة يعني حضور الزائر عند المزور ، مثلاً أزور السيدّة المعصومة (عليها السلام) أحضر عند قبرها الشريف ، أزور الإمام الرضا (عليه السلام) أحضر عند قبره الشريف إلاّ أنهّ مع التحية والسلام فتكون زيارة اصطلاحية زيارة عقائدية ، أو من بعيد أزور الإمام أزور النبي فتكون زيارة عقائدية أيضاً ، هذا معنى الزيارة .

تداعيات ومعطيات الزيارة

أمّا هذه الزيارة ماذا تعني وماذا تستلزم هذه الزيارة وما هي معطياتها وتداعياتها ؟

عندنا روايات تبيّن لنا مفهوم الزيارة ، وتأثير الزيارة في الزائر ، وقبل بيان الروايات وما يقوله صاحب جامع السعادات (المحقق النراقي) قدس سرّه الشريف ، قبل بيان ذلك أذكر مقدّمة تتعلقّ بما نحن فيه .

شرائط قبول الأعمال :

إنّ قبول الأعمال لابدّ فيه من شرائط عامةٌ وخاصةّ كما هو مذكور في الكتب المفصلةّ ، فإن كلّ عُملّ عند الله سبحانه وتعالى إنّما يكون مقبولا فيما إذا اجتمعت شرائطه الخاصّة والعامةٌ ، وأهم هذه الشرائط عبارة عن أمور أربعة :

الأمر الأوّل : الإيمان بالله سبحانه وتعالى

عندنا من الآيات والروايات إلى ما شاء الله على أنّ الكفر والشرك يحبطان العمل ، فمن كان كافراً مشركا فإنه لا يثاب على عمله الصالح يوم القيامة .

نعم ، يعطى أجره في الدنيا ; لأنّه ما من ذكر وأنثى يعمل عملا صالحاً إلا ويثاب ، إلا أنّ ثوابه إذا كان كافرا مشركا إنما هو في الدنيا كالشيطان ، والشيطان عبد الله في ركعة واحدة ستة آلاف سنة ، فأراد أجر هذه العبادة ، فقال الله سبحانه : ماذا تريد ؟

قال : أنظرني إلى يوم القيامة ، إلى يوم يبعثون ، هذا ثواب دنيوي بأن يخلّد في الدنيا .

فقال عزّ وجلّ : لا ، إنمّا أنت من المنظرين إلى يوم معلوم ، يوم الظهور ظهور صاحب الأمر عليه الصلاة والسلام كما في الأحاديث المعتبرة في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، فجعل أجر عبادة ستّة آلاف سنة في ركوع أو في سجود ، جعل هذا الأجر والجزاء في الدنيا ، كذلك الكافر إذا خدم البشرية ، إذا عمل عملا صالحاً في دنياه ، إنّ الله شاكر وشكور يشكر هذا العمل الصالح حتّى من الكافر ، إلاّ أنهّ يعطي أجره في دنياه .

أديسون خدم البشرية ، لكن بما أنّه كافر لا يثاب على ذلك في يوم القيامة ; لأنّ الكفر يحبط العمل كما ورد في القرآن الكريم ، هذا ممّا لا شكّ فيه ، إلا أن أجره في الدنيا أن يخلد ، فمتى ما كان الكهرباء ، ومتى ما كان هذا الضوء مشتعلا ، فإن أديسون موجود فيما بيننا ، فإنّه يخلد كخلود الشيطان في الدنيا ، كيف الشيطان يجزى على عمله في دنياه ، كذلك أديسون يجزى على عمله .

إنّما ذكرت هذا المعنى ; لأنّه بعض الشباب يسأل أنّ أديسون خدم البشرية فهل يثاب على عمله أم لا ؟

نعم ، يجزى على ذلك في دار المكافاة فيؤجر على ذلك مكافاةً ، لكن في دنياه لا في آخرته ; لأنّه في الآخرة يشترط الإيمان ، فقبول العمل إنّما يكون بالإيمان : ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾[1] ، الإيمان شرط قبول العمل ، هذا أوّلا .

الأمر الثاني : العلم

يشترط في قبول العمل ، العلم والمعرفة ، قال أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام : «قصم ظهري اثنان : جاهل متنسّك قصم ظهر الولاية ، ظهر الإمامة . أو

1- المجادلة : ١١ .

عالم متهتك ، لا يعمل بعلمه»[1] ، فإذن يشترط في قبول العمل العلم والمعرفة ، قيمة كُلّ امرئ ما يحسنه من المعرفة ، قيمة العمل بالمعرفة ،وأجلّ العمل بالمعرفة بالعقل كما في الرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) ورد أنّه عندما أخذ أحد الرواة يمدح شخصاً فالإمام قال : كيف عقله ؟ أخذ يمدح بكاءه في صلاته وخشوعه ، فقال الإمام : كيف عقله ؟ قال : سيّدي أنا أمدح الرجل بصلاته بعبادته وأنت تسألني عن عقله ، قال : إنّما يثاب المرء بعقله ، الثواب والعقاب إنّما يكون بالعقل .

وكما ورد في الحديث المعتبر : أوّل ما خلق الله العقل ، قال الله له : أقبل فأقبل ، قال : أدبر فأدبر ، قال : بك أثيب وبك أعاقب ،وعزّتي وجلالي بك أثيب وبك أعاقب .

فأساس قبول العمل العقل والمعرفة ، ثُمّ الإمام أخذ يوضّح هذا المعنى بقصة ، أنه كان في الزمن القديم في بني إسرائيل عابد يعبد ربّه شديد العبادة فمرّ به ملك أعجبته عبادة هذا الرجل العابد ، فسأل الله سبحانه وتعالى أن يرى مقامه ،وإذا به يراه في مقام واطئ جدّاً مثلا في أبواب الجنة مقام واطئ في الجنة ، تعجبّ مع هذه العبادة كيف يكون هذا المقام لهذا الرجل ؟ ! فالله سبحانه وتعالى قال للملك : اذهب إليه واختبره ، فذهب وأخذ يعبد معه ، وفي فرصة صارت للاستراحة أخذ يسأله أنّه تعبد الله كثيراً لابدّ لك حاجة عند الله ، قال : لا ، لا حاجة لي عند الله ، تعجبّ الملك أنه عجيب هذا الرجل عابد وزاهد ، ثم قال له : هل لك حاجة عند الله ؟ قال : حاجة واحدة عندي عند ربّي ، يعبد ليل نهار عنده حاجة واحدة بالله عليكم أيّ حاجة الآن بنظركم يريد من الله يعبد الله ليل ونهار ماذا يريد ؟ قال : عندي حاجة واحدة ، فما هي ؟ قال : نحن في الربيع وهذه الأرض خضراء والآن تتلف ، يأتي الربيع ويذهب ولم يكن هناك حيوان يستفيد من هذه الأعشاب الخضراء ، فياليت ربّ العالمين يبعث حمار له لكي يأكل هذه

1- عيون الحكم والمواعظ : ٤٧٩ ، منية المريد : ١٨١ ، فيض القدير ٦ : ٣٧٨ .

الأعشاب[1] . فيتصوّر أن لله حمار ! ! هذا عقله ! ! لذا قصم ظهري اثنان جاهل متنسك ، يعبد الله إلا أنّه يجهل فلا ينتفع بعبادته . فشرط قبول العمل العلم والمعرفة .

الأمر الثالث : شرط القبول التقوى .

لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ ﴾ ممن يتقبّل الله ﴿ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2] ، فالله سبحانه وتعالى إنّما يتقبّل من المتقين ، التقوى شرط القبول .

الأمر الرابع والمهم :

والذي يُعدّ روح العمل وأساسه ، هو عبارة عن الولاية ، الإيمان ، العلم ، التقوى ، الولاية ، الله الله بالولاية ، وما نودي بمثل ما نودي بالولاية ، بُني الإسلام على خمس الصلاة والصوم والزكاة والحج وولاية أهل البيت (عليهم السلام) إلا أنّ الناس أخذوا أربعة وتركوا الخامس ، الخامس الولاية وما نودي بمثل ما نودي بالولاية ، لو عبد الإنسان ربّه بين الركن والمقام حتّى يكون كالشن البالي يعبد الله ليل ونهار ، ليله قائم ونهاره صائم ولم يكن عنده الولاية ،ولاية أهل البيت (عليهم السلام) فإنّه لا

يقبل منه ، عندنا آيات وروايات [3] إلى ما شاء الله في هذا الباب أنّ شرط قبول العمل الولاية ، أساس العمل الولاية .

هذه الأمور الأربعة من باب المثال الفطوي ; لأنّ الفطوة عبارة عن الأمثلة القريبة عن الواقع ، فمن الدليل الفطوي تمثيل هذه الأمور الأربعة بالسواج ، فإنّ السواج بمقولة الإيمان ، لكن السرّاج لوحده لا ينفع لا يكفي لابد ّمن فتيل في هذا السواج ، الفانوس لابدّ له من فتيل ، ثمُ ّالفتيل يحتاج إلىزيت إلى نفطوالإ لوّلا ذلك لما كان ينفع السواج ، ثم بُعّد ذلك يحتاج إلى قداحةّ أو إلى عود كبريت ، لولا ذلك لما اشتعل السواج ، هذه الأمور الأربعة عبارة عن قبول العمل ، إذا كان السواج

1- الكافي ١ : ١١ ، أمالي الصدوق : ٥٠٤ ، بحار الأنوار ١ : ٨٤ ، ١٤ : ٥٠٦ .
2- المائدة : ٢٧ .
3- انظر الكافي ٢ : ١٨ ، ووسائل الشيعة ١ : ٧ ، بحار الأنوار ٦٥ : ٢٢٩ ، ٩٣ : ٢٥٧ ، ١١٠ : ٢٤ .

الإيمان ، وكان العلم الفتيل ، وكان الزيت التقوى ، وكان عود الكبريت الولاية ، عند ذلك يشتعل السواج ويضيء ; لأنّ النور ظاهر بنفسه ومظهر لغوه ، الآن لولا هذا الضوء فيما بيننا لربما كان كُلّ شيء هنا في حيزّ العدم ، وانمإّ ظهرت هذه الكتب الملوّنة بألوانزاهية بالنور ; لأنّ النور ظاهر بنفسه ومظهر لغوه .

كذلك الولاية ، الولاية نور كما ورد : ﴿ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [1] ، قال : الولاية ، بالنسبة إلى تأويل هذه الآية الشريفة ، أنّه يوم القيامة المؤمن نوره يسعى بين يديه يعني الولاية ، يقول الناس : قفوا نقتبس من نوركم ، يقال لهم : إرجعوا وراءكم في الدنيا كان عليكم أن تتبعون الولاية تقتبسون نوراً لكم لمثل هذا اليوم ، فالمؤمن إنّما هو نوراني ونوري ، عنده نور ، نوره يسعى بين يديه بالولاية ; لأنّ الولاية نور ، كما ورد في ذلك آيات وروايات إلى ما شاء الله [2] .

جيّد مع اجتماع هذه الأمور الأربعة تقبل الأعمال ، وتقبل الزيارة ، فتكون الزيارة بنفع الإنسان حينئذ ، وحينئذ نقول بالنسبة إلى ما جاء في الزيارة من الروايات ومما قاله المحقق الزاقي عليه الرحمة .

نبذة من الروايات في فضل الزيارة :

أنا أذكر لكم بعض الروايات في هذا الباب ثُمّ ما يقوله الزاقي (قدس سره) :

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : «إنّ ولايتنا ولاية الله عزّ وجل» [3] ، ولاية الأئمّة ولاية الله ; لأنّه «بنا عرف الله» [4] ، لولاهم لما كان يعرف الله سبحانه وتعالى حقّ

1- التحريم : ٨ .
2- الصحيفة السجادية : ٢٢٢ ، الكافي ٥ : ١٤ ، الوسائل ١١ : ٢٤ ، ألف حديث في المؤمن : ١٩٥ ، بحار الأنوار ٧ : ٣٢٦ ، ٨ : ٦٧ ، ٢٣ : ١٠٥ ، ٣١٧ ، ٢٧ : ١٦٢ ، ٣٥ : ٣٥ ، ٦٤ : ١٦ ، ٧٢ : ٣٨٥ .
3- الكافي ١ : ٤٣٧ ، أمالي المفيد : ١٤٢ ، بحار الأنوار ٢٦ : ٢٨١ ، ٢٧ : ١٣٦ ، ٩٧ : ٢٦٢ .
4- توحيد الصدوق : ١٥٢ ، بحار الأنوار ٢٦ : ٢٦٠ ، ٤٦ : ٢٠٢ .

المعرفة ، إنّ ولايتنا ولاية الله عزّ وجلّ التي لم يبعث نبي قط إلا بهّا ، كل ُالأنبياء بعثوا بهذه الولاية ، الولاية العظمى

والولاية الكُلية ، طبعاً بحث الولاية بحث مفصل جداً لا أتعرض له .

إنّ الله عزّ اسمه عرض ولايتنا على السموات والأرض والجبال والأمصار فلم يقبلها قبول أهل الكوفة[1] ، يعني أهل الكوفة أوّل الناس قبولاً للولاية ، وإنّ إلى جانبها لقوماً ما أتاه مكروب . قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه الصلاة والسلام . إلاّ نفّس الله كربته ، وأجاب دعوته وقلبه إلى أهله مسروراً .

ثمّ المحقق النراقي المتوفّي سنة ١٢٠٩ هـ في كتابه القيّم (جامع السعادات) في خاتمة الكتاب تحت عنوان زيارة المشاهد يقول في الإشارة إلى بعض الأمور الباطنة المتعلّقة بزيارة المشاهد :

اعلم أنّ النفوس القوية القدسية لا سيما نفوس الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) إذا نقضوا أبدانهم الشريفة . يعني خرجوا من أبدانهم ، وتجرّدوا عنها ، وصعدوا إلى عالم التجرّد ، وكانوا في غاية الإحاطة والاستيلاء على هذا العالم ، فأمور هذا العالم عندهم ظاهرة منكشفة . لأنّ المجرّد لا يحجبه شيء ، المجرّد يرى كلّ شيء إذا كان في حيطة ، بخلاف المادة ، الآن نحن بما أنّه تحيطنا المادة ونتلبّس بالمادة الظلمانية الهيولانية لذا يمتنع أن نرى ما وراء الجدار ، أمّا إذا تجرّد الإنسان عن هذه المادة فإنّه لا يمنعه شيء ، يرى ما وراء الجدار ، الإنسان عندما يموت يرى الناس مثلاً ويرى القضايا باعتبار أنّه يتجرّد ، وبتجرّده يتسلّط على هذا العالم المادي .

لذا يقول : . فأمور هذا العالم عندهم ظاهرة منكشفة ، ولهم القوّة والتمكّن على التأثير والتصرف في مواد هذا العالم ، فكلّ من يحضر مقامهم لزيارتهم

---

1 - بصائر الدرجات : ٩٧ ، كامل الزيارات : ٣١٤ ، ثواب الأعمال : ٨٨ ، أمالي المفيد : ١٤٢ ، بحار الأنوار ٢٢ : ٢٨١ ، ٥٧ : ٢٨ ، ٩٧ : ٢٦٢ ، ٩٨ : ٤٦ .

يطّلعون عليه لا سيّما . هذه نكتة مهمة . ومقامهم مشاهد أرواحهم المقدسّة العليةّ . هذا المعنى ورد عندنا وعند أبناء العامة أيضاً ، إخواننا السنة أيضاً هذا المعنى عندهم ، أنّه عندما نسلمّ على النبي (صلى الله عليه وآله) ترجع روح النبي (صلى الله عليه وآله) إلى جسده ويردّ السلام ، إنّ الرواية في الصحاح على أنّه عندما نسلمّ على النبي (صلى الله عليه وآله) ، النبي يرد السلام بالنسبة إلى هذه الآية الشريفة ﴿ إِنَّ اللّهَ وَمَلائكته يصَلوُنَ علىَ النبىِّ ﴾[1] ، فإنّهم يسألون النبي (صلى الله عليه وآله) إذا نصلّي عليك ونسلمّ عليك فهل ترد السلام بعد موتك ؟

قال : نعم ، أجيب ; لأنّ روحه ترجع إلى بدنه ويجيب . هذا ما يعتقده جمهور العامة في السلام على النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وأمّا في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) فأكثر من ذلك .

فإذن قبور الأئمة وقبور الأنبياء ستكون محط لرجوع أرواحهم ، نحن نقول هم أحياء عند ربهّم يرزقون ، لكن حتىّ بناءً على ما يقوله إخواننا السنّة هذا المعنى ورد أنّ روح النبي (صلى الله عليه وآله) ترجع ، والعترة من النبي كلُهمّ نور واحد ، فلهم ما للنبي إلاّ النبوة ، فمن مقامات النبي (صلى الله عليه وآله) أن روحه ترجع عندما يريد أن يرد السلام إلى من يسلم عليه

كذلك الأئمّة (عليهم السلام) .

لذا يقول : . فكُلّ من يحضر مقاوهم لزيارتهم يطلّعون عليه ، لاسيماً ومقاوهم مشاهد أرواحهم المقدسة العلية ، ومحال حضور أشباحهم البرزخية النورية فإنّهم هناك يشهدون ، بل أحياء عندربهم يرزقون ، وبما آتاهم الله من فضله فرحون ، فلهم تمام العلم والاطّلاع زائر قبورهم وحاضر مراقدهم وما يصدر عنهم من السؤال والتوسل والاستشفاع والتضوّع ، فتهب عليهم نسمات ألطافهم ، وتفيض عليهم من رشحات أنوارهم ، ويشفعون إلى الله في قضاء حوائجهم ، وإنجاح مقاصدهم ، وغفران ذنوبهم ، وكشف كروبهم ، فهذا هو السر في تأكّد

1- الأحزاب : ٥٦ .

استحباب زيارة النبي والأئمّة (عليهم السلام) ، مع ما فيه من صلتهم ، الآثار المترتبة على الزيارة صلة النبي والإمام ، ومرّهم وإجابتهم وإدخال السرور عليهم ، وتجدد عهدولايتهم ، وإحياء أمرهم ، وإعلاء كلمتهم ، وكبت أعدائهم ، وكلُّ واحد من هذه الأُمور ممّا لا يخفى عظيم أجره وجزيل ثوابه .

وكيف لا تكون زيارتهم أقرب القربات وأشرف الطاعات ، مع أنّ زيارة المؤمن من جهة كونه مؤمناً فحسب لها عظيم الأجر جزيل الثواب ، وقد ورد به الحث الأكيد والترغيب الشديد من الشريعة الطاهرة ، وإذا كان هذا الحال في المؤمن من حيث إنّه مؤمن ، فما ظنّك بمن عصمه الله من الخطأ وطهرّه من الرجس وبعثه إلى الخلائق أجمعين ، وجعله حجةّ على العالمين ، وارتضاه إماماً للمؤمنين ، وقدوة للمسلمين ، ولأجله خلق السموات والأرضين ، وجعله صراطه وسبيله وعينه ودليله . طبعاً هذه كلّها مضامين روايات شريفة وردت عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) . وبابه الذي يؤتى منه ، ونوره الذي يستضاء به ، وأمينه على بلاده ، وحبله المتّصل بينه وبين عباده .

هذا ما يقوله المحقق الزاقي عليه الرحمة .

وأمّا الروايات فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) : «من زار قبري بعد موتي كان كمن هاجر إليّ في حياتي ، فإن لم تستطيعوا زيارتي فابعثوا إليّ بالسلام فإنّه يبلغني»[1] .

قال (صلى الله عليه وآله وسلم) لأمير المؤمنين (عليه السلام) : «يا أبا الحسن ، إنّ الله تعالى جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنّة . . .»[2] .

طبعاً في زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) . ونحن نعيش ذكرى رحيله وشهادته . وردت روايات عديدة تبيّن فضيلة زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) ذكرت هذا المعنى في رسالة (الأنفاس القدسيّة في أسرار الزيارة الرضوية) ، في أكثر من واحد وأربعين

1- دعائم الاسلام ١ : ٢٩٦ ، كامل الزيارات : ٤٧ ، بحار الأنوار ٩٦ : ٣٧٩ ، ٩٧ : ١٤٤ ، ١٥٩ .
2- الوسائل ١٠ : ٢٩٨ ، الغارات ٢ : ٨٥٥ ، المزار : ٢٢٨ ، بحار الأنوار ٩٧ : ١٢١ .

فضيلة ، منها : أنّه من يزور الإمام الرضا (عليه السلام) إنّما بقعته روضة من رياض الجنة ، وهذا المعنى ورد بالنسبة إلى الروضة النبوية أيضاً في المسجد النبوي . ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة . يُسئل الإمام الصادق عليه الصلاة والسلام أنّه واقعاً روضة من رياض الجنة ؟

الإمام يقول : لو فتح لك البصر لرأيت ذلك [1] ، إنّه واقعاً روضة من رياض الجنة ، لكن الذنوب هي التي تحجب عنكم أن ترون حقيقة ذلك .

أمّا أنّه كيف تلك البقعة من الأرض تكون روضة من رياض الجنة أو قبر الإمام الحسين (عليه السلام) يكون روضة من رياض الجنّة ، أو قبر الإمام الرضا (عليه السلام) يكون روضة من رياض الجنة ؟ فإنّ في هذا المعنى فلسفة وسر ، وربما في المستقبل إن شاء الله أذكر ذلك بالتفصيل .

فيقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين (عليه السلام) : إنّه يا أبا الحسن إنّ الله تعالى جعل قبرك وقبر ولدك بقاعاً من بقاع الجنة ، وعرصة من عرصاتها ، وإنّ الله تعالى جعل قلوب نجباء من خلقه وصفوة من عباده . .

صفوة من عباده ، هذه نكتة لطيفة قبل ألف وأربعمائة سنة ، النبي (صلى الله عليه وآله) يخبر عن هذه الصفوة ، صفوة من عباده تحنّ إليهم .

تحنّ إلى قبور الأئمة (عليهم السلام) إلى قبر أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وإنّ الله جعل قلوب نجباء من خلقه ، وصفوة من عباده تحنّ إليكم ، وتتحمل المذلة والأذى فيكم ، إذ المتوكل يقول : إذا أردت زيارة قبر الحسين عليك أن تقطع يمينك ، فتأتي العجوز وتقدّم يمينها ، في السنة القادمة تأتي لزيارة الإمام الحسين فيقول لها الجلاد ، من جلاوزة المتوكل : قدمي يمينك للقطع فتقدّم يسارها ، قدمي يمينك ، قالت : في العام الماضي أعطيت يميني ، وفي هذه السنة أعطي يساري لزيارة الإمام الحسين (عليه السلام) .

1- وسائل الشيعة ١٠ : ٣٧٠ ، التحفة السنية : ١٩٧ .

لذا الشعراء وأهل الشعار الحسيني يقولون بحماس : لو قطّعوا أرجلنا واليدين نحن لازلنا نزور الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام .

لذا يقول الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) : إنّهم يتحملون المذلّة والأذى فيكم ، فيعمرون قبوركم ، ويكثرون زيارتها تقرّباً منهم إلى الله ، ومودّة منهم لرسوله ، أولئك يا علي المخصوصون بشفاعتي ، والواردون حوضي ، وهم زواري وجواري غداً في الجنّة .

يا علي ، من عمّر قبوركم وتعاهدها فكأنّما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدّس ، ومن زار قبوركم عدل ذلك سبعين حجّة بعد حجّة الإسلام ، وخرج من ذنوبه . عدل ذلك سبعين حجة بعد حجة الإسلام هذه نكتة سنرجع إليها . حتّى يرجع من زيارتكم كيوم ولدته أمّه ، فأبشر وبشّر أولياءك ومحبيك من النعيم وقرّة العين بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ولكن حثالة من الناس يعيّرون زوّار قبوركم كما تعيّر الزانية بزناها ، أولئك شرار أمتي . . . .

أولئك الذين يعيّرون زوّار الأئمة (عليهم السلام) ، وأنه هؤلاء روافض ، هؤلاء يعبدون أئمتهم ، يعيروّنهم بهذه الكلمات وبهذه التهم .

أولئك شرار أمتي لا تنالهم شفاعتي ولا يردون حوضي [1] .

قال الإمام الرضا عليه الصلاة والسلام : «إنّ لكلّ إمام عهدا في عنق أوليائه وشيعته ، وان من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء ، زيارة قبورهم ، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقاً بما رغبوا فيه كان أئمته شفعاؤه يوم القيامة» [2] .

الروايات في هذا كثرة ، طبعاً هذه الروايات ذكرتها من مستدرك الوسائل المجلد الثاني صفحة ١٩٥ ، كتاب الحج ، الباب العاشر من أبواب المزار .

قال الإمام الصادق (عليه السلام) : «إنّ أبواب السماء لتفتح عند دعاء الزائر لأمير

1- الغارات ٢ : ٨٥٥ ، مزار المفيد : ٢٢٨ ، وسائل الشيعة ١٠ : ٢٩٩ ، بحار الأنوار ٩٧ : ١٢١ .
2- الكافي ٤ : ٥٦٧ ، كامل الزيارات : ٢٣٧ ، وسائل الشيعة ١٠ : ٣٥٣ ، ٣٤٦ .

المؤمنين فلا تكن عن الخير نوّاماً» [1] . جامع الأخبار صفحة ٧٤ ، وروايات أُخرى في هذا الباب .

هذا في أصل الزيارة وأثر الزيارة .

من فضائل زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) :

وأمّا ما ورد في فضائل الزيارات ، وما يترتب على هذه الزيارات من الآثار المعنوية ، والآثار الأُخروية ، وحتّى الآثار الدنيوية مثلا يقضى له حاجة أو حوائج أو ما شابه ذلك .

أنا أذكر ما ورد في الروايات إجمالا ، ثُمّ تفصيل ذلك إن شاء الله في جلسة أُخرى أبيّن كل هذه المقامات للزائر وأسرار هذه المقامات ; لأنّه كلّ مقام له سرّ خاص ، له فلسفة خاصة .

ورد بالنسبة إلى زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) بالخصوص ، ورد هذه المعنى أنّه أوجب الله عزّ وجلّ له الجنة ، حتّمت لمن زاره عارفاً بحقّ الجنة على الله تعالى . . كيف ؟ هذا يحتاج إلى بيان .

ثانياً : حرّم جسده على النار .

ثالثاً : كمن زار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

رابعاً : كتب الله تبارك وتعالى له بذلك ألف حجّة مبرورة .

خامساً : ألف عمرة مقبولة .

سادساً : كنت أنا وآبائي شفعاءه يوم القيامة ، تشفّعت فيه يوم القيامة .

سابعاً : كتب الله عزّ وجلّ له أجر مائة ألف شهيد .

ثامناً : ومائة ألف صديق .

تاسعاً : ومائة ألف حاج ومعتمر .

1- كامل الزيارات : ٩١ ، الغارات ٢ : ٨٥٤ ، مزار المفيد : ٢٢ ، الوسائل ١٠ : ٢٩٦ ، ٣٠٠ .

عاشراً : ومائة ألف مجاهد ، ثمّ هكذا حشر في زمرتنا ، جعل في الدرجات الأولى من الجنة رفيقنا ، ونجا ولو كان عليه مثل وزر الثقلين الجن والأنس [1] .

طبعاً هذا يحتاج إلى بيان أنّه كان عليه وزر الثقلين ، يعني ذنوب الثقلين ، بزيارة عندما يزور يتقبّل منه يغفر له حتى ولو كان عليه وزر الثقلين ، أي : الجن والإنس ، هذا يحتاج إلى بيان وإلى تفصيل وشرح ، وإلاّ بهذا الشكل ربمّا من الأمر المستصعب الذي لا يتحمّله إلاّ ملك مقرّب أو نبي مرسل أو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ، هذه من الأمُور الصعبة المستصعبة ، ألف حجّة لمن زاره عارفاً بحقّه ، أعطاه الله عز وّجل أجر من أنفق قبل الفتح وقاتل ، نفس الله كربته ، غفر الله ذنوبه ما تقدّم منها وتأخّر ، إنّه يغفر الله سبحانه وتعالى ما تقدم من ذنبه واضح ، أما كيف ما تأخر ؟ بزيارة الإمام الرضا (عليه السلام) أو بزيارة السيّدة المعصومة (عليها السلام) ، لأنّه عندنا في الروايات من يزور أختي السيدّة المعصومة كمن زارني ، عن الإمام الرضا (عليه السلام) فهذا الثواب الذي يترتب لزائر الإمام الرضا يترتب لزائر السيّدة المعصومة أيضاً ، فعندما نزور السيّدة المعصومة يغفر ما تقدّم من ذنوبنا وما تأخرّ ، كيف يكون ذلك ؟ هذا يحتاج إلى بيان .

وكذا من نصب له منواً بحذاء منبر رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتّى يفرغ الله من حساب عباده ، يخلصّ من أهوال يوم القيامة في ثلاث مواطن ، إذا تطايرت الكتب يميناً وشمالا ، وعند الصراط ، وعند الميزان ، سبعون حجّة مقبولة ، سبعمائة حجّة ، سبعون ألف حجّة مقبولة ، من بات عنده ليلة كان كمن زار الله في عرشه ، هذا يحتاج إلى بيان .

يقعد مع الأئمّة في عرش الله أعلاها درجة وأقربهم حبوة زوار قبر الإمام الرضا (عليه السلام) ، يأخذه الإمام الصادق (عليه السلام) بيده يوم القيامة ويدخله الجنّة ، وإن كان من أهل الكبائر ، أعطاه الله عزّ وجلّ أجر سبعين شهيدا ممّن استشهد

1- انظر : عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ١ : ٢٩٦ ، باب ثواب زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) .

رسول الله على حقيقة ، ما أصابه أذىً من مطر أو برد أو حر إلاّ حرّم الله جسده على النار ، استجيب دعاؤه ، وجب له غفران الله ورحمته بشفاعة أهل البيت (عليهم السلام) ، وجبت له زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) أن يردّ له الزيارة يوم القيامة ، لا يصلّي ركعتين عند قبره إلاّ استحق المغفرة من الله عزّ وجل يوم يلقاه ، أكرم الوفود على الله يوم القيامة ، بين جبلي طوس قبضة من الجنّة من دخلها كان آمناً يوم القيامة من النار ، أفضل من زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ، كان مع الإمام الرضا في درجته يوم القيامة مغفوراً له ، من زاره مسلّماً لأمره عارفاً بحقه كان عند الله عز وجّل كشهداء بدر ، لا يزورها . البقعة الرضوية . مؤمن إلاّ أعتقه الله من النار ، أدخله دار القرار وهي طبقة من طبقات الجنّة ، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمّه ، قضيت حاجته ، قبره وحرمه الشريف روضة من رياض الجنّة ، بقعة من بقاع الجنّة .

هذه بعض الآثار الدنيوية والأخروية في زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) .

أنا أذكر فقط مورداً واحداً توضيحاً .

ورد أنّ زيارة الإمام الرضا (عليه السلام) تعادل ألف حجّة ، أو سبعين حجة ، أو سبعمائة حجة ، أو ألف ألف حجة مقبولة[1] .

الآن إحدى الشبهات التي ترد أنّه كيف يكون ذلك ؟ فإنّ الحج ما أعظمه عند الله سبحانه وتعالى ، الحج عظيم عند الله ، آيات في القرآن الكريم تدلّ على عظمة الحجّ ، قياماً للناس ، بركة للناس ، هدى للناس ، هذا كله في الحج ، ليشهدوا منافع لهم ، منافع دنيوية ومنافع أخروية في الحجّ ، فكيف بزيارة واحدة وإذا بها تعادل ألف حجّة مقبولة وألف عمرة مقبولة ؟ ! كيف يكون ذلك ؟ ! وهل هذا يعني أنّ الرافضة يحرّضون أتباعهم لزيارة أئمتهم من أجل أنهّم يمنعونهم عن الحج ، ويتجهّون إلى الأئمّة فقط ويتركون الحجّ هكذا يقولون هل هذا هو الأمر واقعاً ؟

ومن باب الدليل الفطري ، وحتّى من باب الدليل النقلي يقال في جوابهم : ما

1- كامل الزيارات : ٥١٠ ، ٥١٢ ، الكافي ٤ : ٥٨٥ ، أمالي الصدوق : ١٢٠ ، ١٨١ .

تبادر إلى ذهني أنّ الله سبحانه وتعالى جعل العمر العادي الآن في يومنا هذا عبارة عن سبعين عاماً إلى ثمانين عاماً ، يعبد الإنسان ربّه في عمر كامل ، يعني في ثمانين عام ، وإذا به الله سبحانه وتعالى جعل ليلة واحدة فقط تعادل عبادة عمر كامل للإنسان ، بل أكثر من عمر كامل وذلك ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، ألف شهر يكون عبارة عن ثمانين وبضع سنين ، ألف شهر عبارة عن ثمانين عام ، يعني عمر إنسان كامل ، يعني الإنسان يعبد ربّه ليل ونهار ، ليله قائم ونهاره صائم

،وإذا بليلة واحدة خالصاً مخلصاً لو أحياها فقط مجرد إحياء دون العبادات ، مجردّ أن يحيي تلك الليلة ، أي : يكون مستيقظا ً طاعة لله سبحانه ، فإنّ له في تلك الليلة خير من ألف شهر ، طبعاً لم تكن فيه ليلة القدر ، فإذن يمكن ليلة واحدة تعادل ألف شهر عند الله .

تريد مثال فطوي تقريب للواقع ، قنبلة القنابل ،ربما تجد قنبلة واحدة تهدم دار أو تهدّم دوراً ، ولكن هناك قنبلة مثلا تهدمّ بلدة كاملة القنبلة الذرية مثلا هيروشيما بلدة كاملة ذهبت ، هي قنبلة واحدة ولكن تعادل آلاف القنابل ،وربّما تأتي القنبلة النووية تخرّب الكرة الأرضية كلهّا ، إذن قنبلة واحدة ولكن تعادل الكرة الأرضية ، تعادل كل ّالقنابل ، فهذا المعنى موجود ، فكذلك عند الله سبحانه وتعالى في الأمور المعنوية ،ربّما ليلة واحدة وإذا بها تعادل هذه الليلة ألف شهر يحسب عند الله ألف شهر عبادة ، يعني هذا الذي يقبل بشوطها وشروطها كما مرّ ، أي : الإيمان والعلم والمعرفة والتقوى والولاية ، عندما تكون هذه الأمور عندئذ تقبل ليلة القدر وإذا بها تعادل كلّ الليالي ، ساعة واحدة تعادل كلّ الحياة التي كانت في ضلال (الحر بن يزيد الرياحي) كان عثمانيّ الهوى كان يهوى عثمان ويدافع عنه ويطلب بدمه ، وكان أمير جيش بني أمية كلّ حياته في ضلال ، يعني كلّ حياته في ظلام في ظلمة ،وإذا به ساعة واحدة فكرّ (تفكرّ ساعة خير من

عبادة سبعين سنة)[1] فكّر فقال : أنا مخيرّ بين الجنةّ والنار ، لا أفضُل ّعلى الجنة شّيئا فوجّع إلى الإمام الحسين (عليه السلام) ، وصار حسينياً ، وصار من أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) ، تاب إلى الله وقبلت توبته بزيارته للإمام الحسين (عليه السلام) .

وما تقدّم من ذنبه يغفر له ، جميع ما عمله من المعاصي يغفر له ، لماذا ؟ لأنّ هذه الولاية ، هذه الإمامة الحقةّ عندما تأتي في حياة المؤمن تجعل الحياة نورانية بعدما كانت الحياة ظلمانية ، ليلة القدر بعبادة تجعل الحياة كلّها نورانية ، كلهّا مقدسّة تقدّس تلك الحياة هذا أولا .

وثانياً : المقصود من الحجّ ، الحج ّلغة : بمعنى (القصد) واصطلاحا ً: بمعنى أن الإنسان يقصد بيت الله الحرام في أيام معلومات ليأتي بمناسك الحجّ ، لماذا ؟ ليتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى ، فالمقصود من الحج ّهو التقربّ كالصلاة ، الصلاة مما يقرّب الإنسان إلى الله ، الحجّ نوع من الدين كلهّا توجب التقربّ إلى الله .

فإذن المقصود من الحجّ هو التقرّب ، بزيارة واحدة بليلة واحدة تعادل عبادة ألف شهر ، بزيارة واحدة يتمكنّ الإنسان أن يصل إلى الله في ألف حجّة مقبولة ، يعني أفُوض في الحجة الأولى كان يتقربّ إلى الله عشر درجات ، في الحجة ّالثانية يتقرّب إلى الله بعشرين درجة ،وهكذا بكلُ ّحجةّ يتقربّ إلى الله عشر درجات عشر درجات ،وأما زيارة الإمام المعصوم في أشرف ; لأنّ الإمام أشرف من الكعبة ، المؤمن أشرف من الكعبة ، فكيف بالإمام المعصوم : «يا علي أنت كالكعبة»[2] هذه الرواية وردة عند السنّة والشيعة ، أنت كالكعبة زّار ولا تزور ، فإذا كان المؤمن أشرف من الكعبة ، فبلا شكّ إمام المؤمن وأمير المؤمنين هو أشرف من الكعبة ، فإذا كانت الكعبة القصد إليها وحجّ الكعبة وطواف الكعبة يقرّب

1- عوالي اللئالي ٢ : ٥٧ ، نور البراهين ١ : ٧٩ .
2 - مناقب آل أبي طالب ١ : ٢٢٥ ، و٢ : ٣٨ ، الصراط المستقيم ٢ : ٩٢ و٣ : ١١١ ، الأربعين : ٧٥ ، الإمام علي في آراء الخلفاء : ٨٧ ، الوسائل ٨ : ٢١ ، أسد الغابة ٤ : ٣١ ، ينابيع المودّة ٢ : ٨٥ .

الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى ، فإنّ القصد إلى الإمام وطواف الإمام ، يعني الوجوع إلى الإمام ، الطواف بهذا المعنى أنّه يرجع إلى الإمام ويجلس بخدمة الإمام ، يتعلّم أحكامه من الإمام ، يأخذ دينه وولايته من الإمام في تلك الزيارة ، ذلك الارتباط الروحي بين الإمام والمأموم ، تلك العلاقة الروحية المبدئية بين الإمام والمأموم ، بناءً على أنّ الزيارة زيارة عقائدية ، تلك الزيارة تقرّب الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى بألف مرّة من الحجّة .

فإذن يلزم أن تكون زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) أفضل من الحجّ ، طبعاً الحجّ الاستحبابي لا الحجّ الواجب ; لأنّ الزيارة مستحبة فلا تقاس بالواجبات ، وإنّما تقاس بالمستحبات ، فالحجّ المستحب يقرّب الإنسان إلى الله سبحانه وتعالى ، كلّ مرّة بعشر درجات ، وإذا به بزيارة الإمام الرضا (عليه السلام) تتقرّب إلى الله ، كليلة واحدة تعادل ألف شهر ، بزيارة واحدة تتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى بألف مرّة ، يعني بألف حجّة وعمرة مقبولة ، فيتضّح المعنى فطوبا أنّ المعنى صحيح ، هو أن زيارة الإمام تعدل ألف حجّة مقبولة ; لأنّنا نعتقد في الإمامة ما نعتقد بالولاية ، والإمام يقول : إنّما جعل الحج لكم ، لماذا جعل الحجّ ، فلسفة الحجّ ؟ لتأتوا إليها ، ثمّ من تمام الحجّ والعمرة لقاء الإمام (عليه السلام) ، أي : تأتون وتعلمون ولاءكم ، كما في الخبر الشريف .

من تمام الحجّ لقاء الإمام (عليه السلام) ، يعني الحجّ لا يتمّ إلا بلّقاء الإمام (عليه السلام) ، بمعنى أن تؤمن بالإمامة ; لأنّ الحجّ من دون إمامة غير مقبول كما ذكرنا ، فعليه حجّتك إذا لم تكن فيها ولاية ، فإنّ الزيارة ستعادل تلك الحجّة بألف ألف مرّة ، يعني مليون مرّة ; وذلك لأنّ الولاية هي النور ، الولاية هي عود الكبريت التي تشعل لنا السراج ، نحن في ظلام وإن كان عندنا إيمان ، وإن كان عندنا سراج ، وإن كان عندنا علم ، وإن كان في الزيت التقوى ، ولكن لمّا تأتي الولاية عند ذلك يشتعل السراج ، عند ذلك يستضيء الإنسان ويكون نورانياً فيستضيء في حياته ، فإذا

تنوّر الإنسان تقرّب إلى الله سبحانه وتعالى ; لأنّ الإنسان بالنور يتقرّب ; لأن الله نور ﴿ اللّهُ نُورُ السمواتِ والأرضِ مَثَلُ نُورِهِ كمِشكاةٍ . . . ﴾ [1] .

فالإنسان إنّما يتقرّب إلى الله بالنور ، والنور الولاية ، ومن شعائر الولاية الزيارة ، فالزيارة شعار لشعور ولائي صادق ، عندك شعور ولائي لابدّ لهذا الشعور أن يظهر ، شعار هذا الشعور الزيارة ، كما أنّ البكاء على الحسين (عليه السلام) شعار هذا الشعور ، وكذلك إقامة الحفلات لمواليد الأئمّة (عليهم السلام) ، وإقامة العزاء لوفيات الأئمة (عليهم السلام) ، هذه كلها شعائر إلهية ، شعائر ولائية ، تنبئ عن شعور صادق ولائي ، الإنسان الذي يكون مؤمناً بالولاية لابدّ أن يظهر ولاءه ، أذان الشيعة

إنّما يكون بكلمة : (أشهد أنّ علياً وليّ الله) ; لأنه أصبح شعاراً ، باعتبار أن الأذان إعلان واعلام ، فأنا أريد أن أعلن وأعلم الناس بعقائدي بمبادئي كيف أعلن ، أعلن على أنّي أؤمن بالله (أشهد أن لا إله إلاّ الله) ، أعلن على أنيّ أؤمن بالنبوة (أشهد أن محمّداً رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)) ، ثمّ بعد ذلك أعلن للبشرية في حياتي وفي مماتي بأني أؤمن بالولاية (أشهد أن علياً وأولاده المعصومين حجج الله) .

من هذا الباب يكون أذان الشيعي بالشهادة الثالثة ; لأنّه أصبح شعاراً ، لذا عندما يسأل هل أنّ أشهد أن علياً ولّي الله جزء الأذان ؟

لا ليس جزءاً من الأذان ، ولكن السيّد الحكيم يقول : «في هذه الأعصار معدود من شعائر الإيمان ورمز التشيّع ، فيكون من هذه الجهة راجحاً شرعاً ، بل قد يكون واجباً»[2] فعلا إنّما هو شعار الشيعي ، لذا لابدّ أن يكون في أذان الشيعي أشهد أنّ علياً ولي الله ، وإن لم يكن جزءاً من الأذان ، ولا يؤتى به بقصد الجزئية ، ولكن يؤتى باعتبار أنه شعار ، وكذلك الزيارات نحن إنّما نتعاهد وفاءً بالولاية ، وفاءً بالإمامة ، كما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) ، كما ورد عن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)

1- النور : ٣٥ .
2- مستمسك العروة الوثقى ٥ : ٥٤٥ .

لأمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه نجباء من القوم يأتون لزيارتكم ، لماذا ؟ لنحيي مآثر الأئمة (عليهم السلام) ، لكي نعلن للناس أنّنا نؤمن بهؤلاء ، هؤلاء القوة ، هؤلاء الأُسوة ، أُسوة حسنة ، قدوة صالحة ، هم الذين ينجو الإنسان بهم في حياتهم وفي مماتهم .

فمن هذا الباب الزيارة الواحدة تقرّب الإنسان إلى الله تعالى ، كليلة القدر ليلة واحدة تكون مقرّبة لله سبحانه وتعالى بألف من الشهر ، يعني بعمر كامل ، وإذا زيارة واحدة يتقرّب الإنسان إلى الله بألف تقرّب من خلال الحجّ المستحب ، من خلال العمرة المستحبة .

ومن هذا الباب بقيّة الروايات في الفضائل التي وردت في الزيارات ، كلّها بهذا المعنى ، يغفر ما تقدمّ من ذنبه وما تأخرّ صحيح ، واقعاً صحيح ، يعني حتّى لو لم يكن عندنا هذه الرواية ، بالدليل الفطري والعقلي نثبت هذا المعنى ، أنّه من يزور الإمام معتقداً بإمامته بشروط العقيدة ، بشروط الإيمان والعلم والمعرفة يكون له هذه المقامات ; لذا ورد أنّه من زار الإمام عارفاً بحقّه[1] ، له هذه المقامات وهذه الدرجات ، وهذا الثواب والأجر العظيم ، عارفاً بحقّه ، والمعرفة كليّ تشكيكي ذات مراتب ، فربّما باعتبار المراتب يحصل الإنسان على درجات من الثواب ، إمّا من هذا الباب ، وإمّا من باب ليلة القدر ، يعني جوابنا إمّا من باب ليلة القدر وإمّا من باب سلسلة المعرفة ، ودرجات المعرفة والإيمان ، والإيمان له أربعمائة درجة كما في الحديث الشريف ، المعرفة لها درجات ومراتب طوليّة وعرضية ، أفقيّة وعموديّة ; لأنها كليّ تشكيكي ذات مراتب كالنور ، النور

كيف له مراتب ، كذلك الإيمان ، كذلك الولاية ، كذلك المعرفة لها مراتب ، فباعتبار هذه المراتب الإنسان يحصل على المقامات ، يحصل على الدرجات ، من حجّة واحدة وإلى ألف ألف حجّة وما شابه ذلك .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

1- مصباح المتهجد : ٧١٠ ، ٧٧١ ، ٨٢٠ ، الكافي ٤ : ٥٨٠ ، كامل الزيارات : ٢٦٢ وما بعدها ، الوسائل ١٠ : ٢٩٣ ، ٣١٨ ، ٣٥٠ ، وغيرها .

الأسئلة والأجوبة

سؤال : الشبهة التي ألقاها الشيطان في الحوار الإلهي ، بأنّه خلقتني من نار ، وخلقته من تراب ، والنار أفضل من التراب كيف أجاب آدم ؟ وكيف عرف الحقّ ، بعقله أو بفطرته ؟

الجواب : أنا كمثال مثّلت للموضوع ، وأمّا أنّه يا ترى هل هذا كان حوارا إلّهيا شّيطانيا ، وأنّه أراد الشيطان أن يلقي شبهة على آدم أو على الملائكة ، هذا يحتاج إلى دليل ، إنّما أردت أن أستفيد من الآية الشريفة هذا المعنى ، استفادتي الخاصّة ، وليس المقصود أن أكون في مقام التفسير لهذه الآية الكريمة ; لأنّه أخاف أن يكون من التفسير بالرأي ممّا يستلزم كما ورد في الخبر الشريف : «من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النار»[1] ، فأنا لا أريد أن أفسّر القرآن برأيي ، لكن هذا المعنى استفدته من الآية الشريفة ، على أنّه في الحوار الإلهي كأنّما الشيطان أراد أن يلقي هذه الشبهة .

ثُمّ الله سبحانه هو الذي يدافع عن الذين آمنوا ، فهو المدافع الأوّل عن آدم ومن ولد آدم من المؤمنين ، فلذا الله أجاب الشيطان على أنّه لابدّ أن تسجد لآدم ، وآدم خلق من تراب إلا أن روّحه من النور ، والنور أفضل من النار ، وآدم عنده جانب ترابي ، يعني جانب جسدي ومادي ، وجانب روحي ﴿ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُوحِي ﴾[2] ، وروح الله جانب تجرّدي ومعنوي ونوري ; لأنّ الله نور ، وروحه نور ، فنفخت فيه من روحي ، بلا شكّ سيكون نورانياً ، فمن هذا الباب آدم يكون عنده الجانب الجسدي والروحي ، والروحي إنّما هو نور ، والنور أفضل من النار ; لأنّ

1- وسائل الشيعة ١٨ : ١٩ ، ١٤٨ ، بحار الأنوار ٣٠ : ٥١٢ ، سنن الترمذي ٤ : ٢٦٨ ، تحفة الأحوذي ٨ : ٢٢٣ .
2- الحجر : ٢٩ ، ص : ٧٢ .

النار فيه الحرق ، يعني الاحتراق والحرارة ، ولكن النور لا يكون فيه هذا المعنى .

فمن هذا الباب حتّى ولو كانت مسألة الاستدلال والبرهان ، فإنّه يجاب الشيطان لعنة الله عليه : أنّ آدم أفضل ، وانما كان أفضل ; لأنّه يحمل العلم ، باعتبار أنّ الله سبحانه وتعالى علمّه الأسماء كلها ، فيحمل العلم والعلم نور كما في الخبر الشريف : «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء أن يهديه»[1] ، فعليه باعتبار العلم والنور اللذان يحملانه آدم (عليه السلام) أمر الله

سبحانه وتعالى الملائكة ومنهم الشيطان أن يسجدوا لآدم ، أن يخضعوا للعالم ، السجود بمعنى الخضوع فالله سبحانه وتعالى إنّما أراد أن يؤدّب الملائكة ، أن يحترموا العلماء ، فلذا أمر الملائكة أن يسجدوا لآدم ; لأنهّ يحمل أسماء الله ، وفي الحديث الشريف «من وقّرَ عالما ًفقد وقر ّربه»[2] ، وآدم من النور ; لأنّه مظهر لصفات الله ، مظهر لأسماء الله ، وحامل العلم الإلهي ، فباعتبار العلم الإلهي سيكون نورانياً ، وباعتبار النور هو أفضل من النار حتّى ولو كان العنصر الثاني لآدم هو التراب ، فالعنصر النوري سيكون أفضل من النار ، يعني أفضل من الشيطان ، هذا في ردّ هذه الشبهة الشيطانية ، أضف إلى ذلك أنّ الله هو الذي يدافع عن الذين آمنوا ، فهو المدافع الأوّل عن آدم (عليه السلام) .

سؤال : كيف نثبت الزيارة بالآيات القرآنية ؟

الجواب : أنّ القرآن الكريم قانون أساسي ، والقانون الأساسي إنّما يذكر فيه المطالب الكليُّة ، والعناوين الكليةُ دائما تذكَر في القرآن ، مثلا في قوله تعالى : ﴿ **وأقيموا الصلاة** ﴾[3] ، أمّا أنّ صلاة الصبح عبارة عن ركعتين ، وصلاة الظهر عبارة عن أربع ركعات في الحضر ، وركعتين في السفر ، هذا المعنى لم يذكر في القرآن الكريم ، لماذا ؟

1- بحار الأنوار ٦٧ : ١٤٠ ، الحق المبين : ٥ .
2- غرر الحكم ، الرقم ١٠١٧٠ .
3- البقرة : ٤٣ : و٨٣ و١١٠ .

لأنّ القرآن إنّما يعطي القوانين الكليُّة ، وأما جزئيات هذا القانون وشرح هذا القانون إنما هو من السنة الشريفة ، لذا نقول مصدر التشريع الإسلامي الكتاب والسنّة ، السنّة يعني قول المعصوم قول النبي والإمام (عليه السلام) ، وفعل المعصوم وتقرير المعصوم ، فعليه إنّما نثبت الزيارة بالروايات ، والقرآن إنّما يعطينا العنوان الكلّيّ ، أن القوم جاؤوا إلى أصحاب الكهف وقالوا نبني عليهم بنياناً ، ونجعل هنا مسجداً نعبد الله نتقرّب بهذا المكان ; لأن هؤلاء أولياء الله ; لأن هؤلاء عباد الله المقربونّ فنحن بهم نتقرّب إلى الله ، إنهّم من الوسيلة وابتغوا إليه الوسيلة ، مكانهم سيكون مكان مقدّس ، قبرهم سيكون مكانا مقدساً ، فلذا بنوا عليهم مسجداً ليعبدوا الله سبحانه وتعالى في ذلك المقام ، هذا عنوان كلّيّ .

أو مثلا بعض الأنبياء زاروا بعض الأنبياء ، مثلا : يعقوب زار ولده يوسف على نبينا وآله وعليه السلام ، هذا المعنى كعنوان كلّي موجود في القرآن الكريم .

أمّا بعنوان جزئي زيارة الأئمة (عليهم السلام) زيارة الرسول (صلى الله عليه وآله) بالخصوص فهذا إنمّا نعرفه من خلال السنّة يعني من خلال الأحاديث الشريفة .

سؤال : بالنسبة إلى أديسون أو أيّ الإنسان مثلا لم يصل إلى الإسلام مع أنّه خدم البشرية ، فياترى يثاب يوم القيامة ، أو يعطى الثواب له في الدنيا فقط ؟

الجواب : هنا يأتي بحث الجاهل المقصّر والقاصر ، فإذا كان قاصراً فإنهّ يرجع أمره إلى الله سبحانه وتعالى ، يغفر له الله ، يثيبه الله ، أمره إنّما يكون لله ، وفي الحياة الدنيوية أمر الجاهل القاصر كما عند أكثر الفقهاء إنّما هو بحكم الناسي ، «ورفع

عن أمتي ما نسوا»[1] ، فرفع قلم المؤاخذة والتكليف عن الجاهل القاصر .

أمّا الجاهل المقصّر عند الفقهاء إنمّا هو بحكم المتعمدّ ، والمتعمد يّعاقب ، فمن وصل إليه الإسلام ولم يسلم فإنه لاّ يثاب على عمله الصالح في الآخرة .

1- الوسائل ٣ : ٢٧٠ ، ١١ : ٣٩٥ ، عوالي اللئالي ١ : ٢٣٢ ، بحار الأنوار ٢ : ٢٨٠ ، ٥ : ٢٠٣ ، ٢٢ : ٤٤٣ ، ٥٥ : ٣٢٥ ، ٧٤ : ١٥٣ ، ٨٥ : ٢٦٥ ، ١٠٨ : ٧١ .

لذا القرآن الكريم بالنسبة إلى البرّ يقول : ﴿ تعاونوا على البرّ ﴾ ولم يكتف بمسألة البرّ ، البرّ لوحده لا يكفي إنمّا يحتاج إلى إيمان ، يحتاج إلى تقوى لذا قال : ﴿ وتعاونوا على البرّ والتقوى ﴾[1] ، لكي يخوج الذي يبرّون في حياتهم من دون التقوى ، فهؤلاء لا يثابون على برّهم في الآخرة إذا كانوا من الكفاّر من المشركين ; لأن الكفر والشرك يحبطان العمل ، أما إذا كان البرّ ، مع التقوى يعني مع الإيمان فعند ذلك يقبل منه هذا العمل الصالح ، لذا دائماً تجد القرآن يقون العمل الصالح بالإيمان : ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾[2] ، أكثر من سبعين آية تجمع بين الإيمان والعمل الصالح ، يعني شوط في العمل الصالح الإيمان ، كما في المعرفة عندنا روايات على أنّ المعرفة تدلّ الإنسان على العمل ، والعمل على المعرفة ، ولا معرفة إلاّ بعمل ، ولا عمل إلاّ بمعرفة ، هناك إرتباط وثيق بين المعرفة وبين العمل ، فعليه إذا كان جاهلا مقصّراً فإنهّ بحكم المتعمدّ لا يثاب يوم القيامة ، واذا فعل وا وّعملا صالحا إنماً يؤّجر في دنياه ، فإن الدنيّا دار المكافاة والآخرة دار الجزاء ، وأمّا إذا كان جاهلا قاصراً فيفوّض أمره إلى الله سبحانه وتعالى .

سؤال : هذه الزيارة التي عندنا وردت في كتب السنّة ؟ وما هي مصادرها ؟

الجواب : طبعاً وردت عندهم بالنسبة إلى زيارة النبي (صلى الله عليه وآله) ، وأنهّ لا تشُد الرحال إلا إلّى ثلاث[3] ، منها : المسجد النبوي الذي فيه قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فعندهم زيارة النبي بالخصوص ، طبعاً الحنابلة يتمسكون بهذه الرواية ، وأنّه لا تشُد الرحال إلا إلّى ثلاث ، منها : قبري أو مسجدي ، مسجد النبي (صلى الله عليه وآله) باعتبار أن فيّه القبر

1- المائدة : ٢ .
2- العصر : ١ ـ ٣ .
3- مسند أحمد ٢ : ٢٧٨ ، ٣ : ٣٤ ، ٤٥ ، ٧٨ ، ٦ : ٧ ، ٣٩٨ ، صحيح البخاري ٢ : ٥٦ ، صحيح مسلم ٤ : ١٢٦ .

الشريف ، فعندهم الزيارة بالنسبة إلى قبر النبي ، وأنّه من يسلمّ على النبي فإنهّ يؤجر ويثاب ، والنبي يجيب السلام ، وسلام النبيّ دعاء ; لأنّ السلام دعاء ، فإذا سلمّ الإنسان على النبي وأجاب النبي يعني دعا له بالسلام ، ودعاء النبي مستجاب ، فإذن الإنسان سيكون سليماً بعقله بروحه بجسده بحياته بآخرته ، سيكون سليماً ، وانمّا ينفع الإنسان يوم القيامة من أتى الله بقلب سليم ، فدعاء النبي يوجب سلامة القلب ، يوجب سلامة الروح ، فينتفع بهذا الدعاء في دنياه وآخرته ، هذا المعنى ورد للنبي عندهم

.

ولكن عندنا بما أنّنا نعتقد بأنّ الأئمة (عليهم السلام) باعتبار آية المباهلة ، باعتبار آية التطهير والآيات الولائية الأخرى ، وكذلك الروايات والنصوص الواردة في هذا الباب هم معصومون ، وهم امتداد للنبي (صلى الله عليه وآله) فما يشمله من تعظيم يشملهم ، وعليك بكتاب (إحقاق الحق) وملحقات إحقاق الحق ، في أكثر من أربعة وثلاثين مجلّداً لسيدنا الأستاذ آية الله العظمى السيّد النجفي (قدس سره) .

وعندنا روايات إلى ما شاء الله تدلّ على هذا المعنى ، بأنّهم هؤلاء كلهّم نور واحد ، ونفس النبي عّلي بن أبي طالب فلعلي ما للنبي إلاّ النبوة «أنت منيّ بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبى بعدي»[1] .

فإذن بهذا المعتقد نقول : إذا ورد في زيارة النبي عندكم بأنّه يجيب النبي ويستلزم السلامة ، كذلك عندما تزور الأئمة ، والأئمّة يجيبون ذلك فإنّه يستلزم السلامة ، والدليل على ذلك عندما تزور المعصوم تقرأ : وأعلم أنّ رسولك وخلفاءك (عليهم السلام) أحياء عندك يرزقون ، يرون مقامي ، ويسمعون كلامي ، ويردّون سلامي ، وأنك حجبت عن سمعي كلامهم وفتحت باب فهمي بلذيذ مناجاتهم[2] .

1- فضائل الصحابة : ١٣ ـ ١٤ ، صحيح مسلم ٧ : ١٢٠ ـ ١٢١ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٠٢ ـ ٣٠٤ .
2- المصباح للكفعمي : ٤٧٣ .

الآن عندما يحوم الزائر من جواب الإمام ومن ردّ السلام ; لأنّه أذنب ، والذنب يكون حجابا ظلمانيا بينه وبين النور ، بينه وبين سماع السلام من الإمام (عليه السلام) ، فعندئذ يطلب الزائر من الله أنّه لا أقل لا تخيبّني وأنا زائر الإمام ، افتح باب فهمي بلذيذ مناجاتهم ، الآن عندما أدخل للزيارة وأناجيهم وأتحدّث معهم أتلذذّ بهذا الحديث ، ذهني ينفتح ، روحي تنفتح ، أنبسط لهذه الزيارة ولهذا الحديث النوري ، لذا من يزور الإمام عندما يخرج يشعر بالانبساط الروحي بعدما يكون مقبوضاً قبل الزيارة ، عندما يخرج يشعر بالخفّة والانبساط ، كيوم ولدته أمّه كما ورد في الحديث الشريف «أنّه يخرج من الذنوب ويكون كيوم ولدته أمّه»[1] ، فبهذا المعنى نلحق زيارة الأئمّة (عليهم السلام) بزيارة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ونقول : إنّهما من باب واحد .

أمّا بالنسبة إلى المصادر للزيارة ، كلّ الكتب التي ترد الفرقة الوهابية بالخصوص ، فإنها تذكر مسألة الزيارة ، وقد جمعت الكتب تحت عنوان (سهام في نحر الوهابيّة) مطوع في صحيفة صوت الكاظمين في عدّة حلقات ، كما أنّه مطوع في موسوعتنا الكبرى (رسالات إسلاميّة) في المجلد الخامس عشر فراجع .

وأثبت على أنّ الوهابية عند السنّة وعند الشيعة يعدوّن من فرقة الخوارج على الإسلام ، وفي رسائل ابن عابدين رأيت العبارة أنّ ابن عابدين يقول : في عصري في زماني خرجت فرقة تسمّى الوهابية وهم من الخوارج على الإسلام ، وكذلك في الكتب الأخرى ، فما يقارب سبعين مصدراً ذكرت بالنسبة إلى الزيارة ، وما يتعلّق بالشبهات التي تثيرها الوهابية على

المذهب السنّي والشيعي ; لأنّ الوهابية لا تحارب الشيعة فقط ، وانمّا تحارب حتىّ السنة ّ، تحارب الحنفية يعني أتباع أبي حنيفة ، وكذلك الشافعية ; لأنّ الشافعية عندهم فرق صوفية ، والوهابية

1- الذكرى : ٦٩ ، كامل الزيارات : ٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٣٤٢ ، الوسائل ١٠ : ٢٥٩ ، ٢٩٨ ، ٣٣٠ ، ٣٤٤ ، ٣٧٩ ، ٤٤٦ .

يحاربون الصوفية محاربة شديدة جدّاً ، وكذلك المذاهب الأخرى ، فكلُ مّن يذكر رد الوّهابية مثل (الوهابية في الميزان) للشيخ السبحاني يذكر مسألة الزيارة وما يتعلّق بمسألة الزيارة ، طبعاً حديثي كان في الزيارة في الفضائل التي وردت ، لا في أصل الزيارة ، هذا موضوع آخر مبحوث عنه بالتفصيل ، ولكن حديثي كان في شعاع من أشعّة الزيارة ، يعني في جانب خاص من الزيارة وهي باعتبار الفضائل التي وردت في الزيارة .

على أنّ الزيارة ليست من الشرك وانمّا من التوحيد ، وأنّ زيارة القبور تختلف عن مسألة التقربّ بالأصنام إلى الله سبحانه وتعالى زلفى ، بحث هذا لا يرتبط بمسألة الشرك بالأصنام وكُلّ واحد منهما مستقل عن الآخر ، ولكن من باب الشبهة شوهّوا صورة الحق بكلمات باطلة فارغة .

فالكتب التي تردّ هذه المسألة هي الكتب التي تردّ الوهابية بصورة عامةٌ .

سؤال : عندي سؤالان :

السؤال الأوّل : حول الشروط التي تفضلّتم بوجد شرط رابع فيه شبهة بالنسبة لنا ، وانٍ كان الأخوة لا يستطيعون البوح به ; لأنّه أحياناً تطرح سؤالا يُثير بعض المشاكل ، يعني أنا أشرت نحن عندنا أهل السنة ّتقريبا هُم ثلاثة أنواع أو أكثر تجد أحدهم ليس معانداً ، ولكنّه لا يعرف ، يعني لو عرف لاتبعّ الحق ، ولكن هذا أصلا لم يسمع شيئا ً، فكيف نقول عن هذا الشخص الذي تفضّلتم ؟ هذا أولا ً.

وثانياً : يوجد بعض منهم كلُمّا أقمت عليه الدليل لتثبت ما تعتقده هو يثبت لك العكس ، ويقول : أنا أرى هكذا وليس كما أنت تذهب إليه ، وأيضاً هو ليس معانداً ، حتىّ بعضهم يوسعّون مذهب أهل البيت(عليهم السلام) حتى ّيشمل نفسه ، ويقول : حتّى أنا أرى أننّي من أهل البيت(عليهم السلام) ، يعني هو يعتقد أن ّالذي يؤمن بالله وهو واقف نفسه للدفاع عن الدين الإسلامي أنّه من أهل البيت .

ثالثاً : كيف نجمع هذا الشرط مع التوحيد ، يعني هل الولاية شرط أقدم من

التوحيد أو أنّ التوحيد أقدم ؟ لأنّه توجد بعض الروايات تقول إنّه : «لا يخلد في النار من كان في قلبه ذرة ّمن التوحيد»[1] .

السؤال الثاني : كيفية آداب زيارة السيّدة معصومة (عليها السلام) ؟

الجواب : السؤال الأوّل كان حول شرط الولاية ، وأنّه كيف بعض الأخوة المسلمين من يؤمن بالتوحيد ، من يؤمن بالنبوة

إلاّ أنّه لم يصل إليه مسألة الولاية يقبل عمله أو لا يقبل ؟

هذا كالبحث السابق ، إن كان جاهلا مقصّراً فإنّه لا يقبل منه للتقصير ، والمقصرّ بحكم المتعمد .

أمّا إذا كان جاهلا قاصراً ، فعندنا في سورة الأعراف أولئك الذي كانوا من القاصرين ، أو المستضعفين ، فإذا كان قاصراً فيرجع أمره إلى الله سبحانه وتعالى ، والله واسع الرحمة ، والله رحمته أوسع من السموات والأرض ، رحمته سبقت غضبه ، الرحمان الرحيم ، بدأ بالرحمان ; لأنّ الرحمان أعم من الرحيم ، باعتبار أنّه رحمان للمؤمن والكافر في الدنيا ، ورحمانيته يرزق المؤمن والكافر ، وإن كانت الرحمة الرحيمية مختصّة بالمؤمنين في الدنيا والآخرة ، ولكن الرحمة الرحمانية عامّة شاملة ، فمثل هؤلاء المستضعفين ، القاصرين ، الغافلين الذين لم يصل إليهم الحق ، إذا لم يتّبعوا أهواءهم ، ولم يتقبلوا على فطرتهم السليمة ; لأنّه : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ﴾[2] ، وفي الحديث : «كُلّ مولود يولد على الفطرة»[3] ، فإذا لم يكن محيط فاسد والد يهوّده ، أو يمجّسه ، أو ينصرّه ، يجعله نصرانيا مًجوسيا ، إذا لم يكن هذا كان هو وفطرته حينئذ يهتدي إلى الحق ، والله

1- شرح النوري على مسلم ٣ : ٣ ، ٥٩ ، ٥ : ١٦١ ، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٦ : ٢٥١ .
2- الروم : ٣٠ .
3- الكافي ٢ : ١٣ ، ٦ : ١٣ ، الوسائل ١١ : ٩٦ ، بحار الأنوار ٣ : ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٥٨ : ١٨٧ ، ٦٤ : ١٣٣ ، وغيرها .

سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ ﴾[1] الله يوصل إليه الحق بلا شكّ ، بأيّ نحو من الأنحاء ، فعليه إذا وصل إلى الحقّ ولم يؤمن كان معانداً مكابراً مقصراً فحينئذ حكمه حكم المتعمد فيعاقب ولا ينجو ، وفي الحديث : «ستفترق أمّتي إلى ثلاث وسبعين فرقة فرقة واحدة ناجية والبقية من الهالكين»[2] ، هذا ما يذكره السنة والشيعة ، هالكين متى ؟ يوم القيامة يهلكهم ; لأنّه يصل إليهم الحق ولم يؤمنوا ، عرفوا الحق ، استيقنتها قلوبهم ولكن جحدوا بها لاتبّاع أهوائهم ، لاتباّع الدنيا ، للزخارف الدنيوية يتّبعون الأهواء : ﴿ من بعد ما جاءهم العلم ﴾[3] ، جاءهم العلم لكن مع ذلك يتّبعون الهوى لمصالحهم الدنيوية ، فمثل هؤلاء يثابون يوم القيامة ؟ لا ، بل لا يقبل منهم العمل بلا شكّ ; لأنّهم وصل إليهم الحق ولم يؤمنوا .

أمّا إذا كان جاهلاً قاصراً لم يصل إليه الحق ، وعمل بمقدار ما عنده من الفطرة السلمية ، فالله سبحانه وتعالى يغفر له بقية الذنوب ، فالتوحيد الذي ورد أنّه من كان في قلبه ذرّة من التوحيد لا يخلد في النار ، بشرط أن لا يكون هناك شيء من الحق وصل إليه وأنكره ، وإلاّ إذا وصل : «علي مع الحق والحق مع علي»[4] ومع ذلك أنكر وآمن بأعداء علي بن أبي طالب ، فحينئذ لا يقبل منه العمل بلا شكّ ; لأنّه أنكر ; لأنّه عاند ، والمعاند لا يقبل منه ، في مثل هذا المورد يأتي جواب السؤال الآخر : أنّ التوحيد كيف يكون ؟

نحن نعتقد كما ورد في الخبر الشريف : «كلمة لا إله إلاّ الله حصني»[5] جيّد ،

1- العنكبوت : ٦٩ .
2- الكافي ٨ : ٢٢٤ ، وسائل الشيعة ١٨ : ٣١ ، مسند أحمد ٣ : ١٢٠ ، ١٤٥ ، سنن ابن ماجة : ١٣٢٢ .
3- آل عمران : ١٩ .
4- الخصال : ٤٩٦ ، بحار الأنوار ١٠ : ٤٣٢ ، ٤٤٥ ، ٢٨ : ١٩٠ ، ٣٦٨ ، ٣٠ : ١٢٢ ، ٣٥٢ ، ٣٣ : ٣٣٢ ، ٣٧٦ ، وغيرها .
5- أمالي الصدوق : ٣٠٦ ، أمالي الطوسي : ٢٧٩ ، بحار الأنوار ٣ : ٦ ، ٧ ، ١٣ ، ٤٩ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ٩٠ ، ١٩٢ ، وغيرها .

وورد في الخبر الشريف أيضاً : «ولاية علي بن أبي طالب حصني ، فمن دخل حصني أمن من عذابي»[1] ، سأجعل لكم صغرى وكبرى ثمّ خذ النتيجة : قال الله تعالى : «كلمة لا إله إلاّ الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي» .

«ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي» .

الحد المتكرّر ، أي : الحد الوسط هو : «من دخل حصني أمن من عذابي» .

احذف الحد الوسط النتيجة تكون «كلمة لا إله إلاّ الله ولاية علي بن أبي طالب» أو (ولاية علي بن أبي طالب كلمة لا إله إلاّ الله» ; لأنّ التوحيد لا يتم إلا بالنبوة ، والنبوة لا تتم إلاّ بالإمامة إلا بالخلافة الحقة ، هذا مما لا شك فيه ، نبوة من دون إمامة ستكون نبوّة ناقصة ; لأنّه لابد من يحفظ النبوة ، النبوة من بعد رحلة النبي تكون في خطر الضياع ، باعتبار أنه يأتي أهواء الناس ، كُلّ يجر النار إلى قرصه ، كلُ يقول منا أمير ومنكم أمير ، فكل يُريد الوصل بليلى ، ولكن ليلى لا تقر بذلك ، في هذا المورد كُلّ واحد يريد أن يصل إلى مآربه الخاصة ومقاصده ، فلابد أن يكون هناك خليفة حق ، لابد أنّ يكون هناك إمام حق يحفظ النبيّ بنبوته ، يحفظ الرسالة النبويّة ، فنحن نعتقد بالإمامة فطرة وعقلا ونقلا ، يعني الفطرة تقول لابد من إمام بعد النبيّ (صلى الله عليه وآله) ، كما أنّه التوحيد لابد له من النبي المرسل والرسول والرسالة ، لابد لكل مُرسل من رسول ، ولابدّ لكلّ رسول من مرسل ، علة ومعلول ، فالله سبحانه وتعالى يريد أن يهدي الناس كيف يهديهم ؟ لا يمكن لله أن يتمثّل للناس ، فإنّما أرسل من أنفسهم رسولا يتلوا عليهم آيات الله يعلّمهم ويزكيّهم ، يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، فمن هذا الباب التوحيد لا يكمل إلاّ بالنبوة ، والنبوة لا تكمل إلا بالإمامة ، لذا عندما نصب أمير المؤمنين في غديرِ خم نزلت الآية الشريفة : ﴿ اليَوْمَ أَكمَلْتَ لَكمُ دِينَكُمْ ﴾[2] ؛ ﴿ إِنَّ الدِينَ عِندَ اللّه ِ

1- أمالي الصدوق : ٣٠٦ ، بحار الأنوار ٣٩ : ٢٤٦ ، ١٠٩ : ٣٢ .
2- المائدة : ٣ .

الإسْلامُ ﴾[1] ، هذا الإسلام كان من آدم إلى الخاتم ، إلاّ أنّه أكمل هذا الدين ولاية علي بن أبي طالب ، ولاية أهل البيت(عليهم السلام) .

فالتوحيد إنّما يكون كاملا (بنا عُرِف الله) ، هم أبواب الله الذي منه يؤتى ، هم السبب المتصّل بين الأرض والسماء ، هذا ما نعتقده ; لأنّه لولا الإمام ولولا الحجّة لساخت الأرض بأهلها ، الإمامة من كمال المعرفة من كمال التوحيد ، عن الإمام الحسين (عليه السلام) من كمال التوحيد أن يعرف الإنسان إمامه ; لأنّه إذا لم يعرف إمامه كيف يعبد الله لا يعرف كيف يعبد الله ،

باعتبار أنّ الإمام هو الذي يعلّمه كيف يعبدربّه .

الإنسان بنفسه يكون جاهلا لا يعرف أنّه كيف يعبدربّه ، فالنبي يعلّمه ، الإمام يعلمّه ، فالتوحيد الكامل إنماّ يكون بالنبوة ، النبوّة خلاصة التوحيد ، والنبوّة الكاملة إنمّا تكون بالإمامة ، يعني بالولاية فالولاية خلاصة النبوة ، هذا البحث مفصلّ ذكرته في كتاب (هذه هي الولاية) مطوع في موسوعة رسالات إسلامية المجلد الخامس في خمسمائة ، على أنّه عندنا الولاية بالمعنى الأعم ، والولاية بالمعنى الأخص ، الولاية بالمعنى الأخص تعني ولاية أهل البيت(عليهم السلام) ، ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) ، والولاية بالمعنى الأعم ولاية الله العظمى ، هي للنبي ولله وللإمام ; لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾[2] هذه ولاية بالمعنى الأعم ، فالولاية لله أوّلا ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ﴾ من الولي الأوّل ؟ هو الله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ ﴾ ، ثمّ بعد ذلك الولاية تتمثّل بالنبيّ ﴿ وَرَسُولُهُ ﴾ ، ثُمّ بعد ذلك تتمثّل بالمؤمنين : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[3] ، يعني بأمير المؤمنين ، فالولاية تارة تأتي بالمعنى الأعم ، طبعاً عندنا ولاية تكوينية وولاية تشريعية بالمعنى الأعم لله وللنبي وللإمام ، وتارة أُخرى

1- آل عمران : ١٩ .
2- البقرة : ٢٥٧ .
3- المائدة : ٥٥ .

نقصد بالولاية بالمعنى الأخص ، يعني ولاية أهل البيت ومحبّة أهل البيت(عليهم السلام) ، والمودّة التي فيها الطاعة ; لأنّ المودّة هي المحبة مع الإطاعة ، الفرق بين المودةّ والمحبة أن المودة تّعني الحب مع الطاعة ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[1] ، المودّة تعني الحب مع الطاعة ، فالحب لوحده لا يكفي ، فهذا الذي يقول : أنا عندي ولاية أهل البيت ، يقول : أنا عندي حب أهل البيت ، يعتقد أنّ الولاية بمعنى الحب ، الولاية ليست بمعنى الحب ، الولاية يعني المودّة ، والمودّة تعني الحب المقرون بالطاعة ، راجعوا التفاسير ترون الفرق بين الحب والمودةّ ، أن المودة تعني الحب مع الطاعة ، ففي الحياة الزوجية جعل الله سبحانه وتعالى ركنين أساسيين لقوام الحياة الزوجية ، المودّة والرحمة ، جعل بينكما المودّة والرحمة ، لم يعبرّ بالحب ، جعل بين الزوج والزوجة الحب والرحمة ، قال (المودة) لماذا ؟ لأن المودة فيها الحب مع الطاعة ، فالزوجة إنّما تكون سعيدة بزوجها إذا أحبتّ الزوج وأطاعت الزوج ، وكذلك الزوج إنمّا يكون سعيدا بزوجته مع الحب والطاعة بما فرض الله سبحانه ، فهناك تبادل ، هناك شراكة حياة ، هناك ربّ البيت ، وربة البيت ، وإن كان الرجال قوّامون على النساء ، ولا منافاة في ذلك ، فمن ناحية الرجال قوامون على النساء ، ومن ناحية أُخرى ، جعل بينكم المودّة والمحبة ، دخلنا في مسألة الأسرة وهذا بحث آخر ، فلا نتعرّض له طلبا للاختصار .

وعلى كلّ حال من الأخوة السنة من قال : إنا نحب أهل البيت(عليهم السلام) ، فهذا لا يكفي ، بل لابد من الطاعة المطلقة لهم ، أي : صلاتهم وعباداتهم تكون على طبق مذهبهم ومدرستهم وأن يتبرؤوا من أعدائهم ومن غصب حقوقهم ، إذ

أمير المؤمنين (عليه السلام) : «يقول عجبت لمن يدّعي حبّي ويحبّ عدوّي ، فما جعل الله في جوف رجل من قلبين قلب يحبني وقلب يحبّ عدوّي» ، أي : أولئك الذّين ظلموه

1- الشورى : ٢٣ .

وكسروا ضلع حليلته فاطمة الزهراء (عليها السلام) ،والحديث ذو شؤون وذو شجون .

وأمّا السؤال عن الآداب

فهذا بحث مفصّل بالخصوص زيارة السيّدة المعصومة (عليها السلام) ،وهذا في الموضوع يحتاج إلى محاضرة كاملة إذا أحببتم ذلك فعليكم أن تطلبوا من الأخوة المسؤولين في المركز ، فإن طلبوا منّي فإنّي أكون بخدمتكم في حلقة أخرى .

سؤال : لماذا أصبحت زيارة الأئمّة(عليهم السلام) مستحبة بالرغم من كونها تغفر ما تقدّم وما تأخرّ من الذنوب في حين أن حجّة الإسلام واجبة وليس فيها هذا الأجر ؟

الجواب : المصالح لا يعلمها إلاّ الله تعالى والراسخون في العلم ، ومن باب الراسخين في العلم أخبرونا ببعض المصالح وبعض الحكم في الزيارات ، وذلك من خلال الروايات الشريفة كما ذكرت لكم بعض الروايات في هذا الباب تبيّن المصالح الموجودة في الزيارة ، هذا أوّلا .

وثانياً : المصلحة بمعنى رجحان الفعل ، ورجحان الفعل كما في علم الأصول والفقه إمّا أن يكون ملزما فيكون عبارة عن الواجب ،وإمّا أن يكون مجرّد رجحان الفعل مع جواز الترك فيكون عبارة عن المستحب ، فمثل هذه الأمور تدل على رجحان الفعل ، أمّا أنّه وصلت إلى حدّ اللزوم أو لا ، في بعض الروايات عندنا أنه من الجفاء أن لا يزور الإنسان إمامه ولو لمرة واحدة ، يعني يكون حكمه حكم الحج ، هذا المعنى ورد بالنسبة إلى زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) ،ولا بأس بأن أقرأ لكم بعض الروايات في هذا الباب .

يقول يثاب زائر الإمام الحسين (عليه السلام) : ثواب من جهّز ألف فارس في سبيل الله ، أيام زائري الحسين لا تعدّ من أعمارهم ، الزائر يغفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخرّ) فروع الكافي المجلد الرابع . ص ٥٨٢ . طبعاً المصادر كلّها مذكورة عندي الآن موجودة أمامي (له ثواب مائة ألف شهيد مثل شهداء بدر) بحار الأنوار مجلّد .

٩٨ ص ١٧ . (من ترك الزيارة من غير علّة فهو من أهل النار) ; لأنّه يدل على الجفاء ،والجفاء يستوجب النار ، (من زار الإمام الحسين (عليه السلام) كمن زار الله فوق عرشه) وسائل الشيعة المجلد العاشر . ص ٣١٩ . (أعتقه الله من النار) بحار الأنوار المجلد . ٩٨ ص ٣٠ . (من لم يأت قبر الحسين فليس هو لنا بشيعة) البحار . ٩٨ ص ٤ . (زيارة قبر الحسين أمرٌ افترضه الله على العباد) أصبح فريضة يعني واجب ، لكن مرّة واحدة كالحجّ يكون واجبا لمن كان مستطيعا ، يعني لا يزيد عن مسألة الحجّ ، الحجّ لمن كان متمكناً مستطيعا كيف يجب عليه مرة واحدة كذلك زيارة الإمام الحسين (عليه السلام) عند

الفقهاء من كان مستطيعاً يلزمه مرّة واحدة على الأقل في حياته .

(زيارة الحسين أفضل من الوقوف بعرفات)[1] ، طبعاً عرفات المستحبّة لا الواجبة ، (زائر قبر الحسين كمن قتل مع الحسين)[2] ، (من أحبّ الأعمال زيارة قبر الحسين)[3] ، (من لم يذهب لزيارته فقد جفاه) .

كراهة الحجّ للمرّة الثانية ، إذا كان متمكناً من زيارة قبر الحسين ، عجيبة هذه المسألة أنه يكره الحج إذا كان متمكنا من زيارة قبر الحسين (عليه السلام) ، والكراهة هنا بمعنى أقلّ ثواباً لا بمعنى مرجوحية الفعل فتدبرّ . وانما يكره ويقل ثوابه ; لأنه بعدما أدّيت الواجب من الحجّ وأقمت الحج ، الآن عليك أن تقيمّ إمام الحج ، عليك أن تقيم من هداك إلى الحج فتقيم ذلك بزيارته ، فتزور قبر الحسين (عليه السلام) ; لأنّ الحسين بدمه أحيى الإسلام ، بدمه أحيى الحجّ ، بدمه علمّك الحج ، بدمه الطاهر الزكي فتح لك المجال وفسح لك الطريق لإقامة الحج ، فبعد ما تزور مكّة المكرّمة وتحجّ عند ذلك عليك أن تؤديّ وتشكر من علّمك الحجّ ، ومن هداك إلى الحجّ ،

1- كامل الزيارات : ٣١٨ .
2- كامل الزيارات : ٣٢٨ .
3- كامل الزيارات : ٣٢٧ .

ومن فتح لك الطريق إلى الحجّ إلى يومك هذا ، تشكره فشكرك له زيارته فتزوره ، ومن هذا الباب قيل بالكراهة .

وعلى كُلّ المصالح إنمّا يعرفها الله ، واذا عرفنا شيئا جزئيا إنمّا دّلك من خلال الروايات الشريفة .

فللمرّة الأولى من كان مستطيعاً نعم يلزم ، أماّ للمرة الثانية كالحج إنماّ يكون مستحبا ويثّاب عليه .

أسأل الله أن يحفظكم ورعاكم ويسعدكم في الدارين ، ويجعلنا وإيّاكم من شيعة أهل البيت ومن أتباع مذهب أهل البيت في الدنيا والآخرة ، ويرزقنا في الدنيا زيارتهم ، وفي الآخرة شفاعتهم ، ويحشرنا في زمرتهم ، ويجعل محيانا محياهم ، ومماتنا مماتهم ، ويمتنا على ولايتهم ، ويرزقنا الشهادة في سبيلهم إن شاء الله ،

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

(٣٥) زيد بن علي (عليه السلام)

الشيخ محمّد رضا الجعفري

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلى الله على سيّد رسله وخاتم أنبيائه محمدّ وآله الطيبيّن الطاهرين الأئمة الهداة المعصومين لاسيّما أولهم مولانا أمير المؤمنين وسيدّ الوصيينّ وخاتمهم مولانا الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر . عجلّ الله تعالى فرجه . ، وجعلنا من أنصاره وأعوانه ، والعن اللّهم أعداءهم والموالين لأعدائهم والمعادين لأوليائهم من الأولين والآخرين ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم ، اللهّم كن لوليك الحجةّ بن الحسن ، صلواتك عليه وعلى آبائه ، في هذه الساعة وفي كل ُسّاعة ، وليّاً وحافظا ً ، وقائدا وًناصرا ، ًودليلا وعينا حتّى تسّكنه أرضك طوعا ، وتًمتعه فيها طويلا ، وهب لنا رأفته ورحمته ودعاءه وخيره ما ننال به سعةً من رحمتك وفوزا ً عندك ، ولا حول ولا قوةّ إلا بّالله العلي العظيم .

لم يسبق لي أن رأيت الإخوة الجالسين هنا ، ولم يسبق لكم أن رأيتموني قبل هذا ، وهذا أوّل لقاء أرى الإخوة الحاضرين فيه وتروني ، أراكم في مقتبل العمر ، ووافر النشاط ، وكمال العِدّة والعدُةّ ، والتمكنّ من النطق ، وتروني وقد أخذ الدهر منيّ أيام شبابي ، وأُخذ منيّ ما كنت آمل أن يكون عونا لًي في إفصاح نطقي ، ووضوح كلامي ، ولكنهّ أخذُ مني ّصاحب آويته خمسين عاماً لم يلك إثماً .

أحد الشعراء يرثي سنّه الذي قلُع يقول :

صاحب آويته خمسين عاماً *** لم يلك إثماً ًولم يمضغ حراما ً

ولكنّه أُخذ منيّ .

أرجو سبحانه وتعالى أن تكون النقائص غير مانعة من وصولي إلى الهدف الذي أنشده وهو أن يكون كلامي واضحاً جليّا ً ، وإن كان نطقي فيه نقص وقصور في الأداء ، وأن تكون أسماعكم قد اعتادت الحروف والكلمات التي أنطقها مع ما

فيها من نقص تختلف عمّا هو المعتاد من الأصوات المسموعة ، وهذه مقدمّة اتركوها وأتركها إلى الأصل في هذا الحديث .

سبب اختياري لهذا الموضوع

لا أعلم لماذا جاء على لساني أن يكون حديثي حول الزيدية ، ولعلّ المناسبة أنّي سمعت بأنّ في الإخوة الموجودين هنا جماعة كانوا فيما سبق من عمرهم العقائدي متمذهبين بمذاهب متنوّعة ، ولكنهّم تحولوّا إلى مذهب أئمةّ أهل البيت (عليهم السلام) ولأجل هذا جاء على لساني أن يكون حديثي حول الزيدية .

وعلى كل فالحديث حول الزيدية لا يتمّ لا في جلسة تستوعب ساعة أو أكثر ولا في جلسات تستوعب ساعات ; لأنّ الحديث عن الزيدية لا يتمّ إلاّ بالفصول ، يبدأ فصله الأوّل من نشأة الزيدية ، ونشأة الزيدية ترتبط لا محالة بحياة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والفصل الثاني في حياته هو ومحاولته للنهوض بوجه الدولة الأموية في وجهها الثاني ، ووجهها الأوّل ، إمّا أن نجعله يبدأ من الخليفة الثالث عثمان بن عفان أو نجعله يبدأ من أولى

خلفاء بني أميّة وهم معاوية ثمّ يزيد فمعاوية الثاني ، ووجهها الثاني يبدأ من خلافة مروان بن الحكم وينتهي بخلافة مروان بن محمّد الملقّب بالحمار ، والملقب أيضاً بالجعدي نسبة إلى جعد بن درهم أستاذه الشهير المعروف الذي تنسب له عقائد خاصة .

زيد (رضي الله عنه) ، الفصل الثاني من حياته يبدأ بمحاولته النهوض بوجه الدولة المروانية ومن عاصره من خلفائهم ، ثُمّ يستمر زيد والطابع الذي أحدثه والذي سُمّي فيما بعد بالمذهب الزيدي ، والبحث عن الملامح العامة لهذا المذهب ، وأنه بم يختلف عن المذاهب التي كانت تتواجد يومذاك داخل المجتمع المسلم وخاصّة في المجتمع العراقي الذي نشأ فيه المذهب الزيدي ؟

وتعلمون بأنّ الزيدية استموت كمذهب ، وتنوّعت باختلاف من وليها من أئمة الزيدية والذين كانت لهم آراء خاصة ، وعلى أساس تلك الآراء الخاصّة سميّت سيرتهم أو سمُيّ رأيهم ونظرهم مثلا مذهب الهادوي أو اليحيوي وأمثال ذلك من التعابير التي جعلت من المذهب الزيدي مصنّفاً بأصناف متعددّة .

ولكن من قال إنّ التاريخ وحده عليه أن يستوعب هذه الفصول كلُهّا ؟ !

الشخص حينما يؤرّخ المذهب يؤرّخه في نشأة البدء ويؤرخّه في جذوره الزيدية إذا أُريدُ لها أن تؤرخ تاريخا واضحا يجعًل كُلّ فصولها متماسكة مع ما سبقها من الفصول ومتناسبة مع ما جاء بعدها من التغيير أو التطوير أو اتخّاذ صورة جديدة أخُرى تختلف عن صورتها الأولى ، إنّ المؤرّخ يستوعب هذا كلهّ ، ثم مُثلا بالنسبة إلى الزيدية فإنه يؤّرخ الزيدية في جذورها الأولى ، ولكننا نحن وأنا بالذات لا أريد أن أستوعب تاريخ الزيدية ، وإنّما أنتوع العبر والعظات من ماضي ما وقع بيننا وبين المسلمين ، وما جرى علينا نحن شيعة أهل البيت (عليهم السلام) باختلاف أصنافنا أن ننتوع العبر والعظات ; كي يكون ماضينا عبرة لمستقبلنا .

وحاضرنا هذا نعيشه . إن شاء الله . بسلام وأمان واطمئنان وثقة بالنفس ويقين بحصول الهدف والمساعدة في حياتنا هذه وفي حياتنا الأخرى ، ولكننا لا نملك مثل هذا اليقين بالنسبة إلى مستقبل أيّامنا ، فعلينا أن ننتوع من ماضينا وماضي غيرنا العبر والعظات ; كي نبني مستقبل أجيالنا على أرضية تجعلهم لا يصابون بمثل ما أصبنا به ، أي : أجيالنا المتقدّمة بما لم يكن يرضونه لأنفسهم ، ونحن لا نرضى لهم بمثل ذلك ، فأجعل من بحثي هذا ملاحظات وتأمّلات حول الزيدية .

هذا العنوان قد يسمح لي بأن أغفل أو أتغافل عن بعض الجوانب التي تفيد المؤرّخ في تفاصيلها ، ولكننا لا نستفيد منها عظة بالغة كاملة فلنغفلها أو نتغافل عنها .

أقول : أجعل بحثي هذا بصورة تأمّلات

إنّ الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) أوصى بالخليفة من بعده

أصيب المسلمون بواقع قيل إنّهم استقبلوه كمفاجئة لم يكونوا يرضونه لأنفسهم ، وهو أنّ نبي الله وخاتم النبيين (صلى الله عليه وآله وسلم) مات بين أظهرهم ولم يذكر لهم شيئاً فيما يجري بعده عليهم ، مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يذكر في أمر الخلافة شيئاً ، بل ولم يذكّرهم كيف يصنعون بأنفسهم ، ولا أنهّ (صلى الله عليه وآله وسلم) بينّ لهم شيئا ، ولا أ نّه عينّ لهم كيف يصنعون ؟ ! فجاءهم موته (صلى الله عليه وآله وسلم) فرأوا أقرب الأمور إلى حكمتهم أن يستغلوا اجتماعا صغيراً خاصاً بفئة من المسلمين اجتمعت في موقع سميّت المحاولة فيما بعد باجتماع سقيفة بني ساعدة ، استغلوا هذا الاجتماع فاختاروا لأنفسهم .

والذي حصل بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حصل متأرجحاً غير متماسك ثمُ استقر ، مات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولم يقل في الخلافة شيئاً ، ولم يذكر كيف يختارون لأنفسهم خليفة ، لا أريد أن أناقش هذا وإلا

فأوضح الأشياء أنّ موت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن مفاجئاً ، بل سبقت كثير من النذر بموته ، مرض (صلى الله عليه وآله وسلم) في أوائل صفر من السنة الحادية عشر من الهجرة ، واستمر به مرضه يُخف عليه يوماً ويشتد عليه يوماً آخر ، والمرض طال حدود عشرين يوماً وأكثر أو شهراً وأكثر ، لماذا ؟

لأنّ الذين يؤرّخون موته (صلى الله عليه وآله وسلم) بما لا يخرج عن شهر صفر يؤرّخونه باليوم الثامن والعشرين من شهر صفر ، وهو المشهور بين علماء الإمامية ، فيكون بين الإنذار بالموت وبين الموت فاصل زمني يزيد على العشرين يوماً ، والذين يؤرّخونه بتاريخ تتجاوز أيّامه شهر ربيع الأوّل المرض الذي دام بالنسبة إليه في نظر من يؤرخ بهذا التاريخ اليوم الثاني عشر من ربيع الأوّل ، المشهور بين غيرنا اليوم الثاني عشر من ربيع الأول ، أي : يوم الاثنين .

وأنا لا أريد أن أدخل في هذه المناقشة وأنّ اليوم الثاني عشر من ربيع الأول لم يكن يوم الاثنين في تلك السنة ، هذه مناقشات يجمع كُلّ هذه الأقوال شيء واحد ، وهو أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يفاجأ بالمرض ، يعني لم يكن ذلك الشخص الذي مرض يوماً أو يومين أو ثلاثة أيّام ، وطبعاً هذا بالنسبة له غير معقول لا يتعقلّه المسلم ، ولنفرض أن هذا حصل بالنسبة إلى غيره من الأناس العاديين ، ففوجئ بالمرض إلى أن يعود إليه حُلمه وتعود إليه الأفكار التي كان يحلم بها ، والتي كان يعيش لأجلها ، والتي كان يأمل أن تستمر بعد وفاته وتأتيه تلك .

إنّ هذا المرض قد يكون ينتهي به إلى الموت فهل أنّ المرض أو الحادث كان مفاجئة ؟ ! نسي وغفل كإنسان عادي أن يوصي بما يرجع إلى ما بعد وفاته ، وأنّ خير مثال لهذا أن يكون الشخص قد اصطدم بحادث سيارة ، أو حينما كانت الأرجل هي المطايا في صعوده في طريق جبلي أو نزوله في ذلك الطريق انزلق فأصيب أصابة بالغة ، ولم يدم الحال بالنسبة إليه إلاّ ثلاثة أيّام أو أقل أو أكثر بقليل ومات ، أمّا الذي يستمر به مرضه أكثر من عشرين يوماً كيف نفرض أن هذا في طيلة هذه الأيّام لم يقل بالنسبة إلى من كانوا حوله شيئاً أبداً ؟ ! ماذا تصنعون مع أنه قال لهم كلّ شيء ؟ ! راجعوا كتب السيرة التي وصلتنا عن طريق غير الإمامية أنّ هناك أشخاصاً من الصحابة نساءً ورجالا يؤكدّون أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مات ولم يوصِ شيئاً ، سوى أنهّ قال : اخرجوا اليهود من جزيرة العرب [1] ، وهذا شائع عندهم .

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي لا يجرأ مسلم أن يقول بأنّه كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقلّ إخلاصاً ونصحاً لأمّته من أي فرد من هذه الأمةّ ، بل لابد أنّ نقول بأنه كان أنصح من كان له أن ينصح هذه الأمة ، يوصي الأمة بإخراج اليهود ، وإخراج اليهود عملية

1- انظر : صحيح البخاري ٤ : ٦٥ ، سنن أبي داود ٢ : ٤٠ .

جماعية تستدعي قوة حكومية ، فلنفرض أنّه أوصى بإقامة الصلوات النوافل وهي عملية فردية ، لك أن تتقيدّ بهذه النصحية ولغيرك أن لا يتقيّد بها ، فيكون هناك مصلوّن صلاة نوافل ويكون هناك تاركون لصلاة النوافل ، ولكن إخراج اليهود عملية

جماعية تستدعي قوّة وقدرة وتوجيه لتلك القوّة وآمرية وآمر ومأمور ، وتستدعي أن يكون هناك مسؤول عام يملك كلُ مّا تملكه الأُمّة من قوّة ، وتستدعي أن يكون هناك من عليه أن ينفذ هذه الآمرية ، يأمر شخص فينفذه آخر ويعينُه أشخاص ، فلنعبر عنهم بالجنود أو نعبّر عنهم بالأعوان ، أو نعبرّ عنهم بالأصحاب ، أو نعبرّ عنهم بالذين كانت تربطهم بالآمر رابطة نسب أو سبب قومية قبلية ، وأيّ رابطة تعبرّون فهي ليست عملية فردية يتقيدّ بها شخص ولا يأخذها مأخذ الجد آخر ، من الذي أمره (صلى الله عليه وآله وسلم) عند هؤلاء بأنّ أخرجوا اليهود من جزيرة العرب ، لابدّ وأن يكون في رأيه (صلى الله عليه وآله وسلم) من يصحّ أن تتوجّه إليه هذه النصيحة بحيث يكون هو المسؤول عن الأُمّة وعما تملكه من قوة وقابلية للانسلاك كجندي وعسكر وما شابه ذلك من التعابير .

هذه الحالة التي قالوا عنها أو حينما دافعوا لن نجد فيما حضرنا أكثر من أن نلجأ إلى انتخاب خليفة ، وحينئذ لم نقل بأنّه كان خيرنا ، كما أنّ الخليفة الأول نفسه حينما خطب فيهم قال : وليتّ عُليكم ولست بخيركم أو لست بخيركمّ [1] إن كان قوله فأنا لم أسمعه حينما تكلّم يعني خطب هذه الخطبة .

ومع الأسف الشديد إن كان هناك تسديد فهو من عند الله والكتبة من الملائكة لا من عند البشر ممن يمكنهم أن يسمعوا صوته الآن أو ينقلوا إلينا صوته ، إن كان قوله « لست بخيّركم » فالمعنى شيء أو و « لست بخيركم » فالمعنى

1- مصنّف عبد الرزاق ١١ : ٣٣٦ ، المعيار والموازنة : ٣٩ ـ ٤٠ ، ٣٢١ ، تأويل مختلف الحديث : ١٠٩ ، كنز العمّال ٥ : ٥٥٩ ، ٦٠١ ، ٦٠٧ ، ٦٣٦ ، تاريخ الطبري ٢ : ٤٥٠ ، سيرة ابن هشام ٤ : ١٠٧٥ .

شيء آخر ، لست بخيّركم يعني لست ممن يأهل أن تُسند إليه الولاية وإن قوأتِ « لست بخيركم » فمعناه أنه هناك أشخاص هم أولى بأن تسند إليهم الولاية ، ولكن فيما حضر من المسلمين يوم السقيفة لم يجدوا أمامهم خيراً سوى أنا فاختاروني ، أنا الأولى ما أفسّرها فالتفسير واضح لست بخيّركم أو لست بخيركم ، خيركم معناه أنهّ أنا من الطبقة الأخرى التي . . .

أسكت هنا والسكوت خير .

هذا كلامه ، وبعد ذلك حينما وجدوا أنّ هذه القاعدة فيها تهديد لأُسس ما بنوا عليه خلافتهم ، قال قائلهم الثاني : «ألا وأنيّ سمعت قائلا يقول : إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة ، نعم إنهّا كانت فلتة ولكن وقى الله المسلمين شرهّا ، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه» [1] ، وأنتم تعلمون أنّ الذي قال هذا القول إنمّا هو صاحب الخليفة الأولّ ووراثه ، والذي حل مّحله بتعيين منه وحده بحيث إنّ المراجعة للخليفة الأول إن كان بين ثلاثة اختار اثنان منهم ، ثالثهم الخليفة ، الأولّ أبو بكر بن أبي قحافة ، والثاني صاحبه عمر بن الخطاب ، والثالث صاحبهما أبو عبيد بن الجراح ، هؤلاء فيما بينهم تدافعوا الخلافة كُل منهم يدفعها إلى صاحبه ، وكان الحاسم هو أنّ الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مدّيده إلى الخليفة الأولّ الذي فيما بعد أصبح الخليفة الأولّ وبايعه ، والخليفة الثاني حينما أسند إليه الخليفة الأوّل الخلافة لم يستشر ولا واحداً ، ولنفرض أنهّا بهذه البساطة أنت أنت لا أنا ، بل أنت ، فبالنسبة إلى تعيين الخليفة الثاني كخليفة للأوّل لم تكن هناك مشورة حتىّ بهذا المستوى من المشورة البسيطة .

هذا الوضع أوجد انفعالا عاطفياً عند فئة من المسلمين ، لا أقول بما قاله مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلمات ، ومنها قوله (عليه السلام) في الخطبة الشقشقية ،وإنّ

1- مسند أحمد ١ : ٥٥ ، مجمع الزوائد ٦ : ٥ ، مصنّف عبد الرزاق ٥ : ٤٤١ ، مصنّف ابن أبي شيبة ٨ : ٥٧٠ ، وغيرها .

الذي يقال وما أكثر ما يقال ، وتكمّ به أفواه ، وتصمّ به أسماع ، هو أنّ الباحث العقائدي لابد أن يكون محايدا ، أنا لا أتكلم في فلسفة الحكم والقضاء ،ولا أتكلّم في الانطباع أو التأطير الذي لابدّ وأن يؤطرّ به الباحث بحوثه ،وهو أن يكون محايدا ، وحينما يؤرّخ حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتّى كلمة رسول الله يحذفها كما يصنعه البعض ، وحتىّ صلى الله عليه وآله وسلم يحذفها كما يصنعه البعض حتّى لا يجعل نفسه ظاهراً بمظهر من يؤمن بمن يؤرخّ حياته سلفا .

أنا لا أدعي هذا ولكن هناك كثيرين يدّعون لا لكي يقيّوا أنفسهم لكي يصموا أسماع الناس ، يحاولون أن يصموها ولا يسمعون غير ما يلقونه هؤلاء ،وأن يكمّوا أفواه قادرة على النطق منطلقة بأفكار لا يرتضونها ، هؤلاء أوليس من صالحهم أن يسمعها من يسمع كلامهم المسلم حينما يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) في خطبته المعروفة بالشقشقية : «أما والله لقد تقمّصها ابن أبي قحافة ،وهو يعلم أنّ محلي منها محل القطب من الرحى ، ينحدر عنيّ السيل ،ولا يرقى إلي الطير . . . . إلى آخر ما يقول بالنسبة إلى الخليفة الأوّل . بينا هو يستقيلها في حياته إذ عقدها لآخر بعد وفاته . . .» [1] .

كان هناك نوع من المصالحة فيما بينهم ، نوع من الاتّفاق بينهم ، أن يكونوا شركاء فيما يصنعونه ، ولكن بحيث إنّ هذه الناقة ناقة الخلافة لا تقبل بأن يشترك فيها اثنان في حلبها ، وفيما تنتجه من ألبان ومشتقات الألبان ومضاعفات الألبان ، فيتناولونها زمناً بعد زمن ، الزمن الأول للأوّل ،والزمن الثاني للثاني ،وإن كان زمن الأوّل لم يدم سوى سنتان وعدة أشهر ، وزمن الثاني دام حدود عشر سنوات وأكثر ، ولماذا زمن الأوّل انتهى بهذه السرعة ، وزمن الثاني دام إلى أن حدث ما حدث ، ولا أقول متى حدث وكيف حدث ؟

وهناك فئة تستقبل هذه الأحداث ، وفئة قد درت ظهرها بحسب التاريخ

1- نهج البلاغة ١ : ٣٠ ، الخطبة الشقشقية .

وراء هذه الأحداث ، على كُلٍّ حصل هناك نوع من الجفاء العاطفي للجهة التي حكمت ، أقول : جفاء عاطفي ،ولا أقول : لم يعطيا فدكاً بنت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وصنعا ما صنعا ،ولا أقول كفرة ، بل أقول : الجفاء العاطفي ، حصل الجفاء العاطفي من الجهة التي فرّت ، وحصل الاستياء العاطفي من الفئة التي كانت تأمل أن تكون الأحداث قد وقعت . إن كان لابدّ من وقوعها . بغير الصورة التي وقعت عليها .

أمل الفئة الأولى إلى حدّ ما أُصيب بنوع من اليأس بالنتائج حينما حدث لعثمان ما حدث ، هم كانوا يأملون أن تكون خلافتهم

التي صنعوها تدرّ عليهم ما كانوا يحلمون بأن تدرّ عليهم ، ولكن عثمان أساء ظنهّم ، لا أقول : أساء السيرة حسب القواعد الإسلامية ، لا أقول ذلك : لأنّي أخشى أن أقول هذا ، لا أريد أن أقولها هنا الآن ، أصابهم ما أصابهم من الخيبة فانقلبوا عليه ، وأصابه ما أصابه من الولاة الذين كان يطمع فيهم ، وأساس الخلاف أنّ الخليفة الثالث كان يرى الخلافة شيئاً أعطاه الله لا تنتزع حينما اقترح عليه بإلحاح أن يعزل نفسه .

وهنا لابدّ لي من ملاحظات :

أساساً الخلافة التي تكون انتخاباً بشرياً في أي قرض من قروض الانتخاب ، القرض الذي يكون للمنتخبين سابق خيار ، وسابق عهد ، وسابق درس ، وسابق مطالعة ، وسابق حساب بالخسارات التي يخافون أن يخسروها ، وبالأرباح التي يأملون أن يربحوها أو لا ، حالة مفاجئة فوجئوا فاختاروا دفعاً للانتكاسات التي كانوا يخافون أن تقع ، وللخسائر التي كانوا يرون أنهّم إن لم ينتخبوا شخصاً يتولّى أمورهم ، هذه الخسائر تؤدّي بهم إلى حالة أسوأ من حالة عدم الانتخاب ، إن الانتخاب يكون ولاءً مادام العمر .

أنا لم أجد إلى الآن دليلا على أنّ الخليفة الذي ينتخبه المسلمون تكون خلافته مادام العمر ، لماذا لا يكون الخليفة كالوكيل الذي ينتخبونه ؟ لماذا لا يكون الخليفة كالوالي الذي كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوليه أمراً من الأمور ، قيادة سريّة ،

قيادة جيش ، ولاية على بلد ، كالوالي الذي عيّنه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على مكّة المكرّمة بعدما فتحها أو على الطائف بعد وقعة حنين وفتح الطائف ، أن تكون الولاية حسب المصلحة ، لا أنّها مادام العمر ، بحيث لا يمكن للذي انتَخَب أن يستدعي التخلّي ، ولا للذي انتخُبِ أن يجعل نفسه مقيلا معزولا باختيار ولو بعد عشر أو عشرين سنة من توليه الخلافة ، فكان الخليفة الثالث يقول : لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله [1] .

إن كان القميص ألبسه الله فرأي الستة أو الفئة الغالبة لا بحسب العدد وإنّما بحسب الدستور السوي إن صحّ هذا التعبير ، يعني الشورى الذي عيّنه الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، وجعل أعضاءه ستة ، أدخل فيهم من غيرهم شخصاً واحداً وهو أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وإلاّ كان أولئك الخمسة متماسكون متفاهمون فيما بينهم منذ جاهليتهم ، لا أنّ هذا التفاهم حدث بعد ما أسلموا ، والتقى بعضهم ببعض بعدما أسلموا .

كانوا فئة متصادقة متفاهمة منذ أن كانوا في مكّة المكرّمة قبل أن يبعث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقبل أن يسمعوا دعوته ، استجابوا لها ، وكيف استجابوا ؟ لا أتكلّم عن هذا ، جاءت خلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، الخلافة هذه أصيبت بانتكاسة عاطفية بالنسبة لمن كان يرجو كُلّ خير منها ، لا لأن صاحبها عجز ، بل لأن الذين كانوا عامة مّن تولى أمورهم يريدون منه شيئين : أن يسير بسيرة الشيخين ، وأن لا يقيّدهم بما كان الشيخان يقيّدان المجتمع المسلم يومذاك ، وفي هذا تناقض صريح في السيرة ، كانوا يقولون بأنّنا توسّعت حالاتنا وليس لنا أن نرضى بما كان الخليفة الثاني يقيدّنا به ، وكانوا

يأملون من أمير المؤمنين (عليه السلام) أن يسير فيهم بسيرة الشيخين ، مع أنّه لم يتقيّد بهذا القيد ، فكانت النتيجة أنهّم يبيحون لأنفسهم بالظهور بمظهر المخالف ،وإن كان لا عن قصد بما لم يكونوا يجرأون على واحد من مائة منه أيّام الخليفة الثاني .

1- تاريخ الطبري ٣ : ٤٠٧ ، شرح نهج البلاغة ٢ : ١٥٠ .

الخليفة الثاني حينما كان يأمرهم لم يكونوا يجدون لأنفسهم أيّ خيار سوى أن يتقيّدوا بما كان الخليفة الثاني يأمرهم به ، لا أقول : الأوّل والثاني ; لأنّ الخليفة الأوّل لم تدم أيامه إلا سّنتين وأشهر فأصابوا ما أصابوا .

كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يأمرهم ، وفي هذا شواهد تاريخية كثيرة ، أذكر شاهداً واحداً الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان هو أحد الأسباب التي جعلت نفسها جذوراً للغضب والسخط لكثير من الثورات ، لأنهّا كانت مظهراً للعمل الخلافي يعني بالنسبة للخلافة ،والعمل الإمامي نسبة للإمامة ، الحجاج بن يوسف حينما دخل الكوفة وخطب خطبته البتراء صاح به جماعة ، وصفّر له آخرون ، ورموه بالحصى آخرون فقال : « أما والله أساء أدبكم ابن أبي طالب قلتم فسمع ، . . . يعني في أن تناقشوه وكان يسمع ، أما والله لآخذنّ الوحي بالسقيم . . . »[1] .

وهددهم ،وعمل بما هددهم به لا أنّه توعّدهم بشرّ ثم سُّامحهم وغفر لهم ، توعدهمّ بشيء وحينما عمل فيهم بسيرته ضاعف عليهم ما توعّدهم به في أول يومه أضعافاً مضاعفة ، فكانت النتيجة أن خّلافة أمير المؤمنين (عليه السلام) كانت نوع من الانتكاسة في رأي من كان يدافع عنها ، لا أقول بالنسبة إلى الشيعة ; لأنّ الشيعة كانوا ينظرون إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) بما ينظرون به إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فالمسلمون حينما كانوا في مكّة المكرّمة لم تختلف نظرتهم لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على أساس أنّه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يلاقي الأشدّ ممّا يلاقيه المسلمون أنفسهم ، وبعدما هاجر (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى المدينة المنورة فكان الحاكم على أمره والمتولّي لما يريد من غير أن يمنعه بحسب الظاهر مانع أو تخالفه قوة تكون لمخالفتها مثلا نوع من المقاومة لما يريده (صلى الله عليه وآله وسلم) ، أمير المؤمنين (عليه السلام) في يومين يوم جلوسه في بيته ويوم صعوده منبر المسلمين ، ورسول الله الذي توامى عليه المشركون ﴿ وَإِذْ يَمكرُ بِكَ الذِينَ

1 - انظر : شرح نهج البلاغة ٢٠ : ١٣٧ ، النهاية في غريب الحديث ٥ : ٢٠٦ ، لسان العرب ٧ : ٤٦٦ ، تاريخ مدينة دمشق ١٢ : ١٣٤ ، تاريخ الطبري ٥ : ٤٠ .

كَفَرُوا لِيثبِتُوكَ أَوْيقتلوكَ أَوْيخرجوكَ وَيمكرُونَ ويمكرَ اللّهُ واللهَ خيرَ الماكرين ﴾[1] ، هذا يومه الأوّل .

ويومه الثاني الذي أصبح أمراً للمسلمين : ﴿وَإِذْ غدوتَ منَ أهلِكَ تبوّئ المؤمنينَ مقاعدَ للقتال ﴾[2] ، الآيات الكريمة التي جاءت في سورة آل عمران ،والتي تشير إلى خروجه (صلى الله عليه وآله وسلم) في السنة الثالثة من هجرته إلى المدينة

المنوّرة مواجهاً القوة المشركة التي جاءت لكي تغزوه في دار هجرته ،وهي وقعة أحدُ الشهيرة .

أمّا بالنسبة إلى ما أصيب به كانت نكسة شيعية في نظر الشيعة لما أدّى إليه أمر أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ونكسة سياسية لمن اختاره سواءً كان من أهل الكوفة الفئة الكوفية التي كانت في المدينة المنوّرة ،والذين جاؤوا من البصرة ،والذين جاؤوا من مصر ،والأقطار المسلمة كُلّها شاركت في النفير على عثمان سوى الشام ، هذه الانتكاسة أعقبتها انتكاسة أخرى أشير إليها إشارة عابرة .

الانتكاسات التي حلّت بالأمّة :

إنّنا لا يمكن أن نأتي إلى مواقع العبر والعظات إلاّ إذا قدمّنا هذه المقدمات ، هذه الانتكاسة العاطفية أعقبتها انتكاسة أخرى ، وهو أنّهم وجدوا أنّه مادامت الحرب ليست من صالحنا فليكن السلم رائدنا ،وهو ما صنعوه بالإمام الحسن (عليه السلام) ، أجبروه على أن يسالم عدوّه معاوية بن أبي سفيان فكانت النتيجة انتكاسة ثانية ،وهي أنّهم لم يأملوا في سلمهم ما كانوا يرون بأنّهم يكسبوه في حربهم ، فكان سلمهم أسوأ عليهم أثراً من حروبهم التي قاموا بها اتجّاه عدوهم .

تلك الحروب كانت تكبّدهم خسائر مادية وجسدية ، أشخاص يقتلون

1- الأنفال : ٣٠ .
2- آل عمران : ١٢١ .

فيها ، إمّا الأساس في المال وإمّا تفضيل فئة غير مفضلّة على فئة إن لم تكن أفضل منها ، فإنها تساويها فضيلة واستحقاقاً .

هذا لم يكن في زمن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ولم يكن البريء يؤخذ ويترك الجاني ، ولم يكن غير المريض يؤخذ ويترك السقيم .

نعم ، في سلمهم ابتلوا بهذه الظاهرة فكان هذا سبب اندفاعهم الثاني ،وهو يومهم مع سيّد الشهداء صلوات الله وسلامه عليه وعلى أهل بيته وأصحابه البررة الميامين ،وأنا أعجز أن أقول أكثر منها ; لما وصفهم الله سبحانه وتعالى به .

هذه انتكاسة ثانية دعوه سلام الله عليه لكي يجعلوا منه قائداً لحركتهم ، وزعيماً لحكومتهم ،وآمراً فيهم بالمعروف ، وناهياً عن المنكر ، ولكنّهم أسلموه قبل أن يصل إليهم ، بل أسلموا صاحبه وأخاه وثقته في أهل بيته الذي بعثه إليهم ممثلّا له ،وهذا تعبير حديث أنا أعبّر به ، أسلموا من كان بين ظهرانيهم ،وهم بعد ذلك أسلموا ، لا أقول اجتمعوا فقاتلوه .

إنّ من الأخطاء الواضحة هو أنّ الذين قتلوا الحسين (عليه السلام) الشيعة ،وهي أنّ شيعة الحسين (عليه السلام) دعوه لكي ينصروه أمام عدوّه لكي يجعلوا منه خليفة يكون أقل ما يكسب أن يكون خليفة عليهم إن لم تكن خلافته تشمل الرقعة الإسلامية يومذاك بأوسع أماكنها وبأجمعها ، ثُمّ عدوا عليه فقتلوه .

لا ، هذه أكذوبة ، أسلموه يعني لم ينصروه لأيّ علةّ كانت ، هذه أصبحت عقدة نفسية عند هؤلاء ،وهي العقدة النفسية التي صنعت يزيد بن علي (قدس سره) ما صنعت ، أرادوا أن يكون عملهم جواً لما تقدّم منهم من الخذلان ، فكان أسوأ على من

وعدوه النصر ،وأصبح أسوأ بالنسبة مما فعله من سبقهم ; لأنّ من سبقهم فدوا إمامهم بأنفسهم ، فلم يصل الأعداء إليه إلاّ بعد أن قتلوا كُلّهم سلام الله عليهم أجمعين ،والذين اجتمعوا لنصرة زيد (قدس سره) في ليلة الثالث من صفر سنة ١٢٢ هـ لم يحموه ولو من النبل الذي كان يأتيهم ، فأصابه النبل ولم يقتل منهم ولا واحداً ،

قتل هو بينما كانوا قد وعدوه بالنصر ، ووفوا إلى حد ما بما وعدوا ثُمّ دفنوه ومضوا .

كُلّها أساسها نكسة عاطفية أصابت فئة من المسلمين من جراّء الحكم الذي حكمهم بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يسر من حسن إلى أحسن ، بل أقل ما يقال ويتّفق عليه الكُلّ أن أحسن أيامهم . أقصد أيام المسلمين . بعد وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هو يومهم الأوّل ،والذي تعقّب يوم وفاة نبيهم (صلى الله عليه وآله وسلم) ،والأيام التي تلت هذا اليوم ارتفع فيها نسبة الإحساس بالضياع في نفوسهم ، وقلّت فيها نسبة الأمل الذي كان يراودهم .

أقول : إن كان هناك إحساس بالأمل بحيث إنّ حكمهم إن أرادوا أن يتباهوا به فيتباهون بأوّل أيامّ الحكم الذي صنعوه لأنفسهم ،وأمّا الأيام التي تلت فلا يدافعون عنها بأنهّا أيامّ لابد منّها بعد أن خطونا الخطوة الأولى في يومنا الأول ، طبعا مثلّ هذا الحكم أقل ما يقال عنه أنّه يجب أن يزال بأحسن منه ، لماذا ؟

لأنّ العلاج الذي جعل من المريض أحسن أيامّه اليوم الأوّل من مرضه ،واليوم الثاني أسوأ من الأوّل ،والثالث أسوأ من الثاني ، فيزداد كُلّ يوم سوءا ً على سوء.

هذا العلاج معناه أقل ما يقال بالنسبة له أنّه لا ينفع المريض إن لم نقل بأ نهّ علامة على أن العلاج علاج للصحةّ لا علاج للمرض ، هذا العلاج يلزم أن يعاد النظر فيه ،وأن تعاد عملية المعالجة من جديد ، ولكن المسلمين مع الأسف الشديد أصيبوا باليأس ، ولم يفكّروا بأن يعيدوا النظر فيما بنوه ; لأنّ بنيانهم الذي بنوه ريبة ، الذي تهدمّ عليهم واقعا ً،والذي أثقل كواهلهم كُلّما تغيرّ حكمهم من خليفة إلى آخر ، ومن فئة حاكمة إلى فئة أخرى .

قيام زيد ضدّ الظلم لا يكون مبررا ً لجعله إماما ً :

وكُلّ هذا يجعل من قيام زيد أن يكون النظرة إليه نظرة خاصة جدا ّ، بين أن نجعل من زيد بن علي (قدس سره) إمام مذهب أو نجعله معلّما ً للأمُةّ في تصحيح الأخطاء

وإعادة العدل بعدما فُقد في اليوم الأول في نظر الكثيرين ،وإعادة الحقوق إلى أصحابها الشرعيين كما يقول القائلون ; لأنهّ بعدما أُخذت منهم لا بالتدريج وإنمّا من يومهم الأوّل ، هذه نقطة أقف عندها ، مع أنيّ لو أردت أن أقول كلام القلب ،وأن أنطق بما أعتقد به في قرارة النفس لوصفت حكمهم الأوّل بما خاطب الله به هذه الأمُةّ في حياة رسولهم (صلى الله عليه وآله وسلم) : ﴿ أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[1] ، فإذا خُاطبتم بهذه الآية الكريمة فالأُسوة بسيدّة نساء العالمين سلام الله عليها وعلى أبيها وبعلها والأئمّة الأطهار من ذريّتها أجمعين حينما خاطبت أولئك الفئة التي بدؤا أولى

محاولتهم لانتزاع حقّ سيدّهم من يده ، والاستئثار بالحق دونه وبما صنعوه بالنسبة إلى الصديقّة الطاهرة (عليها السلام) من موقفهم من نحلتها التي نحلها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومن إرثها الذي تركه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لها على أساس الضوابط والأسس القرآنية التي قالها القرآن الكريم بصراحة خاطبتهم : ﴿ أَ فَحُكْمَ الْجاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ ، إن أردت أن أقول كلمة القلب ورأي العقيدة التي أعتقد بها فأجمل وأشدّ اختصاراً لكلمتي أن تكون هذه الآية الكريمة مصداقاً لما فعلوه ، ما فعلوه لم يكن سوى حكم الجاهلية ، الحكم الذي أخرج منه الإسلام ، والذي أعيد إلى الأجواء التي كانت تحكم هؤلاء قبل بزوغ شمس الهداية وطلوع البعثة الإلهية على يد خاتم النبيّين محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) .

هذه ناحية .

متى يكون الإنسان مستحقّاً للخلافة :

الناحية الثانية : إنّ الأشخاص الذين يكون لهم الحقّ في أن يبيتوّا لغوهم الحكم الشرعي . طبعا هذه التعابير أريد أن أعبر بها لأنّي أريد أن أُجمل وأكون

1- المائدة : ٥٠ .

محايداً في التعبير . ينقسمون إلى قسمين قسم يكون أصيلا في إعطاء الحكم بحيث ما أعطاه لا يحتاج إلى الرجوع إلى غيره ، لماذا ؟

لأنّه ينفي عنه احتمال السهو والنسيان الجهل والخطأ والاشتباه ، كلّ هذه الاحتمالات منتفية عنه ، مثلا : الآية الكريمة حينما تقول : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ ﴾[1] ، فالله سبحانه وتعالى يجعل من السائلين عن حكم الكلالة بالمستفتين ، ويجعل من نفسه وهو إله الحق أجمعين مفتياً ، هذا المفتي وهذه الفتوى تختلف عن كلّ مفت وكلّ فتيا ، لماذا ؟

لأنّ الله سبحانه وتعالى لا يحتمل في حقّه الجهل والخطأ والنسيان في الحكم ، ويحكم بما يصلح العباد ، ويدفع عنهم ما يضرّهم . هذا نوع من الفتوى ، وأقول : إن صحّ التعبير أنّ الله سبحانه وتعالى عبرّ عن نفسه ﴿ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ ﴾ ، فيصحّ لنا أن نقول : نستفتي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ويفتينا ، وفتوى الإمام (عليه السلام) عندنا نحن الإمامية كحالة الفتوى من نبي الإسلام (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكحالة الفتوى من الله سبحانه وتعالى ، هذا نوع من الفتوى .

وهناك نوع آخر نعبّر عنه بالاجتهاد ، لا أُريد أن أستعرض ماضي هذه الكلمة ، بعد عصره (صلى الله عليه وآله وسلم) كانوا يعبّرون عن الرأى المصيب الذي جاء مطابقاً لما في الكتاب والسنة بالفتوى ، وما لم يجدوه في الكتاب والسنة بالاجتهاد .

الخليفة الأوّل في نفس خطبته التي أشرت إليها يقول فيها : ألا وإنّ . هو يسميّه باسمه الكريم ، أنا أقول : ألا وإنّ رسول الله

(صلى الله عليه وآله وسلم) . كان يأتيه وحي السماء ألا وإنّ الوحي قد انقطع . أنا أقول لموت سيّد الأنبياء وخاتمهم . طبعاً غيرت ألفاظه ; لأنّه كان يملك من الحرية أن يعبرّ عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما لا يمنعه عن نفسه ، ألا وأنيّ مثلا حصل لي شيء فإن وجدت فيه كتاباً وسنّة عملت به وإلاّ . هذا نص كلامه . اجتهدت رأي ، فإن أصبت فمن الله وان أخطأت فمن نفسي ، أي :

1- النساء : ١٧٦ .

الاجتهاد بالرأي .

إنّ الإنسان لابدّ أن يبحث هنا وهناك ، يجد ّ ويجتهد ويكدح حتىّ يجد منفذا ممًا يمّلك لانتزاع حكم ما لم يجد حكمه بصورة مباشرة . هذه الألفاظ منّي لتوضيح الفكرة . ما لم يجد حكمه بصورة مباشرة في الكتاب والسنّة فكان الاجتهاد بمعنى إعمال الرأي مقابل الفتيا بنصّ الكتاب والسنّة ، ومن هنا كره الاجتهاد من كره الفتيا بالرأي ، وأحبّ من أحبه في اليوم الأول ، وبعد ذلك تغيّر معنى الاجتهاد .

أقسام المفتي

المفتون أنا أقول بمعنىً عام ينقسمون إلى قسمين : مفت يكون فتياه أمام المستفتي وفي نظر المستفتي كالفتوى التي يستفتيها من الله سبحانه وتعالى ، وتتول بها الآية الكريمة وتخوه بالفتيا نفسها : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾ .

وفتيا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) . وطبعاً هذا التعبير غير متعارف . كفتياه جلّ وعلا ، وفتيا الأئمة من هذا القبيل ، وهناك من يستفتي غيره ; لأنّه يجد غيره أعلم بالكتاب والسنّة ، فبدل أن يجتهد هو بنفسه يعتمد على اجتهاد من يجده أكفأ للاجتهاد وأسبق لحل العمل بهذه التجربة ، وفقهاء المسلمين كُلّهم سواء أكانوا فقهاءنا نحن الإمامية أم فقهاء غيرنا من هذا القبيل لا يحكمون الكتاب والسنّة ، وإنمّا الكتاب والسنة تحكمهم ، أما غيرنا الأصل هذا ، ولك أذكر هنا قصة صديقي المرحوم الدكتور السيّد مصطفى جمالين أخذ شهادة البكلوريوس من كلُيّة الفقه ، وتقدم إلى الماجستير في مؤسسة الدراسات الإسلامية العليا التي كانت آنذاك في العراق ، وكان شيوخه في الدراسة عدّة ، منهم : الشيخ عبد المقصود شلتوت ابن أخ الشيخ محمدّ محمود شلتوت ، وصهره على ابنته ، وآخرون ، وكانت أطروحته القياس في الفقه الإسلامي .

الأطروحة طُبعت ، وأنا بنفسي قرأت الصيغة الأولى لهذه الأطروحة ، والتي تقدمّ بها لاستحصال درجة الماجستير في العلوم الإسلامية ، الهيئة العليا التي ناقشته اشترطت عليه شرطاً واحداً أنهّ تعطيه درجة امتياز بشرط أن يحذف منها فصلا خاصّاً معيناً مَن أولهّ إلى آخره ، وهو أي فصّل ؟

فصل قال بأنّ رأي علماء الأحناف رأي أبي حنيفة . إن عارضه آية أو سنُةّ فالأساس أن تؤولّ الآية وتؤول السنة ،

المصيب الرأي فإن خالفه كتاب أو سنّة نؤول الكتاب ونؤول السنة ّ .

وكان قد أحصى جملة من تلكم الموارد عند فقهاء الأحناف وعلمائهم في الأصول ; لأنّ الأحناف أسبق الناس في تدوين أصول الفقه رضي بذلك راض أم غضب بذلك غاضب .

وقالوا له : إنّ الفصل صحيح ، وكلُ ّما جئت بَه فهو واقع ، ولكن ما كل ُماّ هو واقع نرضى بأن يكون معلوما منً قبل غيرنا ، نعطيك درجة الامتياز شريطة أن يكون هذا الفصل محذوفاً .

وكان هذا الفصل أوّل فصل من الرسالة المقدّمة إلى اللجنة .

وعندي أمثلة كثيرة من هذا القبيل ، وهذه الأمثلة لم تسمعوها لو سكت عنها العالمون بها ، لم يسمعها أيّ إنسان في هذا الجو الذي نعيشه .

أئمّة المذاهب دعواهم أنّهم انتزعوا آراءهم من الكتاب والسنةّ ، فينسبون للشافعي أنه ّكان يقول : إن وجدتم في كتاب أو سنّة رأياً يخالف رأيي ، فذاك رأيي ، وأماّ الرأي الذي قلته وهو خلاف ما جاء به الكتاب وجاءت به السنة ّفأنا أتبرأ مّنه ولو بعد ألف سنة من وفاتي !

لا أقول هذا ينفع أو لا ينفع ، لا ، زيد بن علي (قدس سره) فقيه من فقهاء الأُمّة وليس إماما ًمن أئمتهاّ الذي يعتمدون عليه في أخذ دينهم بأكمله ، مثلا : غير الإمامية دعواهم أنّهم في العقائد لا يأخذون إلاّ ماجاء به الكتاب أو السنةّ ، وحتىّ التقسيم

المذهبي في الاعتقادات كالأشعرية والماتريدية وأمثالها يقولون بأنّهم علماء مذهب ومعلّمون لمدرسة كلامية لا أنهّم أئمة ّ، الإمام هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، غيرهم يقولون الإمام رسول الله وبعده اثنا عشر إماماً ، عينّهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بتعيين إلهي بدأوا بأمير المؤمنين (عليه السلام) ، وانتهوا بخاتم الأوصياء مهدي هذه الأمّة الموعود بغدها المشرق ، والذي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً ، كما ملئت معناه معنى بعدما ملئت ، من فهم الإشارة ومن لم يفهمها فالموعد القيامة .

زيد بن علي (قدس سره) أحد فقهاء المسلمين ، أساساً إعطاء كلمة إمام مذهب لمذهب فقهي صحيح ، الإمام أبو حنيفة نعمان بن ثابت بن زوطي الذي ولد سنة ٧٥ هـ على احتمال قوي وتوفّي سنة ١٥٠ هـ ، والإمام مالك الذي توفي ١٧٩ هـ ، والشافعي الذي ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفي سنة ٢٠٤ هـ في مصر لا في القاهرة ; لأنّ القاهرة بنُيت بعده ، وأحمد بن حنبل الذي ولد سنة ١٦٤ هـ وتوفّي سنة ٢٤١ هـ ، كُلّ هؤلاء أئمةٌ مذاهب ، أئمة ّفقه ، ولأجل هذا الفقير الذي يتبعهم في الفقه كالذي يُسمّي نفسه شافعيا قًد يكون معتزليا ، ًوقد يكون أشعريا ، ًوقد يكون لا ، فابن كثير تلميذ ابن تيمية فّي عقائده ، يدافع وينتمي إلى الفقه الشافعي ، وكالذهبي صاحب الكتب الشهيرة في رأيه الاعتقادي يتبع أستاذه ابن تيميّة ، وفي الفقه يتبع الفقه الشافعي .

زيد بن علي (قدس سره) إن لوحظ على أساس أنّه فقيه فالذي يجعله إماماً في الفقه لابدّ وأن يصحح تقليده لنفسه ، يعني أن يصحح لنفسه أن يقلّده في الفقه ومثل هذا يتأتىّ بالنسبة إلى من ليس بفقيه ، والمفروض أن ّتقليد الحي غير لازم أبدا ، ًويصح

تقليد الميت ابتداءً ، هذه ملحوظة اجعلوها في ذهنكم ; لأنّها ستنفعنا في ما بعد كثيراً .

عدم ادّعاء زيد للإمامة :

من يجعل زيداً (قدس سره) إماماً له يجعله إماماً في الفقه ، الشرط الأولّ أن لا يكون

هو بنفسه فقيهاً ، وكثير من أئمّة الزيدية كانوا يدعّون لأنفسهم الفقاهة ، فكيف جعلوا من أنفسهم أتباعا لزيد في كل شّيء ؟ !

في العقائد كيف جعلوا من زيد إماماً في العقائد ؟ !

في الفقه كيف جعلوا أنفسهم مقلّدين لزيد مع أنّهم يدعّون الاجتهاد ، وقد يخالفونه في ما ينسبون إليه من رأي فقهي ؟ !

وإن جعلناه إمام مذهب فعلينا أن نُحمّله ما لا أرضى بأن يحُملّ أنه جّعل من نفسه إماما يطًاع في كل مُا يّقول سواء ما كان يرجع إلى العقيدة ، وأمّا ما كان يرجع إلى العمل وزيد لم يرض لنفسه هذا ، بل لم يرض لنفسه أن يكون أحد فقهاء هذه الأمّة ، وإنّما كان غاية ما يدّعيه أنّ هناك شيئا تّركه المسلمون مع أنهمّ يعلمون حكمه ولكن أهملوا وتكاسلوا وتغافلوا وأسخطوا ربهمّ ، وذلك هو القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

لم يدّع أنّه إمامهم في العقيدة لكي يرضى لهم صورة معينّة من العقيدة ، يدافع عنها ، ويلزمهم بأن يتقيدوّا بها ، ويأخذوها كعقيدة ، ولم يدع لنفسه نوعاً معينّا مًن الفتيا ، عليهم أن يتبعوّه فيها ، وهو الذي نصطلح عليه بالمرجع المجتهد صاحب الفتوى ، وبالمقلّد ، وبمن يأخذ رأيه ، وبمن يتبّعه في العمل ، بل أخذ البيعة منهم على أساس أنهّم يجعلونه قائدا لهم في تطبيق حكم من الأحكام ، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولو قلنا في أقوى مصاديق وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ; لأنّه كان يجد في الحاكمين على المسلمين من غير رضىً منهم أشد أنواع أعمال المنكر وأشد أنواع ترك المعروف .

فغاية ما نرى في دعوة زيد (قدس سره) أنّه أراد أن يجعل من المسلمين عاملين بفرض من فروض الله سبحانه وتعالى ، لا أن يعلّمهم ما كانوا يجهلوه من عقيدة صحيحة في رأيه أو يعلمّهم ما كان يجدهم جاهلين له من الأحكام الشرعية .

وهذه النظرة وهي في رأيي النظرة الصحيحة لموقف زيد المصحح لها

التمكّن من القيام بالمعروف والنهي عن المنكر ; لأنّ هذا التمكنّ يضاده فقد الحياة وعرض النفس للقتل ، التمكن اللساني ، غايته أنّه يُجلد جلدة أو يصفع صفعة على الوجه أو على الخد أو على اليمين أو على اليسار ، وأماّ التصديّ للطغاة الحاكمين فأقل ما يلاقيه الشخص إن لم يفز بقتل فقد يقع ما هو أسوأ من القتل .

زيد بن علي (قدس سره) كان إماماً . إن صحّ هذا التعبير . في النهوض بالناس للقيام بفريضة من فرائض الله سبحانه وتعالى وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لم يقل لهم بأنّكم تجهلون عقيدة أنا أعلمّكم بها ، تجهلون حكما إسلاميا أنا أعلّمكم بالحكم ، أو إذا نسيتم فأذكرّكم ، وانمّا قال لهم : بأنكمّ تعلمون كلكمُ بأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خصوصا

في أسوأ موارده وأصدق مصاديقه وهو أمر هؤلاء الطغاة الحاكمين بالمعروف الذي تركوه ويتركونه مائة بالمائة ، ونهيهم عن المنكر الذي تقيّدوا بالإتيان به بأيّ شكل كان وبأيّ صورة كانت ، وبالنسبة إلى أي فئة من المسلمين ، كان هذا المنكر يضرّ بهم وبمصالحهم الذي قاله زيد (قدس سره) هذا لا أكثر ، فجعله أصلا بعنوان الإمام زيد فيه نوع من المسامحة .

نعم ، سُمّي بالإمام من يكون حذاء زيد أشرف منه بين المسلمين ، لكن تلك التسمية تسمية غير صحيحة فلا تجُعل ذريعة لتسمية زيد بن علي (قدس سره) ، وإذا قلت : إن صحّ منّا التعبير إمام الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في زمانه لا يصحّ وصفه بالإمام وإسناد مذهب من مذاهب المسلمين إليه .

قلت : بأنّ المسلمين سموّا أشخاصا بالأئمة حذاء زيد أشرف منهم ، أو ليس معنى أنهم أخطؤا أو أوقعوا أنفسهم في مخالفة واضحة للضوابط الإسلامية أن نصنع نحن أيضاً هذه المخالفة وإن كانت أقل بالنسبة إلى مخالفتهم ؟ !

فالنقطة الثانية التي علينا أن نجعلها أنّ ما قام به زيد (قدس سره) لم يكن سوى تمكينه عن طريق إعطاء العهد بالبيعة بإعانته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى أن يؤدّي إلى إحلال المعروف محل المنكر الذي كان يعمله الطغاة

يومذاك ، ورفع المنكر عمّا كان أولئك الطغاة يتقيّدون بالعمل به بالنسبة إليهم .

وهذه ملحوظة ثانية علينا أن نلحظها حينما ننظر إلى سيرة زيد سلام الله عليه بمعنىً رضي الله عنه بمعنىً آخر ، سيرته الجهادية شيء وإمامته لمذهب شيء آخر ، زيد كان له سيرة جهادية ناصعة أدّت إلى نتيجة أو لم تؤدّ أماّ إمام فلا ، من الخطأ ما قام به الآن ما أتكلّم عن الذي حصل له هذا الخطأ وأنّه بعمد أم بغفلة تغافل أو غفلة شديدة ، وأنّه عورض زيد بأخيه الإمام الباقر (عليه السلام) ، وعورض زيد بابن أخيه الإمام جعفر بن محمّد (عليه السلام) حتّى يقال بأنّه هو الذي يعترض بأنّ جعفر ابن محمّد إمامنا في الحلال والحرام .

نعم ، جعفر بن محمّد إمام الكلّ في الحلال والحرام ، وموقع زيد في الحلال والحرام أنه متعلم من عالم لا يخطأ ولا يشتبه ولا يسهو ولا ينسى ، وهو أبيه سيّد الساجدين أو أخيه الإمام الباقر (عليه السلام) أو ابن أخيه الإمام الصادق (عليه السلام) ، متعلّم قد يجهل ولم يتعلّم كلّ ما يحتاج إليه وقد يخطأ وقد يسهو ، ولكنه لا يتعمد الفوية ، لماذا ؟

لأنّه غاية ما يقال بالنسبة إليه أنّه عادل لا يعدل عن الشريعة مقدار شعرة ، لا أنّه عالم من غير جهل ، وأنه معصون من الخطأ والنسيان ، ومصان من الخطأ والنسيان والسهو والاشتباه لم يقل بالنسبة لزيد حتّى نفسه ، فجعله إماماً لمذهب فيه مسامحة ، وكذا جعله إماماً يُعادل بأخيه الإمام الباقر (عليه السلام) أو بابن أخيه الإمام الصادق (عليه السلام) أو حتىّ بأبيه ، فما الفرق حينئذ أن يقال بأنّ زيد كان يدّعى بأنّه تعلم من أبيه سيد الساجدين .

ويقال : لا يجد في نفسه حاجة إلى أن يستأذن من أخيه الإمام الباقر (عليه السلام) فضلا عن ابن أخيه الإمام الصادق (عليه السلام) .

هذا القول في غير محلّه ، لماذا ؟ لأنّ الإمام الباقر (عليه السلام) إمام كأبيه علي بن الحسين (عليه السلام) والإمام الصادق

الصفحة 171

ومن سبقهم كالحسين (عليه السلام) والحسن السبط الأكبر (عليه السلام) وإلى أن تنتهي الإمامة إلى أبيهم أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فالإمام الباقر والإمام الصادق والإمام علي بن الحسين (عليهم السلام) مستغنون في علمهم عن غيرهم ، وزيد فقيه كعامّة فقهاء المسلمين ، وكونه غير مستغن عن هداية لا تخطأ وعلم ليس فيه جهل .

إن شاء الله كانت عبارتي واضحة قد أدّت ما كنت أحاول أن أنقله من أفكاري إلى إخواني الحضور وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

الصفحة 172

الصفحة 173

الأسئلة والأجوبة

سؤال : هذا الفرض الذي هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لماذا التفت إليه زيد (رضي الله عنه) في ذلك الوقت الذي كان فيه المعصوم إمّا الإمام الباقر أو الإمام الصادق (عليهما السلام) موجودين ولم يلتفتا إلى هذا الأمر ؟ أجيبونا جزاكم الله خيراً .

الجواب : الذي لا يصحّ لنا أن نفرضه في الأئمّة (عليهم السلام) الجهل بالحكم أو لا أدري كيف أعبرّ عنه حتىّ لا تكون فيه جسارة لمقامهم الإلهي الرفيع ، تغافل عن العمل هذا نقص ، وأمّا عدم تمكّنهم من الموضوع رغم تمكنّ غيرهم من الموضوع فليس بنقص لهم ، فنقول : إنّه لو دخل شهر رمضان وكان أحد الأئمّة مسافراً وغيره ولو تلامذته حضور فالآية تقول : ﴿ مَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا ﴾[1] أناً لم أفرض المرض ، لأنّه هذا أيضاً فيه نوع من التجاسر : ﴿ أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ﴾ ، فالإمام (عليه السلام) أيّ إمام كان لا يصوم في شهر رمضان ; لأنّه على سفر ويصوم غيره ولو كان شيخاً طاعناً في السنّ إن لم يكن بسن يسقط عنه الصوم .

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يكن فريضة . لا سامح الله . يجهلها الأئمّة (عليهم السلام) ويعلمها زيد ومن يرى رأي زيد ، وإنّما الفرق أنّ زيد في الموضوع فلنفرض أنهّ كان قاطعا بتمكنهّ من القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكان الإمام سلام الله عليه يرى أنّه لا يتأتّى له ذلك ، غاية ما يكون في هذا أن زيدا في الموضوع يعني في موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو التمكّن من ذلك .

كوالي خليفة مثل يوسف بن عمر الذي تقول عنه المصادر التاريخية : ولم يزل طول دهره مخموراً لا يفيق من السكر ، أنتم تتخيّلون بأنّ الآن في عصورنا

1- البقرة : ١٥٨ .

الحاضرة يصبح شخص يتولّى منصب وهو لا يفيق من السكر .

نعم ، في سنة ١٢٢ هـ كان والي المسلمين في الكوفة والبصرة لا يفيق من السكر ، فنفرض أنّ زيداً كان يرى بأنّه متمكنّ والإمام الصادق (عليه السلام) لم يكن يرى ، فكان ينصحه بأنّه سوف يقتل ولا يقول له بأنّه يحرم عليك الخروج ، فرق بينهما شخص ينصحني بأنّه قد يكون الصوم يضرّني وأنا في قرارة نفسي واثق بأنّ الصوم لا يضرنيّ ، فأصوم فقد أتضرر وقد لا أتضرر مع احتمال الضرر ، بل وهناك من يصحح الصوم ،ولا أريد أن أدخل في المناقشات الفقهية القائمة على بحوث أصولية دقيقة .

أولى النقاط التي أحاول أن أبيّنها أنّه كان بالنسبة إلى الموضوع واثقاً يعني موضوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تام بالنسبة إليه ، فالحكم بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تام بالنسبة له ،وغيره ولنفرضه الإمام الصادق (عليه السلام) أو الإمام الباقر (عليه السلام) الذي أخذ بنصيحته لم يكن متمكّناً من ذلك في زمنه ،والأخطاء التي وقعت حتىّ من كثير من المصادر الزيدية أنّهم جعلوا من زيد (رضي الله عنه) معارضاً لأخيه الإمام الباقر الذي نصحه بعدم الخروج فخرج ، هذا خطأ واضح ، الإمام الباقر (عليه السلام) استشهد سنة ١١٤ هـ وزيد قام بدعوته في سنة ١٢٢ هـ يعني ثمان سنوات بعد شهادة أخيه الإمام الباقر (عليه السلام) .

نعم ، بالنسبة إلى الإمام الصادق (عليه السلام) القول الذي أقوله الآن أنّه كان زيد يجد في نفسه أنّه لا يتمكنّ من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يتّفق هو مع إمامه في وجوبها ،وإلاّ الإمام الصادق (عليه السلام) ما كان ينفي وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،وإنّما كان ينصحه بأنك تستشهد قبل أن تصنع شيئاً «أعيذك بالله يا أخي . كما يقول الإمام الباقر (عليه السلام) . أن تكون شهيد الكناسة»[1] أي : كناسة الكوفة .

1- الكافي ١ : ٣٥٧ ، مدينة المعاجز ٥ : ٨٩ ، بحار الأنوار ٤٦ : ٢٠٤ .

فواضح الأخذ هنا أو الترك من موضوع الحكم لا في نفس الحكم ،وهناك حديث آخر وهو أنّ الأئمة (عليهم السلام) في الموضوعات . هذا أشير إليه . هل يرجعون إلى العلوم العادية التي يشترك فيها غيرهم معهم سلام الله عليهم أجمعين أم يرجعون إلى ما خصّهم الله سبحانه وتعالى به من موارد تمكّنهم من العلم المطابق للواقع الذي ليس فيه خطأ ولا اشتباه ؟

هذا بحث أيضاً وإن كان يتّصل بما نحن نحاول أن نبحثه لكنيّ أتجنبّه ; لأنه شيء خاص بنا نحن الإمامية ;ولأن الانتهاء فيه إلى رأي واضح يحتاج إلى زمن طويل وبحوث كثيرة .

الإمام سلام الله عليه بالنسبة إلى أعماله التي يشترك بها معنا بأن يغتسل فلا يصيب بعض جسده الماء ، ويغتسل بماء يجري فيه أصالة الطهارة مع أنّه في الواقع نجس ، لماذا ؟ لأنّه لا يرجع إلى علمه الإلهي الذي أعطاه الله سبحانه وتعالى وخصّه به .

نعم ، فيما يرجع إلى إمامته يرجع إلى ذلك العلم حينما يبيّن حكماً إلهياً ، يرجع إلى ذلك العلم حينما يريد أن يأتي بحجة على إمامته ، يرجع إلى ذلك العلم حينما يريد أن يكبت عدوّاً له ، فقد يكون زيد كان يرى أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) حينما نصحه بعدم الخروج لم يكن رجوعاً إلى علمه الإلهي ، وإنّما كان بحسب ما كان يتنبأ به من الظواهر التي تحيط المجتمع المسلم يومذاك ، والتي انتهت بالإمام الصادق (عليه السلام) إلى أنّه يرى عدم تمكّن زيد ، والتي انتهت بزيد إلى أنهّ كان يرى نفسه متمكّناً ، وإن كان زيد قد أخطأ في هذا التنبأ وأصاب الإمام الصادق (عليه السلام) في هذا التنبأ ، ولكن هذا اختلاف في التنبّأ لا مخالفة العلم الإلهي .

سؤال : أجمعت الطائفة الشيعية على أنّ للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شروطاً ، منها :

أوّلا : أن يكون له تأثير في المجتمع .

وثانياً : أن لا يلزم ضرر على نفسه أو عرضه أو ماله ، فهل كان زيد بن علي يرى غير ذلك ؟ هذا أولاً .

وثانياً : لو علمنا أنّه اجتهد فأخطأ ، فهل لنا أن ندافع عنه في زماننا هذا ؟

الجواب : أوّلا : أنا أحاول أن أقول أول ما أقول ما يكون لصالح زيد وحده ، وذلك أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينقسم إلى قسمين بحسب المعروف والمنكر : معروف يخصّ الفاعل وحده ، ومنكر يخصّ الفاعل وحده ، ومعروف يأتي بالنفع على عامّة المسلمين ، ومنكر يأتي بالضرر والخسوان والآفة على عامّة المسلمين .

من يترك الصلاة منكر يضرّ بالترك وحده ، ولا يتضرر به حتّى ابنه أو أبوه أو أخوه أو زوجه أو ابنته أو أي أحد يتصّل به ، ومعروف إن جاء به ينتفع به وحده كالصلاة أو الصوم ، أمّا الذي يحكم المجتمع المسلم بالمنكر بفاعل لمنكر أو ترك لمعروف ، هذا النوع من المنكر أو المعروف إن كان معروفاً فإنّه يشمل عامة المسلمين ، وإذا خسوه خسوه المسلمون كلهُمّ ، إن كان هناك فيء بقدر ما تسمح به الشريعة الإسلامية السمحاء هذا النوع يختص بالفاعل وحده ، وإنّما ضرره ينصب على عامّة المسلمين ، فقد تكون الشعوب تختلف ، فقد يكون زيد يرى أنّ أمر الترك للصلاة بالصلاة ونهيه عن شرب الخمر غاية ما فيه من الشروط أن يكون آملا للانتهاء ، يعني انتهائه بالمعروف بالفعل والمنكر بالترك ، أمّا الترك للمعروف الذي يشمل الأمّة كلُهّا والمنكر الذي يسيء للأمةُ كلهاُ نفّس التصدي وآجب ، وان كان لا يأمل ذلك الأمل في أن يكون تصديه دافعًا للمنكرً عن الفعل وباعثاً للمعروف على الإتيان .

فإن كان زيد إماماً معصوماً كان رأيه حجةً ، وان كان فقيها فإن رأيه خاص به ، فمثلا : يقال بالنسبة إلى حجر بن عدي (رضي الله عنه) وأصحابه الذي واجهوا طغيان معاوية بأنّهم وجدوا في سكوتهم أسوأ أثر على الأُمةُ من تعويض نفسهم للقتل ;

لأنّ سكوتهم كان ينتهي بالأُمةُ إلى أن تكون في جهل واضح في أصُول عقائدها لا جهل واضح بكيفية طعامها وشرابها ، وأنّها كيف تأكل الكسيف كما يقولون في المثل ، وبهذا يختلف عمل حجر بن عدي وأصحابه .رضوان الله عليهم . عن نهي من

يأتي بمنكر يختص به ضرره وحده ، والتارك لمعروف يختصّ به نفعه وحده إن أتى به .

وهذا قد يكون رأي زيد (رضي الله عنه) ، فمن كان يراه إماماً معصوماً فهو حجة عليه .

سؤال : عندي مداخلة تعقبها بعض التساؤلات ، المداخلة هي : أنّ الموقف التاريخي والتراكمي الذي اتّخذ في الفكر الشيعي الإمامي الاثني عشري سواءً اتّجاه زيد بن علي كشخص أو بني الحسن كطائفة أو الثورة المسلحّة كفكر ، يحب البعض أن يطرح عليكم هذه التساؤلات :

أوّلا : إنّه موقف متناقض . طبعاً مع احترامي الأدبي للفكر الإمامي الاثني عشري الذي أؤمن به والذي أنا من أتباعه .

فنرى الشيخ المامقاني في تنقيح المقال يضعّف زيد بن علي ، ونرى روايات عدّة في تضعيف زيد بن علي صحتّ منها روايتان على قول أحد العظماء ، ونرى أكثر الروايات التي تمدحه قد طُعنت سنداً أو غير ذلك .

وثانياً : نرى نفس الموقف يأتي في بني الحسن وعلى رأسهم عبد الله بن الحسن الكامل الذي قال : ميزّ بيننا وبين المسلمين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، وميّز بيننا وبين الشيعة زيد بن علي ، فما هو السبب يا ترى في وجود مثل هذا التراكم المعرفي في المواقف التاريخية أمام مثل هذه الشخصيات ؟

هل يمكن تفسيره اجتماعياً بما تحب أن تدندن عليه الزيدية المعاصرة من أنّ هناك حقداً طبقيا كًان موجودا بيًن الأئمة وّبين بني الحسن أم أنّ هنالك ظروفاً اجتماعية معينّة أو حالات طوارئ سياسية كما هي عادة المذهب الشيعي في أن يتعارك مع المعترك السياسي ، وأوراه كانت تفرض أن تتنوّع المواقف من زيد بن

علي حينها لم يكن الموقف موقفاً عقائدياً بقدر ما سيكون موقفا تًاريخيا فًيبقى الإنسان فيه متعاملا مع حساب الاحتمالات لا مع القطع واليقين .

الجواب : لا ، ينقسم سؤال السائل إلى قسمين :

أمّا بالنسبة لزيد ليس هنالك موقف محدد موحدّ ، فقد نجد البعض ينظر إليه بنظرة غير متعاطفة معه إلى الحد التي تتعاطف معه النظرة الأُخرى ، هذا الجانب الآن أصبح واضحاً .

الجانب الثاني من السؤال أنّه هذه النظرة المتعاطفة أو المتسامحة مع زيد لماذا لم تشمل بني الحسن ؟ وما الفارق بين زيد وبين بني الحسن ؟

الفارق بينهما أنّ زيداً لم يدعّ الإمامة لنفسه في رأيي ، ولم ينكر إمامة أبيه أمير المؤمنين (عليه السلام) بالنصّ ، وأن يجعله رابع الخلفاء ; لأنّ البيعة له وقعت بعد بيعة ثلاثة منهم كما صنعه بنو الحسن .

بنو الحسن جعلوا من أمير المؤمنين (عليه السلام) رابع الخلفاء ، وحذفوا الإمامة الإلهية من دعوتهم بالمرّة ، وجعلوا من أنفسهم أئمّة يصرّحون بخلافتهم في زمن إمامهم المعاصر لهم وهو الإمام الصادق (عليه السلام) ، فلو جاملهم الفكر الإمامي فمعنى ذلك أنّ هناك أسباباً للمجاملة من هذا النسب من هذا الموقع ومن هذه القبيلة ، وهو الشيء الذي لا يرتضيه الإمامية

لأنفسهم فكيف بأئمّتهم (عليهم السلام) ؟ !

المجاملة مع شخص أخطأ في موضوع الحكم شيء وشخص آخر افتعل حكماً إلهياً لم يشرّعه الله سبحانه وتعالى ، وأنكر حكماً إلهياً ولو كان حكما في أصُول العقيدة شرعة الله سبحانه وتعالى وبلغه رّسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) شيء آخر . الفرق بينهما جدّاً واضح .

اللهم إنّنا نرجوا منك الرحمة لهم ولنا ولكلُ مسلم ، نحن لا نحاكمهم كما يحاكمهم الله ، وانما نحاكم موقفهم رضوا بذلك أم أبوا ، الذي يهمّنا أن تكون عقيدتنا هي التي يريدها الله سبحانه وتعالى منا ، وأن يكون عملنا هو الذي يطلبه

الله سبحانه منّا ، وأن يرضى عنا من يكون رضاهم رضا لله سبحانه وتعالى ، ويكون سخطهم سخطا مِن الله سبحانه وتعالى ، وبنو الحسن لم يكونوا بهذا الموقف ، أنا لا أرى سخطهم سخطاً لله سبحانه وتعالى فليسخطوا عليّ ، ولا أرى رضاهم رضا لله سبحانه وتعالى .

بنو الحسن . سامحهم الله . حذفوا الإمامة أساساً ، الإمامة الإلهية ، ادّعوا الإمامة التي كان بنو العباس يدعّونها لأنفسهم ، إن كان بنو العبّاس على ضلال فنفس هذه الضلالة ادّعوها بنو الحسن

ولكن هل هم معذورون ؟

قد يكونوا معذورين وأولئك غير معذورين وقد يكونوا معذورين ، ولكن الموقف أمام الفكرة لا أمام الشخص ، لا أقول أنا أجرح مثلا بني الحسن بقدر ما أكره بني العباس ، لا أدّعي هذا ، ولكن تقييم العمل بمقياس واحد ، وهو أنّ بني الحسن أنكروا الشيء الذي لم يسعهم أن ينكروه ، وادّعوا الشيء الذي لم يسعهم أن يدّعوه ، وخسروا ولم يصلوا إلى الحكم ، كلُ هّذا شيء واضح ، وبنو العبّاس ادّعوا ما ليس لهم وفازوا ; لأنهّم كانوا أقوى على الظلم ، كانوا قادرين على الظلم ، قادرين على الخدعة ، كانوا قادرين على أن يكسبوا الناس بالدعوة إلى الرضا إلى آل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ثمُ لما بّان للناس الصادق من الكاذب ، والزاهد من الراغب كان قد بان لهم بعدما طغى الماء عليهم دهوراً ، هذا فرق بين بني العباس وبني الحسن ، لكن هذا الفرق لا يفرّق بالنسبة إلى نظرتنا نحن .

وأرجو أن أكون قد وضّحت لماذا تختلف نظرتنا إلى بني الحسن عن نظرة علماء الإمامية إلى زيد بن علي (رضي الله عنه) ; لأنّهم بحسب الظاهر كانوا دعاة باطل وإن أُسيء إليهم بالقدر الذي لم يسيئوا هم إلى غيرهم ، أما زيد (رضي الله عنه) فلم يكن داعية باطل .

سؤال : هل نظر جنابكم أنّه إذا الإنسان ثبت له أنّ الظروف مهيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من كلُ جّانب هل يجب الأمر بالمعروف والنهي عن

المنكر ، هذا أوّلا .

ثانياً : ما قولكم بالرواية التي تقول بهذا المضمون : إنّه لا يصح أو كلُ رّاية قبل ظهور راية الإمام المهدي فهي راية ضلال ؟

ثالثاً : أنا على ما أعلم من رأي أئمة الزيدية الذي يسموّن ببني الحسن أنهمّ لم يقولوا إن خلافة أمير المؤمنين من الأصل ليست ثابتة ، بل يقولون النصّ كان خفياً وليس جليا ً .

الجواب : أوّلا : السؤال الثالث أنّه قصدت ببني الحسن لا أئمة الزيدية الذين ينتمون بالنسب الطيبّ الطاهر إلى الإمام الحسن الزكي (عليه السلام) ، قصدت ببني الحسن محمّد بن عبد الله بن الحسن بن حسن بن علي بن أبي طالب الملقبّ بالمهدي ثُمّ لقبّ بذي النفس الزكية والذي سمىّ نفسه أمير المؤمنين ، والذي قام بالثورة سنة ١٤٥ هـ في المدينة وأخاه إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن حسن بن علي بن أبي طالب ، أقصد هذا لا كُلّ من قام وادعّى الإمامة وهو حسني والإ هؤلاء أئمة ّ الزيدية ، والحديث عنه يختلف عن أولئك .

هذه نقطة ، وأمّا النقطة الأولى والثانية : فأوضّحها فيما سيأتي إن وفقّت إلى ذلك أنه ّمن يرى بأن موّضوع الحكم تام ّ بالنسبة له طبعاً الحكم يكون بالنسبة إليه فعلياً ، بل ومنجزا ً على حسب بعض المصطلحات الأصولية ، ولكن العاقل يرشد غيره إلى أنه مخطئ في فعلية الحكم ، والأئمّة حينما أرشدونا بصواب إلى أنّ موضوعا ً بهذا الحجم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتم إلاّ بعد ظهور الإمام المهدي المنتظر عجل الله فوجه ، والإرشاد ملزم للإمامي ولغير الإمامي ، وهذا غير النظر إلى زيد لعلّ زيداً لم يجد فيما أخوه به الإمام الصادق (عليه السلام) ، لعلهّ لم يجد البتة ّبعد التمكن ّونحن نجد في هذه الروايات بعدم التمكّن بالإضافة إلى أنّ زيدا أراد أن يطبقّ ما كانوا يرونه هم حكما شرًعيا ً .

والحمد لله ربِّ العالمين .

(٣٦) الغيبة

الشيخ محمّدرضا الجعفري

الصفحة 182

الصفحة 183

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيدّرسله وخاتم أنبيائه محمدّ وآله الطيبينّ الطاهرين الأئمة الهداة المعصومين ، لا سيّما أولهم مولانا أمير المؤمنين وسيدّ الوصيينّ ، وخاتمهم مولانا الإمام الثاني عشر المهدي المنتظر عجلّ الله فرجه وجعلنا من أنصاره وأعوانه ، ولعنة الله على أعدائهم والموالين لأعدائهم والمعادين لأوليائهم من الأوّلين والآخرين ، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم .

اللّهم صلّ على فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها ، والعن من آذى نبيكّ فيها من الأوليّن والآخرين .

السلام عليكم أيّها الإخوة ورحمة الله وبركاته .

يسعدني أن أكون ممّن أمكنه الله أن يلبيّ حاجة في نفوس المعتنقين لولاء أهل البيت سلام الله عليهم أجمعين ، في أمسّ مسائل العقيدة التي يواجهها إيمانهم ، والتي قد يجد أعداؤهم الثغرة للطّعن في إيمانهم ، وهو ما يرجع إلى مولانا الإمام الحجّة المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه ، خاصّة فيما يرجع إلى غيبته .

يسعدني أن أكون ممّن وفقّهم الله تعالى لكي ألبيّ هذه الحاجة في بحث أطرحه وأؤطره بإطارين :

الإطار الأوّل : الوقت الذي حددّ لي أن يكون البحث يكتمل إلى حد ّما ، ضمن هذا الوقت .

والثاني : الإيجاز الذي تتطلّبه مثل هذه البحوث التي تلقى مباشرة على السامعين ، فالبحوث إن كانت طويلة وجاءت في كتاب فللقارئ أن يتجاوز

الصفحة 184

صفحات أو أن يغفل صفحات ويكتفي بما يحاول أو يتلذّذ بقراءته ، وأمّا السامع المسكين الذي لا يملك إلا أن يعصر أذنيه كي لا يسمع ، فهذا من الصعب جدّاً أن يكون البحث بالنسبة إليه ممتعاً ، إلا إذّا كان إلى حد لاٍّ يجد السامع منه مللاً ولا يرى فيه نقصاً في الأداء أو إيجازاً مخلاً ، فلا تكون الأسئلة التي كانت تدور في ذهنه قد بقي منها مالم يجد الإجابة عليه فيما سمعه .

ومن الله سبحانه وتعالى ومن وليّه وحجّة عصره مولانا الإمام المهدي المنتظر عجلّ الله تعالى فرجه الشريف . الذي يرانا ولا نراه والذي يعلم بحالنا ولا نعلم بحاله إلاّ ما أخبرنا الوحي به . أستمدّ أن يعينني على حسن الأداء وأن يعينكم أو يحققّ لكم

حسن الاستماع ، إنّه نعم المولى ونعم النصير .

موضوع البحث

الموضوع الذي طلب منّي أن يكون بحثي يدور في فلكه : هو ما يرجع إلى الإمام المهدي سلام الله عليه في غيبته ، وما انتهى إليه هذا العنصر الاعتقادي الهامّ الذي يميزّ الشيعة في عددهم المبارك ، يعني في العدد الاعتقادي للأئمةّ الذي يعبرّ عنه بالشيعة الاثني عشرية .

الكلام حول المهدي سلام الله عليه فيما أنا فهرستُ ووضعتُ المنهج له ، وأنا أقرأ نقاط البحث ، فإن وفقنّي الله سبحانه وتعالى كي أكمل هذه النقاط في جلستنا هذه فنعمت النتيجة للمتكلّم والسامع ، وإن بقي شيء فأرجوا الله سبحانه وتعالى أن لا يكون الفاصل بين هذه الحلقة والحلقة التي تستدعيها فيما بعد ، أن لا يكون الفاصل بحيث يُنسي الأولى أو لا يمكن المستمع إلى الأُخرى من استماعها للفاصل الزمني الطويل .

البحث عن غيبة الإمام المهدي سلام الله عليه يرتبط بالبحث عن إمامته كأحد الأئمّة ، ولا يمكن أن يستغني عنه الباحث عن إمامة المهدي سلام الله عليه وعن البحث في غيبته ، وقبل هذا نقاط أوجزها :

النقطة الأولى

إنّ غيبة المهدي سلام الله عليه وظهوره . كموت الخليقة وحشرها . أمرٌ قدرّه الله سبحانه وتعالى . حسب رأينا نحن الإمامية الاثنا عشرية . ولم يستشر فيه أحداً ولم يوكلّ أمره إلى أحد غيره .

يعني أنّ الله سبحانه وتعالى حينما خلق الخلق قدرّ لهم النشأة الأولى هذه ، وقدرّ لهم النشأة الأخرى ، شئنا أم أبينا ، كنا قي رضىً من ذلك أم كرهناه ، وذلك

لحبّنا لهذه العاجلة ، أو مع الأسف الشديد لأننّا أسأنا العمل فنكره المواجهة مع آثام العمل وآثاره .

إنّ الله سبحانه وتعالى قدرّ للخلق أن تكون لهم نشأتان : نشأة في حياتهم الدنيا ، ونشأة أخرى في حياتهم الأخرى ، وهكذا أيضاً قدرّ الله سبحانه وتعالى أن يكون عدد أوليائه اثني عشر ، لا يزيدون واحداً ولا ينقصون واحدا ً ، وقدر ّلهذا الثاني عشر أن يغيب من بيننا وهو حي ، وأن يظهر في الزمن الذي اختاره الله سبحانه وتعالى بحكمته وقدرّه بعلمه ، شئنا أم أبينا .

وأعني أنّنا لسنا مختارين ، ولم يجعل الله سبحانه خيارا ً لنا في أن نحيا ونحشر بعد أن نموت ، بحيث إننّا إذا وجدنا في حياتنا الأخرى تلك منشأ لذّة أحببنا الحياة ، وإن وجدنا فيها آثاماً وسوء نتائج لسوء أعمالنا في هذه الحياة اخترنا أن يكون موتنا موتاً دائما ً .

والذين قرأوا جداول أبي ماضي يعلمون بأنّ شبهة المعاد عنده أساسها هذه ، هذه الشبهة لو أردنا أن ننظر إليها من ناحية تندّر وظرَف ْ ، لابد وأنكم سمعتم أن هناك من يتندر فيقول : بأن الجّوزة إن كان لابد لها ّمن حامل ولا يكون إلا شحرّة باسقة

سامقة كبيرة طويلة العمر ، فكيف بالبطيخة ؟ البطيخة لابدّ أن تكون شجرتها أكبر من شجرة الجوزة ، مع العلم بأن هذا تندرّ أو تغفّل أو شيء آخر أسوء من هذين ، لماذا ؟ لأنّنا واجهنا في الحياة أنّ الله سبحانه وتعالى قدرّ للجوزة أن تكون ثمرة لشجرة باسقة ،وأن لا يكون للبطيخ إلاّ هوش صغير .

فالعالم هو الذي يأخذ الحقائق كما هي ثمّ يستعين بها في حياته ، يعني بحيث إنّنا لو أردنا أن نستحصل الجوزة علينا أن نهيّء أو نغرس شجرتها وننتظر، وقد يكون انتظارنا يستمرّ سنين إلى أن نحصل على الثمرة ،واذا أردنا أن نحصل على البطيخة ، فالبطيخة أهون بكثير في استحصالها من حيث الزمن ومن حيث الغرس ومن حيث العناية بالغرس ،وأسهل بكثير من الجوزة وشجرتها .

حقائق الحياة لا نملكها نحن ولا يملكها إلاّ الله سبحانه ،وهو الذي قدّرها واستمرّ عليها ويستمرّ عليها لحكمته ، ﴿وَلَن تَجِدَ لِسنَّةِ اللهِ تَبدِيلاً﴾[1] .

الإمام المهدي سلام الله عليه قدّر الله بحكمته أن يكون آخر الأئمة ،وأن يكون مهدي هذه الأمّة[2] ،وأن يكون هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً[3] ، أو بعد ما ملئت ظلماً وجوراً[4] .

ولا فرق بين العبارتين ، إلاّ ما يتخيّله الإنسان من أنّ كاف التشبيه قد تكون أهون من البعدية ،ولا فرق بين الاثنين بحسب الواقع ،وأنا أشير إلى مناقشات حصلت في الموضوع .

فالإمام المهدي سلام الله عليه إرادة الله في عالم الشريعة ، كما أنّ حشره سبحانه وتعالى لخلقه إرادته في عالم الخليقة والتكوين ، لا فرق بين الاثنين ، لم يستشر أحداً في الأولى أي في الحشر بعد الموت ،ولا يستشير أحداً في الثانية ، أي إنّ الله سبحانه وتعالى هو الذي قدّر أن يكون لهذه الأمّة مهدي (عليه السلام) يظهر في آخر الزمان ،وأن يكون من أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)[5] ، ومن ولد أمير المؤمنين (عليه السلام)[6] والصديقة الكبرى سلام الله عليها[7] ،وأن يكون من ولد الحسين (عليه السلام) ، « إنّ الله تعالى عوّض الحسين من قتله أن جعل الإمامة في ذريّته ،والشفاء في تربته ،واجابة الدعاء عند قبره ، . . . »[8] .

1- الأحزاب : ٦٢ والفتح : ٢٣ .
2- انظر معاني الأخبار : ٦٠ .
3- انظر الكافي ١ : ٣٤ ح ٢١ ، المستدرك للحاكم ٤ : ٤٦٥ .
4- انظر مناقب الإمام أمير المؤمنين ٢ : ١٧٣ ح ٦٤٨ .
5- كشف الخفاء للعجلوني ٢ : ٢٨٨ ، سنن أبي داود ٢ : ٣١٠ ح ٤٢٨٤ .
6- الغيبة : ٥١ ح ٤٠ .
7- العمدة لابن البطريق : ٤٣٩ ح ٩٢٣ ، سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٦٨ ح ٤٠٨٦ .
8- الأمالي للطوسي : ٣١٧ ج ٦٤٤ .

وهذه حقيقة هامّة يجب أنْ لا نغفل عنها ،وهي أنّ إيماننا بالمهدي لا يرتبط بأنفسنا من ناحية ذاتية ، بحيث أنيّ لو أحببت

المهدي أؤمن به ، ولو لم أُحبّ لا أؤمن ، إيماني بالمهدي خضوع وتسليم لإرادة الله كإيماني بكلّ ما أراه من سنةّ الله تبارك وتعالى في هذا الكون وسنّته في الخلق ، عليّ أن أنسجم وأن أجعل نفسي وحياتي ملائمة ومنسجمة مع سنةّ الله ، سنن الله سبحانه وتعالى لا تكون بحيث يرضى بها أحد فتكون سنّة ويكرهها آخر فلا تكون سنّة بالنسبة إليه .

النقطة الثانية

إنّني حينما أتكلّم عن المهدي سلام الله عليه أتكلمّ عن موقع المهدي والمهدوية في عقائدنا نحن الشيعة الإمامية الاثنا عشرية ، وتفسير هذا أنّ المهدي سلام الله عليه قد يختلف عن باقي الأئمّة ، ومنهم أمير المؤمنين سلام الله عليه ، فله جانبان : جانب اختصصنا به نحن الإمامية ، وجانب ثان اشترك فيه معنا غيرنا من فرق المسلمين ، وحتّى أمير المؤمنين سلام الله عليه له جانبان ، جانب أقرّ به غيرنا من فرق المسلمين ، وخاصّة الفرق التي لها جانب رواية للسنةّ وعناية بالحديث .

فلا أتكلّم هنا عن المهدي والمهدوية عند المعتزلة ; لأنّ المعتزلة أطروّا مذهبهم بإطار عقلي لا أقول بأنه صادق كله أو لا ، مائل عن الحقّ أو لا ، هذا خارج عن بحثي هنا ، أمّا فرق المسلمين التي جعلت من السنةّ أساسا لعقائدها فلا تشترك معنا في الإيمان بإمامة أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ولكنها تشترك معنا في القول بالمهدي وأنّه يخرج في آخر الزمان .

وأنا أملك نصوصاً كثيرة تدلّ بوضوح على أنّ علماءهم في الحديث والمعنيين بالدراسات الحديثية قالوا : بأن أحاديث المهدي متواترة[1] ، فقد رواها

1- عون المعبود ١١ : ٣٠٨ .

أكثر من ثلاثين صحابي وصحابية ، بل وبعض الحديث الذي جاء عن بعض الصحابة كعبد الله بن مسعود[1] ، السند إلى عبد الله عندهم متواترة لكثرة مَن يرويه من رواتهم عن عبد الله .

ولكنهم حينما يجمعون أحاديثهم ويفسّرون بعضها ببعض قد يكون منهج التفسير عندهم يختلف عن منهج التفسير عندنا نحن الإمامية ، وقد تكون النتيجة عندهم تنتهي إلى ما لا تنتهي إليه بحوثنا العقائدية .

مثلا نجدهم يقولون : بأنّ الأصحّ أنّ المهدي سلام الله عليه من ولد الحسن (عليه السلام)[2] وهذا عندنا غير وارد .

أو أنّ المهدي الذي بشّر به رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف عرفه ؟ يقولون بأنه جاء في كثير من الأحاديث : يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي[3] وبهذا يكون اسم أبيه الكريم عبد الله ، لا الإمام الحسن بن علي العسكري سلام الله عليهما .

أو أنّه يخرج من أين ؟ في بعض رواياتهم .وإن كانت غريبة عندهم ويستغربونها ويقولون بأنّها من غريب الأحاديث . أنهّ يخرج من المغرب[4] .

أنا حينما أتكلّم عن المهدي سلام الله عليه ، أتكلّم عن موقعه الخاص في عقيدتنا نحن الإمامية الاثنا عشرية خاصة ، فاذا استعنت بحديث غيرنا أستعين به فيما يؤكّد ويقوّي نظرتنا نحن الإمامية ، لا أنيّ أتناول حديث غيرنا تناولا مباشرا فأحل العقد

وأبيّن جهة الإشكال وأشرح جهة النقض وحلّ هذه المشكلة ، هذه كلهّا اتجنبهّا في حديثي هذا .

وإن كنت قد ذكرت في كتابي الّذي جمعت فيه أحاديث المهدي (عليه السلام) من

1- كنز العمّال ١٤ : ٢٦٤ ح ٣٨٦٦٢ .
2- سنن أبي داود ٢ : ٣١١ ح ٤٢٩٠ .
3- المصدر السابق : ٣٠٩ ح ٤٢٨٣ ، المستدرك للحاكم ٤ : ٤٦٥ .
4- انظر فيض القدير ٦ : ٣٦١ .

طرق غير الإمامية كلّ ما يرجع إليه (عليه السلام) ،وهذه الأحاديث لو قدّر أن تطبع لكانت أكثر من أربعمائة أو خمسمائة صفحة بترتيب خاص ،والبحوث التي تأتي بعدها قد تفوقه بصفحات وصفحات .

المهدي (عليه السلام) لا يمكن أن ينفصل عن الغيبة

أصل الدعوى التي عليّ أن أقيم الحجّة على صحتها : أنّ المهدي والمهدوية . لا يمكن في حكمة الله سبحانه وتعالى وعلمه بحاجة عباده وأنّه اللطيف الخبير يفعل ما يشاء ولكنه لا يفعل إلاّ لحكمة ، ويحكم بما يريد ، ولكنهّ لا يحكم إلا بمّا كان فيه رأفة ورحمة لعباده والتزام بالعدل الذي ألزم الله به نفسه . لا يمكن أن ينفصل عن الغيبة .

وهذه الحجّة أذكرها إن شاء الله بصورة عدةّ مسالك ، كل مّسلك ينتهي الى أن المهدي سلام الله عليه قدر الله له أن يكون أحد الأئمّة ، فيستحيل أن لا تكون له غيبة .

فالإمام العسكري سلام الله عليه ولد سنة مائتين واثنين وثلاثين من الهجرة ، وجاءته الإمامة سلام الله عليه بعد استشهاد أبيه الإمام الهادي علي ابن محمد (عليهما السلام) سنة مائتين وأربع وخمسين من الهجرة ، وفي أشهر الأقوال عند الإمامية استشهد في يوم الجمعة الثامن من شوال سنة مائتين وستّين من الهجرة .

فلو حذفنا الجهات الخاصّة بالفكرة عن الإمام العسكري سلام الله عليه عند الإمامية وقلنا : إنّ الإمام سلام الله عليه جاءته الإمامة في سنة ٢٥٤ هـ بعد موت أبيه موتاً طبيعياً ،وأنهّ جاءته الوفاة التي قدرّها الله لكل أحّد بصورة طبيعية ، ولم تكن هناك جريمة اشترك في إيجادها بالنسبة إلى الإمام العسكري أحد لا بصورة مباشرة ولا غير مباشرة ، فكانت إمامته ست سنوات .

قد نقول : بأنّ الله سبحانه وتعالى وجد من الحكمة أنّ الإمامة للإمام العسكري كافية لمدةّ ست سنوات ، فالله سبحانه وتعالى جعله إماماً واستوفى حاجة الناس إلى إمامته ضمن ست سنوات ، فست سنوات كافية في أننّا نملك

إماماً وضعه الله إماماً علينا ، وبهذا نستفيد ما أراد الله سبحانه وتعالى من نصبه إماماً في ضمن ست سنوات .

أمّا الإمام المهدي سلام الله عليه فلم يملك مدةّ الامامة ولا يوماً واحداً ، لماذا ؟ لأنه مّادام والده الإمام العسكري حي

فالإمامة خاصّة بأبيه ،وإن كان هناك إمامان لابدّ وأن يكون أحدهما صامتا ً عندما يكون بقضاء الله سبحانه وتعالى غيره ناطقا ً بالإمامة ،ويوم أن مات الإمام العسكري سلام الله عليه ، غاب ، فما هي الحاجة إلى إمامته ؟

لا أقول ماهي الحاجة بأن نكون نحن نتدخّل في حكمة الله سبحانه وتعالى بفضول لا يرتضيه الله ، لا ، نحن نستفهم من الله سبحانه وتعالى بأنّه حينما قدرّ للمهدي سلام الله عليه أن تكون له إمامة آنذاك ، قدرّها لكي يستفيد الخلق من إمامته ،والإ فّالله سبحانه وتعالى في غنى عن رسله وأنبيائه وعن أئمّته وحججه ،وإنمّا يرسل رسله وينصب حججه لكي يستفيد الخلق منهم ، لا لحاجة من الله سبحانه وتعالى في الخلق ،ولا لهداية للخلق يرسول يرسله إليهم ، أو بحجة ينصبه عليهم ،وإنّما الذي يحتاج هو الخلق والعباد ،والله رأفةً بعباده يؤمّن لهم ما يحتاجون إليه في هدايتهم كما أمنّ لهم ما يحتاجون إليه في حياتهم .

أرجو أن تكونوا قد استوعبتم الدعوى ، كي أقوم بسلوك الطرق المختلفة لأثبت أنّ هذه الدعوى هي التي لابدّ وأن تكون الصحيحة في المجال الاعتقادي عند الإمامية الاثني عشرية ، الذين لهم تفسير خاص للإمامة لا يتجاوزونه ،وعدد خاص للأئمّة لا يتجاوزونهم ، ليس لهم أن يحذفوا واحداً ،ولا أن يضيفوا واحدا ً،ولا أن يؤخروّا من قدمّه الله سبحانه وتعالى ،ولا أن يقدّموا من أخرّه الله سبحانه وتعالى .

فالعقيدة الصحيحة لاستمرار حاجة الناس إلى النبوّة وكون النبي مدّة حياته لا تتناسب مع الأبدية لشريعته ، لابد ّلهذا النبي من أئمّة يكونون مثله في العصمة

في الأداء ،والعصمة في الهداية ،والعصمة في قيادة الخلق .

فعقيدة الإمام المهدي سلام الله عليه عند الإمامية لا يمكن أن تكون بلا غيبة ، لماذا ؟

لأنّه في مقتبل عمره لم يتمكنّ ولا يوما وًاحدا مَن هداية الأمةُ حّتى بالقدر الذي كان يتمكن منه آباؤه ،ولم يتمكن لغيّبته من اتّصال الشيعة به قدر ما كان يتمكن آبائه حتّى في أحلك الظروف وأشدهّا عليهم ، فإذن لابدّ وأن تكون إمامته المتصوفة في خلقه بعد تلك الفترة ، أي بعد الغيبة ، فلابدّ لنا وأن نلتزم بأنّ الانتفاع بالإمام المهدي كإمام الذي يكون مشابها لًلانتفاع بآبائه الطاهرين كأئمّة لابدّ وأن يأتي في فترة أخرى بعد الغيبة .

هذه خلاصة الدعوى ،وأنا إن شاء الله أبدأ بالطرق التي استخلصتها نتيجة بحثي وجمعي لمواد كثيرة من جهات شتّى .

المسلك الأول وعد الله بظهور دينه على الدين كلّه

إنّ الله سبحانه وتعالى وعد وعداً قاطعا صًريحا بظًهور دينه على الدين كله ّ، لا يقصد بذلك دينه الذي بدأ به من أول مّن أرسله رسولا إلى خلقه وانتهى بمن أرسله رسولا وسيّداً على المرسلين وخاتم النبيين ، بل الدين الذي جاء به نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) ،وعد الله سبحانه وعداً قاطعاً بأن يظهره على الدين كلهّ .

وهذا الوعد جاء ضمن آيات ثلاث ، ومن غريب الأمر أنّ آيتين منها متماثلتان ،ولا أقول متشابهتان ، بل متماثلتان تماماً من أوّل حرف من الآية إلى آخر حرف منها ، وجاءتا في سورتين بينهما فاصل زمني وإن كانت السورتان كلتاهما مدنيتين .

الأولى : قوله تعالى في سورة التوبة[1] :

﴿ هُوَ الذَّي أَرسَلَ رَسوَله بالهدَى وِدِيْنُ الحقَ لِيظهِره عْلىَ الدِيُن كِله وُلوَ كَره المِّشرِكونُ ﴾[2] :

مفهوم الآية واضح ، (هُوَ الذَّي) ، هذا كله تّأكيد ، ﴿ أَرسَلَ رَسوَله ﴾ ، فلو قال سبحانه وتعالى : الله أرسل رسوله ، كان أوجز ، لكن هنا ﴿ هُوَ الذَّي أَرسَلَ رَسوَله ﴾ يُعني أن الذي أرسل عليه لحكمته وعلمه وموقع رسوله هذا

1 - سورة التوبة من آخر ما نزل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولم تنزل بعدها سورة سوى المائدة ، وهي آخر السور التي نزلت في عرفة في ذي الحجّة من السنة العاشرة من هجرته (صلى الله عليه وآله وسلم) من المدينة المنورة ، وبعدها لم يعش إلاّ أقلّ من ثلاثة شهور ، إن أقربنا وفاته بالثامن والعشرين من صفر ، أم أبعدنا الى الثاني عشر من ربيع الأوّل ، ولكن في تلك السنة التي تلت الشهر الثاني عشر من السنة العاشرة وشهر ذي الحجّة لم يعش بعدها .

2- التوبة : ٣٣ .

وموقع شريعته هذه التي جاء بها رسوله هذا ، يقتضي أن يكون هو الذي يظهر هذا الدين على الدين كلّه ولو كره المشركون .

وهنا نكتة أشير إليها ، وهي قوله تعالى : ﴿ بِالْهُدَى وَدِينَ الحِقْ ﴾ ، فالله سبحانه وتعالى أرسل رسله السابقين على رسولنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) بالهدى ودين الحقّ ، فلماذا سبحانه وتعالى يصف دينه هذا ورسوله هذا أنّه أرسله بالهدى ودين الحقّ ؟

والموجز في الجواب أنّ الأديان السابقة لم تكن هادية هداية عامّة لجميع الخلق بالقياس إلى الهداية التي جاء بها نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) ، لا لأنّها ناقصة ، بل لأنّها تهدي الإنسانية في فترة قصيرة جداً من عمرها الطويل ، فتلك لا تقاس بالنسبة الى الهداية التي جاء بها نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وذلك على ما يقولون : الفرد الأكمل الأبرز الأوضح للهدى الذي جاء به نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهكذا دين الحقّ ، لماذا ؟ لأنّ هذا الدين دين شرعه الله سبحانه وتعالى للبشرية إلى آخر أيام حياتها على ظهر هذا الكوكب ، كم تطول ؟ لا نعلم ، كم ألوف من السنين ؟ لا نعلم ، كم عصور تتوالى عليها ؟ لا نعلم .

ولكنّنا نعلم شيئاً واحداً : أن البشرية إن كانت قد اكتملت واكتسبت مافيه كمالها ، سواء أكان هذا الكمال من ناحية ماديّة ، أم كمالا من ناحية معنوية ، فإنّها لم تكتسبه إلاّ في عصور حياتها الأخرة ، لا حياتها البدائية ، سواء أقلنا : إنّ الحياة البشرية البدائية بدأت برسول من الله سبحانه وتعالى كما تقوله الأديان السماوية ، أو قلنا : إنّ الإنسان قد مرّ بأشواط وأشواط طويلة قد يؤرّخونها بملايين السنين ، وقد يؤرّخون أسلاف الإنسانية ، وأنا أستميحكم عذراً حينما أقول بأسلاف الانسانيّة ، سواء أكانوا يشبهون مثلا القردة أو نفس القردة أنفسهم أو موجودات أخر ، فقد مرّ على الإنسانية شوط طويل إن لخصنّاه بإمكاننا أن نقول

كلّ ما امتدّ بها الزمن تكاملت عندها خصائصها الخاصة بها .

فكما يقولون . لا أقول : بأنّ هذا صحيح مائة بالمائة ، ولكنّي أحكي ما يقولون . بأنّ الإنسانية بدأت على ظهر هذا الكواكب تعيش من حيث المأكل كما يعيش سائر الأحياء ، فقد كانت تشترك مع القردة أو الدببة التي كانت تأتي إلى الساحل المائي ، فكان الدبّ يستعين بمخالبه فيصيد سمكة ويأكل كما يقولون ، وأنّ الإنسان البدائي كان يأخذ حجرا فيقف راصدا سمكة تمر عليه فيرميها بحجر ويصطادها .

والآن حينما نأتي إلى أواخر عصور الإنسانيّة حتّى في التاريخ المجمل المبهم لها ، نجد أنّ الإنسانية تستقبل الكمال ولا تستدبره .

فالتكامل يكون في مستقبل حياة الإنسانيّة ، والدين الذي يكون لمستقبل حياة الإنسانية وحتّى الشوط الأخير من هذه الحياة التي لا نعي متى يأتي ذلك الشوط الأخير ومتى يكون ، ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمٰوٰاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللهُ ثم نُفِخَ فِيهِ اخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾[1] .

فالدين الذي جاء لتلبية حاجة الإنسانية في أكمل صورها وأوفى استكمالها لكمالها الإنساني ، ولا أدعي بأنّ هذا الكمال يكون في سنين عديدة ويقابله نقص في ملايين من السنين ، إنّ هذا شيء أنا شخصيا أستبعده ولا أطلب الآن من غيري أن يؤمن به مائة بالمائة ، ولكن من البعيد جدّا أنّ الحكمة الإلهية تجعل من الشوط الكامل للإنسانية أقصر أشواطها مدة ، وكيفية ، وزمناً .

ولا يأتي في ذهنكم أنّ الروايات التي تقول بأنّ الإمام المهدي سلام الله عليه إذا خرج يملك سبعا أو تسعا ، لا أتكلم عن هذا ، فهذه كلّها إن وردت لا يُقصد بها العدد الخاص من جهة .

والجهة الثانية أنّ رجعة الأئمة هي التي تكمل هذا الشوط من حياة الإنسانية ، وهو أعلى أشواطه كمالا وانسانية وتلألؤا وامتلاءاً بأحبّ الصفات

1- الزمر : ٦٨ .

الإلهية التي يريدها الله سبحانه وتعالى أن تتمثّل في خلقه كالرحمة والمحبة و . . . ، ولا أقصد تلك الصفات التي يذكرها العارفون بالمعنى المصطلح للعرفان ، الذي يرجع إلى أنّ الله سبحانه وتعالى خلق الخلق على هيأته وأنّ الله خلق آدم (عليه السلام) على صورته ، لا أقصد هذا .

وإنّما أقول : إنّ من البعيد جداً أن تكون الإنسانية لا تكتمل إلا في آخر لحظات حياتها ، واذا أردت أنْ أشبه فكرتي هذه فأقول : بأنّ الله سبحانه وتعالى إن وعد فرداً معيناً منا بأني سوف استوفي لك كل حاجة تحتاجها في حياتك الدنيا هذه ، وفي هذا

الكوكب ، وفي هذه الحياة التي تسبق الموت ، أستوفي لك كلّ حاجاتك وأؤمّن وألبيّ كلّ رغباتك ، ولكن في ساعة واحدة قبل موتك ، أنا واثق بأنّ أيّ واحد منا لو أن الله سبحانه وتعالى خيّره بين هذه وبين أن يعيش عيشة متواضعة لا أمل فيها ولا ألم ، لاختار هذه العيشة المتواضعة دون أن يختار حياة مليئة بالآلام تزول آلامها في آخر ساعة من حياته هذه ، وأمّا أنّها تعوّض في الحياة الأخرى ، فذاك حديث آخر .

الإنسانية أيضاً هكذا ، من غير المعقول لحكمة الله سبحانه وتعالى أن يقدّر لخلقه برحمته أن يخلقهم ، ورأفته أن يهديهم ، وبحكمته وعلمه أن يفتح أمامهم مسلكاً يبلغون بسلوكه ما يريد الله سبحانه وتعالى منهم حينما خلقهم أن يجعل هذا في أقصر فترات حياتهم .

فأنا واثق من أنّ الحياة الكريمة التي تأتينا في دولة كريمة يُعزّ بها الإسلام وأهله ويضمحل فيها النفاق وأهله ، لا أنه يُخذل ، بل يضمحل فيها النفاق وأهله ، وأن نكون سعداء كما أراد الله سبحانه وتعالى ، أن يكون دور الإنسانية هذا ، هي أقصر أدوار حياته على ظهر هذا الكوكب .

إذن فما وعد الله سبحانه وتعالى وَعْدًا قاطعاً وهو أن يظهر دينه على الدين كله ، لابد وأن يكون على يد مهدي هذه الأمة ، لماذا ؟ لأنّ عدد الأئمة عندنا عدد

معيّن ، اثنا عشر إماماً ، استوفى أحد عشر منهم مدتّه .

ومع أسف الإنسانية وبؤسها وشقائها ومحنتها ، بل من أعظم محنها أنّ هذه المدّة لم تستوف كما أراد الله ، يعني بإرادة من الله سبحانه وتعالى أن تكون مدّة حياتهم الطبيعية وهم بين أظهر أمّتهم يهدونهم ، فأمير المؤمنين (عليه السلام) لا نعلم بأنّ أشقى الآخرين لو لم يضربه على هامته كم كان يعيش ؟

وأنّ الإمام الحسن سلام الله عليه الذي لم تدم إمامته إلاّ عشر سنين أو أقلّ ، لو لم يسُم كم كان يعيش ؟

وأنّ سيّد الشهداء سلام الله عليه لو لم يكن يقتُل تلك القتلة الفجيعة[1] كم كان يعيش ؟ هؤلاء لو لم يواجهوا من طاغية زمانهم بما جاء عليهم كم كانوا يعيشون ؟ ولكن مع هذا لا يصحّ لنا أن نقول بأنّ الله سبحانه وتعالى أظهر دينه على الدين كلهّ ، فالوعد الإلهي لم يأت بعد .

ولو قلنا بأنّ الوعد الإلهي يكون على أيدي الهداة الإلهيين ، لماذا ؟ لأنّ الإنسانية جربّت أحسن من يقودها إن لم يكن ممن أخذ الله العهد على نفسه بأن يرقبه بحيث لا يحيد ، ﴿ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾[2] ، فالذين رحمهم الله سبحانه وتعالى لا يتجاوزون عمّا يريده الله سبحانه وتعالى منهم ، فالوعد الإلهي للإنسانية إن لم يكن من شخص يجري الوعد على يديه كفواً صحيحاً ، تقع الإنسانية في مآسي ويقع الوعد في مجافيات وفي تناقضات ، بحيث إنّ الوعد يفقد حكمته بل يفقد مصداقيّته .

فلا يكون الوعد إلاّ على يد معصوم، يكون الله سبحانه وتعالى مراقباً له، بحيث إنّ الله سبحانه وتعالى لو أراد أن يجري

الوعد بنفسه لا يختلف عما يجويه وليّه .

1 - التي لم ترد في أي أمّة من الأمم بالنسبة إلى أقلّ من يمثّل حقوقاً إيجابية في تلك الأُمّة ، فمن يملك أبسط الحقوق لأيّ فرد كان من أيّ أمّة لم يواجه بجريمة كما واجهها سيّد الشهداء وأصحابه سادة الشهداء من الأولين والآخرين .
2- يوسف : ٥٣ .

فالآية الكريمة يكفي ورودها مرّة واحدة ، مع أنّها جاءت بهذا المضمون في ضمن ثلاث آيات كريمة :

الأولى : قوله في سورة الواءة أو التوبة : ﴿ هُوَ الذَّي أَرسَلَ رَسَولَه بالهَدَى وِدينُ الحقَ لِيظهِره عَلَىَ الدِينْ كِلهُ ولَو كَره المُشرْكِونُ ﴾ [1] .

ونفس هذه الآية بما بدأت به وبما انتهت به حتّى من حيث الحرف ، لا الكلمة وحدها ، جاءت في سورة الصف : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرسَلَ رَسولَه بُالهَدُى ودِينَ الحقِ لِيظهِرَه علَى الدِيْنِ كلهُ ولَو كرِهَ المِشرُكُوِّن ﴾ [2] .

فالله سبحانه وتعالى . من باب التندر أقول . ليس كبعض شعرائنا الذي ينظّم القصيدة فيجدها قصرت عما يريدها من عدد الأبيات فيأتي بأبيات قالها سابقاً في قصيدة أخرى يضمّنها ، يضمّن قصيدته هذه تلك الأبيات حتىّ تطول ، وهذا كثيرا ماً يكون ،ولا يؤاخذه مؤاخذ بما فعل ; لأنّه قول قاله ، ولكن الله سبحانه وتعالى لا يعيد الآية كي تطول السورة ، يجلّ عن ذلك ، يعيد الآية كي يؤكّد لنا بأنّ هذا وعد قاطع صريح لا خلف له ، ولن يخلف الله وعده .

وبالإضافة إلى ذلك نفس المعنى يرد في آية كريمة أخرى ، تختلف من حيث الانتهاء ، وهي قوله تعالى في سورة الفتح : ﴿ هُوَ الذَّي أَرسَلَ رَسَولَه بالهَدَى وِدينُ الحقَ لِيظهِره عَلَىَ الدِينْ كِلهُ وكفَى باللهِ شَهِيدُاً ﴾ [3] .

هذا المقطع : ﴿ وَكفَىَ بالله شهَيدِا ﴾ حسب فهمنا أقوى بالدلالة على قوله تعالى حينما ختم به آيتيه الكريمتين : ﴿ وَلوَ كَرِهَ المشرُكوْنِ ﴾ ، فـ : ﴿ وَكفَىَ بالله شهَيدِا ﴾ معناه : أنّ الله سبحانه وتعالى الذي وعد هو الذي يشهد ، لا أنّه وعد وغاب أو مات ، وكان الوعد وصية منه ينفّذها غيره ، فيكون ذلك الذي ينجزّ من الممكن أن يتساهل ويتكاسل أو يتغافل أو يغفل أو ينسى أو يجهل ، ﴿ وَكفَىَ

1- التوبة : ٣٣ .
2- الصف : ٩ .
3- الفتح : ٢٨ .

بالله شَهِيدا ﴾ الله سبحانه وتعالى الذي يشهد الخلق ، فإن وعد وعداً فهو الذي يجعل وعده لا خلف فيه .

فهذا الوعد القاطع الذي لا يصحّ لمسلم أن لا يؤمن به ولا يصحّ لغير مسلم أن يغفله في تأريخ الفكر الإسلامي ، يعني غير المسلم قد لا يؤمن بالقرآن الكريم ككتاب منزل من قبل الله سبحانه وتعالى ، بل قد لا يؤمن بأنّ لهذا الكون خالقاً ، أو يشرك

الله بغيره من أنداد يجعلها لله سبحانه وتعالى ، ولكنّه حينما يقرأ القرآن الكريم يجد هذا الوعد وعداً قاطعاً صريحاً لا لبس فيه ولا إبهام فيه .

فإذن هذا الوعد وعدٌ يؤمن به كلّ مسلم ووعد يُأخذ به كل مَن يؤرخ الدين الإسلامي ،ولا يتحقق هذا الوعد إلا إذا قلنا بأن أئمّة الهدى سوف يتحقّق بهم في شوطهم الأخير ، أكمل أشواط الإنسانية في تأريخها الطويل ، وخاتمهم وهو مهديهم سلام الله عليهم أجمعين سوف يكون هو الذي يحقّق الله سبحانه وتعالى على يديه هذا الوعد الذي وعد به وعداً صريحاً أكدّه في ثلاث آيات كريمة .

وأيضاً قوله تعالى : ﴿ كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1] .

﴿ كَتَبَ اللهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ أيّ غلبة ؟ غلبة ماديّة ؟ الله سبحانه وتعالى لم يعد رسله ولا خلقه بأنهّ هو ورسله يغلبون غلبة ماديّة كما يعبرّ في هذا العصر غلبة فيزيائية ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ يُخاطب اليهود ﴿ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾[2] ، أمْنُ الصحيح لكم هذا الخُلُق الذي سوتم عليه أيهّا اليهود بأنّكم تحبوّن أن يكون الله سبحانه وتعالى هو الذي يؤمنّ رغباتكم ، لا أنهّ هو الذي يهيمن عليكم ، ﴿ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا

1- المجادلة : ٢١ .
2- البقرة : ٨٧ .

كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ يؤكّدها في آية اخرى : ﴿ كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنفُسُهُمُ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾[1] ، ﴿ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2] .

آيات كثيرة تؤكّد أنّ الله سبحانه وتعالى أرسل رسلا ، كذّبوا ، كذبَ بعض وكذبَ آخرون وقتلوا ، لا أن اليهوّد كانوا يقتلون الذين يصفونهم بالصدق من الأنبياء الصادقين الذين يؤمنون بصدقهم ، والذين يبقون على حياتهم كانوا يكذّبونهم .

إنّ الله سبحانه وتعالى يريد أن يقول لليهود بأنكّم إن جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم أنتم تجدون أنفسكم أكبر من الله سبحانه وتعالى ، فإنّكم تروَنْ أن أنفسكم هي التي تفوض على الله سبحانه وتعالى أن يلبيّ رغباتكم كما تشتهون ، لا أن الله سبحانه وتعالى يكون هو المهيمن عليكم كما يحبّ ويحكم به عدله وحكمته ، فريقاً اكتفيتم بتكذيبهم لأنكّم لم تتمكنوا من قتلهم أو لعوامل أخرى ، وفريقاً آخرين كذبتم وقتلتم .

الله سبحانه وتعالى لم يعد رسله ولا خلقه المؤمن منهم والكافر ، لم يعدهم بأنّه يحمي رسله جسدياً بحيث لا تنالهم اليد الآثمة بأذى أو بقتل وهو أشدّ أنواع الأذى .

إذن ، فالله سبحانه وتعالى كتب ﴿ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[3] ، يعني أنّ الله إذا يعد لا يخلف ; لأنّ الخلف

إمّا أن يكون لضعف ،والله سبحانه وتعالى قويّ لا ضعف له ، أو لأنّ هناك من هو أقوى منه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

1- المائدة : ٧٠ .
2- البقرة : ٩١ .
3- المجادلة : ٢١ .

فهذا الوعد متى يأتي ؟ لابدّ وأن يكون هذا الوعد هو الذي يأتي على يد مهدي هذه الأُمّة في آخر حياة الإنسانية ،وهو أكمل أشواط حياتها بصورة قطعية ، وتملك هذه الحياة من الزمن والمدّة ما تقرّ بها عين الإنسانيّة ،والا لكانت الإنسانية لا تكون إلاّ كمن يأتي الله سبحانه وتعالى بأمنيته بعدما عاش مائة سنة في آخر لحظة من لحظات حياته ، هذه الأمنية سوف تكون عليه حسرة ولا تكون ممن يستمتع بها .

وأيضاً قوله تعالى : ﴿ نَتْلُوا عليكَ مْن نِبأ موسَى وفِرعون بِالحقّ لقوم يؤمنونّ إنّ فِرعونْ عُلا في الأرضِ وجعل أهلها شِيعا يستضعفْ طائفة منهم يذبحْ أبناءهم ويستحْي نساءهم . ونريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾[1] .

﴿ ونُريد أن نمنّ ﴾ معنى ذلك أن هذه سورة الله ، لا تختصّ بموسى وفرعون ; لأنّ الله سبحانه وتعالى يأتي بـ ﴿ نُريد أن نمنّ ﴾ لا : أردنا أن نمن ، كما قال عزّ من قائل : ﴿ وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ﴾[2] ، أمّا هنا يقول : ﴿ ونُريد أن نمنّ ﴾ ، يعني : أنّ الله سبحانه وتعالى جرت سنته أنّ الذين واجهوا طواغيت البشرية ، لا طواغيت الأمّة فحسب ، والطواغيت غلبوهم على أمرهم ، فالله سبحانه وتعالى جرت إرادته التي لا خلف فيها والتي لا يمنع منها مانع أن يأتي دور يغلب هؤلاء على طواغيت زمانهم ﴿ ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ﴾ إلى آخر الآيات الكريمة .

إذن ، المسلك الأوّل الوعد الإلهي في القرآن الكريم ، هذا الوعد الإلهي إمّا أن نقول : بأنّ الله سبحانه

1- القصص ٣ ـ ٥ .
2- يوسف : ٢١ .

وتعالى حينما وعد به أراد أن يقوّي قلوبنا وأن يملأ نفوسنا أملا وأن يرينا في أسوء التعابير سرابا يتخيّله الضمآن ماءا ، فالله سبحانه وتعالى أجلّ من هذا ، حينما وعد ،وعد وعدا قاطعا وهو أصدق القائلين ولن يخلف الله وعده وهو أصدق من قال .

فالمسلك الاوّل أنّ وعد الله سبحانه في قرآنه الكريم ، هذا الوعد الذي جاء ضمن وعود مختلفة في صيغها ، متفقّة في معناها ، ﴿ ليظْهِره على الدين كلّه ﴾[1] ، ﴿ كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي ﴾[2] ، ﴿ ونُريد أن نمنّ على الذين استُضعفوا

﴿ فِي الأَرْضِ ونَجعَلَهُمَ أئمةً ونِجَّعلَهمَ الوارِثينَ ﴾[3] .

هذا الوعد جاء في صيغ مختلفة تختلف في التعبير وتتفق في المغزى والهدف ، هذا الوعد لا يمكن أن يتحقّق إلاّ على يد آخر حجج الله ، وهذا الآخر الذي ولد قبل ألف وحدود المائة أو يقرب من المائتين ، هذا الوعد لابدّ أن يتحقّق على يد هذا ; لأنّه آخر الحجج ، ولن يرسل الله رسولا ; لأنّ نبيه (صلى الله عليه وآله وسلم) خاتم النبيين ، ولن يأتي بإمام يعيش عيشته الأولى في هذه الأرض ، لا العيشة بعد الرجعة لمن آمن بالرجعة ، يعيش عيشته الأولى في هذه الأرض لن يأتي به ، لماذا ؟ لأنّ عدد الأئمّة عنده اثني عشر إماماً ، ومهدي هذه الأمّة آخر الأئمة .

فهذا الوعد لا يمكن أن يكون وعداً صادقاً ، وهو مما نقطع بصدقه ، إلا أن يكون لمهدي هذه الأمّة غيبة تفصل بين مولده وبين ظهوره وإنجاز وعد الله سبحانه وتعالى على يده ، سواء في ذلك طالت الغيبة أم قصرت ، كوعد الله سبحانه وتعالى : ﴿ قَالَ مَن يُحيِ العِظامَ وَهِيَ رَمِيم قُلَ يُحيِيها الذيْ أنشَأها أوِل مرْة ﴾[4] ، أمّا بَعُد مضي كم فترة ؟ قد تكون مليون سنة ، نحن لا نرى الفاصل بين أوّل نسل للإنسانية وبين آخر عصور الإنسانية ، وبين حشرها بعد موتها وهو حشر

1- التوبة : ٣٣ .
2- المجادلة : ٢١ .
3- القصص : ٥ .
4- يس : ٧٨ ـ ٧٩ .

تحشر فيه الإنسانية كلّها ، كم مدّة من الزمن ؟ الف سنة ؟ مائة ألف سنة ؟ مليون سنة ؟ لا نرى ، ولكن وعد الله صادق ﴿ لَن يُخلْفِ اللهُ وَّعدُهَ ﴾[1] .

إذن فغيبة مهدي هذه الأُمّة غيبة لابدّ منها ، لأنه مهدي هذه الأمة ، ولأن وعد الله سبحانه وتعالى صادق صريح قاطع ، الذي أكّده في آيات كريمة مختلفة ، وبألفاظ وتعابير مختلفة قد تختلف باللفظ وتتفق في المغزى ، هذا الوعد لن يكون وعداً منجزاً إلا إذا كان لمهدي هذه الأمة غيبة تفصل بين ولادته وبين ظهوره بما وعد الله سبحانه وتعالى به .

1- الحج : ٤٧ .

المسلك الثاني الأئمّة اثنا عشر

هذا المسلك أيضاً خاصٌ بالإمامية الاثني عشرية ، يعني من لا يقول بالإمامة الإلهَية لا أقول إن هذا المسلك يلزمه ، ومن يقول بأنّ الأئمّة لا يحصرون في عدد معينّ[1] .

أيضاً هؤلاء أنا لا ألزمهم بهذا ،وأنا لا أتكلّم مع الذين قالوا بالإمامة ،وأنّ الإمامة منصب إلهي على الله سبحانه وتعالى ألزم نفسه بأن يكون هو الذي يعيّن الإمام ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾[2] ، لكِنّ الله سبحانه وتعالى لم يلزم نفسه بعدد معيّن كعدد الاثني عشر[3] ،وأيضاً أنا لا أتكلّم مع الذين قالوا : بأنّ الإمام السابع سلام الله عليه غاب ولم يمت بالسمّ في سجنه .

---

1 - كما ينسب إلى بعض إخواننا الزيديّة : أنّ الله سبحانه وتعالى أخبر على لسان رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) بإمامة ثلاثة ، أمير المؤمنين (عليه السلام) والحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) ، وباقي الأئمّة أخبرهم بالوصل ولا يحصرون في عدد ، بل من كان فاطمياً وقام بالسيف ودعا الى الجهاد وإحياء دين رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو إمام ، علينا أن نبايعه وأن نطيعه .

2- القصص : ٦٨ .

3 - كما يقال مثلا : إنّ الإسماعيلية يشتركون معنا في أئمّة ستة ، ولهذا قد يعبّر عنهم بأنّهم الذين يلتزمون بإمامة الستة ، وهذا خطأ ، لأنّهم يلتزمون بإمامة عدد طويل جدّاً ، ستة من أئمّتهم هم نفس أئمّتنا الاثني عشرية ، لا أنّهم يلتزمون بإمامة الستة مع قطع النظر عن فرقهم بين البهرة الداودية والنزارية أتباع جماعة آغا خان ، أولئك يقولون بأنّ الإمام مستور وأنّ الداعية داعية مطلق لإمام غائب لا يتصل به إلاّ الداعية نفسه ، وأنّ الآغا خانية وهم الإسماعيلية النزارية أي الإسماعيلية الشرقية ، هؤلاء يقولون : بأنّ هؤلاء الذين نراهم ولو كانوا في حجم آغا خان ـ الذي مات ـ جد كريم خان ، ولو كان في حجم آغا خان في شحمه ولحمه وإلى آخر وثقته في ميزان العيارات المادية ، كلّهم أئمّة .

وإنّما أتكلّم مع الذين يقولون : بأنّ الأئمة اثني عشر لا يزيدونهم واحداً ولا ينقصونهم ،وهم نحن أعني من آمن ، ومن أقرّ على نفسه والتزم بأنّه إمامي اثنا عشري .

وهذا لا يمكنه إلاّ أن يقرّ بغيبة الثاني عشر وظهوره بعد غيبته ،والأبواق التي تنعق بما لا تعقل .وإن كان هذا التعبير فيه لذعة ، ولكني مع الأسف الشديد قد أجد نفسي ملجأً إلى أن أقول قولا لاذعاً ; لأنّ الذين يعارضون ، لا يعارضون بما تسنه الإنسانيّة من أصول وقواعد للمعارضات الفكريّة ، ينعقون كالذي ينعق بما لا يسمع كما يقول القرآن الكريم . فهم يأتون بأقوال قالتها فوقٌ أخرى غير الشيعة ، وبأقوال قالها غير الاثني عشريّة من الشيعة ، فيدوّن بها على الشيعة ويجعلونها مأخذاً عليهم ومطعناً فيهم .

هذا أقلّ ما يقال فيه أنّه ليس من الإنصاف ولا من العقل في البحث ولا من حسن النيّة في النقاش الفكري ، فمن يلتزم بأنه إمامي اثنا عشري لا يسعه إلاّ أن يؤمن بأنّ هذا العدد قد اكتمل ، لأنّ الأئمة متناسلون إمام مّن إمام ،وأن الثاني عشر هو الذي يكون إدامةً بحياته للإمامة الإلهيّة ومنجزاً ما وعد الله به خلقه ونبيه ، وعن طريق نبيه وعدنا نحن أمته .ونفتخر بذلك . وعداً قاطعاً بأن يظهر دينه ،وأن يعلي كلمته ،وأن يحقّق الحكم الإلهي العادل الذي لا يميل والرحيم الرؤوف الذي لا يتجاوز الرأفة والرحمة على الخلق .

فحصر عدد الأئمّة بالاثني عشر حصر يلزمه لزوماً قطعياً واضحاً صريحاً أنّ يكون الثاني عشر له ظهور ،وأن هذا الظهور قطعاً يكون بعد الغيبة ; لأنّه لم يكن له ظهور قبل الغيبة .

المسلك الثالث أحاديث الثقلين

كلّكم سمعتم بها ، وهذه الأحاديث أيضاً متواترة .

ولا أتكلم عن قول القائل الذي قال بأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال : « إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وسنتي »[1] ، إن صح أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال وسنتي ، فهو أراد أن يلقم من قال : حسبنا كتاب الله[2] حجراً لا يقول به بعده ، ولكن مع ذلك قال ما قال ومنع الأُمّة من كتاب نبيها الذي يقول (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو أصدق قائل بعد الله سبحانه وتعالى : « لن تضلوا بعده أبداً » والاّ إيماننا بالإمامة والأئمة واتباّعنا للأئمة واهتداؤنا بهديهم واقتداؤنا بسنتهم من العمل بسنته (صلى الله عليه وآله وسلم) وكتاب ربّه ، قال عزّ من قائل : ﴿ إِنَّما وَلِيكُمُ اللهُ ﴾[3] ، آمنّا وصدّقنا وإن شاء الله نحن ممّن يتولىّ الله ﴿ وَمَن يَتَوَلَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾[4] .

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم) ثلاث أحوف بين أن يكون ثاني الثقلين أهل بيته سلام الله عليهم أجمعين ، أو تكون سنّته ، نعم لو ورد سنّته ، فهو لكي يلقم من قال : حسبنا كتاب الله ، حجراً لا يقوله ، ولكن مع الأسف الشديد قالها في أسوء الظروف وأنكاها : حسبنا كتاب الله .

فحديث الثقلين يقول : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، ألا وإنّه قد نبأني اللطّيف الخبير أنهمّا لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض »[5] .

1- انظر المستدرك للحاكم ١ : ٩٣ .
2- صحيح البخاري ٦ : ٣٧ و٥ : ١٣٨ و٧ : ٩ .
3- المائدة : ٥٥ .
4- المائدة : ٥٦ .
5- مسند أحمد ٣ : ١٧ ، مسند ابن الجعد : ٣٩٧ ، مسند أبي يعلى ٢ : ٢٩٧ ح ١٠٢١ ، كنز العمال ١ : ١٨٦ ح ٩٤٤ .

هذه جملة ما معناها ؟

الذي انطبعت عليه نفوسنا أنّنا نقول بأنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يوصي كلّ وفد من أفواد أمتهّ بأن منّ أخذ بالكتاب العزيز ، عليه أن يأخذ بعدل الكتاب العزيز ، وهو الأئمّة الذين ذكرهم وعينّهم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فالأُمّة اختلفت ، وقد يقول قائل بأنّ البعض أخذ بالعترة وترك الكتاب ، والبعض الآخر أخذ بالكتاب وترك العترة ، لكن رسول الله لا يقول هذا ، لا يقول لا تفرّقوا بينهما فتأخذوا بأحدهما وتتركوا الآخر ، « لن يفترقا » يعني القرآن مع العترة والعترة مع القرآن ، لا يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض ، لا أنهّ لا تفرقّوا بينهما حتى يرد على أحدكم الموت ، يعني : لا تفرقّوا بينهما حتّى يأتيكم الموت .

يقول : « لن يفترقا » ، معنى ذلك : أنّ من أخذ بالكتاب أخذاً كما يريده الله لا يمكن أن لا يأخذ بأهل البيت ، ومن أخذ بأهل البيت(عليهم السلام) كما أرادوه له أخذ بالكتاب كما أراد الله سبحانه وتعالى .

فالقضية ليست قضية اختيار منّا حتّى يكون الأمر الإلهي بأن نجمع بين العدلين ، لا أن نأخذ بواحدة سواء أكان الكتاب العزيز أم العترة الطاهرة ، وأن نترك الآخر سواءً أكان الكتاب العزيز أم العترة الطاهرة لا ، أنهّما لن يفترقا ، وذلك كقوله

(صلى الله عليه وآله وسلم) : « علي مع الحق والحق مع علي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض »[1] .

يعني أن عليّاً سلام الله عليه لا يمكن أن يكون في جانب ويكون الحق في الجانب الآخر ، فإن رأيتم عليا يسير سيرا خاصا فاعلموا أنّ الحقّ يسير معه .

إذن فحديث الثقلين لا مورد له إلاّ أن يكون للآخذ بالقرآن من قبل الأُمّة

1- تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢٢ حديث ٧٦٤٣ ، المستدرك للحاكم ٣ : ١١٩ ، مجمع الزوائد ٧ : ٢٣٥ ، شرح نهج البلاغة ٢ : ٢٩٧ .

المسلمة ولو كانت بعد ألف وأربعمائة وعشرين سنة من هجرته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وألف وأربعمائة وعشر سنين من رحلته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فالآن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بالنسبة لنا كلّنا نحن الإخوة المجتمعون هنا يوصينا : « إنّي تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي الا وإنّهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما »[1] .

فنحن أيضاً القرآن الكريم ماثل أمامنا لا في طبعته الحاضرة ، وإنّما بصورته الأصلية التي تمثلّها طبعات القرآن الكريم إن شاء الله كاملةً غير منقوصة ولا مزادة ، فأين العترة التي نأخذهم ؟ الذين ماتوا ؟ فهم (عليهم السلام) قد انتهت أيام إمامتهم ، فلابدّ وأن يكون للثقل الآخر وجودٌ حي كوجود القرآن الكريم ، فعلينا نحن الأمُةّ المسلمة أن نأخذ به كما نأخذ بالقرآن الكريم .

1 - انظر : المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٠٩ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٦٣ ، وكتاب السنّة لعمرو بن أبي عاصم : ٦٢٩ حديث ١٥٥٣ ، السنن الكبرى ٥ : ٤٥ حديث ٨١٤٨ .

المسلك الرابع فيما يرويه غير الإمامية

وهنا أستعين بما يرويه إخواننا غير الإماميّة .

قلت بأنّ أحاديث المهدي كما هي متواترة عند الإمامية متواترة عند غيرهم ، بحيث إنّهم يرون أن الإيمان بالمهدي وظهوره إيمان بما أخبر الله به خبراً قاطعاً صريحاً جاءت به الرواية أو السنةّ المتواترة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولا أجدني بحاجة إلى أن أحكي نصوصهم بتواتر الحديث وأنّ من أنكره فقد أنكر أمراً ثبت ثبوتاً قاطعاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه أخبر به ، وإنّما أحكي نصوصاً مختارة من نصوصهم ، هذه النصوص تدل على أن المهدي سلام الله عليه خليفة من نوع آخر ، لا من نوع خلفائهم الذين التزموا بصحّة خلافتهم وصحّة إمامتهم وأنهّم خلفاء هدى وسموهّم الخلفاء الراشدين واختصّوا بثلاثة منهم تقدّموا على مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه .

أنا أحكي النصوص ثمّ آتي بالجهة التي أريد أن أستدلّ بها ، طبعاً المجموعة طويلة ، وأنا حذفت الأسانيد وحذفت المصادر المتكثّرة واكتفيت بمصدر واحد أو مصدرين :

عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه [وآله وسلّم] : « لو لم يبق من الدنيا إلاّ يوم لطولّ الله ذلك اليوم حتّى يبعث فيه رجلا منّي أو من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلا كما ملئت ظلما وجورا »[1] .

أيضاً بمثله : عن عبد الله بن مسعود بلفظ يقرب من هذا ، وعن علي بن أبي طالب ، وعن حذيفة بن اليمان ، وعن قرة بن أياس المزني ، وعن عبد الرحمن بن عوف .

1- سنن أبي داود ٢ : ٣٠٩ حديث ٤٢٨٢ .

كل هؤلاء اتّفقوا في بعض ماورد من لفظ الحديث عندهم ، وبعضهم اكتفى بذلك اللفظ وحده ، نعم عبد الله بن مسعود جاء الحديث عنه بألفاظ مختلفة وفيها نوع من التناقض أو المجافاة أو عدم الملائمة بين الفاظها ، وهذا أيضاً أتركه إلى مجال آخر .

المهم هذه الكلمة : « حتّى يبعث الله » ، معنى ذلك : أن قيام المهدي سلام الله عليه وظهوره بإرادة مباشرة من الله سبحانه وتعالى ، فالله سبحانه وتعالى حينما يريد أن يخبر عن رسالة رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) كيف يقول ؟ ﴿ هوَ الَّذي بَعَثَ في الاميينَ رَسولا منهم يتلوا عليهمْ آياته وَيزكيهم ويعلمهمُ الكتابَ والحكمةَ ﴾[1] إلى آخر الآيات الكريمة .

فرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هنا يأتي بكلمة : « يبعث » كما قال الله سبحانه وتعالى عن رسالته ونفسه ﴿ هُوَ الَّذِي بعَثَ ﴾ ، وكلمة بعث جاءت للتعبير عن إرسال الرسول في آي كثيرة من آي الذكر الحكيم ، لا للدّلالة على أنّ المهدي سلام الله عليه رسول بعد رسول الله ، بل للدّلالة على أنّ العمل عملٌ مباشر قام به الله سبحانه وتعالى .

وقد يقول قائل : بأنّ حقّ الاختيار للأمّة يشمل حق اختيار خليفة عليها ، ويقول أيضا : بأن هذا الخليفة وان كان قد احتل منصب الزعامة عليهم باختيار منهم ، وأساس الاختيار بيعتهم له ورضاهم بأن يكون هو الذي يتأمّر عليهم ، ولكن حيث إنّ الله سبحانه وتعالى . هنا أحكي أقوالا ولا أناقشها . قد رضي بهذه الخيرة ، ورضي بها رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فنكون قد نسبنا منصب من اختوناه إلى أنّه خلف نبي الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

أمّا هنا ، فالله سبحانه وتعالى إن أسندنا إليه الرضا ، فيكون الخليفة خليفة من قبل الله بصورة غير مباشرة ، حيث إن الله سبحانه وتعالى لم يرشدنا إلى أحد

1- الجمعة : ٢ .

ولم يأمرنا أن ندين لأحد ولم يأمرنا بالبيعة اللازمة لمن له منصب إلهي ، علينا أن نلتزم بالإيمان بمنصبه ، والإيمان بما يأتيه ﴿ يا أيُّها النبَّي إذا جاءكَ المؤمناتِ يبايعنكَ عَلىٰ أن لا يشركنْ بالله شيئاْ وَلا يسرقنَ ﴾[1] إلى آخرِ الآية الكريمة .

فالبيعة في القرآن الكريم جاءت كتأكيد من قبل المؤمن بإيمانه لا اختيار حرٌّ يقوم به في عالم المنافسات السياسية .

ولأجل هذا حينما يريد أن يعبّر عن إرسال رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : ﴿ هوَ الَّذي بعثَ في الأميين رَسولا منهمْ ﴾[2] ، هنا أيضاً يقول : « حتّى يبعث الله فيه رجلا منيّ أو من أهل بيتي » ، يعني إماما قدّر الله سبحانه وتعالى له الإمامة ، مباشرة وأنّ الله سبحانه وتعالى قد غيّبه عن خلقه بأمر منه مباشر ، وأنه يريد له الغيبة بحكمته كما يريد ، طال الزمن أو قصر ، عاشت الأُمّة في أمل أو خفّ عندها الأمل ، ولكن هذا الوعد ، وعد قاطع بأنه لابد وأنّ يكون هذا المغيب الذي غيّبه الله سبحانه وتعالى بأمر منه أن يكون هو الذي يأمر بظهوره حتّى يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا .

فإذن إمامة المهدي إمامة إلهية ، لأنّ كلمة يبعث تدلّ عليها ، وظهور المهدي ظهورٌ إلهي ، لا ظهور إلهي بالمعنى العرفاني ، يعني ظهوراً بأمر خاص من الله سبحانه وتعالى ، كما يعبر عنه الحديث الذي يروى عن أمير المؤمنين سلام الله عليه : « المهدي منّا أهل البيت يصلحه الله في ليلة »[3] ، معنى « يصلحه الله في ليلة » يعني حوائجه . وليس معناه : أنّ الله سبحانه وتعالى يهيّء له عرش السفر في ليلة واحدة ويأخذ له تذاكر السفر . أي بعد أن يكون عليه الصلاة والسلام لا يأمل بقرب ظهوره وانتهاء أمد غيبته في ليلة يأمر الله سبحانه وتعالى له فيظهر في صبيحتها ، هذا معنى يصلح الله أمره في ليلة .

1- الممتحنة : ١٢ .
2- الجمعة : ٢ .
3- مسند أحمد ١ : ٨٤ حديث ٦٤٦ وانظر كنز العمال ١٤ : ٢٦٤ حديث ٣٨٦٦٤ .

إذن فالمهدي هذا إمامٌ إلهي لا إمام اختوناه فرضي الله لنا ما اختونا بخيرتنا نحن ، وغيبته غيبة إلهية وظهوره ظهور إلهي ، ومثل هذا الإمام لا يكون إلاّ من جنس أئمتنا نحن الإمامية .

وهنا كلمة فوّهها إخواننا حيث يقولون في عدد الأئمة « الأئمة بعدي اثنا عشر » ، يقولون : إن الذين يخلفون على الأمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم عدول لا يجورون ولا يظلمون اثنا عشر ، ويجمعون الخلفاء الراشدين ، ومعاوية هم يجوجرون به إلى الخلافة لا إلى النار وبعد ذلك يحتارون مَن ؟ قد يصلون إلى السفاح والمنصور وكذا وكذا ، هؤلاء لا تربطهم رابطة سوى أنّهم انتزعوا من ضمن قائمة الخلافة الراشدة وغير الراشدة عندهم ، انتزعوا انتزاعاً لهوى في نفوس المنتزعين ، لا لمزية في الأشخاص الذين انتزعوا وفصلوا عمّن سبقهم وهو الذي عيّنهم وعمّن جاء بعدهم ، وهو الذي عيّنوه هم وحكّموه على رقاب الأمة . عمر بن عبد العزيز اختاره الخليفة الذي قبله هو راشد ، والذي اختاره غير راشد ، عمر بن عبد العزيز استخلف فلاناً ، ذلك المستخلف من قبل عمر بن عبد العزيز غير راشد ، ولكن عمر بن عبد العزيز نفسه راشد ، فإن كان راشداً فمن استخلفه كان أيضاً راشداً في استخدامه ، والذي استخلفه هو على الأمة وتمكنه من رقاب الأمة أيضاً خليفة راشد وإن كان غير راشد ، فالحكم لكم أنتم .

معنى ذلك : أنّ أحاديث المهدي عندهم فيها نصّ ، هذا النصّ يؤكد بصورة قاطعة أن المهدي (عليه السلام) ليس من جنس الخلفاء الذين استخلفوا على هذه الأُمّة بعد وفاة نبيها (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وانمّا هو إمام إلهي .

وهذا لا ينسجم إلاّ مع رأي الإمامية في الإمامة ، ومعنى ذلك أنّ أحاديث المهدي عندهم تشير إلى أن إمامة المهدي سلام الله عليه إمامة إلهية وإن لم يقولوا بها في أحد غيره ممن جاؤا بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كخلفاء على الأُمّة ، حتّى في حقّ أمير المؤمنين سلام الله عليه ، وهو الخليفة الإلهي عندنا نحن الإمامية .

إذن فإمامة المهدي (عليه السلام) إمامة إلهية ، هذه الإمامة الإلهية لا تتمّ إلاّ في ضمن سلسلة منتظمة انتظاماً إلهياً ، على النحو الذي نقول به نحن الإمامية .

فأحاديث المهدي سلام الله عليه عند إخواننا فيها ما يدلّ دلالةً قاطعةً على النظرة التي تنظر بها الإمامية إلى المهدي سلام الله عليه .

ويؤكّده حديث يروونه هم عن أمير المؤمنين سلام الله عليه قال : « قلت : يا رسول الله المهدي منا أئمة الهدى أم من غيرنا ؟ » فإذن أمير المؤمنين سلام الله عليه يفرض مسبقاً أن هناك أئمّة هم أئمة هدى ، وهدايتهم لا بالانتخاب ، لأنه يسألها في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عنه وبعد لم يمت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتّى يكون هناك انتخاب للخليفة ، ويكون الخليفة منتخباً انتخاباً شوريا فاز في المنافسة السياسية التي كانت حوله قائمة لم يزيف فيها رأي ولم يفتعل فيها رأي ، ففي حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يسأل أمير المؤمنين سلام الله عليه يقول : « قلت : يا رسول الله المهدي منا أئمّة الهدى أم من غيرنا ؟ قال : بل منا ، بنا يختم الدين كما بنا فتحُ » [1] .

إلى هنا والحديث بعد طويل ، والحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين .

1- كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي : ٢٢٩ ، وانظر : المعجم الأوسط ١ : ٥٦ ، مجمع الزوائد ٧ : ٣١٧ .

(٣٧) العصمة

السيّد كمال الحيدري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين .

قال الله تعالى في محكم كتابه العزيز : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [1] ، في هذه الدقائق التي نحن بخدمة الإخوة نحاول أن نقف على بحث العصمة ، طبعاً في المقدّمة أنا أشير بأنّه عندما نريد أن نتكلم عن العصمة هناك أبعاد متعدّدة في هذا البحث المهم .

أبعاد العصمة

البعد الأوّل : هو أنّه ما هو الدليل على العصمة ؟

نحن في هذا اليوم نريد أن نتكلّم عن أدلّة العصمة لا عن محتوى العصمة ، وأن العصمة هل هي اختيارية أو جبرية ؟ هل هي هبة من الله تعالى ، أي : وهبية أو كسبية ؟ وهل هي ملكة أو أنّ الملكة أمر مترتب على قوّة العصمة ؟

هذه أبحاث مربوطة بمحتوى العصمة .

في هذا اليوم أنا لا أريد أن أقف عند هذا البحث ،وإنّما أريد أن أتكلّم عن أدلةّ العصمة .

البعد الثاني : إنّنا نريد أن نتكلّم عن إثبات العصمة بنحو القضية المهملة كما يقول المناطقة يعني في الجملة لا في سعة دائرة العصمة وضيق دائرة العصمة ; لأنّه هناك بحثان : تارةً نتكلّم أن فلانا معًصوم أو ليس بمعصوم ؟ وبعد أن ثبتت عصمته نتكلّم أنّه معصوم في الأحكام والموضوعات أو مختص في الأحكام ؟ وفي الأحكام بعد البلوغ بعد الإمامة بعد النبوّة ؟ هذه مرتبطة بدائرة سعة العصمة وضيقها .

1- الأحزاب : ٣٣ .

وهذا من قبيل ما يبحث أنّ خبر الواحد حجّة أو ليس بحجة ؟ وبعد أن ثبتت حجية خبر الواحد يبحث عن سعة دائرة الحجيّة وضيقها ، في هذا البحث أيضاً نحن لا نريد أن نبحث عن سعة وضيق دائرة الحجّة أو العصمة ،وانمّا نريد أن نرى دائرة العصمة في الجملة ،وأنّه يوجد معصوم أو لا يوجد ؟

البعد الثالث : هو أنّ بحثنا في إثبات المعصوم بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ،وإلاّ لم يقع خلاف بين المسلمين في أنّ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان إنساناً معصوماً على اختلاف الاتجاّهات الإسلامية في أن عّصمة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ما هي دائرتها سعةً وضيقاً ؟ ليس حديثنا في زمن النبي الأكرم ،وانمّا حديثنا ينصب بّعد النبي الأكرم ، وبعد ارتحاله من هذا العالم ،وأنّه هل يوجد عندنا معصوم أو لا يوجد ؟

أتصوّر إلى هنا اتّضحت لنا أبعاد البحث الذي نريد أن نقف عنده ،وهو أنّ حديثنا في أدلةّ العصمة لا في محتواها هذا أولاّ ،وأنّ حديثنا في أصل العصمة لا في درجات العصمة وسعة دائرتها وضيقها هذا ثانياً ،وأنّ الحديث بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) لا في زمانه عليه أفضل الصلاة والسلام ، هذا هو موضع البحث .

النقطة الأُخرى التي لابدّ أن نلتفت إليها هي أنّ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) تعتقد بأن أهم مسائل وأركان الإمامة تدور حول هذه النقاط الثلاث :

أولاً : عصمة الإمام .

ثانياً : النصّ على الإمام .

ثالثاً : استمرار الإمامة بوجود الإمام الثاني عشر الحجّة المنتظر (عجلّ الله فرجه) .

هذه هي أركان نظرية الإمامية فيما يرتبط بالإمامة : العصمة ، النصّ ، دوام الإمامة . ولكن لا دوام الإمامة بأن يأتي إمام واحد بعد آخر ، نعتقد بدوام الإمامة من خلال وجود الإمام الثاني عشر من أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) ، هذه هي أركان مسائل الإمامة ، إذن اتّضح موضوع البحث ،واتّضح أيضا لّنا أركان نظرية الإمامة ما هي ؟

في الآونة الأخيرة لعلّ الإخوة إمّا سمعوا وإمّا قرأوا وإمّا بأي طريق آخر وصل إليهم أن بعض الكتاب المعاصرين حاولوا أن يشكّكوا في هذه الأصول الثلاثة للإمامة ،وهذا ما هو المعروف عن أحمد الكاتب في كتابه تطوّر الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلىولاية الفقيه ، في هذا الكتاب يحاول الكاتب والمؤلّف أن ينكر هذه الأصول الثلاثة ، يعني أن ينكر العصمة أولا ، وأن ينكر النصّ ثانياً ،وأن ينكر إمامة الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) ثالثا .

أنا فقط للإشارة حتّى يتّضح بأننا لا نقول شيئا هو لا يرتضيه ، هو في كتابه هذا في ص ٤٤٢ يشير إلى هذه النقطة ويقول : وكان من الأجدر بعد إعادة النظر في أساس الفكر الإمامي والتخلّي عن شروط العصمة والنصّ والسلالة العلوية الحسينية في الإمام أن يعاد النظر في الفرضية المهدوية التي توسّعت عن نظرية الإمامة الإلهية وحتمية وجود الإمام المعصوم المعيّن من قبل الله .

وكذلك يقول في ص ٤٤٧ : وختاماً نقول : إنّ الفكر السياسي الشيعي لن يستطيع التقدّم نحو الأمام ولإرساء قواعد الشورى ولن يستطيع تحقيق ذلك إلاّ بالتخلّص من أوهام المتكلمّين وفرضياتهم الخيالية التي أدخلوها في تراث أهل البيت وعلىرأسها فرضيةولادة ووجود الإمام محمّد بن الحسن العسكري التي لم يقل بها أهل البيت ولم يعرفوها في حياتهم .

إذن واضح من هذين النصّين ونصوص أخرى كثيرة في الكتاب يشير إلى مناقشة هذه الاُصول الثلاثة جميعاً ، يعني مسألة العصمة ، مسألة النصّ ، ومسألة إمامة الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت (عليهم السلام) .

ونحن في هذا اليوم نرجو الله سبحانه وتعالى أن نوفّق لمناقشة المقولة الأولى من مدّعياته وهو إنكار أصل نظرية العصمة في أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) ،وأمّا فيما يرتبط ببحث النصّ تفصيلا ، وفيما يرتبط بمسألةولادة الإمام الثاني عشر واستمرار الإمامة من خلال وجود الإمام الثاني عشر لعلّه نوفّق لذلك في مجال آخر .

إذن حديثنا ينصبّ على هذه النقطة وهي مسألة العصمة ، من هنا سوف أدخل إلى البحث سوف أدخل في صلب الموضوع وهو أنّه يقع حديثنا في العصمة من خلال البحوث التالية :

هل انفرد الشيعة بالقول بوجود معصوم بعد النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟

البحث الأوّل : الذي أعتقد أنّه يعُد مّن الأبحاث الأساسية هو أننا لابد أنّ نعرف أن القوّل بوجود معصوم بعد النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم) هل هي من مختصّات مدرسة أهل البيت أو لا ؟

لعلّ الإخوة ولعلّ الموجود في الكتب أيضاً هو هذا المعنى وهو أن ادّعاء وجود معصوم بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) هذه من مختصّات نظرية مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) والاّ غيرهم لم يقل بذلك .

ولكنّه سوف يتّضح من خلال استقراء وذكر جملة من كلمات علماء المسلمين من غير أتباع مدرسة أهل البيت سيتضّح بأن هذه النظرية ليست نظرية مختصّة بمدرسة أهل البيت(عليهم السلام) ، بل عموم علماء المسلمين يذهبون إلى ضرورة وجود معصوم بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) ، لا فقط يقولون بضرورة وجود معصوم بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ، بل

يقولون : إنّ الأرض لا تخلو من معصوم على الإطلاق .

نعم ، وقع الخلاف بين علماء المسلمين في من هو هذا المعصوم ؟ لم يقع الخلاف في أصل ضرورة وجود معصوم بعد النبي ، هذا مما اتّفقت عليه كلمة علماء المسلمين ، وإنّما اختلفوا في أنّ المعصوم من هو ؟ والأقوال الأساسية ثلاثة :

الأقوال في المسألة ثلاثة

القول الأوّل : يرى بأنّ المعصوم بعد النبي (صلى الله عليه وآله) هو علي وأحد عشر من أولاده(عليهم السلام) ، وهي نظرية أهل البيت(عليهم السلام) .

القول الثاني : هو نظرية جملة من محققي علماء المسلمين كالفخر الرازي

ومن تبعه أنّ هذا المعصوم هو إجماع الأُمّة « لا تجتمع أمتُي على خطأ»[1] .

القول الثالث : يعتقد بأنّ المعصوم هو الصحابي ، على خلاف بين علماء المسلمين في سعة دائرة الصحابي وضيقه ، طبعاً أذكر هذه النكتة ليس بالضرورة يصرّحون بأننّا نقول بعصمة الصحابة ، بعض يصرّح بذلك وبعض يلتزم به عمليا ، بعض يقول بأنّ سنّة الصحابي مطلقا هي حجة على حد حجّية قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) ويصرحون بذلك .

بعض يخصص عصمة الصحابي في الخلفاء الأربعة ، وبعض يخصص ذلك في الخليفة الأوّل والثاني ، ليس المهم عندي سعة دائرة سُنّة الصحابي وضيقها ; لأنّه ليس حديثي في هذا ، وانما حديثي في أن هناك قولا يلتزم عمليا بأنّ الصّحابة إما جميعاً وإمّا بعضهم أقوالهم وأفعالهم حجة على حد حجّية أقوال وأفعال رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

إذن القول بضرورة وجود معصوم بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ليس هذا من مدّعيات مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) ومن مختصّات هذه المدرسة ، وأكثر علماء المسلمين يذهبون إلى القول بضرورة وجود معصوم بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ، منهم الفخر الرازي ، منهم الشاطبي في الموافقات وغيرهم ، الآن أُشير إلى بعض هذه الكلمات .

الكلمة الأولى للفخر الرازي في تفسيره الجزء العاشر ص ١٤٤ في ذيل هذه الآية المباركة من سورة النساء : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾[2] ، يَقُولُ : «والدليل على ذلك أنّ الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية ، ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابدّ وأن يكون معصوماً عن الخطأ ; إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ

1 - شرح نهج البلاغة ٨ : ١٢٣ ، ٢٠ : ٣٤ ، المستصفى في علم الأصول : ١٣٨ ، ١٤٩ ، شرح النووي على مسلم ١٣ : ٦٧ ، مجمع الزوائد ٧ : ٢٢١ ، وفي الأخيرين (لا تجتمع أمّتي على ضلالة) .
2- النساء : ٥٩ .

كان . . .» . ويبدأ بالاستدلال أنا الآن لست في محل ذكر الاستدلال ، يقول : هؤلاء أولي الأمر ، الله أمر بطاعتهم مطلقاً

، ومن أمر الله بطاعته مطلقاً لابدّ أن يكون معصوماً عن الخطأ ، من هم هؤلاء ؟ قال : اعلم أن قوله : ﴿ وَاوُلِي الأمر مِنكم ﴾ يدلّ عندنا على أنّ إجماع الأمة حجة ، ومراده من الحجية ليس حجية قول المجتهد ، وانما يريد من الحجية العصمة ، فلهذا يقول : إنّ ولي الأمر في الآية لابدّ أن يكون معصوماً ، ثم يقول فإن قيل : المفسرون ذكروا في أولي الأمر وجوها أخرى ، ثم يناقش تلك الوجوه إلى أن يصل إلى الرأي الذي تقوله مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) ، يقول :ولا يمكن حمل الآية على أئمة أهل البيت(عليهم السلام) لما يرد علينا ، ثمّ يبدأ بالمناقشة ويقول في ص ١٤٦ من الجزء العاشر :وأمّا حمل الآية على الأئمة المعصومين على ما تقوله الروافض ففي غاية البعد لوجوه .

إذن هو لا يناقش في دلالة الآية على ضرورة عصمة أولي الأمر ، وإنّما يناقش – إن صحّ التعبير – في المصداق في الصغرى يقول : المراد ليس هو أئمّة ما يقوله الروافض ، وانّما هو إجماع الأمة ، هذا مورد من الموارد التي يشير إليها .

المورد الآخر الذي يشير إليه في تفسيره الجزء السادس عشر الصفحة ٢٢٠ هناك في ذيل هذه الآية المباركة من سورة التوبة ﴿ يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنوا اتُقوا اللَّهُ وكونوّا مَعَ الصُادقِينَ ﴾[1] ، هناك يوجد عنده بحث مفصّل يقول : فكانت الآية دالّة على أنّ من كان جائز الخطأ وجب كونه مقتدياً بمن كان واجب العصمة وهم الذين حكم الله تعالى بكونهم صادقين .

إذن الآية قالت : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنوا اتُقوا اللَّهُ وكونوّا مَعَ الصُادقِينَ ﴾ ، الصادقين من هم ؟ يقول : المعصومون .

هؤلاء معصومون لماذا ؟ يقول : لأنّ الله أمرنا بالكون معهم فلو كانوا يعصون الله هذا معناه أنّ الله أمرنا بأن نكون مع العاصين مع المخطئين مع المذنبين ، والله سبحانه وتعالى لا يأمر بالفحشاء والمنكر .

1- التوبة : ١١٩ .

إذن هذه الآية دالّة على أنّ الصادقين هم من المعصومين ، وهم الذين حكم الله بكونهم صادقين ، فهذا يدلّ على أنه واجب على جائز الخطأ كونه مع المعصوم عن الخطأ حتّى يكون المعصوم عن الخطأ مانعاً لجائز الخطأ عن الخطأ ، وله تصويح أوضح من هذا المعنى يقول :وهذا المعنى قائم في جميع الأزمان ، لماذا ؟ يقول : لأنّ الآية قالت : ﴿ كُونوُا مع الصادقين ﴾ ، فإذا لم يكن المعصوم معنا كيف نكون مع الصادقين ؟ ! وما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب .

هذه القاعدة يستعملها ويقول : وذلك مشروط بوجود الصادقين ، وما لا يتمّ الواجب إلاّ به فهو واجب ، يعني وجود المعصوم قائم في كُلّ زمان ، فوجب حصوله في كلُ الأزمان .

قوله : لِمَ لا يجوز أن يكون المراد هو المؤمن مع المعصوم الموجود في كل زمان ؟

قلنا : نعترف بأنّه لابدّ من معصوم في كلُ زمان ، ولكن المراد به مجموع الأمة ، وذلك يدل على أن قول مجموع الأمة حقّ وصواب ولا معنى لحجية الاجتماع إلا ذلك ، ثم يُناقش نظرية الإمامية القائلين بأن المراد من الصادقين أئمة أهل البيت(عليهم السلام) .

إذن تصل إلى هذه النتيجة أنّ مفسّرا كالفخر الرازي ، الذي له قدم راسخ ، ويعدُ أحد أكبر علماء المسلمين في التفسير ، هذا الرجل يجد أنّ هاتين الآيتين لا يمكن أن يناقش في دلالتهما على ضرورة العصمة ، وإنّما مناقشته تتم في المراد من المعصوم ، من هو المعصوم ؟

يقول : ليس المراد منه أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) ، وإنّما المراد منه إجماع الأمة .

القول الثالث : وهو سُنّة الصحابي ، صاحب الموافقات الشاطبي الذي يعُد أحد الأعلام في هذا المجال في كتابه الموافقات في أُصول الشريعة المجلد الرابع ص٤٥٠ يقول : المسألة التاسعة سُنّة الصحابة (رض) سنّة يعمل عليها ويرجع إليها ،

ثُمّ في الشرح في الحاشية يقول : فإننا نعد هذا كسنة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ونقتدي بهم فيه وعلى هذا . . . إلى آخره ، ثُمّ في الآخر يقول : وهذا كلهُ . يعني سنةُ الصحابة التي نقتدي بها أين ؟ . فيما ليس فيه نص مّن كتاب ولا سنة ؟

إذن واضح أنّه ماذا يريد أن يقول ، فلهذا يأتي الشاطبي في ص ٤٥٣ يقول : إنّ جمهور العلماء قدّموا الصحابة عند تزجيح الأقوال ، فقد جعل طائفة قول أبي بكر وعمر حجّة ودليلا ، نفس قولهم حجّة ودليل لا أنهّ كاشف عن سنةُ النبي (صلى الله عليه وآله) ، يعني نفس الحجّية التي نحن نقولها في أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) ، نحن وإن كنا نعتقد أن مّا يقوله أهل البيت(عليهم السلام) هو سُنّة النبي (صلى الله عليه وآله) ، ولكن نفس كلامهم حجة على حد حّجية قول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) .

وبعضهم عدّ قول الخلفاء الأربعة دليلا ، وبعضهم يعدّ قول الصحابة على الإطلاق حجة ودليلا .

الآن ليس هدفي الحقّ مع هذا أو ذاك ، وإنّما أريد أن أقول : إنّ هناك من يرى أن قول الصحابي فعل الصحابي حجة على حدّ حجيّة قول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) ، هناك شواهد في التاريخ أيضا كثيرة تشير إلى هذه الحقيقة التي أشرنا إليها ، يعني لا يتبادر إلى ذهنك أنّ هذه القضية صارت بعد ثلاثة أربعة خمسة قرون ، إنّهم يعتبرون قول الخليفتين الأوّل والثاني حجّة على حدّ حجيّة قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، بل سوف أقرأ لك بعض الروايات التي تبين لك أنه في الصدر الأوّل من الإسلام بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) وصلت الحالة ببعض المسلمين ليس فقط أن يجعلوا قول الخليفتين على حدّ قول الرسول الأعظم ، بل قدّموا قولهما على قول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) . من هذه الشواهد التي أشير إليها في كتاب منع تدوين الحديث للسيّد علي الشهرستاني الذي هو من الكتب القيمّة ، أنا بوديّ أن الإخوة يطالعون هذا الكتاب ، هناك في ص ١٧٢ يشير إلى مجموعة من الروايات أنا أشير إلى بعضها .

الرواية الأولى : سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال : تمتّع النبي (صلى الله عليه وآله) ، فقال عروة بن الزبير : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة ، فقال ابن عبّاس : ما يقول عروة قال : يقول : نهى أبو بكر وعمر عن المتعة ، فقال ابن عباّس : أراهم سيهلكون ، أقول : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ويقول : نهى أبو بكر وعمر .

فالقضية ليست أنّ الخليفة الأول والثاني ناقل للسنّة مجتهد في السنة، القضية أكثر من ذلك ، هذه ينقلها عن مسند أحمد الجزء الأوّل ص ٣٣٧ .

الرواية الثانية : عن ابن عبد البر : والله ما أراكم منتهين حتّى يعذّبكم الله ، أحدثكم عن النبي وتحدثوّني عن أبي بكر وعمر .

هذه موجودة في زاد المعاد الجزء الأوّل ص ٢١٣ .

الرواية الثالثة : عن عبد الله بن عمر أنّه كان يفُتي بالذي أنزل الله من الرخصة بالتمتع وما سنةّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، وقد اعترض عليه البعض بقوله : كيف تخالف أباك وقد نهى عن ذلك . هذه إشارة إلى روايات متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا أحرّمهما وأعاقب عليهما . فقال : أفرسول الله أحقّ أن تتبعوا سنتّه أم سنةّ عمر ؟ ! إذن التفتوا القضية ليست جديدة وحادثة بعد قرون .

وفي رواية أخرى ينقل هذه الرواية الترمذي الجزء الثاني ص ١٥٩ الحديث ٨٢٣ : أأمر أبي أتّبع أم أمر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ !

إذن هذه القضية واجتهاداته في هذا المجال كانت واضحة .

ولا آخذ وقت الإخوة فيما يرتبط بالمتعتين ، فيما يرتبط بحيّ على خير العمل ، فيما يرتبط بالإرث ، فيما يرتبط بموارد كثيرة يمكن مراجعتها في مضانّها المناسبة .

إذن عندما نرجع إلى هذه الكلمات نجد بأنّ هؤلاء يجعلون قول الصحابي ،ولا أقل قول الخليفتين الأول والثاني ، يجعلونه على حدّ قول رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ويعطون لهم الحجيّة ، افترض لا يصرحّون بالعصمة هذا لا يؤثرّ ،وانماّ يعملون

على أساس أنّه هذا تشريع من الله سبحانه وتعالى ، فلهذا أنتم تجدون الآن في الاتجّاه العام للمسلمين يعملون على الذي ذكره الخليفة الأوّل والثاني أو على الذي ذكره رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟

إذن من هنا يتّضح بأنّ الخليفة الأول والثاني لم يقولا بهذه الآراء بالعنوان الثانوي حتىّ يقال : إذا انتهى الظرف ينتهي الحكم ،وإنّما ذكروه بالعنوان الأولي يعني حكم الله سبحانه وتعالى ،وهذا ما تجده أنت في واقع المسلمين ، قد يقول قائل كما حاول البعض أن يوجّه ذلك بأنّه نحن إنمّا نقبل قول الصحابي وفعل الصحابي على سعة دائرته أو ضيقه لا من باب أنهمّ معصومون ، بل من باب أنّهم كانوا أقرب إلى سنةّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأعلم من غيرهم ، إلا أنّ هذا الكلام غير تام لماذا ؟ لأنّه نحن عندما نأتي إلى الغزالي في المستصفى نجده عندما يناقش سنُةّ الصحابي كاملا يفهم من نظرية سنةّ الصحابي لا أنّه أقرب إلى النصّ ، بل يفهم من سنةّ الصحابي أنه معصوم لا أنه أقرب إلى النص .

هذا ليس من علماء الإمامية حتّى يقال : إنّ هؤلاء يفسرّون هكذا ، فإن الغزالي عندما يأتي إلى مناقشة هذه الأقوال ، طبعا

أنا أنقل النصّ من الأُصول العامة للفقه المقارن للسيد محمد تقي الحكيم أستاذنا حفظه الله فإنه يقول في ص ٤٣٩ . بعد أن يذكر هذه الأقوال الثلاثة التي نقلناها عن الشاطبي يعني أنّ سنّة الصحابي هو قول الخليفتين الأول والثاني أو الخلفاء الأربعة أو جميع الصحابة يقول : إنّ من يجوز عليه الغلط والسهو ولم تثبت عصمته عنه [يعني عن الرسول الأعظم] فلا حجّة في قوله ، فكيف يُحتجّ بقولهم مع جواز الخطأ ، وكيف تدُعّى عصمتهم من غير حجة متواترة[1] .

إذن ماذا فهم من سنّة الصحابي ومن حجيّة قول الصحابي ، فهم أنهّم يريدون أن يقولوا بعصمة الصحابي لا يصوحّون ، ليس التصريح مهمّاً المهم أنهّم التزموا

1- المستصفى : ١٦٨ ، وانظر : الأُصول العامّة للفقه المقارن : ١٣٩ و٤٣٩ .

مضموناً بأنّ هذا حجة بالمعنى الذي نلتزمه من أقوال أئمة أهل البيت(عليهم السلام) يقول : وكيف تدعّى عصمتهم من غير حجّة متواترة ؟ ! وكيف يتصورّ عصمة قوم يجوز عليهم الاختلاف ؟ ! وكيف يختلف المعصومان ؟ ! كيف وقد اتفقّت الصحابة على جواز مخالفة الصحابة ، فلم ينكر أبو بكر وعمر على من خالفهما بالاجتهاد ، بل أوجبوا في مسألة الاجتهاد على كُلّ مجتهد أن يتبعّ اجتهاد نفسه ، طبعا نظرياً وإلا عمّلياً لم يكونوا كذلك .

التفت إلى الأدلّة الثلاثة لنفي عصمة الصحابي لأنّه هو فهم من سنّة الصحابي عصمة الصحابي ، يستدل بأدلة ثّلاثة ويقول : فانتفاء الدليل على العصمة أوّلا ، ووقوع الاختلاف بينهم ثانياً ، وتصريحهم بجواز مخالفتهم فيه ثالثاً ، ثلاثة أدلة قاطعة على عدم عصمة الصحابة .

إذن إلى هنا انتهينا إلى هذه النقطة وهي أنّ مبدأ العصمة بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ، والقول بضرورة وجود معصوم بعد النبي (صلى الله عليه وآله) هذه القضية وهذه المسألة مما اتّفقت عليها كلمات علماء المسلمين ، وإنمّا الاختلاف في بيان المصداق من المعصوم الذي لابدّ من الاقتداء به وكون قوله حجّة ودليلاً علينا اختلفوا على أقوال ثلاثة :

القول الأوّل : سنُةّ الصحابة .

القول الثاني : إجماع الأمّة .

القول الثالث : أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) .

طبعاً في كتاب المستصفى الغزالي كفانا مؤنة القول الأول يعني سنُةّ الصحابي تكون معصومة وحجة ودليلا كحجية قول الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) بما أشرنا إليه إجمالا ، وتفصيله في محلّه .

الأدلّة الدالّة على وجود معصوم بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) :

الآن أنتقل إلى البحث الثاني وهو أدلّتنا على ذلك : قد يقول قائل . ومن حقّه ذلك . : أنتم تقولون هذا الكلام ولكنّ هل يوجد دليل من القرآن والسُنّة على

ضرورة وجود المعصوم بعد النبي (صلى الله عليه وآله) ؟ هذا الذي قلتموه عبّروا عنه إجماع علماء المسلمين ، ولكن الإجماع لا يمكن أن يُعدّ دليلا قويا في المسألة الاعتقادية .

إذن ما هو دليلكم على هذا المبدأ ؟ بعد أن اتّضح أنّه ليس من اختصاصات مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) .

الأدلّة على ضرورة العصمة بعد النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) الحقّ والإنصاف كثيرة جداً ، الدليل الذي يذكر عادة في الكلمات هو آية التطهير وإن وجدت أنّ بعض الكتّاب يعترض ويقول : لماذا تغالطون وتقولون آية التطهير هذه ليست آية كاملة ، وإنّما هي جزء من آية ٣٣ من سورة الأحزاب فلماذا تعبّرون عنها بآية ؟

الآن هي جزء من آية ٣٣ من سورة الأحزاب ليس البحث في هذه الجهة ، وأنا الآن لا أقف عند هذه الآية ; لأنّه الإخوة لا أقل يعلمون بأنّه بحثت هذه المسألة مفصّلا في كتاب العصمة ، وفيه أشرت إلى هذه الآية مفصلا وما يرد عليها من الشبهات والإشكالات الداخلية والخارجية والروايات الواردة والمتعارضة فيما بينها تفصيلا ، فلهذا الآن لا ندخل في ذلك البحث ، وإنّما ننتقل إلى دليل آخر هو آية الإطاعة قول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1] .

الاستدلال بآية : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ :

هذه الآية المباركة تقريب الاستدلال بها على إثبات عصمة أولي الأمر يقع البحث فيها في مقامين :

المقام الأوّل : إنّه ما هو تقريب الآية على عصمة أولي الأمر ؟

المقام الثاني : من هو المراد من أولي الأمر ؟

1- النساء : ٥٩ .

يعني بيان المصداق ، ومن خلال ذلك سوف تنتفي نظرية الفخر الرازي أيضاً .

أمّا المقام الأوّل من البحث : وهو أنّه كيف تدل الآية على العصمة ؟

الإطاعة في القرآن على قسمين : إطاعة مطلقة وإطاعة مقيّدة .

ما هو المراد من الطاعة المقيّدة ؟ الطاعة المقيّدة المراد منها واضح ، وهو أنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، هذه طاعة نعبّر عنها بالطاعة المقيّدة ، فلهذا نحن نقرأ في الآية الكريمة في سورة العنكبوت : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾[1] .

إذن تجب طاعة الوالدين ما لم يأمرا بالمعصية ولم يأمرا بالشرك .

هذه الطاعة نعبّر عنها بطاعة مقيّدة .

وعندنا طاعة في القرآن نعبّر عنها بطاعة مطلقة .

يعني لا يوجد فيها قيد «ما لم يأمر بمعصية» من قبيل طاعة الله سبحانه وتعالى ، هل يمكن أن نقول تجب طاعة الله ما لم يأمر بمعصية ؟ هذا التقييد غير صحيح ، لماذا ؟ لأنّ الله سبحانه وتعالى هل يأمر بالمعصية أو لا يأمر بالمعصية ؟

الله الذي يقول في القرآن الكريم : ﴿ إِنَّ اللهَ . . . وينهَىٰ عن الفحشاءِ والمنكرِ ﴾[2] هل يمكن أن يكون الله آمراً بالمعصية ؟ آمراً بالشرك ؟

أساساً هذا غير معقول .

إذن طاعة الله سبحانه وتعالى في القرآن هل هي طاعة مقيّدة أو طاعة مطلقة ؟ من الواضح بأنّها طاعة مطلقة وليست مقيّدة .

إذا اتّضح هذا البيان نأتي إلى الآية المباركة لنرى أنّ الإطاعة في الآية للرسول ولأُولي الأمر هل هي طاعة مقيدة أو طاعة مطلقة ؟ فإن كانت مقيّدة لا

1- العنكبوت : ٨ .
2- النحل : ٩٠ .

تدل على العصمة ، أمّا إذا كانت مطلقة تدل على العصمة أو لا تدل على العصمة ؟ هذا معناه أنّ الله شخّص في رسوله أنه يأمر بمعصية أو لا يأمر ؟ يأمر بخطيئة أو لا يأمر ؟ لو كان يعلم من نبيّه أنّه يأمر بمعصية أو يخطأ في أمر ونحو ذلك كان الأمر بطاعة رسول الله المطلقة نقض للغرض ، أمّا إذا أمر الله بطاعة رسوله مطلقاً كما في الآية المباركة فهذا يكشف أنّ رسول الله معصوم أو غير معصوم ؟ يكشف عن عصمته ، لماذا ؟ لأنّ الله أمر بطاعته المطلقة لا بطاعته المقيّدة ، إذا اتّضحت هذه المقدّمات نأتي إلى الآية المباركة ، في الآية المباركة لا إشكال ولا شبهة أنّ الطاعة بالنسبة إلى الله طاعة مطلقة ; لأنّ الآية قالت : ﴿ يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ ﴾ ، هذه الطاعة مطلقة أو مقيّدة ؟ من الواضح أنّها طاعة مطلقة لا مقيدّة ، نأتي إلى طاعة الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) إذا قلنا : إنّ ﴿ أَطِيعُوا ﴾ الثانية تأكيد للأُولى فمعناه يكون من قبيل قوله ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ ، وعندنا آيات كثيرة في القرآن جعلت طاعة الرسول في عرض طاعة الله سبحانه وتعالى ، عندما أقول في عرض طاعته ليس المراد أنّها تقابل طاعة الله ، بل مرادي في العرض يعني كما أنّ طاعة الله مطلقة ووجوب طاعته مطلق وجوب طاعة الرسول أيضاً مطلق ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ ، وآيات كثيرة في القرآن تشير إلى هذه الحقيقة .

فإذا قلنا : ﴿ وَأَطِيعُوا ﴾ الثانية أيضاً للتأكيد فمرجعها إلى ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ ، أي : مرجعهما إلى ﴿ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ ﴾ ، فطاعة الرسول تكون مطلقة كما تكون إطاعة الله وطاعة الله مطلقة ، وهناك شواهد عدّة في القرآن تثبت أنّ إطاعة الرسول مطلقة وليست مقيّدة .

من هذه الشواهد أوّلا : إنّ الآية مطلقة بخلاف آية سورة العنكبوت ﴿ وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ﴾ ، فلو كانت طاعة رسول الله مقيّدة كان ينبغي أن يذكر القيد ، لماذا ؟ لأنّه في المقام يوجد توهمّ أن طاعته مطلقة على حدّ طاعة الله تعالى ، وحيث لم يقيّدها إذن نستكشف أنّ طاعته مطلقة .

هذا مضافاً إلى أنّ الآية المباركة قيدّت وجوب الطاعة بأمور أسهل من ذلك فكيف بأمر مرتبط بطاعة رسول الله ، أيهمّا أعظم طاعة الوالدين أو طاعة الرسول ؟ أيّهما أخطر على الأمّة طاعة الوالدين أو طاعة الرسول ؟ من الواضح أنّ طاعة الرسول أخطر على الأمّة لو كان فيها خطأ من طاعة الوالدين .

القرآن فيما هو أقلّ خطراً قيدّ الطاعة فكيف لا يقيدّ الطاعة فيما هو أعظم خطراً على الأمة لو كان فيه احتمال الخطأ والخطيئة والاشتباه ونحو ذلك ؟ !

وثانياً : صريح القرآن الكريم يقول : إنّ طاعته مطلقة ، يقول : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[1] ، هذه الطاعة مطلقة أو مقيّدة هنا ؟ لا يمكن أن تقيدّ ; لأنّ الآية مطلقة ، لماذا ؟ باعتبار أن صريح القرآن يقول في سورة النجم : ﴿ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾[2] ، عند ذلك نفهم لماذا من يطع الرسول فقد أطاع الله سبحانه وتعالى ؟ لأنّ الرسول أيضاً إذا أمر أو نهى لا يأمر ولا ينهى إلا بّما أمر الله .

وهناك روايات عديدة في هذا المضمون أنّ الله سبحانه وتعالى أدبّ نبيهّ ثم فوّضّ إليه فقال له : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾.

إلى هنا انتهينا إلى أنّ الطاعة في الآية بالنسبة إلى الرسول وبالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى مطلقة . تعالوا معنا إلى قوله بعد ذلك : ﴿ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ، اللطيف أنّ الآية لم تقل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأطيعوا أولي الأمر ، بل جعلت طاعة أولي الأمر هي طاعة الرسول ، يعني جمعت الرسول وأولي الأمر في طاعة واحدة لا في طاعتين ، يعني نفس الطاعة الثابتة لرسول الله ثابتة لأُولي الأمر .

هنا يأتي السؤال وهو أنّ أولي الأمر لو لم يكونوا معصومين فإنهّم يخطئون ، والآية أمرت بطاعتهم مطلقاً ، هذا معناه أن الله أمر بطاعة أولي الأمر مطلقاً مع أنهّم

1- الحشر : ٧ .
2- النجم : ٣ ـ ٤ .

يخطئون فلو كان أولو الأمر في الآية ليسوا بمعصومين كان من أهمّ الموارد تقييداً .

وأولو الأمر هنا أهم من آية الوالدين ، هناك القرآن قيّد فلو كان أولو الأمر أيضاً غير معصومين كان ينبغي أن يقيدّ ; لأنه

لو لم يقيّد نحن نفهم من طاعة أولي الأمر طاعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) .

وهذا هو المعنى الذي فهمه الفخر الرازي وأشرنا إليه أنّه أمر بطاعتهم مطلقاً ، ونفس هذا المعنى أيضاً فهمه جملة من علمائنا الأكابر منهم السيّد الطباطبائي رحمة الله تعالى عليه في الميزان وغير السيّد الطباطبائي ، السيّد الطباطبائي في الميزان المجلد الرابع ص ٣٩١ يقول : ولازمه اعتبار العصمة في جانب أولي الأمر كما اعتبر في جانب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من غير فرق .

ونفس هذا المعنى الإخوة يتذكّرون فهمناه من كلام الفخر الرازي بأنّ أولي الأمر لابد أن يكونوا معصومين ، هذا هو المقام الأوّل من البحث وهو أنّ أولي الأمر في الآية لابد أن يدل على العصمة ; لأن الطاعة فيها مطلقة .

ومن هنا يتّضح لك ما ذكره أحمد الكاتب في كتابه وأشار إلى ذلك في مقدّمة ص ٧٩ نظرية الإمامة في مواجهة التحديات يقول : حيث كانت فلسفة العصمة تقوم على مبدأ الإطلاق في الطاعة لولي الأمر وعدم جواز أو إمكانية النسبية فيها ، لكن هذا الأمر لم يثبت من إطلاق الآية . لماذا لم يثبت ؟ لا يعلم أحد ، هذه طريقة مناقشاته يقول : هذا الإطلاق لم يثبت من الآية بأيّ دليل لم يثبت من الآية يقول : عقلا عرفاً شرعاً لا يوجد إطلاق في الآية ، بلا بيان لهذا الأمر العقلي لهذا الأمر الشرعي لهذا الأمر العقلائي ونحو ذلك . يقول : لكن هذا الأمر لم يثبت من إطلاق الآية التي قد نفهم أيضاً على أساس النسبية ، بل إنّ هذا ما يوحي به العرف والعقل والآيات الأُخرى في القرآن الكريم التي تؤكّد على مبدأ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وبيّنا وجه المغالطة حيث إنّه خلط بين الإطاعة المطلقة والإطاعة المقيدّة ،

ثُمّ يقول : إنّ علماء المسلمين لم يفهموا منها الإطاعة المطلقة ، واتضّح لكم بأنه كل عُلمّاء المسلمين أو جملة من محققي علماء المسلمين من الفريقين فهموا من الآية الطاعة المطلقة لا الطاعة المقيّدة ، هذا البحث انتهينا منه .

ما هو المراد من أولي الأمر في الآية ؟

ننتقل الآن إلى المقام الثاني من البحث وهو أنّه ما هو المراد من أولي الأمر في الآية الكريمة ؟ من هم أولو الأمر في الآية المباركة ؟ اللطيف والدقيق في الآية المباركة أنّها بعد أن ذكرت المقطع السابق قالت : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ، الآن واقعاً وقع النزاع بيننا في أنّه ماهو المراد من أولي الأمر ؟ فلابد لمن نرجع ؟ صريح الآية المباركة قالت : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ، لابدّ أن نرجع إلى الله والرسول لنرى من هم أولو الأمر ؟

ومنه يتّضح الجواب عمّا ذكره الفخر الرازي ، الفخر الرازي يقول : لو كان أولو الأمر المراد منه أئمة أهل البيت لكان ينبغي أن تقول الآية فردّوه إلى الله والرسول وأولي الأمر منكم ولمّا لم تقل الآية فلم يكن المراد أئمة أهل البيت .

ينقض عليه بأنّه إجماع الأمّة أيضاً كذلك .

وبغض النظر عن النقض الجواب عن ذلك هو : أنّه قد يقع النزاع في أولي الأمر في الآية فإذا وقع النزاع في أولي الأمر

كيف يمكن أن يكون المرجع أولي الأمر ؟ ! هذه مصادرة على المطلوب ، فلهذا الآية هنا لم تذكر هذا المعنى وإنّما ذكرت هذا المعنى في الآية ٨٣ من سورة النساء قالت : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنهُم لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَستَنبِطُونَهُ ﴾ ، هناك الآية أُرجعت إلى أولي الأمر .

الآن لا أُريد أن أدخل أنا في بحث الإمامة مفصّلا دخلت في بحث هذه الآية وأجبت عن الإشكالات التي ذكرها الفخر الرازي .

المهم الآن وقع النزاع في أنّه ما هو المراد من أولي الأمر ؟ أقوال متعددة أشار إليها الفخر الرازي بعضها تقول : أمراء السرايا ، وبعضها إجماع الأمّة ، ونحن ندّعي أنهم أئمة أهل البيت(عليهم السلام) ، لمن نرجع ؟ نرجع إلى القرآن والسنة ، أما صريح القرآن الكريم فدلّنا على أنّه من هو المراد من أولي الأمر ، قال تعالى في سورة المائدة : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[1] . إذن صريح الآية المباركة بيّنت أنّ أولي الأمر أولياء الأمر هم الله والرسول والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون .

طبعاً الآن لا نريد أن ندخل في بيان مصداق هذه الآية ، ولكنّه مما اتفقت عليها كلمة علماء المسلمين إلا النّادر الشاذ أن المراد بالذين آمنوا وتصدّق بخاتمه في الصلاة هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، هذا على مستوى القرآن الكريم .

بيان الأدلّة الروائية على ثبوت العصمة بعد النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) :

أمّا على مستوى السنّة المتواترة ; لأنّ القضية لا يمكن الاستدلال بها بخبر الواحد ، هنا اكتفي أيضا بحديثين :

الحديث الأوّل : حديث الغدير ، أنا أشير إلى بعض مقاطعه باعتبار أنّ الإخوة يعلمون بأنّ المصادر في ذلك ما هي ؟ الرواية طويلة ، الحمد لله ونستعينه . . . قالوا : نشهد أنّك قد بلّغت ونصحت . . . قال : ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله ؟ . . قالوا : بلى نشهد بذلك ، قال : اللّهم اشهد . . .

قال : فإنّي فرط على الحوض . . . فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين ، فنادى منادي وما الثقلان يا رسول الله ؟

قال : الثقل الأكبر كتاب الله . . . والآخر الأصغر عترتي . . . وإنّهما لن يفترقا . . .

1- المائدة : ٥٥ .

ثُمّ أخذ بيد علي فرفعها حتىّ رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعون ، فقال : أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

قال : إنّ الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم . كما هو في الآية المباركة . فمن كنت مولاه فهذا علي

هولاء [1] .

هنا الشيخ السبحاني في ذيل هذا الحديث المبارك يقول : روى الحديث من الصحابة ١١٠ صحابياً ، ومن التابعين ٨٤ تابعياً ، ومن رواه في القرن الثاني ٥٦ عالماً ومحدثاً ، وفي القرن الثالث ٩٢ عالماً ، وهكذا إلى القرن الرابع عشر ، هذا الحديث الأوّل من حيث السنة وبيان مصداق أولي الأمر في الآية المباركة .

الحديث الثاني : حديث الثقلين ، أنا بودّي أنّ الإخوة يرجعون إلى حديث الثقلين في كتاب خلاصة عبقات الأنوار ، تعلمون أنّ عبقات الأنوار للسيّد حامد حسين الهندي أو اللكهنوي ، والخلاصة للحجة السيد علي الميلاني ، فقط في سند حديث الثقلين ومتن حديث الثقلين كتب ثلاثة مجلّدات هذا الخلاصة ، نحن الآن ومن باب ما لا يدرك كلّه لا يترك كلهُ أشير إلى بعض هذه النقاط ، ذكر السيّد محمّد تقي الحكيم في الأصول العامة ص ١٦٤ في سند الحديث يقول : وحسب الحديث لأن يكون موضع اعتماد الباحثين أن يكون من رواته كلٌّ من صحيح مسلم وسنن الدارمي وخصائص النسائي وسنن أبي داود وابن ماجة ومسند أحمد ومستدرك الحاكم وذخائر الطوري وحلية الأولياء وكنز العمّال وغيرهم ، وأن تُعنى بروايته كتب المفسرّين أمثال الرازي والثعلبي والنيسابوري والخازن وابن كثير وغيرهم ، بالاضافة إلى الكثير من كتب التاريخ واللغة والسير والتراجم ، وعشرات من هؤلاء واقعاً فوق حدّ الإحصاء الذي الآن أنا لا أريد أن أشير إليهم ، هذا فيما

1- الغدير ١ : ١٠ ، ٢٦ ، ٣٣ ، ٤٧ ، المعجم الكبير ٥ : ١٦٧ ، كنز العمّال ١ : ١٨٨ ، وغيرها كثير .

يرتبط بسند الحديث ، أمّا فيما يرتبط بمتن الحديث «إنّي تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» ، هذا نصّ لفظ الحديث ، طبعاً هناك لفظ آخر للحديث كما تعلمون بأنّه ليس كتاب الله وعترتي وانمّا كتاب الله وسنتي ، هناك أيضا إشارة لهذا المعنى في ص١٧١ من الأصول العامّة يقول : وفي حدود تتبعي لكتب الحديث واستعانتي ببعض الفهارس لم أجد رواية وسنتي إلاّ في عدد من الكتب لا تتجاوز عدد الأصابع لليد الواحدة .

طبعاً هذا ليس فقط ادّعاء علماء الإمامية ، بل سمعت ذلك من علماء كبار أيضاً من أتباع الخلفاء أن الرواية ضعيفة السند ، يعني رواية وسنتي ، ولا تستطيع أن تقاوم الرواية التي هي بلفظ وعترتي ، وهي مشتركة في رواية الحديثين معاً ، اللهم إلاّ ما يبدو من مالك حيث اقتصر في كتابه على ذكرها فحسب ولم يذكر الحديث الآخر يقول راوي الموطأ : وحدّثني عن مالك أنّه بلغه أنّ رسول الله قال : تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما كتاب الله وسنةّ نبيه .

وهنا يعلّق السيّد الحكيم ويقول : ويكفي في توهين الرواية أنهّا لا يوجد فيها سند ; لأن الرواية تقول : إنه بلّغه أن رسّول الله ، فهي مرفوعة لا سند يوجد لها .

إذن حتّى لو فرضنا بأنّه خبر أو رواية «وسنتّي» مسندة فهي خبر واحد ، فعندما تتعارض مع لفظ «وعترتي» وهي متواترة ، ومن الواضح أنّ قطعي السند يقدّم على ما هو ظنيّ السند .

هذا مضافاً إلى أنّه لو تنزلنّا وقلنا إنهمّا متعارضان فيعرضان على كتاب الله ، وكتاب الله يؤيد وّعترتي أو يؤيد وّسنتي ؟

آية التطهير وغيرها تؤيّد لفظة وعترتي هذا في هذا المعنى أيضاً . ومن الأبحاث المهمة التي ترتبط بحديث الثقلين هي دلالة الحديث على العصمة .

إذن هذه الرواية التي هي قطعية السند دليل ثان على إثبات العصمة بعد الآية المباركة .

الاستدلال بحديث الثقلين لإثبات عصمة العترة (عليهم السلام) :

نريد أن نستدل بحديث الثقلين لإثبات عصمة العترة(عليهم السلام) ، ودلالتها على العصمة من وجوه متعددة :

الوجه الأوّل : إنّ الرواية قالت : «ولن يفترقا» ، واذا كانت العترة غير معصومين يفترقون أو لا يفترقون عن الكتاب ؟ من الواضح لو لم تثبت العصمة للعترة فإنّهم يفترقون عن القرآن الكريم ، وحيث إنّ القرآن الكريم كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، كذلك العترة الذين هم عدل الكتاب وقرين الكتاب لن يفترقوا عن الكتاب أيضاً ، لا يأتيهم الباطل من بين يديهم ولا من خلفهم ، وهذا واضح .

وهذه الرواية لا فقط تثبت عصمتهم عن الخطيئة ، بل تثبت عصمتهم عن الخطأ والنسيان أيضاً ; لأنّ هناك فرقا قد الإنسان لا توجد عنده خطيئة ولكن يوجد عنده خطأ ، قد لا يعصي الله عامداً ولكن قد يخطأ ويكون معذوراً في خطأه .

هذه الرواية المباركة كما تثبت عصمة العترة عن الخطيئة تثبت عصمة العترة عن الخطأ عن النسيان عن السهو عن الاشتباه ونحو ذلك ، لماذا ؟ لأنّه أيّ مورد من هذه الموارد لو صدر من العترة حتىّ لو كانوا معذورين فإنهمّ يفترقون عن الكتاب ، الإنسان الذي أخطأ يفترق عن الكتاب سواء كان مؤاخذاً أو معذوراً لا فرق ، في النتيجة الذي صدر منه الخطأ يقولون هذا الإنسان أخطأ فإذا أخطأ افترق ، لماذا ؟ لأنّ القرآن الكريم ﴿ لا يَأتِيهِ الباطِلُ مِن بِينْ يَدَيْهِ ولا مَنْ خلفه ﴾[1] ، هذا الوجه الأوّل في دلالة الحديث .

الوجه الثاني في دلالة الحديث : إنّ النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) قال بأنّ الإنسان إذا أراد أن ينجو من الضلالة طريقه التمسّك بالكتاب والعترة ، فلو كان هناك خطأ أو

1- فصلت : ٤٢ .

خطيئة في العترة فالتمسّك بهم لا يُنجي الإنسان من الضلالة ، هذا الوجه الثاني .

الوجه الثالث : أنّه لو قلنا : إنّ الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) صدر منه هذا الحديث .وهو قطعاً صدر منه هذا الحديث .وأنّ العترة تخطئ ، هذا معناه أنّ رسول الله صدر منه ما هو خلاف الواقع ; لأنهّ قال : ولن يفترقا ، وفي الواقع أن العترة تفترق لو أخطؤا ، وهذا معناه نسبة الكذب والعياذ بالله إلى الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) .

وليس في موضع واحد ، بل في مواضع متعددة الرسول الأعظم كان يؤكّد على هذا الأمر ، فلهذا نجد أنّ هذه المسألة يعني الكذب في مقام تبليغ الأحكام مما اتّفقت كلمة المسلمين على أنّ الرسول معصوم فيها .

نعم ، في مجالات أُخرى وقع الخلاف بينهم أنّ عصمته فيما وراء بيان الأحكام ثابتة أو غير ثابتة ؟ أمّا فيما يرتبط ببيان الأحكام فعصمته ثابتة ، فلو صدر منه هذا الحديث والعترة لا يطابقون الواقع مائة بالمائة هذا معناه أنّه صدر من النبي الأكرم في مقام التبليغ ما هو خلاف الواقع ، وهذا على خلاف إجماع علماء المسلمين ، مضافاً إلى الأدلّة الثابتة في محلهّا .

إذن هذه الرواية يعني حديث الثقلين من حيث السند قطعية السند ومن حيث الدلالة أيضاً تثبت العصمة للعترة .

وبهذا يتبيّن لنا بطلان قول الفخر الرازي الذي كان يقول : إنّ العصمة لإجماع الأمة ، إذا ادعّى الفخر الرازي العصمة لإجماع الأمّة عليه أن يقيم الدليل قرآناً وسنّة متواترة ،ولا يوجد عندهم إلا «لا تجتمع امتيُ على خطأ» ،ولا سند لهذا الحديث ،وإذا كان له سند فهو سند ضعيف .

إذن هذا القول أيضاً سقط .

يبقى عندنا بحث مهم وهو أنّه ما هو المراد من العترة ؟ لعلّه في ذهنك المبارك أنّ المراد من العترة هم علي وفاطمة والحسنان ، ولكنّه لقائل أن لا يسلّم بذلك ،وهذا المعنى نجده في جملة من القدماء والمعاصرين حيث حاولوا أن

يشككوا في المراد من العترة ، منهم : أبو زُهرة في كتابه الإمام الصادق (عليه السلام) هناك في هذا الكتاب يقول : إنّ كتب السُنّة التي ذكرته بلفظ سنتي أوثق من الكتب التي رويته بلفظ عترتي .

والأمر إليك أنا لا أقول شيئاً ، يقول : الكتب التي روت «وسنتّي» أوثق من الكتب التي روت «وعترتي» وليس له إلاّ راوٍ واحد ، بل الرواية مرفوعة كما أشرت ، فكيف صرت أوثق مع أنّه في ذاك الطرف يوجد تواتر وفي هذا الطرف يوجد رفع ؟ !

وعلى أيّ الأحوال يقول : وبعد التسليم بصحّة اللفظ نقول بأنهّ لا يقطع ، بل لا يعيُن من ذكروهم من الأئمة الستة المتفق عليهم عند الإمامية الفاطميين ،وهو لا يُعينّ أولاد الحسين دون أولاد الحسن ، كما لا يعُينّ واحدا منَ هؤلاء بهذا الترتيب ، وكما لا يدل على أنّ الإمامة تكون بالوراثة . . . ، ثمّ يقول : هذه الاصُول التي تريدون أن تستفيدونها وهو أن المراد من العترة علي وفاطمة والحسنان ، وبعد ذلك هذا الحديث لا يدل عليه . وبعبارة فنية أصولية أنّ الشبهة تكون شبهة مصداقية ; لأنّ الحكم لا يثبت موضوعه ، المولى إذا قال : أكرم العالم ، هذا الدليل لا يبينّ لنا أنّ فلانا عَالم أو فلانا جَاهل ، الدليل لا يثبت موضوعه ، نفس هذه الشبهة مما يؤسف له أيضاً نحن وجدناها في كلمات الكاتب في ص ٧٦ من كتابه أيضاً يشير إلى هذا المعنى يقول : فإنّها يعني هذه الروايات التي أثبتت العصمة لأهل البيت وللعترة فإنّها لم تتوقف قليلا لكي تشرح من هم أهل البيت بعد حصرهم بأولاد النبي والإمام علي بن أبي طالب من دون دليل قوي ،وواضح يدل على المراد من أهل البيت ! عجيب واقعاً من دون دليل قوي وواضح ! !

ثمّ يقول : مع أنّ هؤلاء كانوا مختلفين فيما بينهم ، وكان أولاد كلُ إمام يصطرعون فيما بينهم .

انظر التعابير التي يستعملها لا أقل حتّى لو لم نقل بعصمة أئمة أهل البيت ولكن اتفقت كلمة علماء المسلمين على أنهمّ أعبد أهل زمانهم ، أزهد أهل زمانهم ، أعلم أهل زمانهم ، أتقى أهل زمانهم ، هل يوجد خلاف في هذه المسألة بين علماء المسلمين ؟ ! ولكن التفت إلى التعبيرات التي يستعملها يقول :وأولاد كُلّ إمام يصطرعون فيما بينهم يعني أبناء الدنيا ، هذه الجملة على

خلاف إجماع المسلمين ، افترض سلّمنا معكم أنّ الأئمة ليسوا بمعصومين ، ولكنهم أعلم أهل زمانهم ، أتقى أهل زمانهم ، أزهد أهل زمانهم ، هذه هل يوجد فيها كلام ؟

يوجد كلام أنّ علياً أقضاكم ، أعلمكم ، أزهدكم ، إلى آخر القائمة ؟ ! مع أنّ هؤلاء يدعّي كل واحد منهم أنه الإمام والأحق بعد أبيه ويتّهم الآخرين بالكذب والنفاق والانحراف والضلال .

وتكشف الرواية عن محاولات الفلاسفة . يعبّر عن متكلّمي الشيعة بالفلاسفة . لتأويل القرآن بما يتلائم مع نظريتهم الجديدة والغامضة حول عصمة الأئمّة .

هذا تبعاً لما يقوله جملة من الكتّاب في من هم العترة ؟

بيني وبين الله السيّد الحكيم حفظه الله تعالى يوجد عنده تعليق جيّد في هذا المجال أنا بوديّ أن أقرأ هذا التعليق يقول : وأوّل ما يلفت النظر أنّ الرسول الأعظم بعد أن بيّن أنه تركت فيكم ما إن تمسكتم لن تضلوا كتاب الله وعترتي أن الأمة لم تستوضح من هم العترة ، فهذا نابع من أحد أمرين لا ثالث لهما ، إمّا أنهم لم يهتموا بهذا الأمر ، النجاة من الضلالة لم يكن مهمّاً عند المسلمين ، فلهذا لم يسأل أحد منهم من هم العترة . وإما أن العترة كانوا واضحين عند المسلمين في الصدر الأول فلهذا لم يسأل أحد منهم من هم العترة ، الآن بينك وبين الله الإنصاف ماذا يقول ؟ دعنا عن الأدلّة ، الأدلّة تأتي ، إنصافك ماذا يقول ؟ يقول : بأنّ المسلمين لم يهتموا ، هؤلاء الذين كانوا إذا توضأ رسول الله يتسابقون على فضل

وضوئه ومائه ، هؤلاء لا يهتمّون بأنه ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً .

المهم يقول : فمن هم أهل هذا البيت لنعتصم بهم ؟ أترى أنّ عصمتهم من الضلالة من الأمور العادية التي لا تهمّ معرفتها والاستفسار عنها ، أم ترى أنّهم كانوا معروفين لديهم فما احتاجوا إلى استفسار وحديث ؟ والذي يبدو أنّ الصحابة ما كانوا في حاجة إلى استفسار . أريد فقط أن تقف عند عبارة لا يوجد دليل قوي وواضح على من هم العترة وأهل البيت . وهم يشاهدون نبيهم في كُلّ يوم يقف على باب علي وفاطمة وهو يقول : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [1] ، ارجعوا إلى الدر المنثور في ذيل هذه الآية لتجدوا عشرات الروايات بعضها تقول : تسعة أشهر ، بعضها ثمانية أشهر ، بعضها ستة أشهر ، بعضها ثلاثة أشهر وهكذا ، هذا أولا .

قال : وهي المدّة التي حدّث عنها ابن عباس كافية لأن تعرف الأمة من هم أهل البيت ، ثم يشاهدون الرسول وقد خرج إلى المباهلة وليس معه غير علي وفاطمة وحسن وحسين ، وبعد كلّ هذا يحتاج بينك وبين الله إلى دليل لفظي لبيان من هو المراد بأهل البيت وهو يقول : اللهم هؤلاء أهلي .

أنا أرى هل ندخل إلى بحث اللغة العربية حتّى نعرف بأنّ هذه الجملة دالةّ على الحصر أو ليست دالة على الحصر ؟ اللهم هؤلاء أهلي ، وهم من أعرف الناس بخصائص هذا الكلام وأكثرهم إدراكاً لما ينطوي عليه من قصر واختصاص ، وأما أحاديث الكساء التي سبقت الإشارة إليها في ذيل آية التطهير بما في بعضها من إقصاء حتّى لزوجته أُم سلمة ما يغني عن

إطالة الحديث معه في التعرّف على المراد من أهل البيت على عهده .

وهذا حديث آخر مرتبط ببعد آخر من كلام هذا الكتاب ، وهو أنّه هل يوجد عندنا دليل على أنّ الأئمة اثني عشر أو لا يوجد ؟

1- الأصول للفقه المقارن : ١٧٤ ـ ١٧٥ ، والآية في سورة الأحزاب : ٣٣ .

يقول جملة من المحققين وردت في مسألة أنّ الأئمة أنّ خلفائي من بعدي اثني عشر ٢٧٠ رواية في هذا الباب ، وأكثرها واردة عن الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ونقلها البخاري الذي هو معاصر للجواد والهادي والعسكري(عليهم السلام) ، يعني قبل أن يكتمل العدد ، هذا العدد كان موجوداً بين علماء المسلمين ، وفي كلمات أئمة أهل البيت ، وفي كلمات الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومع ذلك كُلّه أريد أن أنقل لك عبارتين فقط ، عبارة من الفخر الرازي وعبارة من الآلوسي ، طبعاً من المتقدّمين الفخر الرازي من أعلام المفسرّين كما ذكرت ، ومن المتأخرّين الآلوسي في روح المعاني وهو من المفسّرين الكبار ، أمّا الرازي فيقول في المجلد السابع والعشرين في ذيل قوله تعالى : ﴿ قُلْ لا أَسئَلكُمَ عُلَيْه أَجرًا إلا المَوَدَّةَ فِي القُربىٰ ﴾[1] ، يقول : وأنا أقول آل محمّد (صلى الله عليه وآله وسلم) هم الذين يؤول أمرهم إليه ، فكلّ من كان أمرهم إليه أشد وأكمل كانوا هم الآل ، ولا شكّ أنّ فاطمة وعليا والحسن والحسين كان التعلقّ بينهم وبين رسول الله أشد التعلّقات ، وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر .

الآن الأخ أحمد الكاتب ماذا يقول ؟

يقول : أساساً لا يوجد دليل واضح وقوي .

وبيني وبين الله البحث العلمي له قواعده ، في النتيجة الإنسان ما ينبغي أن يغالط الواقع بهذه الدرجة ، الله يعلم أنا لست بصدد شخص الرجل شخص المؤلّف ، ولكن الكتاب العلمي ينبغي أن تحفظ به القوانين العلمية لا ينبغي أن تترك الكلمات ، إمّا أنّه واقعا لم يراجع ولم يعرف شيئا فكيف يدعيّ مثل هذه الادعاءات ؟ ! وامارإجع ووجد هذه الكلمات فكيف يقول هذه الكلمات ؟ !

يقول الفخر الرازي : وهذا كالمعلوم بالنقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل ، أصلا لا يمكن أن يكون الآل غير هؤلاء ، وأمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل فمختلف فيه ، أمّا هؤلاء يوجد خلاف أو لا يوجد خلاف ؟

1- الشورى : ٢٣ .

القدر المتيقن مأخوذ به حتّى لو أردنا أن نعمل بلا تجتمع أمتّي على خطأ ، اجتمعت الأمة على أن عليا وفاطمة والحسنين آل أو ليسوا بآل ؟ اجتمعت الأمّة إذن يخطأون أو لا يخطأون ؟ في غيرهم اختلفوا إذن ليست لهم حجيّة ، يقول : وأمّا غيرهم

فدخولهم تحت الآل مختلف فيه ، ثمّ ينقل كلام الزمخشري : روى صاحب الكشاف أنّه لمّا نزلت هذه الآية قيل : يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودّتهم ؟ فقال : علي وفاطمة وابناهما . فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبي (صلى الله عليه وآله) ، وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التعظيم ، ويدل عليه وجوه ، ثمّ يذكر مجموعة من الوجوه في أنّ المراد من الآل هم فاطمة وعلي والحسن والحسين ، هذا ما يقوله الفخر الرازي في هذا المجال .

وأمّا ما يقوله الآلوسي في تفسيره في المجلد الواحد والعشرين ص ١٣ في ذيل آية التطهير : عن ابن عبّاس قال : قال رسول الله : إنّ الله تعالى قسّم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً فذلك قوله وأصحاب اليمين وأصحاب الشمال ، فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين ، ثُمّ جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا فذلك قوله تعالى ﴿ **وَأَصحابُ المَشئَمَة مِا أصحَاب المُشئَمَة * وَالِسابقون ّالسِابُقوَن** ﴾ ، فأنا مَن السابقين وأنا خير السابقين ، ثُمّ جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة وذلك قوله ﴿ **وَجَعلناكم شُعوبًا وُقبائَلَ لتَعارِفوَا إنَ أكرَمُكم عِنَّد اَللْهَ أتقاُكم** ﴾ ، وأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على اللّه تعالى ولا فخر ، ثُمّ جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا فذلك قوله : ﴿ **إنَّما يرُيدِ اللّه ليّذهِبُ عْنكِم َالرجَسْ أهلً البَيتِ ويطَهُركَمً تطُهيْرا** ﴾ ، أنا وأهل بيتي مطهّرون من الذنوب ، من هم هؤلاء المطهّرون من الذنوب ؟ هل يمكن ادعّاء العصمة لنساء النبي ؟ هل يمكن ادّعاء العصمة لأعمام النبي ؟ هل يمكن ادّعاء العصمة لأقارب النبي ؟ أكثر من ذلك قد يقول قائل : هذه الرواية لا تشخّص لنا من هم المراد من أهل البيت ؟ التفت ماذا يقول في ص ١٤ فقال : إنّك إلى خير ، وجاء في رواية

أخرجها الطبري عن أم سلمة أنّها قالت : فرفعت الكساء لأدخل معهم فجذبه من يدي وقال : إنّك على خير ، وفي أخرى رواها ابن مردويه أنّها قالت : ألستُ من أهل البيت ؟ فقال : إنكّ إلى خير ، إنكّ من أزواج النبي ، وفي آخرها رواه الترمذي وجماعة عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي قال : قالت أم سلمة : وأنا معهم يا نبي الله ؟ قال : أنت على مكانك وإنّك على خير ، وأخبار إدخاله صلى الله عليه وسلم علياً وفاطمة وابنيهما رضي الله تعالى عنهم تحت الكساء ، وقوله عليه الصلاة والسلام : «اللهم هؤلاء أهل بيتي» ، ودعائه لهم وعدم إدخال أم سلمة أكثر من أن تحصى .

بينك وبين الله لا يوجد عندنا دليل قوي وواضح على المراد من هم أهل البيت ؟ ومن هم العترة ؟ يُعبرّ عنها الآلوسي أنهّا أكثر من أن تحصى ، ثُمّ يقول : وهذه الروايات مخصصة لعموم أهل البيت بأي معنى كان البيت فالمراد بهم من شملهم الكساء ولا يدخل فيهم أزواجه ، وقد صرّح بعدم دخولهم من الشيعة عبد الله المشهدي .

طبعاً بعد ذلك يدخل في المناقشة ، ولكن أنا الآن ليس بحثي في المناقشة بحثي في أنّ هؤلاء أهل بيتي هذه الروايات أكثر من أن تحصى ، إذا اتّضح ذلك يتّضح أيضا ً ما ذكره في هذا المجال يقول : فإنهاّ لم تتوقف قليلا لكي تشرح من هم أهل البيت بعد حصرهم بأولاد النبي والإمام علي بن أبي طالب من دون دليل قوي وواضح ، واتّضح لك أنّه يوجد دليل قوي وواضح

على المراد من أهل البيت .

نتيجة البحث

إلى هنا نحن استطعنا أن نقيم دليلين : دليل من القرآن وهو آية الإطاعة لإثبات عصمة أولي الأمر ، ودليل من السُنّة القطعية وهو حديث الثقلين لإثبات عصمة العترة ، وبيّنا بأنّهم فاطمة وعلي والحسن والحسين .

الآن ندخل في القسم الثاني من كلامه ، حيث يقول : موقف أهل البيت من

العصمة وكانت المشكلة الكبرى التي واجهت الفلاسفة الإمامية في عملية بناء نظرية الإمامة الإلهية وتركيبها على أئمّة أهل البيت تكمن في موقف أهل البيت أنفسهم من نظرية العصمة حيث كانوا يرفضونها أشدّ الرفض ، ويصرّحون أمام الجماهير بأنّهم أُناس عاديون قد يخطئون وقد يصيبون ، وأنهّم ليسوا معصومين من الذنوب ، ويطالبون الناس بنقدهم وإرشادهم واتّخاذ موقف المعارضة منهم لو صدر منهم أيّ خطأ أو أمروا بمنكر لا سامح الله [1] .

فهو يدخل في ذكر سبع أو ثمان روايات يحاول أن يستدل بها من كلمات علي وأهل البيت أنّهم يصرّحون بعدم عصمة أنفسهم ، ويذكر هذه الرواية المشهورة : «فإنّي لست في نفسي بفوق أن أخطئ ولا آمن ذلك من فعلي إلاّ أن يكفي الله . . . » [2] .

مقدّمة أذكر للإخوة أنا بودّي أن يراجعوا هذا الكتاب حيث يجدوا واقعاً هذا الرجل لم يتكلّم على القواعد كما ينبغي ، لماذا ؟ لأنّه عندما يأتي إلى الروايات التي تبيّن أنهّم ليسوا بمعصومين أساساً لا يشير إلى السند أبداً وأن هذه الرواية صحيحة أو غير صحيحة ، أمّا عندما يأتي إلى الروايات التي تثبت عصمتهم مباشرة يقول : هذه من كتاب فلان ، هذه سندها ضعيف ، هذه مهملة ، هذه مرفوعة ، هذه مرسلة ، وهكذا ، وهذا ليس من أُصول البحث العلمي ، فإذا كان البناء الاعتماد على السند فلابدّ من الاعتماد على السند في كُلّ الموارد ، وإذا كان لابدّ أن نترك السند فلماذا بأوك تجر وبأوئنا لا تجر ؟ ! على أي الأحوال فهو عندما ينقل هذه الرواية من النهج لا يقول : إنّ هذه الخطبة من النهج سندها صحيح أو سندها غير صحيح فلهذا نحن أيضاً لا ندخل معه في البحث السندي ونحاول أن ندخل معه في البحث الدلالي .

1- تطوّر الفكر السياسي الشيعي : ٨٠ .
2- نهج البلاغة ٢ : ٢٠١ ، نهج السعادة ٢ : ١٨٦ .

أوّلا : هذه الرواية . يعني هذا المقطع من الخطبة . في نفسها لا تدل على عدم العصمة ; لأنّ الإمام (عليه السلام) ماذا يقول ؟ يقول : «فإنّي لست بفوق أن أخطئ أو لست في نفسي بفوق أن أخطئ» وفرق بين التعبيرين ، مرّة يقول : لست بفوق أن أخطئ ، يعني لست بمعصوم ، ومرّة يقول : لست في نفسي ، يعني لو جرّدتني أنت من العناية الإلهية ، من التوفيق الإلهي ، من الرعاية الإلهية واقعاً أنا في ذاتي شيء أو لست بشيء ؟

وهل يوجد إنسان كأمير المؤمنين يقول : أنا في نفسي شيء مع أنّ صريح القرآن يقول : ﴿ يا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللّهِ واللّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾[1] ، فلهذا نقض هذه الجملة اقرأوها في سورة يوسف ، ماذا يقول يوسف ؟ يقول : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّيَ ﴾[2] ، هل هذه الجملة تدل على عدم عصمة يوسف ؟

لا ، يريد أن يقول : لو تُركت ونفسي ، نفسي بيني وبين الله فيها العصمة أو لا توجد فيها العصمة ؟ لا توجد فيها العصمة .

فالإمام سلام الله عليه بصدد بيان هذه النكتة وهو أنّه لست في نفسي شيئاً ، وإذا وجدتم شيئاً في فهي بعناية الله ، كما أن المؤمن أيضاً يقول هذا المعنى في نفسه يقول : أنا المؤمن ، أو يقول بعناية الله أنا مؤمن ، فإذا أراد أن يُعبرّ عن نفسه يقول لست في نفسي بشيء ، وأمّا بعناية الله فهو مؤمن مهتد .

والخطبة أيضاً تشير إلى هذا المعنى ، فإنّي لست في نفسي بفوق أن أُخطئ ولا آمن ذلك من فعلي إلا أن يكفي الله من نفسي ما هو أملك به منّي . فإذا كان شيء فهو بعناية الله سبحانه وتعالى .

فإذن هذا النصّ في نفسه بعد الغض عن السند لا يدل على نفي العصمة

1- فاطر : ١٥ .
2- يوسف : ٥٣ .

وإنّما يُحتمل فيه احتمالان ، وعلى فرض التنزّل فهذا النصّ معارض في كلمات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بنص آخر مقابل هذا النصّ قال : «إخواننا وأهل دعوتنا استقالونا واستزاحوا إلى كتاب الله سبحانه . . . وإنّ الكتاب لمعي ما فارقته مذ صحبته»[1] ، متى صحب الإمام أمير المؤمنين هذا الكتاب ، قبل البلوغ أو بعد البلوغ ؟

من هو أوّل من آمن بالرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان إيمانه قبل البلوغ ؟

أمير المؤمنين يقول : «ما فارقته مذ صحبته» ، بيني وبين الله إذا كان المنطق أنّ كلام أمير المؤمنين حجّة فكما أنّ ذاك حجّة هذا أيضاً حجة ، لماذا تلك الرواية حجة ولكن هذه الخطبة ليست بحجة ؟ !

ثُمّ أنا بوديّ أن نقف قليلا عند بعض كلمات أمير المؤمنين لنر أن أمير المؤمنين واقعا يريد أن ينفي العصمة عن نفسه وعن أهل بيته عليهم أفضل الصلاة والسلام ، ماذا يقول عن نفسه وعن أهل بيته (عليهم السلام) ؟

قال (عليه السلام) : «زرعوا الفجور ، وسقوه الغرور ، وحصدوا الثبور ، لا يقاس بآل محمّد (صلى الله عليه وآله) من هذه الأمّة أحد ، ولا يسوّى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً ، هم أساس الدين ، وعماد اليقين ، إليهم يفيء الغالي ، وبهم يلحق التالي ، ولهم خصائص حقّ الولاية ، وفيهم الوصية والوراثة ، الآن إذ رجع الحق إلى أهله ونُقل إلى منتقله»[2] .

لا أريد أن أقف عندها فكلّ جملة من جملها تدل ليس فقط على عصمة أهل البيت ، بل على أعلى مراتب العصمة : «انظروا أهل بيت نبيكم فالزموا سمتهم واتّبعوا أثرهم فلن يخرجوكم من هدى ولن يعيدوكم في ردى ، فإن لبدوا فالبدوا وإن

نهضوا فانهضوا ،ولا تسبقوهم فتضلّوا ولا تتأخروا عنهم فتهلكوا» [3] .

1- نهج البلاغة ١ : ٢٣٦ ، خ١٢٢ ، بحار الأنوار : ٣٣ : ٣٦٩ .
2- نهج البلاغة ١ : ٣٠ ، خ٢ ، شرح نهج البلاغة ١ : ١٣٨ .
3- نهج البلاغة ١ : ١٨٩ ، خ٩٧ .

وقال : «فأين تذهبون ،وأنّا تؤفكون ،والأعلام قائمة ،والآيات واضحة ،والمنار منصوبة ، فأين يتاه بكم ، بل كيف تعمهون وبينكم عترة نبيكم ،وهم زِمّة الحق ،وأعلام الدين ،وألسنة الصدق ، فانزلوهم بأحسن منزل القرآن ،وردوهم ورود الهيم العطاش» [1] ، وكذلك يقول : «ألا إنّ مثل آل محمّد (صلى الله عليه وآله) كمثل نجوم السماء إذا خوى نجم طلع نجم ، فكأنّكم قد تكاملت من الله فيكم الصنائع ،وأراكم ما كنتم تأملون» [2] ، «نحن شجرة النبوّة ، ومحط الرسالة ، ومختلف الملائكة ، ومعادن العلم ، وينابيع الحكم ، ناصرنا ومحبنا ينتظر الرحمة ،وعدوّنا ومبغضنا ينتظر السطوة» [3] ، ويقول عليه أفضل الصلاة والسلام : «وعوفوه على عباده ،ولا يدخل الجنّة إلاّ من عرفهم وعرفوه ،ولا يدخل النار إلاّ من أنكرهم وأنكروه» [4] ، ويقول : «نحن الشعار والأصحاب والخزنة والأبواب ،ولا تؤتى البيوت إلاّ من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سُمّي سارقاً» [5] . وعشرات من هذه المقاطع في نهج البلاغة ،والغريب جدّاً أنّ كلّ هذه الكلمات في نهج البلاغة نسيها مؤلّف هذا الكتاب ولم يذكر إلاّ «لست في نفسي بفوق أن أخطئ» ، بينكم وبين الله هذا هو المنطق العلمي ، المنطق العلمي هكذا يقتضي بأنّك تنتخب ذاك النصّ الذي يفيد اتجّاهك ونظريتك وتترك باقي النصوص الأخرى وكلّ الكلمات الأخرى .

الآن لو سلّمنا وقوع التعارض بين نصيّن لأمير المؤمنين ما هو مقتضى قواعد التعارض ؟

أوّلا : ننظر في الروايات الدالّة على العصمة والروايات الدالّة على عدم العصمة إذا كانت كلها أخبار آحاد تتعارض ، أما إذا كانت بعضها متواترة وبعضها أخبار آحاد هل تتعارض أو لا تتعارض ؟

1- نهج البلاغة ١ : ١٥٤ ، خ ٨٧ .
2- نهج البلاغة ١ : ١٩٤ ، خ ١٠٠ .
3- نهج البلاغة ١ : ٢١٥ ، خ١٠٩ .
4- نهج البلاغة ٢ : ٤٠ ، خ١٥٢ .
5- نهج البلاغة ٢ : ٤٣ ، خ ١٥٤ .

هنا يسقط خبر الواحد عن الحجّية ; لأنّ هذه الروايات الدالّة على العصمة أكثر عددا وأوضح دلالة وأقوى سندا ; لأن معها مثل «علي مع الحق والحق مع علي يدور معه حيثما دار» [1] ، هذه رواها الفريقان .

إذن حتّى لو فرضنا التعارض التقديم يكون مع من ؟

مع روايات العصمة أو روايات نفي العصمة ؟ مع روايات العصمة

ولو سلّمنا معكم واستحكم التعارض بين هاتين الطائفتين روايات العصمة وروايات عدم العصمة ماذا نفعل ؟

العرض على الكتاب هذه من أهم القواعد التي اتّفقت عليها كلمة علماء المسلمين عندما تتعارض الروايات .

خطب رسول الله فقال : «أيّها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته ، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله»[2] ، والقرآن يؤيّد روايات العصمة أو روايات عدم العصمة ، ماذا تقولون ؟

آية التطهير ، آية الإطاعة ، آية الصادقون وغيرها من الآيات ، نعرض الروايات على كتاب ربّنا ما وافق كتاب ربنّا فعليه نور وحقيقة ، وما خالفه نضرب به عرض الحائط ، لماذا ؟ لأنّها رواية واحدة تستند إليها في ردّ كلُ تلك الروايات التي أشرنا إليها .

إذن هذه الرواية التي استدل بها لا يمكن الاعتماد عليها .

الرواية الثانية : يستعرض الإمام أمير المؤمنين في رسالته إلى مالك الأشتر صفات الحاكم وشروط الحاكم ، هناك الإمام سلام الله عليه يقول : «لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أمواله نهمته»[3] ، فيستدل بأنّ إمام المسلمين لا يشترط فيه العصمة .

1- الفصول المختارة : ٩٧ ، ١٣٥ ، ٢١١ ، ٢٢٤ ، بحار الأنوار ١٠ : ٤٣٢ ، ٤٤٥ ، ٤٥١ ، وغيرها ، وتاريخ بغداد ١٤ : ٣٢٢ ، تاريخ دمشق ٤٢ : ٤٤٩ .
2- الكافي ١ : ٦٩ ، المعجم الكبير ١٢ : ٢٤٤ ، كنز العمّال ١ : ١٩٦ .
3- نهج البلاغة ٣ : ١٤ ، خ١٣١ .

بينكم وبين الله غريب هذا الاستدلال غريب جدّاً ، لماذا ؟ لأنّ الإمام (عليه السلام) يبيّن شرائط الحاكم ولا يبين شرائط الإمام المعصوم ، يُبيّن شرائط الحاكم يعني يبيّن شرائط مالك الأشتر ، مالك الأشتر ما هي شرائطه ؟

لا يمكن أن يكون في كُلّ بلد إمام معصوم ، فالإمام يبيّن شرائط الحاكم سواء كان في زمانه كما في البصرة والكوفة ومصر وغير ذلك أو في غير زمانه كما في زماننا زمن الغيبة ما هي شرائط الحاكم ؟

إذن الإمام عندما يُبيّن شرائط الحاكم أمن المنطق أن يذكر شرط العصمة ؟ !

فإذن هذه الرواية لا يمكن أيضاً أن تكون دليلا على عدم العصمة .

وينقل رواية ثالثة يقول : «أيّها الناس أحقّ الناس بهذا الأمر أقواهم عليه وأعلمهم بأمر الله فيه»[1] ، بينكم وبين الله أين المنافاة بين هذه الرواية وبين القول بعصمة الإمام ؟ ! مسلّم أنّ الإمام المعصوم أقواهم على إرادة هذا الأمر وأعلمهم بإدارة الناس .

هذه لا أدري كيفية دلالتها على عدم العصمة ! !

رواية رابعة ينقلها عن فاطمة الزهراء (عليها السلام) يقول : يُروى . التفت جيّداً الرواية مرسلة . يروى أن الإمام علي بن أبي طالب أنفق ذات مرّة أموال مزرعة باعها حتّى لم يبق لديه درهم واحد ،

فاحتجّت فاطمة الزهراء على ذلك وأمسكت بثوبه ، فنزل جبرئيل وأخبر النبي فذهب إليها وقال : ليس لكِ أن تمسكي بثياب ولا تضربي على يديه ، فقالت : إنّي لأستغفر الله ولا أعود أبداً[2] .

بيني وبين الله أنا الجواب أتركه لكم ، الزهراء البتول سلام الله عليها التي الله سبحانه وتعالى يباهي ملائكته بهذه البضعة ،

وأنّها باتفاق الفريقين الله يرضى

1- نهج البلاغة ٢ : ٨٦ ، خ١٧٣ .
2- أمالي الصدوق : ٥٥٢ ، بحار الأنوار ٤١ : ٤٣ .

لرضى فاطمة ويغضب لغضب فاطمة ،وأنّها بضعة منّي وبهجة قلبي ، هذه كلُهاّ نسيها إلا هذه الرواية التي هي رواية مرسلة ، هذا مضافاً طبقّوا عليها كلُ القواعد السابقة سلمناّ أن الرّواية مسندة ولكن الرواء من أهل بيت الكساء ، هي من العترة ، هي داخلة في آية التطهير ، الآن نعرض هذه الروايات التي دلّت على عصمتها والرواية الدالّة على عدم عصمتها على كتاب الله فأيّهما تقدمّ ؟

طبعاً الروايات الدالّة على عصمتها .

الرواية الخامسة : يقول : «إنّ الإمام الحسن استعار قطيفة من بيت المال فغضب عليه الإمام أمير المؤمنين وقال له : يا أبا محمّد النار ، يا أبا محمدّ النار حتىّ خوج بها»[1] . خوّفه بالنار حتىّ أعطى القطيفة .

الآن الذي يرجع إلى تاريخ الإمام الحسن شيء غريب يا أخي هذا الذي كان يعتبر ويُعدّ المضيفّ لعموم المسلمين ،وأنه أنفق ماله مرّات ومرّات باتفاّق كلمات مؤرخّي كلمات المسلمين ، الآن يحتاج إلى قطيفة يأخذها من بيت المال .

الآن لو سلّمنا الرواية أيضاً صحيحة السند هو داخل في آية التطهير ، هو من العترة ، هو من أهل البيت ، هو داخل في أهل الكساء وأهل العباء ونحو ذلك بنفس البيان السابق أيضاً تكون هذه الرواية ساقطة عن الاعتبار .

رواية أخرى ينقلها عن الإمام الحسين يقول : لم يشر الإمام الحسين إلى موضوع العصمة في رسالته التي أرسلها إلى سفيره مسلم بن عقيل .

بينك وبين الله رسالة يرسلها الإمام إلى أحد سفرائه وإلى أحد مواليه لابدّ أن يقول إنه يشترط فيّ أن أكون معصوما ،ً أصلا ما هي العلاقة ؟ !

أستغرب يا أخي استدلال عجيب وغريب ! ! افترض مرجع يريد أن يرسل رسالة إلى أحد وكلائه أوّلا لابدّ أن يبدأ الرسالة ويقول : اعلم يا فلان ابن فلان أنا الأعلم المطلق ، يا أخي ماهي علاقة وكيلي بهذا الخطاب ، الإمام (عليه السلام) يبعث رسالة

1- خصائص الأئمّة : ٧٨ .

إلى سفيره مسلم بن عقيل في الكوفة لابدّ أن يبدأ بها ويقول اعلم يا فلان إنّ الأئمة معصومون وأنا من الأئمةّ وأنا معصوم ، أصلا ما هو ربط المطلب ؟ !وإنّما الإمام (عليه السلام) ينبغي له أن يبينّ ما ينفي حكومة وحاكمية الظالم .

قال :وإنّما طرح ضرورة اتصّاف الحاكم بشروط التقوى والالتزام بالعمل ، فقال : فلعمري ما الإمام إلا العامل بالكتاب ،

[1]

الحابس نفسه على الله ، القائم بالقسط ، والدائن بدين .

أصلا هذا هو مضمون العصمة ، أنا فقط أتصوّر أنّ أحمد الكاتب في ذهنه أنّ الرواية ما فيها لفظ المعصوم مثلا والإ العامل بالكتاب هذا العامل مطلق ولابدّ أن يكون الحابس نفسه والقائم بالقسط والدائن بدين الله .

أين تدلّ هذه الجمل على أنّه ليس بمعصوم ؟ !

وهكذا روايات أُخرى بهذا المضمون ، أكتفي هنا بمطلب أخير يقول بأنّ الأئمة(عليهم السلام) لم يشيروا إلى عصمة أنفسهم .

وأنا لكم كلمات أمير المؤمنين وأنه يقول : لا يقاس بهم أحد ، هؤلاء يعتبرون أنفسهم أناس عاديون ، ثُمّ يقول : هم لم يقولوا بعصمة أنفسهم ، ويؤكّد على هذه المسألة أنّ الإمام الرضا (عليه السلام) الذي انفتح له الوضع السياسي كان جوّاً وما كان في عالم التقية ، إنّ الإمام الرضا كان ينبغي أن يقول بالعصمة ومع ذلك الإمام الرضا لم يصرّح بالعصمة .

واقعاً أنا صار في ذهني أن أرجع إلى كلمات الإمام الرضا ; لأنّه هو يقول هناك بعد أن يذكر هذا المعنى يقول : لو كان لحديث العصمة أيّ أرضية عند أهل البيت لتحدّث الإمام الرضا عنها ، وهو كما يقال كان يتحدّث عن الإمامة بصراحة وجرأة ، ولم يكن يخشى الخليفة العبّاسي المأمون الذي أصبح ولياً لعهده ، فلماذا تحدّث الإمام الرضا فقط عن عصمة الأنبياء ولم يتحدّث عن عصمة الأئمة ؟

1- انظر : روضة الواعظين : ١٧٣ ، الإرشاد ٢ : ٣٩ ، بحار الأنوار ٤٤ : ٣٣٥ ، مع اختلاف الألفاظ .

أنا أكتفي فقط بروايتين عن الإمام الرضا (عليه السلام) الأولى : في الكافي الجزء الأوّل ص ١٩٨ ، الرواية طويلة الذيل : كنّا مع الرضا بمرو فاجتمعنا في الجامع يوم الجمعة إلى أن يقول الإمام (عليه السلام) : هل يعرفون قدر الإمامة ومحلّها فيجوز فيها اختيارهم أنّ الإمامة أجلّ قدراً ، وأعظم شأناً ، وأعلى مكاناً ، وأمنع جانباً ، وأبعد غوراً منً أن يبلغها الناس بعقولهم أو ينالوها بآرائهم أو يقيموا إماماً باختيارهم إنّ الإمامة خصّ الله . . . ، إلى أن يأتي إلى هذا المقام أن الإمامة هي متولة الأنبياء وإرث الأوصياء ، إنّ الإمامة خلافة الله ، إنّ الإمامة زمام الدين ، إلى أن يقول : الإمام المطهّر من الذنوب ، المبرّأ عن العيوب ، المخصوص بالعلم ، الموسوم بالحلم ، نظام الدين ، وعزّ المسلمين ، وغيض المنافقين ، وبوار الكافرين إلى أن يقول : وأنّ العبد إذا اختاره الله . . . إلى آخر الرواية وهي ثلاث أربع صفحات وكلُّها تبيّن أعلى درجات الإمامة في كلمات الإمام الرضا (عليه السلام) .

كذلك في البحار المجلد ٢٥ ص ١٩٣ ، الرواية عن علي بن موسى الرضا عن آبائه عن علي عن النبي أنّه قال : من سرّه أن ينظر إلى القضيب الياقوتي الأحمر الذي غرسه الله عزّ وجلّ بيده ويكون متمسكاً بهً فليتول عليّا والأئمة من بعده ، فإنهم خيرة الله عزّ وجلّ ، وصفوته ، وهم المعصومون من كلّ ذنب وخطيئة .

هاتان روايتان ، وهذا كذب صريح على الإمام الرضا (عليه السلام) ، أنت انقل الروايات لكن قل الروايات مثلا ضعيفة

السند ، لا أنّك تقول بأنّه أساسا ًالإمام الرضا لم يتحدثّ عن عصمة الأئمة ّ(عليه السلام) .

طبعاً عندي بحث مرتبط بنقل عشرين رواية عن نفس الأئمّة يصرّحون بعصمتهم المطلقة ، وشيء غريب أنه ّيقول بأن ّ الأئمّة كانوا يصرّحون بأنهّم ليسوا كذلك ، ولكن يأتي إلى بعض هذه الروايات التي صرحّ بها الأئمة ّبعصمتهم يقول ضعيفة السند ، أمّا عندما يتكلّم عن الروايات التي تقول بعدم عصمتهم لا يتكلمّ عن السند أبدا ً.

الصفحة 258

الإخوة يستطيعون مراجعة هذه الروايات في البحار المجلد ٢٥ من ص ١٩١ إلى ص ٢١١ ، هناك تقريباً ٢٤ رواية بهذا المضمون التي يصرّح فيها أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) بعصمة أنفسهم .

فتحصّل أنّ القول بنظرية العصمة بعد النبي الأكرم ليست من مختصات الإمامية ،وانماّ هي موجودة عند علماء المسلمين ، وإنّما الاختلاف في المصداق ،وأنّ الأقوال في ذلك ثلاثة ،والقول الصحيح هو قول أئمةّ أهل البيت وهو أن المراد من المعصومين هم علي وأبنائه ،والأدلة واضحة من القرآن والسُنة المتواترة على إثبات هذه الحقيقة .

ندعوا الله سبحانه وتعالى أن يوفّقنا في جلسة أخرى لنقض ما ذكره في مسألةولادة الحجّةواستمرار الإمامة بإمامة الإمام الثاني عشر عليه أفضل الصلاةوالسلام فإلى حديث لاحق نستودعكم الله ،والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الصفحة 259

(٣٨) الإمام المهدي (عليه السلام) بين التواتر وحساب الاحتمال

الشيخ محمّد باقر الإيرواني

الصفحة 260

الصفحة 261

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، وصلّى الله على محمدّ وعلى آله الطيبيّن الطاهرين .

قال الله عزّ وجلّ في كتابه الكريم : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾[1] .

بحثنا إن شاء الله تعالى في هذه المحاضرة يدور حول الإمام المهدي روحي وأرواح العالمين له الفداء ،والبحث عن فكرة الإمام المهدي ذات جوانب وجهات متعدّدة ،وانتخبت لكم الحديث عن واحد من تلك الجوانب ،وهو جانبولادة الإمام صلوات الله وسلامه عليه ، لأقوم في محاضرتي هذه بإثبات الولادة ونفي التشكيك عن ذلك .

1- الصف : ٨ .

التشكيك في فكرة الإمام المهدي (عليه السلام)

التشكيك في فكرة الإمام المهدي صلوات الله عليه يمكن إرجاعه في بعدين :

البعد الأوّل : التشكيك في الفكرة من الأساس ، فالإمام المهدي سلام الله عليه لم يولدولا يولد ويرفض القول بأنّه سوف يظهر في آخر الزمان رجل يتمّ إصلاح العالم على يديه ، مثل هذا الشخص لم يولدولا يولدولا تتحقق مثل هذه الفكرة ، هذا بُعد من التشكيك في فكرة الإمام المهدي .

البعد الثاني : أن يسلّم بفكرة الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه في الجملة ، ولكن يدّعى أنّ هذه الفكرة بعد لم تولد ، وإنّما تولد فيما بعد ، فشخص بعنوان الإمام المهدي لم يتحقق بعد ، وإذا كان هناك مصلح يتحقق على يديه إزالة الظلم فذلك يتحقق ويولد فيما بعد .

البعد الأوّل : التشكيك في أصل الفكرة

إذا لاحظنا البُعد الأول من التشكيك ، أي : التشكيك في الفكرة من الأساس ، فبالإمكان أن نجد المسلمين متفقّين تقريبا عًلى بطلان مثل ذلك ، فالامامية وغيرهم قد اتّفقت كلمتهم على أنّه سيظهر في آخر الزمان رجلٌ يتم إصلاح العالم على يده المبارك ، وقد دلّت على ذلك آيات كثيرة ، كما دلّت على ذلك مجموعة كبيرة من الروايات .

الاستدلال بالآيات في بطلان التشكيك

أمّا الآيات فأتمكن أن أقول هي بين خمس إلى ست ، طبيعي الآيات التي لا تحتاج إلى تفسير من قبل أهل البيت سلام الله عليهم والتي هي ظاهرة بنفسها ، وواحدة من تلك الآيات ما تلوته على مسامعكم الشريفة : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾ ، نور الله هو الاسلام ﴿ وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ﴾ ، هذا إخبار من الله

عزّ وجلّ بأنّ نوره سوف يتمه على جميع الكرة الأرضية ، ومصداق ذلك لم يتحقق بعد ، وحيث إنه لا يحتمل في حقه سبحانه عزّ وجلّ الإخبار على خلاف الواقع ، فلابدّ وأن إتمام النور سوف يتحقق يوما منً الأيام ، ولا يحتمل تحققه إلّا علىّ يد هذا المصلح وهو الإمام صلوات الله عليه ، هذه الآية بنفسها ظاهرة بلا حاجة الى تفسير روائي .

ومن هذا القبيل قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾[1] ، المَقصُود من الأرض جميع الأرض ، ولحدّ الآن لم يرث جميع الأرض العباد الصالحون ، ولابدّ وأن يتحقق هذا فيما بعد في المستقبل ، ولا يحتمل تحققه إلاّ على يد الإمام المهدي صلوات الله وسلامه عليه .

هاتان الآيتان وغيرهما من الآيات . طبيعي أنا لا أريد أن أقف عند هذا البعد من التشكيك ، وإنّما أريد أن أمرّ عليه مرّ

الكلام كتمهيد إلى البعد الثاني الذي هو أساس بحثي . تدلّ على فكرة الإمام المهدي .

ولكن أعود لأؤكد لكم من جديد أنّ هذه الآيات لا تدلّ على أنّ هذا الشخص قد ولد الآن وهو موجود الآن وغائب عن أعيننا الآن ، هذه تدلّ على أنّه سوف يتحقّق هذا الحلم وهذه الأمنية في يوم من الأيامّ ، الأرض يرثها العباد الصالحون . جميع الأرض . ومن الممكن أنّ الإمام لم يولد بعد وسوف يولد في المستقبل ، وتتحقق هذه الأمنية على يده في المستقبل من دون أن يكون مولوداً الآن ، فمثل هذه الآيات لا تثبت ولادة الإمام وأنّه غائب ، بل من المحتمل أنّه سوف يولد مثل هذا الشخص في المستقبل .

الاستدلال بالروايات على بطلان التشكيك :

الروايات أيضاً في هذه المجال . في أصل فكرة الإمام المهدي ، وأنّه سوف

1- الأنبياء : ١٠٥ .

تتحقق هذه الأمنية ، ولو من دون دلالة على أنّ هذا الشخص مولود بالفعل . كثرة وسلّم بها غير الإمامية أيضا ً ، وألفوا كتباً في جمع هذه الروايات الدالّة على الإمام المهدي وأنّه سوف يظهر في آخر الزمان شخص باسم المهدي ، والذي اطلعّت عليه أنا أكثر من ثلاثين كتاباً للإخوة من العامّة غير الإمامية في هذا المجال .

ومن باب المثال أقرأ لكم بعض الروايات :

عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أنّه قال : « لا تذهب الدنيا حتّى يملك العرب رجل ٌ من أهل بيتي يواطيء اسمه اسمي » [1] .

حديث آخر : « لا تقوم الساعة حتّى تملأ الأرض ظلماً وجوراً وعدوانا ثُمّ يخرج من أهل بيتي من يملأها قسطا وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً » [2] .

وعلى هذا النسق روايات أخرى كثرة موجودة .

وقد سلّم بهذه الروايات وبهذه الفكرة في الجملة غيرنا من الإخوة العامّة ، بما فيهم ابن تيمية وابن حجر [3] ، بل في الآونة الأخيرة سلّم بها عبد العزيز بن باز كما ورد في مجلّة الجامعة التي تصدر من المدينة المنورّة [4] وذكر أنّ هذه الفكرة صحيحة والروايات صحيحة ولا يمكن إنكار هذه الفكرة .

فالمسلمون إذن بشكل عام قد سلّموا بهذه الفكرة ، للآيات والروايات .

وإذا كان هناك منكر فهو قليل ، ويمكن أن يعدّ شاذاً ، من قبيل ابن خلدون في تاريخه [5] وأبو زهرة في كتابه الإمام الصادق [6] ومحمّد رشيد رضا في كتابه

1- مسند أحمد ١ : ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٤٣٠ ، ٤٤٨ ، سنن الترمذي ٢: ٣٤٣ ، سنن أبي داود ٢: ٣١٠ ، ونحوه الصواعق المحرقة : ١٦٣ .
2- مسند أحمد ٣ : ٣٦ ، كنز العمال ١٤ : ٢٧١ ح ٣٨٦٩١ ، وفيه : « رجل من عترتي » .

3- الصواعق المحرقة : ١٦٣ ، ٢٠٨ .
4- مجلة الجامعة الإسلامية العدد ٣ من السنة الأولى ١٦١ ـ ١٦٢ .
5- تاريخ ابن خلدون ١ : ١٩٩ ، ٣١١ ، الفصل الثاني والخمسون .
6- الإمام الصادق : ١٨٦ .

تفسير المنار[1] في قوله تعالي : ﴿ يُرِيدُونَ أن يطفئوا نورُ الله ﴾[2] ، فإنّه حينما يمرّ بها هناك يقول : الروايات ضعيفة ، فهو يحاول تضعيف الروايات بمجرد دعوى ذلك لا أكثر .

على أي حال أصل فكرة الإمام المهدي وأنّه سوف يتحقق هذا الحلم وتتحقق هذه الأمنية مسلّمة من قبل عامة المسلمين تقريباً إلاّ من شذّ ، وقد دلتّ عليها الآيات كما قلت ، والروايات الكثيرة التي جمعت في ثلاثين كتابا أوً أكثر للإخوة العامة فقط .

البعد الثاني : التشكيك في الولادة

البعد الثاني للتشكيك هو التشكيك في ولادة الإمام سلام الله عليه ، بمعنى أن يقال : نحن نسلّم بهذه الفكرة وأنّه سيظهر شخص ، لكن هذا الشخص لا يلزم أن يكون هو الإمام المهدي ، ولا يلزم أن يكون مولوداً الآن ، ولا يلزم أن يكون قد غاب ، ولعلّه يولد في المستقبل والآن غير موجود ، ولا توجد غيبة ، فكيف نتمكن أن نثبت ولادة الإمام المهدي الآن وأنّه قد تحققت ولادته ؟ إنّ المهم في محاضرتي هذه هو إثبات هذا الموضوع ، وعنونت محاضرتي بعنوان « الإمام المهدي سلام الله عليه بين التواتر وحساب الاحتمال » وسأحاول إن شاء الله إثبات ولادة الإمام من خلال هذين الطريقين ، أي : طريق التواتر مرّة ، وطريق حساب الاحتمال أخرى .

1- تفسير المنار ١٠ : ٣٤٩ ، سورة التوبة ، وله مناقشات حول روايات الإمام المهدي (عليه السلام) راجع ٩ : ٤٠٣ ـ ٤٢٠ .
2- التوبة : ٣٢ .

أربع قضايا مهمّة

وقبل أن اشرع بالبحث أودّ أن أبيّن أربع قضايا كمقدمة لتحقيق الهدف :

القضية الاولى

أيّ مسألة تاريخية إذا ما أردنا إثباتها فهناك طريقان لإثباتها :

أحدهما : التواتر .

ثانيهما : حساب الاحتمال .

والتواتر كما تعلمون يعني : أن يخبر بالقضية مجموعة كبيرة من المخبرين بحيث لا نحتمل اجتماعهم واتفاقهم وتواطئهم على الكذب ، فإذا كان خبر من الأخبار جاء ثلاثمائة شخص أو مائتا شخص أخبرونا به ، وكلّ واحد نفترضه من مكان غير مكان الآخر ، في مثل هذه الحالة لا نحتمل تواطؤ الجميع واتّفاقهم على الكذب ، مثل هذا الخبر يقال له الخبر المتواتر .

هذا طريق لتحصيل العلم بالقضية والمسألة التاريخية .

الطريق الثاني : أن نفترض أنّ الخبر ليس متواتراً ، كما اذا أخبر به واحد أو اثنان أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة من دون تواتر ، ولكن انظمّت إلى ذلك قرائن من هنا وهناك ، يحصل العلم بسببها على مستوى حساب الاحتمال .

فلنفترض أنّ هناك شخصاً مصاب بمرض عضال ، وجاء شخص وأخبر بأنّ فلانا قدً شوفي من مرضه ، يحصل احتمال أنّه شوفي بدرجة ثلاثين بالمائة مثلاً ، لكن إذا انضمّت إلى ذلك قرائن فسوف ترتفع القيمة الاحتمالية من ثلاثين إلى أربعين والى خمسين وإلى أكثر ، افترض أنّنا شاهدناه لا يستعمل الدواء بعد ذلك وكان حينما يحضر في مكان يستعمل الدواء ، فهذا يقوّي احتمال الشفاء ، وإذا كانت القيمة الاحتمالية للشفاء بدرجة ثلاثين الآن ترتفع وتصير بدرجة أربعين

مثلاً ، وأيضاً شاهدناه يجلس في المجلس ضاحكاً مستبشراً ، هذه الظاهرة أيضا تصّعد مّن القيمة الاحتمالية لهذا الخبر ، وهكذا حينما تنضمّ قرائن من هذا القبيل ، فسوف ترتفع القيمة الاحتمالية للخبر إلى أن تصل الى درجة مائة بالمائة .

هذا الخبر هو في الحقيقة ليس خبراً متواتراً ، لكن لانضمام القرائن حصل العلم .

فهنا حصول العلم يحصل بحساب الاحتمال ، يعني بتقوّي القيمة الاحتمالية بسبب انضمام القرائن .

إذن ، حصول العلم بأي قضية تاريخيّة يتمّ من خلال أمرين :

من خلال التواتر .

ومن طريق حساب الاحتمال بتجميع القرائن .

هذه القضية الأولى التي أحببت الإشارة إليها .

القضية الثانية

لا يلزم في الخبر المتواتر أن يكون المخبر من الثقات ، فان اشتراط الوثاقة في المخبر يلزم في الخبر غير المتواتر ، كما إذا جاءنا شخص واحد أو اثنان أو ثلاثة وأخبرونا بقضية ، هنا يشترط أن يكون المخبر . لأجل أن يكون هذا الخبر حجة . عادلاً ، أمّا لو كانت القضية أخبر بها مائة أو مائتان أو ثلاثمائة ، يعني العدد كان يشكلّ التواتر فليس من الضروري عدالة المخبر ؟ فالعدالة والوثاقة هي شرط في الخبر غير المتواتر .

ونرجو أن لا يحصل خلط في هذه القضية بين الخبر المتواتر وبين الخبر غير المتواتر ، إذ البعض يتصور أنّ مسألة الوثاقة ومسألة عدالة الراوي يلزم تطبيقهما حتّى في الخبر المتواتر ، هذا غير صحيح ، بل الذي نشترط فيه العدالة والوثاقة هو الخبر غير المتواتر .

لماذا لا نشترط في الخبر المتواتر العدالة والوثاقة ؟

النكتة هي : أنّ الخبر المتواتر حسب الفرض يفيد العلم ، لكثرة المخبرين ، وبعد ما أفاد العلم لا معنى لاشتراط الوثاقة

والعدالة ، إذ المفروض أنّ العلم حصل ، وليس بعد العلم شيء يقُصد ، فلا معنى إذن لاشتراط الوثاقة والعدالة في باب الخبر المتواتر ، وهذه قضيّة بديهية وواضحة في سوق العلم .

وعلى أساس هذه القضيّة ليس من الحق وليس من الصواب أن نأتي إلى الروايات الدالّة على ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) أو أي قضية ترتبط بالإمام المهدي سلام الله عليه ونقول : هذه الرواية ضعيفة السند ، الرواة مجاهيل ، هذا مجهول أو ذاك مجهول ، هذه الرواية الأولى إذن نطرحها ، الرواية الثانية الراوي فيها مجهول إذن نطرحها ، والثالثة كذلك ، الرابعة هكذا و . . .

هذا ليس بصحيح ، فإنّ هذا صحيح لو فرض أنّ الرواية كانت واحدة أو اثنتين أو ثلاث أو أربع أو خمس أو عشر ، أما بعد فرض أن تكون الروايات الدالّة على ولادة الإمام المهدي سلام الله عليه قد بلغت حدّ التواتر لا معنى أن نقول هذه الرواية الأولى ضعيفة السند ، والثانية ضعيفة السند لجهالة الراوي والثالثة هكذا ، فان هذه الطريقة وجيهة في الخبر غير المتواتر ، أمّا في الخبر المتواتر فلا معنى لها .

هذه القضيّة الثانية التي أحببت الإشارة إليها .

القضية الثالثة

إذا فرض أنّ لدينا مجموعة من الأخبار تختلف في الخصوصيات والتفاصيل ، لكن الجميع يشترك في مدلول واحد من زاوية ، كما لو فرضنا أنّه جاءنا مجموعة كبيرة من الأشخاص يخبروننا عن تماثل ذلك الشخص المريض للشفاء ، لكن الشخص الأوّل جاء وأخبر بالشفاء في الساعة الواحدة ، والثاني حينما جاء أخبر بالشفاء أيضاً لكن في الساعة الثانية ، والثالث حينما جاء أخبر

بشفائه لكن في الساعة الثالثة ، فاختلفوا في رقم الساعة ، لكن الكلّ متفق على أنّه قد شوفي ، والخامس أو السادس جاء وأخبر بالشفاء لكن بهذا اللواء ، والآخر قال بذلك اللواء ، فكان الاختلاف بمثل هذا الشكل ، أي : اختلاف في الخصوصيّات ، لكن الكلّ متفق من زاوية واحدة ، وهي أنّه قد شوفي .

في مثل هذه الحالة هل يثبت الشفاء ؟

نعم أصل الشفاء يثبت بنحو العلم .

والنكتة في ذلك ، أنّ المخبر الأول في الحقيقة يخبر بخبرين لا بخبر واحد : الخبر الأوّل الذي يخبر به أنه شوفي ، والخبر الثاني أنّه شوفي في الساعة الأولى ، الثاني حينما يخبر أيضاً يخبر بأنّه شوفي ، والثالث حينما يخبر أيضا يُخبر بأنه شوفي ، إذن هم متّفقون في الأخبار الأول أنه شوفي ، لكن يختلفون في الأخبار الثاني ، إذن في الأخبار الأوّل التواتر موجود والاتفاق بين الجميع موجود .

ومن هنا نخرج بهذه النتيجة : إنّ الأخبار الكثيرة إذا اتفقت من زاوية على شيء معينّ فالعلم يحصل بذلك الشيء ، وان

اختلفت هذه الأخبار من الجوانب الأخرى في التفاصيل .

وبعد هذا فليس من حقّنا أن نناقش في روايات الإمام المهدي (عليه السلام) ونقول : هذه مختلفة في التفاصيل ،واحدة تقول بأنّ أم الإمام المهدي اسمها نرجس والثانية تقول إنّ أمُ الإمام اسمها سوسن والثالثة تقول اسمها شيء ثالث ، أو إن وّاحدة تقول وُلد في هذه الليلة والثانية تقول ولد في تلك الليلة أو واحدة تقول ولد في هذه السنة والأخرُى تقول في السنة الأخرى ، فعلى هذا الأساس هذه الروايات لا يمكن أن نأخذ بها ، وليست متواترة وليست مقبولة ، لأنّها تختلف في التفاصيل ،ولا تنفع في إثبات التواتر وفي تحصيل العلم ولادة الإمام سلام الله عليه ، لأنّها مختلفة ومتضاربة فيما بينها حيث اختلفت بهذا الشكل .

إنّه باطل ، لأنّ المفروض أن كلُ هّذه الأخبار متفقةٌ في جانب واحد ،وهو

الإخبار ولادة الإمام سلام الله عليه ، ولئن اختلفت فهي مختلفة في تفاصيل وخصوصيات أُخرى ، لكن في أصل ولادة الإمام هي متّفقة ، فالعلم يحصل والتواتر يثبت من هذه الناحية .

هذه القضية الثالثة .

القضية الرابعة

وهي الأخيرة التي أردت الإشارة إليها : ليس من حق شخص أن يجتهد في مقابل النص ، فإذا كان عندنا نص صريح الدلالة وتامّ السند من كلتا الجهتين ، فلا حق لأحد أن يأتي ويقول أنا أجتهد في هذه المسألة .

فالله عزّ وجلّ يقول : ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾[1] ، وهذه الآية بوضوح تدلّ على الطلب ، غاية ما في الأمر ليست صريحة في الطلب الوجوبي ، لكن في أصل الطلب . طلب الصلاة وطلب الزكاة . دلالتها صريحة وسند القرآن لا مناقشة فيه .

فلا يحقّ لأحد أن يقول : أنا أريد أن أجتهد في هذه المسألة وأقول هي لا تدلّ على الطلب ! ! ليس له هذا الحقّ ، وهذا يسمونه اجتهاد في مقابل النص .

نعم إذا كان يجتهد في الدلالة ويقول لا تدلّ على الوجوب بل تدلّ على الاستحباب ، فهذا جيد ، لأنّ الدلالة ليست صريحة على الوجوب ، أمّا أن يجتهد في الدلالة على أصل الطلب ويقول أنا أجتهد وأقول لا تدلّ هذه على أصل الطلب في رأيي فهذا لا معنى له ، لأنّ دلالتها على الطلب صريحة والسند أيضاً قطعي .

على ضوء هذا أخرج بهذه النتيجة أيضاً : ليس من حقّ أحد أن يقول روايات الإمام المهدي أنا اجتهد فيها كما يجتهد الناس في مجالات أخرى ، هذا لا معنى له ، لأنّ الروايات حسب الفرض هي واضحة الدلالة صريحة وتامّة غير قابلة

1- البقرة : ٤٣ ، النور: ٥٦ ، المزمل: ٢٠ .

للاجتهاد ، وسندها متواتر ، فالاجتهاد هنا إذن لا معنى له أيضاً ، فإنّ للاجتهاد مجالا إذا فرض أنّ الدلالة لم تكن صريحة أو السند لم يكن قطعياً ، أمّا بعد قطعية السند وصراحة الدلالة ، فالاجتهاد لا معنى له ، فإنّه اجتهاد في مقابل النصّ ، وهذه قضية واضحة أيضاً .

هذه أربع قضايا أحببت الإشارة إليها في مقدّمة بحثي ، والآن أدخل في البحث وأريد أن أبيّن عوامل نشوء اليقين ولادة الإمام المهدي سلام الله عليه ، وسوف نلاحظ أنّ هذه العوامل إما تفيد التواتر ، أو تفيد اليقين بحساب الاحتمال ، كما أوضّح لكم فيما بعد .

عوامل نشوء اليقين بولادة الإمام المهدي (عليه السلام)

العامل الأول

الأحاديث الكثيرة المسلّمة بين الفريقين الإمامية وغيرهم ، والتي تدلّ على ولادة الإمام سلام الله عليه ، ولكن من دون أن ترد في خصوص الإمام المهدي وبعنوانه ، فهي تدلّ على ولادة الإمام من دون أن تنصب على هذا الاتّجاه ، وأذكر لكم في هذا المجال ثلاثة أحاديث :

الحديث الأول : حديث الثِقلَين أو الثقلَينَ ، الذي هو حديث متواتر بين الإمامية والإخوة العامة ، ولا مجال للمناقشة في سنده ، قاله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في مواطن متعدّدة : في حجة الوداع ، في حجرته المبارکة ، في مرضه ، وفي . . . ، فإذا رأينا اختلافاً في بعض ألفاظ الحديث فهو ناشئ من اختلاف مواطن تعدّد ذكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لهذا الحديث :

« إنّي تارك فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، أحدهما أكبر من الآخر ، ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض »[1] .

لاحظوا : « ولن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض » ، يعني أن الكتاب مع العترة ، من البداية ، من زمان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى أن يردا عليه الحوض .

وهذا يدلّ على أنّ العترة الطاهرة مستمرة مع الكتاب الكريم ، وهذا الاستمرار لا يمكن توجيهه إلا بافتراض أن الإمام المهدي (عليه السلام) قد ولد ولكنه غائب عن الأعين ، إذ لو لم يكن مولوداً وسوف يولد في المستقبل لافترق الكتاب عن العترة الطاهرة ، وهذا تكذيب . استغفر الله . للنبي ، فهو يقول : « ولن يفترقا

---

1 - مسند أحمد ٣: ١٤ و١٧ و٢٦ ، المستدرك للحاكم ٣ : ١٠٩ ، المعجم الكبير للطبراني ٥ : ١٦٦ ح ٤٩٦٩ ، تاريخ بغداد ٨ : ٤٤٢ ، حلية الأولياء ١ : ٣٥٥ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٦٤ ، وغيرها الكثير جداً .

حتّى يردا علي الحوض » هذا لازمه أنّ العترة لها استمرار وبقاء مع الكتاب الى أن يردا على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهذا لا يمكن توجيهه إلاّ بما قلت : إنّ الإمام المهدي سلام الله عليه قد ولد ولكنه غائب ، وإلا يلزم الإخبار على خلاف الواقع .

وهذا حديث واضح الدلالة ، يدل على ولادة الإمام سلام الله عليه ، لكن كما قلت هذا الحديث لم يرد ابتداءً في الإمام المهدي ، وإنّما هو منصبّ على قضية ثانية : « وانهمّا لن يفترقا » ، لكن نستفيد منه ولادة الإمام بالدلالة الالتزامية .

وقد يقول قائل : لنفترض أن الإمام (عليه السلام) لم يولد ، ولكن في فترة الرجعة التي ستقع في المستقبل يرجع الإمام العسكري (عليه السلام) ، ويتولد آنذاك الإمام المهدي (عليه السلام) ، إن هذه فرضية ممكنة وعلى أساسها يتم التلائم بين صدق الحديث وافتراض عدم ولادة الإمام (عليه السلام) .

وجوابنا : إن لازم هذه الفرضية تحقق الافتراق بين العترة الطاهرة والكتاب الكريم في الفترة السابقة على فترة الرجعة ،

ففي هذه الفترة لا وجود للإمام المهدي (عليه السلام) ولا وجود للعترة وقد تحقق فيها افتراق الكتاب الكريم عن العترة الطاهرة .

الحديث الثاني : حديث الاثني عشر ، وهذا أيضاً حديث مسلّم بين الفريقين ، يرويه البخاري ومسلم وغيرهما من طرق أهل السنة ، ومن طرقنا أيضاً قد رواه غير واحد كالشيخ الصدوق مثلاً في كمال الدين والحديث منقول عن جابر بن سمرة يقول :

دخلت مع أبي على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فسمعته يقول : « إنّ هذا لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة » ، ثمّ تكلّم بكلام خفي عليّ ، فقلت لأبي : ما قال ؟ قال : كلهم من قريش [1] .

1 - كمال الدين : ٢٧٢ ، والغيبة للطوسي : ١٢٨ ، صحيح البخاري ٨ : ١٢٦ كتاب الاحكام باب الاستخلاف ، وصحيح مسلم ٦ : ٣ ، ومسند أحمد ٥ : ٩٠ .

وهذا الحديث من المسلّمات أيضاً ، وليس له تطبيق معقول ومقبول إلا الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) .

وجاء البعض وحاول تطبيقه على الخلفاء الراشدين واثنين أو ثلاثة من بني أميّة واثنين أو ثلاثة من بني العباس .

إنّ هذا تطبيق غير مقبول ، وكلّ شخص يلاحظ هذا الحديث يجده إخبارا غيبي من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عن قضية ليس لها مصداق وجيه ومقبول سوى الأئمّة صلوات الله عليهم الإثني عشر .

وهذا الحديث بالملازمة يدلّ على ولادة الإمام المهدي سلام الله عليه ، إذ لو لم يكن مولوداً الآن ، والمفروض أنّ الإمام العسكري توفّي ، ولم يحتمل أحد أنّه موجود ، إذن كيف يولد الإمام المهدي من أب هو متوفيّ .

فلابدّ وأن نفترض أنّ ولادة الإمام (عليه السلام) قد تحققّت ، وإلا هذا الحديث يعود تطبيقه غير وجيه .

فهذا الحديث بالدلالة الالتزامية يدل على ولادة الإمام صلوات الله وسلامه عليه .

الحديث الثالث الذي أريد أن أذكره في هذا المجال ، حديث أيضاً مسلّم سنداً بين الفريقين ، وهو قوله (صلى الله عليه وآله وسلم) :

« من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة » [1] ، هذا أيضاً يرويه أهل السنة ، ويرويه الشيخ الكليني في الكافي ، فهو مسلّم عند السنة والشيعة .

فإذا لم يكن الإمام المهدي (عليه السلام) مولوداً الآن ، فهذا معناه نحن لا نعرف إمام زماننا ، فميتتنا ميتة جاهلية .

1 - كمال الدين : ٤٠٩ ح ٩ ، المناقب لابن شهر آشوب ١ : ٢١٢ و٣: ١٨ ، ٤١٣ ، ونحوه الكافي ١ :٣٧٧ ح ٣ ، وفي مسند الطيالسي : ٢٥٩ ، وصحيح مسلم ٦ : ٢٢ ، عن عبد الله بن عمر : « . . .من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة » .

فالحديث يدلّ على أنّ كلّ زمان لابد فيه من إمام ، وكل شخص مكلف بمعرفة ذلك الإمام ومكلف بأن لا يموت ميتة جاهلية

، فلو لم يكن الإمام مولوداً إذن كيف نعرف إمام زماننا ؟ .

هذه أحاديث ثلاثة ، وإن لم تكن منصبّة على الإمام المهدي صلوات الله عليه مباشرة ، ولكنّها بالدلالة الالتزامية تدلّ على أن الإمام سلام الله عليه قد ولد وتحقّقت ولادته .

العامل الثاني

إخبار النبي والأئمّة صلوات الله عليهم بأنّه سوف يولد للإمام العسكري ولد يملأ الأرض قسطاً وعدلاً ويغيب ، ويلزم على كلّ مسلم أن يؤمن بذلك .

هذه الأحاديث كثيرة ، فالشيخ الصدوق في كمال الدين جعلها في أبواب :

باب ما روي عن النبي في الإمام المهدي ، ذكر فيه خمسة وأربعين حديثاً .

ثُمّ بعد ذلك ذكر باب ما روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في الإمام المهدي .

ثُمّ باب عن الزهراء سلام الله عليها وما ورد عنها في الإمام المهدي (عليه السلام) ، ذكر فيه أربعة أحاديث .

ثُمّ عن الإمام الحسن (عليه السلام) ، ذكر فيه حديثين .

ثُمّ عن الإمام الحسين (عليه السلام) ، ذكر فيه خمسة أحاديث .

ثُمّ عن الإمام السجاد (عليه السلام) ، ذكر فيه تسعة أحاديث .

ثُمّ عن الإمام الباقر (عليه السلام) ، ذكر فيه سبعة عشر حديثاً .

ثُمّ عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، ذكر فيه سبعة وخمسين حديثاً .

وقد جمعتُ الأحاديث فكانت مائة وثلاثة وتسعين حديثاً .

هذا فقط ما يرويه الشيخ الصدوق في الإكمال[1] ، ولا أريد أن أضمّ ما ذكره الكليني في الكافي ، والشيخ الطوسي ، وغيرهما[2] ، وربما آنذاك يفوق العدد الألف رواية .

وتبرّكاً وتيمّناً أذكر حديثاً واحداً عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وحديثين عن الإمام الصادق سلام الله عليه .

1- كمال الدين : ٢٥٠ ـ ٣٨٤ .
2- الكافي ١ : ٣٢٨ ـ ٣٣٥ ، والغيبة للطوسي : ١٥٧ .

أمّا عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) :

فهو ما رواه ابن عبّاس قال : سمعت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول : « . . . ألا وإنّ الله تبارك وتعالى جعلني وإيّاهم حججاً على عباده ، وجعل من صلب الحسين أئمةً يقومون بأمري ، ويحفظون وصيتّي ، التاسع منهم قائم أهل بيتي ومهدي أمتي ، أشبه الناس بي في شمائله وأقواله وأفعاله ، يظهر بعد غيبة طويلة . . . » إلى آخر الحديث[1] .

وبهذا المضمون أو قريب منه أحاديث كثيرة ، وبعض الأحاديث تذكر أسماء الأئمّة صلوات الله عليهم .

وأمّا عن الإمام الصادق (عليه السلام) :

فهو ما رواه محمّد بن مسلم بسند صحيح متفق عليه قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : « إن بلغكم عن صاحبكم غيبة فلا تنكروها »[2] .

وحديث آخر عن زرارة يقول : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : « إنّ للقائم غيبة قبل أن يقوم ، يا زرارة وهو المنتظر ، وهو الذي يشكّ في ولادته »[3] .

فمسألة التشكيك في الولادة أخبر بها الإمام الصادق (عليه السلام) من ذلك الزمان ، فكان أوّل من شكك في الولادة جعفر عمّ الإمام المهدي (عليه السلام) ، لعدم اطّلاعه على الولادة ، ووجود تعتيم إعلامي قوي على مسألة ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) ، نتيجة الظروف الحرجة المحيطة بالإمامة في تلك الفترة ، حتّى أنّه لم يجز الأئمّة التصريح باسم الإمام المهدي ، فجعفر ما كان مطّلعاً على أنّ الإمام العسكري (عليه السلام) له ولد باسم الإمام المهدي ، لذلك فوجئ بالقضية وأنكر أو شكّ في الولادة ، فهو أوّل من شكّ .

1- كمال الدين : ٢٥٧ ح ٢ ، كفاية الأثر : ١٠ .
2- الكافي ١ : ٣٤٠ ح ١٥ ، الغيبة للطوسي : ١٦١ ح ١١٨ .
3- كمال الدين : ٣٤٢ ح ٢٤ .

ثُمّ تلاه في التشكيك ابن حزم في كتابه الفصل في الملل والاهواء والنحل ، شكّ في مسألة الولادة فقال : وتقول طائفة منهم . أي من الشيعة . أنّ مولد هذا يعني الإمام المهدي الذي لم يخلق قط في سنة ستين ومائتين ، سنة موت أبيه[1] .

وتبعه على ذلك محمّد إسعاف النشاشيبي في كتابه الإسلام الصحيح ، يقول : ولم يعقب الحسن . يعني العسكري سلام الله عليه . ذكراً ولا أنثى[2] .

على أي حال مسألة التشكيك في الولادة أخبر بها الإمام الصادق (عليه السلام) ، وكانت موجودة من تلك الفترة ، فالإمام يقول لزرارة : «وهو المنتظر وهو الذي يشك في ولادته ، منهم من يقول مات أبوه بلا خلف ، ومنهم من يقول أنّه ولد قبل موت أبيه بسنتين . . . » إلى أن يقول الإمام : « يا زرارة إذا أدركت ذلك الزمان فادعُ بهذا الدعاء : « اللّهم عرّفني نفسك فإنّك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيّك ، اللّهم عرّفني رسولك فإنّك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك ، اللهم عرّفني حجّتك فإنّك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني »[3] .

واقعاً الإنسان والعياذ بالله فجأة يضلّ عن الدين من حيث لا يشعر ، فالدعاء بهذا ضروري للبقاء بالتمسك بهذا المذهب الصحيح : « اللّهم عرّفني حجتك فإنّك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني » .

ومن الأشياء التي لا تنبغي الغفلة عنها الأدعية المعروفة عن أهل البيت صلوات الله عليهم ، ومنها هذا الدعاء : « اللّهم كن لوليك الحجّة ابن الحسن صلواتك عليه وعلى آبائه في هذه الساعة وفي كلّ ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً وعيناً

(4)

حتّى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلا » .

1- الفصل في الملل والنحل ٤ : ١٨١ .
2- الإسلام الصحيح : ٣٤٨ .
3- كمال الدين : ٣٤٢ ح ٣٤ .
4- الكافي ٤ : ١٦٢ .

ومن الطبيعي أنّ الأئمّة صلوات الله عليهم يذكرون هذا الدعاء ليعلموّا شيعتهم ، ومن ثمّ تعبدهم بالحجة فقط يعلم مدى حالة الكتمان والتكتّم ، حتّى أنّ الوارد في الدعاء المتقدم « اللهمّ كن لوليك فلان ابن فلان » كتمانا للاسم المبارك .

هذه جملة من الأحاديث ، وهي بهذا الصدد كثيرة ، رواها الكليني في الكافي والشيخ في الغيبة وغيرهما ، وهي تشكّل في الحقيقة مئات الأحاديث في هذا المجال .

وبعد هذه الكثرة فهي من حيث السند متواترة لا معنى للمناقشة فيها ، وهي واضحة غير قابلة للاجتهاد ، وإلاّ لكان ذلك اجتهاداً في مقابل النص .

هذا هو العامل الثاني من عوامل نشوء اليقين بولادة الإمام المهدي سلام الله عليه .

العامل الثالث

رؤية بعض الشيعة للإمام المهدي (عليه السلام) ، كما حدّثت به مجموعة من الروايات الأخرى ، وهذه الروايات التي سأذكرها هي غير الروايات التي ذكرها الشيخ الصدوق في كمال الدين .

وغم التعتيم الإعلامي بالنسبة الى اسم الإمام وولادته (عليه السلام) الذي قام به الأئمّة (عليهم السلام) ، السلطة اطلعت من خلال إخبار النبي وأهل البيت أنّه سوف يولد شخص من ذريّة الإمام العسكري يملأ الأرض قسطاً وعدلا وتنزل على يده المباركة السلطات الظالمة ، انهم كانوا مطلعين ويراقبون الأوضاع ، كما اطلع وعون على مثل هذه القضية وكان يراقب الأوضاع ويراقب النساء ويراقب القوابل ، ونفس القضية اتّبعها بنو العبّاس في زمان المعتمد العباسّي ، فكانوا يراقبون الأوضاع ، ولذلك كانت القضيّة تعيش كتماناً شديداً من هذه الناحية .

حتّى إنّ الإمام الهادي سلام الله عليه يروي عنه الثقة الجليل أبو القاسم الجعفري داود بن القاسم الرجل العظيم الثقة الجليل ويقول : سمعت أبا الحسن . يعني الإمام الهادي (عليه السلام) . يقول : « الخلف من بعدي الحسن ابني ، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف ؟ » فقلت : ولم جعلني الله فداك ؟ فقال : « إنّكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه » ، فقلت : فكيف نذكره ؟ قال : « قولوا الحجّة من آل محمّد » [1] .

على أي حال ، رغم هذا التعتيم الإعلامي الذي حاول الأئمّة (عليهم السلام) أن يقوموا به رأى الإمام المهدي (عليه السلام) جماعة من الشيعة .

ينقل الشيخ الكليني عن محمّد بن عبد الله ومحمدّ بن يحيى جميعاً عن

1- الكافي ١ : ٣٢٨ ، ٣٣٢ ، كمال الدين : ٣٨١ ح ٥ ، و٤٦٨ ، ح ٤ .

عبد الله بن جعفر الحميري .

وهذا السند في غاية الصحّة والوثاقة ، فالشيخ الكليني معروف إذا حدّث هو مباشرة بكلام يحصل من نقله اليقين ، ومحمدّ بن عبد الله هو محمّد بن عبد الله بن جعفر الحميري من الثقات الأجلّة الأعاظم ، ومحمدّ بن يحيى العطار هو استاذ الشيخ الكليني من الأعاظم الأجلّة ، فاثنان من أعاظم مشايخ الكليني الكبار ينقل عنهم ،وعبد الله بن جعفر الحميري معروف بالوثاقة والجلالة .

يقول عبد الله بن جعفر الحميري : اجتمعت أنا والشيخ أبو عمرو (رحمه الله)[1] عند أحمد بن اسحاق[2] ، فغمزني أحمد بن اسحاق أن أسأله عن الخلف ، فقلت له : يا أبا عمرو ، إنّي أريد أن أسالك عن شيء وما أنا بشاك فيما أريد أن أسألك عنه ، فإنّ اعتقادي وديني أنّ الارض لا تخلو من حجة ، . . . . ولكن أحببت أن أزداد يقيناً ، فان إبراهيم (عليه السلام) سأل ربه عزّ وجلّ أن يريه كيف يحيي الموتى فقال : أولم تؤمن ؟ قال : بلى ولكن ليطمئنّ قلبي ، وقد أخبرني أحمد بن إسحاق عن أبي الحسن . يعني عن الإمام الهادي (عليه السلام) . قال : سألته وقلت : من أعامل ؟وعمّن آخذ وقول من أقبل ؟ فقال : « العمري ثقتي ، فما أدّى إليك عنّي فعنيّ يؤديّ ، وما قال لك عنيّ فعنيّ يقول ، فاسمع له وأطع ، فإنه الثقة المأمون » ، وأخبرني أبو علي أنّه سأل ابا محمدّ (عليه السلام) . يعني الإمام العسكري (عليه السلام) . عن مثل ذلك ؟ فقال : « العمري وابنه ثقتان ، فما أدّيا إليك فعنيّ يؤديان وما قالا لك فعنيّ يقولان ، فاسمع لهما وأطعهما ، فإنهما الثقتان المأمونان » ، فهذا قول إمامين قد مضيا فيك ، قال : فخرّ أبو عمرو ساجداً وبكى ثمّ قال : سل حاجتك ، فقلت له : أنت رأيت الخلف من بعد أبي محمد ؟ . يعني من بعد العسكري . فقال : إي والله . . . . فقلت له : فبقيت واحدة ، فقال لي : هات ، قلت : الاسم ؟ قال : محرّم عليكم أن تسألوا عن ذلك ،ولا أقول

1- عمرو بن عثمان بن سعيد العمري السمّان .
2- أحمد بن اسحاق القمي الأشعري المعروف بالوثاقة .

هذا من عندي ، وليس لي أن أحلّل ولا أحرم ، ولكن عنه (عليه السلام) ، فإنّ الأمر عند السلطان أنّ أبا محمد مضى ولم يخلّف ولداً وقسمّ مواريثه . . . فاتقوا الله وامسكوا عن ذلك »[1] .

فهل هذه الرواية قابلة للاجتهاد من حيث الدلالة ؟

إنّها من حيث الدلالة صريحة ، ويتمسك بها الأصوليوّن في مسألة حجية خبر الثقة ، وقد ذكر السيد الشهيد الصدر في أبحاثه أنّ هذه الرواية لوحدها تفيدنا اليقين . وقد ذكر ذلك لا بمناسبة الإمام المهدي ، بل بمناسبة حجيّة خبر الثقة . إذ هناك

إشكال يقول ان هذه الرواية هي خبر واحد فكيف نستدل بها على حجّيّة خبر الواحد ؟ ما هذا إلا تّور في هذا المجال ، وكان السيّد الشهيد يريد أن يثبت أنّ هذه الرواية تفيد اليقين ، لأنّ الشيخ الكليني كلماّ ينقل ويقول : أخبرني ، فلا نشك في إخباره ، والذي أخبره هو محمّد بن عبد الله ومحمّد بن يحيى العطارّ ، وهما من أعاظم الشيعة لا نحتمل في حقهمّ أنهمّ كذبوا أو أخطؤا ويحصل القطع من نقلهما ، وهما ينقلان عن عبد الله بن جعفر الحميري الذي هو من الأعاظم ، وهو ينقل مباشرةً عن السفير الأوّل للإمام سلام الله عليه ، والسفير يقول : أنا رأيت الخلف بعيني .

فهذه الرواية لوحدها يمكن أن يحصل منها اليقين ، وهي واضحة في الدلالة على أنّه قد رئي الإمام صلوات الله وسلامه عليه .

وهناك رواية أخرى تنقل قصة حكيمة بنت الإمام الجواد سلام الله عليه ، وهذه القصّة مشهورة ، ولكن لا بأس أن أشير إلى بعض مقاطعها ، وهي مذكورة في كتاب كمال الدين وغيره .

تنقل حكيمة : بعث إليّ أبو محمّد سلام الله عليه سنة خمس وخمسين ومائتين في النصف من شعبان وقال : يا عمةّ اجعلي الليلة إفطارك عندي فإنّ الله

1- الكافي ١ : ٣٢٩ ح ١ ، الغيبة للطوسي : ٢٤٣ ح ٢٠٩ و٣٥٩ ح ٣٢٢ .

عزّ وجلّ سيسرك بوليهّ وحجتهّ على خلقه خليفتي من بعدي ، قالت حكيمة : فتداخلني لذلك سرور شديد وأخذت ثيابي علي وخرجت من ساعتي حتّى انتهيت إلى أبي محمد (عليه السلام) وهو جالس في صحن داره وجواريه حوله ، فقلت : جعلت فداك يا سيدي الخلف ممّن هو ؟ قال : من سوسن . في بعض الروايات سوسن ، وفي بعضها نوجس ، وفي بعضها شيء آخر .

وقلت: إنّ هذه الاختلافات لا يمكن أن يتشبّث بها شخص ويقول هذه الروايات مردودة لأنهّا مختلفة ، فان هذا ليس له أثر . فأدرتُ طرفي فيهنّ فلم أرَ جارية عليها أثر غير سوسن ، قالت حكيمة : فلماّ صليتّ المغرب والعشاء أتيت بالمائدة فأفطرت أنا وسوسن وباتتّا في بيت واحد ، فغفوت غفوة ثمّ استيقظت ، فلم أزل مفكرة فيما وعدني أبو محمد من أمر ولي الله ، فقمت قبل الوقت الذي كنت أقوم في كلّ ليلة للصلاة ، فصليّت صلاة الليل حتىّ بلغت الى الوتر ، فوثبت سوسن فزعة وخرجت فزعة واسبغت الوضوء ، ثمّ عادت . يعني امّ الإمام المهدي (عليه السلام) . فصلتّ صلاة الليل وبلغت الوتر ، فوقع في قلبي أن الفجر قد قرب ، فقمت لأنظر فإذا بالفجر الأول قد طلع ، فتداخل قلبي الشك من وعد أبي محمد (عليه السلام) فناداني من حجرته : « لا تشكّي وكأنكّ بالأمر الساعة » ، قالت حكيمة : فاستحييت من أبي محمد ومماّ وقع في قلبي ورجعت إلى البيت خجلة ، فإذا هي قد قطعت الصلاة وخرجت فزعة ، فلقيتها على باب البيت فقلت : بأبي أنت وأمي هل تحسّين شيئاً ؟ قالت : نعم يا عمةّ إنّي لأجد أمراً شديداً ، قلت : لا خوف عليك إن شاء الله ، وأخذت وسادة فألقيتها في وسط البيت وأجلستها عليها وجلست منها حيث تقعد المرأة من المرأة للولادة ، فقبضت على كفي وغمزت غمزةً شديدة ثمّ أنتّ أنةّ وتشهدتّ ونظرت تحتها فإذا أنا بولي

الله صلوات الله عليه متلقّياً الأرض بمساجده [1] .

1- الغيبة للطوسي : ٢٣٤ ح ٢٠٤ .

ونقل الشيخ الطوسي أيضاً في الغيبة حديثاً ظريفاً فقال :

جاء أربعون رجلاً من وجهاء الشيعة اجتمعوا في دار الإمام العسكري ليسألوه عن الحجّة من بعده ، وقام عثمان بن سعيد العمري فقال : يا بن رسول الله ، أريد أن أسألك عن أمر أنت أعلم به منّي ، فقال له : إجلس يا عثمان ، فقام مغضباً ليخرج ، فقال : لا يخرجنّ أحد ، فلم يخرج منّا أحد ، إلى أن كان بعد ساعة فصاح (عليه السلام) بعثمان فقام على قدميه فقال : أخبركم بما جئتم ؟ قالوا : نعم يا بن رسول الله ، قال : جئتم تسألوني عن الحجّة من بعدي ؟ قالوا : نعم ، فإذا غلام كأنّه قطعة قمر أشبه الناس بأبي محمد ، فقال : هذا إمامكم من بعدي ، وخليفتي عليكم ، أطيعوه ولا تتفرقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم ، ألا وانّكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتّى يتم لّه عمر ، فاقبلوا من عثمان ما يقوله ، وانتهوا الى أمره ، واقبلوا قوله ، فهو خليفة إمامكم والأمر إليه » [1] .

هذه أربع روايات نقلتها لكم ، والروايات في هذا الصدد كثيرة جدّاً ، وحسبنا ما روي في رؤية الإمام الذي هو في الحقيقة يمكن أن يشكّل مقدار التواتر .

1- الغيبة للطوسي : ٣٥٧ ح ٣١٩ .

العامل الرابع

وضوح فكرة ولادة الإمام المهدي (عليه السلام) بين الشيعة ، فالذي يقرأ التاريخ ويقرأ الروايات يفهم أنّ الشيعة من الزمان الأوّل كانوا يتداولون فكرة الإمام المهدي وأنّه يغيب ، وكانت قضية واضحة فيما بينهم ، ولذلك نرى أنّ الناووسية ادعّت أن الإمام الغائب هو الإمام الصادق (عليه السلام) ، ولكن بعد وفاة الإمام الصادق اتّضح بطلان هذه العقيدة ، والواقفية ادعّوا أن الإمام المهدي الذي يبقى هو الإمام موسى بن جعفر سلام الله عليه ، والفت النظر الى أن هذا لا ينبغي سبباً لتضعيف فكرة الإمام المهدي ، بل بالعكس ، هذا عامل للتقوية ، لأنّ هذا يدل على أنّ هذه الفكرة كانت فكرة واضحة بين الأوساط ، ولذلك ينسبون إلى بعض الأئمّة نسبة غير صحيحة وان هذا هو الإمام المهدي أو ذاك .

وإذا راجعنا كتاب الغيبة للشيخ الطوسي نجده يذكر بعنوان الوكلاء المذمومين عدّة ، منهم : محمّد بن نصير النميري ، أحمد بن هلال الكرخي ، محمّد ابن علي بن أبي الزقاق الشلمغاني ، وغير ذلك إلى عشرة أو أكثر من الذين أدعوا الوكالة والسفارة عن الإمام كذباً وزوراً وخرجت عليهم اللعنة وتبرأ منهم الشيعة [1] .

وهذا العامل أيضاً لا يكون سبباً لتضعيف فكرة الإمام المهدي وولادته وغيبته ، بل هذا في الحقيقة عامل للتقوية ، اذ يدلّ على أنّ هذه الفكرة كانت واضحة وثابتة ، لذلك ادّعى هؤلاء الوكالة كذباً وزوراً ، وخرجت الواءة واللعنة في حقهمّ .

إذن هذا العامل الرابع من عوامل حصول اليقين بفكرة الإمام المهدي (عليه السلام) .

1- الغيبة: ٣٩٧ .

العامل الخامس

إنّ قضية السفراء الأربعة وخروج التوقيعات بواسطتهم قضيته واضحة في تاريخ الشيعة ، ولم يشكّك فيها أحد من زمان الكليني الذي عاصر سفراء الغيبة الصغرى ووالد الشيخ الصدوق علي بن الحسين والى يومنا ، انه لم يشكّك أحد من الشيعة في جلالة هؤلاء السفراء ولم يحتمل كذبهم ، وهم أربعة :

الأوّل : عثمان بن سعيد أبو عمرو ، الذي قرأنا الرواية المتقدمة عنه ، وكان عثمان بن سعيد السمّان يبيع السمن في الزقاق ، وكانت الشيعة توصل له الكتب والأموال فيضعها في الزقاق ، حتّى يخفي القضية ثمّ يوصلها الى الإمام ، وكان هذا وكيلاً عن الإمام الهادي وعن الإمام العسكري وبعد ذلك عن الإمام الحجّة صلوات الله عليهم .

الثاني : محمّد بن عثمان بن سعيد .

الثالث : الحسين بن روح .

الرابع : علي بن محمد السمري .

هؤلاء أربعة سفراء أجلّة ، خرجت على أيديهم توقيعات . استفتاءات . كثيرة ، نجد جملة منها في كمال الدين ، وفي كتاب الغيبة ، وكتب أخرى .

إنّ هذه السفارة والسفراء الذين ما يحتمل في حقّهم الكذب ، وخروج هذه التوقيعات الكثيرة بواسطتهم هو نفسه قرينة قوية على صحّة هذه الفكرة ، أي : فكرة ولادة الإمام المهدي ، وعلى أنّه غائب صلوات الله وسلامه عليه .

العامل السادس

تصرّف السلطة ، فإنّ تاريخ الامامية وغيرهم ينقل أن المعتمد العباسّي بمجرد أن وصل إلى سمعه أنه ولد للإمام مولود أرسل شرطته إلى دار الإمام وأخذوا جميع نساء الإمام واعتقلوهنّ حتّى يلاحظوا الولادة ممنّ ؟ طبيعي بعض التاريخ ينقل أن القضية كلها كانت بإرشاد جعفر عمّ الإمام المهدي ، وهذا غير مهمّ ، فإنّ نفس تصرف السلطة قرينة واضحة على أن مسألة

الولادة ثابتة ، وإلاّ فهذا التصوف لا داعي إليه .

الصفحة 292

الصفحة 293

العامل السابع

إنّ كلمات المؤرّخين وأصحاب التاريخ والنسب من غير الشيعة واضحة في ولادة الإمام المهدي ، منهم :

ابن خلكان قال : أبو القاسم محمّد بن الحسن العسكري ، ثاني عشر الأئمّة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية ، المعروف بالحجّة ، كانت ولادته يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين [1] .

والذهبي قال : وأما ابنه محمد بن الحسن الذي تدعوه الرافضة القائم الخلف الحجّة ، فولد سنة ثمان وخمسين ، وقيل : سنة ست وخمسين [2] .

وابن حجر الهيتمي قال : ولم يخلّف . يعني الإمام العسكري . غير ولده أبي القاسم محمّد الحجة ، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين [3] .

وخير الدين الزركلي قال : ولد في سامراء ، ومات أبوه وله من العمر خمس سنين [4] .

إلى غير ذلك من كلمات المؤرخين العامّة ، وهي تشكّل قرينة على صحة هذه القضية .

1- وفيات الاعيان ٤ : ٣١ رقم : ٥٦٢
2- تاريخ الاسلام ١٩ : ١١٣ رقم : ١٥٩ .
3- الصواعق : ١٦٧ و٢٠٨ .
4- الأعلام للزركلي ٦ : ٨٠ .

الصفحة 294

الصفحة 295

العامل الثامن

تباني الشيعة واتفاقهم من زمان الكليني ووالد الشيخ الصدوق وإلى يومنا هذا على فكرة الإمام المهدي (عليه السلام) وغيبته ، وفي كل طبقات الشيعة لم نجد من شكّك في ولادة الإمام وفي غيبته ، وهذا من أصول الشيعة وأُصول مذهبهم .

الصفحة 296

الصفحة 297

حساب الاحتمال

هذه عوامل ثمانية لنشوء اليقين ، وقبل أن أختم محاضرتي أقول :

نحن إمّا أن نسلّم بكثرة الأخبار وتواترها ووضوح دلالتها على الغيبة ، ومعه فلا يمكن لأحد أن يجتهد في مقابلها ، لأنّ

اجتهاد في مقابل النص .

أو لا نسلّم بالتواتر ، ولكن بضميمة سائر العوامل إلى هذه الأخبار . التي منها : تباني الشيعة ، وكلمات المؤرخين ، ووضوح فكرة الإمام المهدي وولادته بين طبقات الشيعة من ذلك التاريخ السابق ، وتصرّف السلطة ، ومسألة السفارة والتوقيعات ، وغير ذلك من العوامل . يحصل اليقين بحقّانية القضية .

إذن نحن بين أمرين :

امّا التواتر ، على تقدير التسليم بكثرة الأخبار وتواترها .

أو اليقين ، من خلال ضم القرائن على طريقة حساب الاحتمال .

نسأل الله عزّوجلّ بحق محمدّ وآل محمد أن يهدينا إلى الصراط المستقيم .

الصفحة 298

الصفحة 299

(٣٩) الغيبة الصغرى والسفراء الأربعة

الشيخ فاضل المالكي

الصفحة 300

الصفحة 301

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على سيدّنا ونبينا محمد وآله الطيبين الطاهرين المعصومين ، لاسيماً بقية الله في الأرضين سيّدنا ومولانا الإمام المهدي المنتظر عجّل الله تعالى فرجه الشريف وجعلنا من أنصاره والشهداء بين يديه .

يقع الكلام في موضوع الغيبة الصغرى ، وفي هذا الموضوع عدّة مجالات للحديث ، وخير مستهلّ نستهلّ به هذا البحث هو ما رواه النعماني أعلى الله مقامه الشريف في كتاب الغيبة بعدّة طرق عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال :

« للقائم غيبتان . وفي لفظ : أنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين . إحداهما قصيرة والأخرى طويلة : الغيبة الأولى لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصّة شيعته ، والأخرى لا يعلم بمكانه فيها إلا خاصّة مواليه في دينه» [1] .

1 - الغيبة للنعماني : ١٧٥ ح ٢ و٣ ، والكافي ١ : ٣٣٨ ح ٦ وفيه : « عن عبيد ابن زرارة قال : سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : يفقد الناس إمامهم يشهد الموسم فيراهم ولا يرونه » .

هناك كلام في رواية هذا الحديث من عدّة جهات :

الجهة الأولى

إنّ الإمام صلوات الله عليه أنبأ عن غيبة صاحب الأمر (عليه السلام) قبل مولده ، وهذا في الواقع جزء من مخطّط متكامل في الشريعة الإسلامية ، بدأ بالنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في قضيّة التبشير والإنباء والإخبار عن أصل قضية ظهور صاحب الأمر (عليه السلام) وغيبته وعن تفاصيل بعض هذا الموضوع ، وما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في موضوع الغيبة جزء من هذا المخطّط .

فالعمليّة عمليّة إعداد للأمّة لكي تستقبل هذا الإمام الثاني عشر صلوات الله وسلامه عليه بما يحف إمّامته من خصوصيات ، ومن أهمّ وأبرز هذه الخصوصيات قضية غيبته (عليه السلام) ، فكان ما ورد من الرسول والأئمة الأطهار : في هذا المورد عبارة عن عملية تعبئة نفسيّة للأُمة الإسلامية لاستقبال هذا الحدث المهم ، حدث الغيبة .

الجهة الثانية

إنّ هذا الحديث قسّم الغيبة إلى قسمين : غيبة قصيرة وغيبة طويلة ، وربمّا يعبرّ عنها بالصغرى والكبرى ، وبتعبير المفيد (قدس سره) القصوى والطولى [1] .

هنالك غيبة قصيرة وغيبة طويلة كما نعلم ، القصيرة التي نتكلّم عنها ، وهنالك عدّة جهات للبحث في هذه الغيبة القصيرة ستأتي إن شاء الله قبل الإفاضة فيها .

بقية جهات هذا الحديث الشريف على نحو الإجمال

هنالك غيبتان بحسب فرض هذا الحديث الشريف ، وكذلك نعتت الغيبة الصغرى القصيرة بأنّه يرجع فيها إلى أهله [2] ، والمقصود هنا بأهله ليس المعنى

1- الإرشاد ٢ : ٣٤٠ .
2 - الغيبة للنعماني : ١٧٨ ح ٩ وفيه : «إنّ لصاحب هذا الأمر غيبتين : يرجع في أحدهما إلى أهله ، والأخرى يقال : هلك في أي واد سلك ...».

المتعارف ، إنما المقصود بأهله هو ما عبّرت عنه الرواية في لفظ آخر : « يعلم بمكانه فيها خاصة من شيعته » [1] ، فالمقصود من أهله : الخاصّة من شيعته ، يعني النواب الخاصّون ، وكذلك الوكلاء الذين وكلّهم (عليه السلام) في القضايا الجزئية أو القضايا الشخصية ، كما سيأتينا أيضاً إن شاء الله تعالى أنّ للامام (عليه السلام) في غيبته الصغرى نوعين من النواب : هناك النواب العامّون عن الإمام (عليه السلام) وهم الأربعة ، وهناك النواب الخاصّون ، والمقصود بالخاصيّن يعني في القضايا الجزئية والشخصية ، هناك مقابلات في قضايا محدّدة ووقائع محدّدة نصّ عليها المؤرخّون جرت بين الإمام سلام الله عليه وبين بعض الخواص .

فإذن المقصود هنا بالأهل ليس خصوص الأهل بمعنى الأسرة التي يرجع إليها ، ذلك أمرٌ آخر ليس الحديث في صدده ، الحديث ليس في صدد غيبته عن أسرته ، الحديث في صدد غيبته عن أمّته وشيعته ، يعلم بمكانه فيها خاصّة من شيعته ، وقد قلنا بأنّ المقصود هو النوعان من النواب ، النواب العامّون في زمن الغيبة الصغرى ، والمقصود منهم هم الذين ينوبون عن الإمام سلام الله عليه في مختلف المسائل التي خوّلوا فيها .

ومن الطبيعي أنّ هناك مختصّات للإمام سلام الله عليه طبق مقام إمامته وولايته ومركزه وموقعه ، لا نتكلمّ عن ذلك العالم ، ذلك عالم آخر لمقامهم صلوات الله عليهم ، إنّما نتكلمّ في حدود الصلاحيات العامة التي يفوضّها (عليه السلام) لهؤلاء النواب العامّين طبق الشروط والظروف الموضوعية القائمة آنذاك .

النيابة العامّة

مقصودنا هنا من النيابة العامّة ليس اصطلاح النيابة العامّة في عهد الغيبة الكبرى ، في عهد الغيبة الكبرى يراد من النيابة العامّة هي النيابة التي لم تحددّ

1- المصدر السابق : ١٧٥ ح ١ .

بالتشخيص لشخص النائب ، إنّما حددّت بعنوان عام ينطبق على هذا الفقيه أو على ذلك الفقيه ، فيعبرّ عن الفقهاء في عصر الغيبة بأنّهم نواب عامّون .

هنا صفة العموميّة في النائب العام في زمن الغيبة المقصود منها العمومية بلحاظ العنوان المعينّ ، العنوان المشخّص ، عنوان الحوالة ، الإمام حينما يحيل في زمن الغيبة الكوى لا يحيل على أشخاص معيّنين بأسمائهم إنمّا يقول بعنوان عام ، مثلاً : «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فإنهّم حجتّي عليكم وأنا حجةّ الله »[1] ، فالعموميّة هنا بلحاظ صيغة التعيين ، والتعيين تمّ بالنوع ولم يتمّ بالشخص ، ففي زمن الغيبة الكوى المقصود من النيابة العامة العمومية بلحاظ صيغة التعيين .

أمّا النيابة العامّة في الغيبة الصغوى ، فالمقصود منها العمومية بلحاظ الصلاحيات لا بلحاظ صيغة التعيين ، فإنّ صيغة التعيين في النيابة العامة في الغيبة الصغوى صيغة شخصيّة ، يعني الإمام سلام الله عليه ينصّ على أسماء النواب ، مثلاً يقول : عثمان بن سعيد وكيلي ، محمّد بن عثمان وكيلي ، لكن في تمام الصلاحيات ، فالعمومية في النيابة العامّة في الغيبة الصغوى ناظرة إلى دائرة الصلاحيات ، وأمّا العمومية في النيابة العامّة في الغيبة الكوى فناظرة إلى مصدر الصلاحية والى منبع هذه الصلاحية وطبيعة أو صيغة التشخيص أو التعيين .

النيابة الخاصّة

ويقابل النيابة العامّة بذلك المعنى في الغيبة الكوى النيابة الخاصّة ، النيابة الخاصة التي تقابل النيابة العامةّ في الغيبة الكوى هي عبارة عن النيابة التي تكون بتشخيص شخص معيّن بخصوصه ، فيعبرّ عنها الخاصة ، وهذه النيابة الخاصةّ هي : عبارة عن تعيين النائب بخصوصه ، وقد تسمّى نيابة عامّة بلحاظ سعة دائرة صلاحياته .

1- كمال الدين : ٤٨٤ ح ٤ ، الغيبة للطوسي : ٢٩١ ح ٢٤٧ .

النيابة الشخصيّة

وهنالك نيابة شخصيّة قد يعبرّ عنها لئلا يّقع الخلط بين المصطلحات ، ويمكن أن نعبرّ عنها بأنهاّ نيابة شخصية في زمن الغيبة الصغوى ، ويراد منها النيابة في قضايا شخصية أو في مسائل جزئية ، كما استناب الإمام سلام الله عليه أحمد ابن إسحاق الأشعري القمي رضوان الله عليه في بعض المسائل الشخصيّة[1] وأبو الأديان البصري[2] وما شاكل ، لكن لم يكن أبو الأديان ولا أحمد بن إسحاق من الأبواب العامّين والسفراء الأربعة ، إنمّا كانت وكالتهما عن الإمام سلام الله عليه في قضايا خاصّة وجزئية ، وكما يعبر : قضية في واقعة .

فاذن المقصود هنا بخاصّة شيعته (عليه السلام) في زمن الغيبة الصغوى أنهّم يعلمون بمكانه ، المقصود هو السفراء الأربعة الذين سيأتي الكلام فيهم ، مضافاً إلى النواب الذين ينوبون عنه (عليه السلام) في بعض المسائل الجزئية .

تثنية الغيبة :

تقول الرواية : «والأخرى يظهر فيها » ، الأخرى : يعني الغيبة الكوى ، يظهر فيها : يعني في آخرها بقرينة ما سيأتي

من فقرات ، يظهر فيها : يعني أن ظهوره (عليه السلام)إنّما يكون في الغيبة الكبرى ، يعني في نهاية الغيبة الكبرى يكون ظهوره (عليه السلام) .

ومن هذا نفهم شيئاً وهو : أنّه لا ظهور بعد الغيبة الصغرى ، بخلاف المرتسم في بعض الأذهان : أنّ الفرق بين الغيبتين أو تثنية الغيبتين بلحاظ أنّ الإمام سلام الله عليه غاب في الغيبة الصغرى ثمّ ظهر ثمّ غاب ، هذا وهم في الواقع ، الإمام سلام الله عليه لم يظهر بالمعنى الذي نريده من الظهور حتّى يفرق بين المرحلتين بأنّ الإمام غاب مثلاً سبعين سنة ثم ظهر للعيان بشكل عادي ثمّ غاب الغيبة الكبرى .

1- كمال الدين : ٤٥٨ ح ٢١ .
2- المصدر السابق : ٤٧٤ ـ ٤٧٦.

إذن ما هو الوجه في التثنية للغيبة ؟ يقال : غيبة صغرى وغيبة كبرى ؟

الوجه : ليس قضية الظهور وعدم الظهور ، بل لم يظهر الإمام عليه السلام في كلتا الغيبتين وفي تمام الفترتين وفي الفاصل بين الفترتين ، كما أنّه ليس الفرق بين الغيبتين هو عبارة عن قصر وطول المدّة فقط .

إذن ما هو المدار على تثنية الغيبة ؟

المدار في واقع الأمر على طبيعة تعامل الإمام سلام الله عليه في الغيبة الصغرى مع قواعده الشعبية ، أو طريقة تعامله مع قواعده الشعبية في الغيبة الصغرى عنها في الغيبة الكبرى :

في الغيبة الصغرى طريقة تعامله ولقائه وتماسّه مع قواعده الشعبية هو عن طريق السفراء الذين سيأتي الحديث عنهم إن شاء الله ، أمّا في الغيبة الكبرى فطريقة تماسّه (عليه السلام) لم يكن عن طريق سفراء خاصيّن ، إنماّ كان عن طريق النواب العامين ، عن طريق الفقهاء .

فالفرق بين هاتين الفترتين : أنّه في تلك الفترة القصيرة كان هناك سفراء يلتقي الإمام سلام الله عليه من خلالهم مع قواعده الشعبية ،وأمّا في الغيبة الكبرى فلم يكن هناك سفراء بذلك المعنى ، فلهذا للتفرقة بين هاتين الفترتين عبرّ عن الغيبة الأولى بأنّها غيبة صغرى وعبرّ عن الثانية بأنهّا غيبة كبرى ،والإ لّم يفصل ظهور بين الغيبتين ، ولهذا قال (عليه السلام) : « والأخرى يظهر فيها » .

غياب هويّة أم غياب شخصيّة ؟

في بعض الفاظ الحديث فقرة : «والأخرى يظهر فيها » جاءت متأخّرة ، يعني هكذا : « وفي الأخرى لا يرُى أين هو ، يشهد المواسم ، يرى الناس ولا يرونه » [1] « لا يعلم بمكانه فيها إلاّ خاصّة مواليه في دينه » [2] .

1- الغيبة للنعماني : ١٨١ ح ١٥ .
2- الغيبة للنعماني : ١٧٥ ح ١ .

هذه العبارة محلّ بحث وتحليل ومحلّ تدقيق في واقع الأمر .

فما المقصود من أنّه في عهد الغيبة الكبرى لا يعلم بمكانه إلاّ مواليه في دينه ؟

هذا يستدعينا المرور بمدلول غيبته (عليه السلام) ، فما هو معنى غيبته ؟

هل إنّ غيبته كما يتصوّر البعض غياب شخصيّة ؟ يعني شخص الإمام ، هذا الشخص ، هذه الشخصيّة الطبيعية تغيب ؟ أو أنّ المقصود بالغياب غياب هويّة ، إنّ هذه الشخصيّة الطبيعية موجودة تعيش فيما بين الناس ولكنها لا تشخُص ، هذا المعبر عنه بغياب الهويّة .

والصحيح أنّ غيابه (عليه السلام) غياب هويّة لا غياب شخصية ، فإنّ شخصه سلام الله عليه موجود ، ولكن الناس لا يُشخصوّنه ولا يعرفونه بشخصه وبهويتّه ، ولهذا يقول : « يشهد الموسم ولا يرى الناس ولا يرونه ولا يعلم بمكانه إلا موّاليه في دينه » ، باعتبار أنّ غياب الإمام غياب هويّة لا غياب شخصية ، فالشخص موجود ، ولكن هذا الشخص المقدس صلوات الله وسلامه عليه يمكن أن يلتقي به بعض الأبدال وبعض الأوحديين وبعض الأفذاذ من الناس ممّن يليق أن يفوز بلقاء الإمام صلوات الله وسلامه عليه ورؤية طلعته المباركة .

وهذا بابٌ واسع عقد له الميرزا النوري أعلى الله مقامه كتاباً في هذا المعنى فيمن رأى الإمام المهدي سلام الله عليه في الغيبة الكبرى ، وكذلك عقد له السيد البحراني كتاباً سماّه تبصرة الولي فيمن رأى القائم المهدي سلام الله عليه ، وهنالك ملحق في بحار العلامّة المجلسي رحمه الله فيمن التقى بالإمام سلام الله عليه في عهد الغيبة الكبرى [1] .

وفي الجملة ، هنالك لقاءات ، ولكن هذه اللقاءات إنّما هي حجّة على

1- البحار ٥٣ : ٢٠٠ .

أصحابها ، لأنّ في زمن الغيبة الكبرى نعلم أنّ الإمام سلام الله عليه لم يعينّ سفيراً خاصاً ، فلا يسعنا أنه كلّ ما جاءنا شخص وقال : أنا سفير الإمام ، أنا رأيت الإمام ، أن نرتّب الأثر ، نعم لا يسعنا أن نكذبّه ، خاصة إذا كان مؤمنا ظاهر الإيمان ظاهر العدالة ، لا نواجهه بالكذب ، ولكن في نفس الوقت لا يترتب أثر شرعي على دعواه أنّه رأى الإمام سلام الله عليه .

وأحياناً ربمّا تقوم قرائن على كذب بعض المدعّين ، وما أكثر المدعّين للرؤية ، سواء في الغيبة الصغرى أو في الغيبة الكبرى ، كما أنّ هنالك من ادّعى المهدوية ، وهنالك من ادعّى السفارة ، وهنالك من ادعّى الرؤية ، نحن لا نتكلم عّن أن هنالك أشخاصاً قد يدّعون كذبا أو زورا الرؤية ، هذا عالم آخر ، إنما نتكلم عّن أصل المبدأ من حيث المبدأ (إمكان رؤيته (عليه السلام)) .

الإمام باعتبار أنّ غيابه غياب هويّة لا غياب شخصيّة ، فشخصه صلوات الله عليه يمكن أن يفوز بلقائه الأوحدي من الناس

، ولكن من هو الأوحدي من الناس ؟ ذاك علمه عندربّي ، «ولا يعلم بمكانه إلاّ مواليه في دينه ويقال فيها : هلك في أي واد سلك » في هذه الغيبة الكوى .

تعقيب على بحث تثنية الغيبة

وفي بعض الألفاظ قال : « يظهر فيها » ، ويظهر بقرينة الفقرات السابقة يقصد به أنّ الظهور المكتوب له سلام الله عليه حيث يملأ الله تعالى به الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تمُلأ ظلما وجورا ، إنما يكون في آخر المطاف وفي آخر هذه الغيبة الكوى ، فالإمام سلام الله عليه قيّد هذه الغيبة الكوى بأنّ الظهور فيها ، بينما الغيبة الصغرى لم يذكر فيها ظهور ، وهذا يؤيدّ ما ذكرناه قبل قليل بأنّ الفاصل بين الغيبتين الصغرى والكوى ليس قضية الظهور . أنّه ظهر بعد سبعين سنة مثلا ثم ّ للعيان ثم ّ غاب فرآه الناس ثمّ غاب ثمّ يظهر لرواه الناس . لا ، بل إن ّله (عليه السلام) بعد غيبته

الأولى ظهوراً عاما ً علنيا واحدا ، وهو حيث يأذن الله تعالى له بالفرج ، فيقوم بأمر الله تبارك وتعالى ويملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً .

ويدلّ على ذلك أيضا ً ما رواه الشيخ . شيخ الطائفة أعلى الله مقامه . في غيبته عن جماعة من الشيعة منهم الحسن بن أيوب بن نوح :

أنّه اجتمع أربعون رجلاً من أصحاب الإمام العسكري (عليه السلام) عنده يسألونه عن الحجة بعده ، واذا غلام كأنه ّقطعة قمر أشبه الناس بأبي محمد (عليه السلام) ، فقال : « هذا إمامكم من بعدي وخليفتي عليكم أطيعوه ولا تتفرّقوا من بعدي فتهلكوا في أديانكم ، ألا وإنّكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتىّ يتم ّله عمر . . . » الى آخر الحديث [1] ، يختمه صلوات الله عليه بالتنويه بظهوره بعد الغيبة الكوى ، يعني بظهوره لإقامة الدولة الإسلاميّة العالميّة .

فإذن من هذا يظهر أيضاً التأكيد لما قدمّناه سابقا ً من أنه ّالفاصل بين الغيبتين ليست قضية الظهور للعيان ثم الغياب ، وانما ّ التعبير بالصغرى والكوى للنقطة التي بيّناها قبل قليل ، لأنّه طريقة التماس للقواعد الشعبية في الغيبة الصغرى كان هو عبارة عن السفارة والسفراء ، بينما في الغيبة الكوى كان عبارة عن طريق الفقهاء .

وبعد هذا البيان الذي استعرضنا من خلاله جملة من النقاط على ضوء هذا الحديث الشريف ، هذه النقاط التي بحثت بعنوان رواية هذا الحديث بنحو اجمالي ، ندخل في صلب البحث .

1- الغيبة للطوسي : ٣٥٧ ح ٣١٩ ، وانظر : كمال الدين للصدوق : ٤٣٥ ح ٢ .

جدول البحث

أمّا نفس جدول البحث وخطّة البحث :

أوّل ما يواجهنا في قضيّة الغيبة الصغرى : أنّ ما هو مفهوم الغيبة ، أو ما هو مدلول الغيبة ؟وهذا لعلّه تبيّن في أثناء البحث أنّ المقصود بغيبته سلام الله عليه هو عبارة عن غياب هويّة لا غياب شخصيّة .

وفي نفس الوقت هنالك أبحاث تسبق هذا البحث لا نطرقها ، باعتبار أنّ حديثنا جزء أو حلقة من سلسلة أبحاث قدّم جملة من هذه الحلقات عدد من العلماءوالفضلاء ،وهذه الحلقة هي بواقع الأمر جزء متمّم في هذه السلسلة .

هنالك أبحاث سابقة على هذا البحث : من قبيل مسألةولادته (عليه السلام) ،والمفروض أنّ الحديث عن غيبته بعد أن تحرزولادته سلام الله عليهوأن يُحرز وجوده (عليه السلام) ، هاتان نقطتان مهمتان يحرز أنّه ولد ويحرز أنّه غائب وليس بميّت ، هذه نقطة ثانية .

والنقطة الثالثة هو إحراز أنّ له سلام الله عليه سواء في هذه الغيبة .

وهنالك أسئلة أخرى ترتبط في موضوع أصل الغيبة وفي أصل إمامته سلام الله عليه أنّه كيف يتولّى الإمامة في سنّ مبكّر ، هذه المسألة ، أيضاً تكفّلت بها بحسب الفرض أبحاث سابقة هي خارجة عن محلّ بحثنا .

وفي مسألة أصل إمامته سلام الله عليه ، يعني بكونه الإمام الثاني عشر من آل محمد (صلى الله عليهوآله وسلم) من أهل البيت صلوات الله عليهم بدءاً بأمير المؤمنين (عليه السلام) وختماً بصاحب الأمر (عليه السلام) بحث .

في أصل كونه الإمام الثاني عشر بحث .

في تولّيه الامامة في سنّ مبكّر بحث .

في مسألةولادته بحث .

في مسألة استمرار وجوده حتّى يغيب لا أنّه مات بحث .

في مسألة أنّه غابواستسفر سواء أربعة في طي غيبته (عليه السلام) بحث .

الأبحاث السابقة فيما يتعلّق بإمامته ، بمبكّريّة إمامته ، ولادته ، بوجوده (عليه السلام) واستمراره رابعاً ، وقضية طول عمره أيضاً بحث خامس .

أنّه كيف يعمّر هذه الفترة الطويلة هذا أيضاً بحث آخر .

كلّ هذه الأبحاث كما لا يخفى تفترض في حديثنا الآن ، تفترض بعنوان أصول موضوعيّة مسلمّة ، لا نتكلّم عنها ونفترضها أمور مسلّمة ، فمحطركابنا فيواقع الأمر هو عبارة عن نفس الغيبة الصغرى في مفهومها ، وكذلك في سواء الإمام سلام الله عليه في هذه الغيبة ، وطريقة تماس الإمام سلام الله عليه بقواعده الشعبية .

كما تعلمون أنّ هنالك بحثاً آخر ، هذا البحث ربمّا لا يتسّع له المجال :

أنّ الإمام سلام الله عليه في هذه الفترة الطويلة كيف تستفيد الأُمّة من وجوده (عليه السلام) ،وهذا البحث باعتبار أنّه غير مختصّ بالغيبة الصغرى ، إنمّا هو وارد على التقديرين ، على تقدير الغيبة الكبرى وتقدير الغيبة الصغرى .

هذه جملة مباحث لها مجالات أخرى ، إنّما الكلام في أصل الغيبة الصغرى .

الغيبة الصغرى تمهيد الأئمّة (عليهم السلام) لغيبة الإمام (عليه السلام)

من خلال ما تقدّم عرفنا أنّ الأئمة صلوات الله عليهم هيأوا الأذهان ، أذهان الأمة لتقبل قضية غيبة الإمام سلام الله عليه ، أنكم يا معشر الناس ستواجهون إماماً يغيب عن أنظاركم ، يعني أنكّم من عهد أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه إلى عهد الإمام العسكري سلام الله عليه إمامكم بين ظهرانيكم وعلى رؤوسكم بمرأى ومسمع منكم ، أما أنكم ستواجهون إماماً هو الإمام الثاني عشر سلام لله عليه ،وهو إمام مغيّب عن الأنظار ، باعتبار أنّ هذه التجربة تجربة جديدة ، فاجتمعت في الإمام المهدي سلام الله عليه عدّة خصوصيات في واقع الأمر ،وخصوصيات في غاية الخطر ، يعني فضلاً عن كونه الإمام الثاني عشر .

المسألة الأولى : مسألة مبكّرية إمامته (عليه السلام) ، وقد يقال إنّها ليست بالتجربة الجديدة ، لأن المبكريّة في الإمامة سبقه فيها جدّاه الجواد والهادي سلام لله عليهما ، الإمام الجواد تولّى الإمامة وسنّه قرابة ثمان سنوات أو سبع سنوات ،والإمام الهادي أيضاً كذلك تولّى الإمامة وسنّه قرابة ست سنوات ، فربما يقال إن هذه المسألة أصبحت مأنوسة ومألوفة للأمة ، وكأن العناية الإلهية درّبت الأُمّة على قبول الإمامة المبكرة تدريجيا ، فبدأت بإمامة الجواد (عليه السلام) في ما يقارب ثماني سنوات ، ثمّ الهادي (عليه السلام) في قرابة الست سنوات ، ثمّ الإمام المهدي (عليه السلام) في الخمس سنوات .

المسألة الثانية : مسألة غيبته (عليه السلام) ، إمام غائب بأي معنى ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟ .

والمسألة الثالثة : التي هي في غاية الخطر أيضاً : مسألة ظهوره صلوات الله وسلامه عليه ،وإقامة الدولة الإسلامية العالمية التي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن تمُلأ ظلما وجورا .

هذه ملامح ثلاثة في غاية الخطر في شخصية صاحب الأمر صلوات الله عليه ، ومن جملة هذه الملامح نفس موضوع الغيبة :

الغيبة تجربة جديدة للأُمّة ،ربمّا الأمةُ جربتّ غيبة قصيرة تمتد مثلاً أياماً أو شهر لبعض السابقين صلوات الله عليهم ، ولكن غيبة في تمام فترة الإمام إلى أن يأذن الله في الفرج بهذا الطول وبهذا الشكل ، هكذا تجربة لم تمرّ بها الأُمّة الإسلامية سابقاً ، فالأُمّة بحاجة إلى أن تألف هذه التجربة ، بحاجة إلى أن تقنع بهذه التجربة ، بحاجة إلى أن تسمع بها وتكون مأنوسة لها حتّى لا تفاجأ بقضية غيبته ، فلهذا كان الأئمة الأطهار سلام الله عليهم [1] ، بل حتّى في أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)في ما يرويه علماء الفريقين [2] في قضية صاحب الأمر (عليه السلام) ، هنالك لمحات كثيرة في قضية غيبته (عليه السلام) .

الهدف من كلّ هذا الحشد من أحاديث الإشارة إلى غيبته هو تعبئة النفسية العامة أو الذهنية العامة لتقبلّ فكرة الإمام الغائب سلام الله عليه ،وأنّه حقيقة ستقع ، لا أنّها مسألة في عالم الافتراض فقط .

ثمّ الأئمّة سلام الله عليهم في نفس الوقت أيضا أشاروا إلى بعض خصوصيات هذه الغيبة ، مثلا الإمام العسكري سلام الله عليه في حديث من الأحاديث يقول : « عثمان بن سعيد العمري . يخاطب رجلاً . وكيلي وأنّ ابنه محمدّا وكيل ابني مهديكمّ ، حتّى قضية السفير الثاني للإمام المهدي سلام الله عليه كان أيضاً يتحدثّ عنه الإمام العسكري (عليه السلام) ، فلا يسعنا المجال الآن للإفاضة في هذه الجزئيات والخصوصيات ، لكن من حيث المبدأ الأئمّة (عليهم السلام) كانوا يتدخّلون في هذه المسألة ويخطّطون لها ويحاولون تحضير الذهنية العامّة لفكرة الغيبة الصغرى ، وحتىّ فكرة الغيبة الكبرى ، لئلا تفّاجأ الأمةُ .[3]

1- راجع كتاب الإمام المهدي (عليه السلام) للسيد صدر الدين الصدر .
2- راجع كتاب الإمام المهدي ٧ في كتب اهل السنة .
3- الغيبة للطوسي : ٢٥٦ ح ٢١٧ .

كما أنّ الغيبة الصغرى في نفسها عملية تهيئة واعداد للأمةّ الإسلامية للتفاعل والاندماج مع الغيبة الكبرى ، يعني كما أن الأئمّة هيؤا الناس لغيبة صغرى ، كذلك هيؤهم للغيبة الكبرى ، والغيبة الصغرى هي في نفسها وضعياً تهيءّ الأمةُ للغيبة الكبرى ، ولهذا بدأت العملية بالتدريج .

لاحظوا أنّ الأمُةّ لم تبدأ فيها بالغيبة الكبرى ، إنماّ بدأت بالغيبة الصغرى ، يعني ما بدأ الإمام يغيب عن الناس بلا سفراء ، إنّما بدأ غيبته مع السفراء ، لأنّ الغيبة مع السفراء لا شك أنهاّ أقرب إلى أذهان الناس وأشد أنسّاً لأذهان الناس ، لا سيما معّ ما سيأتي من أنّ هؤلاء السفراء أولهم نصّ عليه الإمام الحاضر سابقاً ، وهو الإمام العسكري سلام الله عليه ، وفي نفس الوقت هذا السفير نصّ على من بعده .

فالإمام العسكري (عليه السلام) نصّ على سفارة عثمان بن سعيد ، وحضر مَن حضر من شيعة الإمام من علماء الأمُةّ الإسلامية وشهدوا هذا النصّ من الإمام سلام الله عليه ، ثمّ الخواص الذين حضروا وشهدوا ، سمعوا الإمام المهدي صلوات الله عليه يقرّ نيابة وسفارة عثمان بن سعيد ، فحصل اطمئنان حسّي بسفارة عثمان بن سعيد ، ثمّ عثمان بن سعيد الذي قيل في حقّه ، « اسمعوا له وأطيعوا » ومما يسمع له ويطاع فيه هو نصّه على من بعده ، ومماّ قال في منَ بعْده أيضا : اسمعوا له وأطيعوا ، وهو ابنه محمّد بن عثمان ، ومحمدّ بن عثمان أيضا قال : اسمعوا له وأطيعوا لمن يليه وهو الحسين بن روح ، والحسين بن روح كذلك .

فاذن هنالك نص بهذه الطريقة بمحضر من علماء الأمّة .

فالقضية كانت قضية حسّية ، الذين شهدوا الإمام سلام الله عليه افرض أنهّم الخواصّ ، وكذلك مسألة النصّ على السفير ، وأنّ السفير . هذه نقطة أخرى . حينما كان يواجه الأمُةّ كان يواجه الأمةُ بتوقيعات الإمام سلام الله عليه ، وما كان يأتي بشيء من عند نفسه أو من اجتهاداته الشخصية مثلاً ، إنّما كان يأتي للأمُةّ بكلام الإمام سلام الله عليه ، بمكتوبات الإمام سلام الله عليه ، بتوقيعاته .

التوقيع والناحية المقدّسة

اصطلاح التوقيع كما تعلمون من جملة اصطلاحات هذا العالم ، عالم الغيبة ، المقصود بالتوقيع في هذا المقام يعني الكتاب الموقّع يعبرّ عنه بأنهّ توقيع ، من باب تسمية الكتاب بأهم ما فيه أو أبرز ما فيه أو ما يختم به وهو التوقيع تسمية الشيء بخاتمته ، فيعبّر عنه بأنهّ توقيع ،والمقصود ليس خصوص الإمضاء للإمام سلام الله عليه ، إنمّا المقصود هو الكتاب .

الكتب الصادرة والرسائل الصادرة من الإمام سلام الله عليه كان يعبّر عنها بأنهّا توقيعات الناحية المقدسّة ،والناحية المقدّسة أيضاً فيه إشارة أو قولوا اصطلاح يراد به خصوص الحضرة المقدسّة لصاحب الأمر صلوات الله وسلامه عليه باعتبار ظروف التقية .

وهذا باب من الأبواب الملفتة للنظر : أنّ الإمام سلام الله عليه نادراً ما كان يسمّى باسمه ، بل ورد النهي عن التسمية[1] وأنّه إذا سمّي عرف واذا عرف مثلاً دّل عّلى مكانه إلى آخره ، ففي هذا المورد هنالك تكتم بّاعتبار ظروف التقية ، فلهذا الإمام كان يعبّر عنه بالناحية المقدسّة ويعبرّ عنه بالسيد ّ، قال لي السيد وّكتبت للسُيد ،ّويعبر عنّه بالعالم ، ولفظة العالم أطلقت على بعض الأئمّة سلام الله عليهم السابقين أيضاً كموسى بن جعفر (عليه السلام) ، ولكن أيضا وًرد إطلاقها على الإمام المهدي سلام الله عليه .

1 - الكافي ١ : ٣٢٨ ح ١٣ وفيه : « سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول : الخلف من بعدي الحسن ، فكيف لكم بالخلف من بعد الخلف ؟ فقلت : ولمَ جعلني الله فداك ؟ فقال : إنّكم لا ترون شخصه ولا يحلّ لكم ذكره باسمه ، فقلت : فكيف نذكره ؟ فقال : قولوا : الحجّة من آل محمّد(عليهم السلام)» .

فالسيّد[1] ،والعالم[2] ،والناحية المقدّسة[3] ،والغريم[4] أيضاً مما كان يعبرّ عنه (عليه السلام) .

وعُبرّ عنه (عليه السلام) بالصاحب[5] وصاحب الدار[6] وصاحب العصر[7] وولي العصر وولي الأمر[8] .

فالناحية المقدّسة المقصود بها الإمام سلام الله عليه ،والتوقيعات يعني الرسائل والكتب الصادرة من الإمام (عليه السلام) .

وهذه الكتب الصادرة كانت بخطّه (عليه السلام) ، لم تكن بخط غيره ، ولم تكن مطبوعة مثلا حسب الفرض ، وفي ذلك الزمن لم تكن هنالك آلات طبع بالنحو الموجود اليوم ، المهم أنه لم تكن بخط غيره ، إنّما كانت بخط نفسه (عليه السلام) وموقعة بتوقيعه .

وهذا الموضوع في غاية الأهمّية في العملية التوثيقية ، لأن ّهذا الخط خّط مشّهود لخواص الأعلام والعلماء الذين عاصروا الإمام العسكري سلام الله عليه والذين تعرّفوا على الإمام المهدي (عليه السلام) ، لأنهّ سيأتينا إن شاء الله أن الإمام المنتظر عجّل الله تعالى فرجه لم يكتم ولم يحجب عن تمام الناس ، إنمّا حرص الإمام العسكري سلام الله عليه على عرض ولده الإمام المهدي (عليه السلام) على أعداد كبيرة من الناس من جهة ،وإعلام أعداد أخرى وإن لم يروه ،وهاتان نقطتان في غاية الأهمّية .

1- كمال الدين : ٤٣١ ح ٧ .
2- المزار للشيخ المفيد : ٧ ، والغيبة للطوسي : ٣٧٥ .
3- كامل الزيارات : ١١ .
4- الغيبة للطوسي : ٤١٥ ح ٣٩٢ ، والإرشاد ٢ : ٣٦٢ .
5- الإرشاد ٢ : ٣٥١ وفيه : « عن عمرو الأهوازي قال : أرانيه أبو محمّد وقال : « هذا صاحبكم » » .
6- الغيبة للطوسي : ٢٩٠ ح ٢٤٧ .
7- المزار لمحمّد المشهدي : ٥٦١ .
8- كمال الدين : ٥١٢ ح ٤٣ .

عدم السرّية في مبدأ القيادة الإسلامية

هاتان النقطتان ترتبطان بقضية عدم السرّية في مبدأ القيادة الإسلامية وفي الثقافة الإسلامية ، أو في النظام السياسي الإسلامي ، السريّة ربما تكون في العمل ، أمّا السرية في القيادة لا وجود لها في الإسلام ، ولهذا نجد أنّ الأئمة صلوات الله عليهم يصرّون على مختلف مراحلهم ورغم ظروف التقية التي كانوا يمرّون بها كانوا يحرصون سلام الله عليهم على قضية أن ينصّ السابق على اللاحق .

نعم ربّما كان هذا النصّ في ضمن إطار تقية في ضمن الخواص ، أمّا أن تكون سرية بتمام المعنى فهذا في واقع الأمر ليس من شؤون الإمامة ، فالحجّة بوجه عام نبوّة أو إمامة ، فإصرار الأئمة سلام الله عليهم على قضية أن يشخصّ السابق منهم اللاحق ولو في أحلك الفترات وأدقّ الظروف ، هذا الواقع متفرّع على قضية علنية القيادة قدر الإمكان ، لما في سريّة القيادة من مشكلات مبسوطة في محلّها له بحث علمي آخر في باب النظام السياسي الإسلامي ، أو متبنيّات النظام السياسي الإسلامي .

لكن في حدود هذا المعنى الإمام العسكري سلام الله عليه رغم شدّة الظروف الخانقة الإرهابية التي كان يمرّ بها ، مع ذلك أوّل إجراء اتّخذه (عليه السلام) رغم أنّ أمر الإمام المهدي (عليه السلام) من حمله إلى ولادته إلى نشأته مبني على التكتم كما تعلمون ، حمله كتم بقضية كرامة كما كتم حمل أُمّ موسى بموسى (عليه السلام) بالقصة المعروفة ، وهكذا ولادته (عليه السلام) أيضاً ما كانت بشكل علني ، إنّما كانت بتمام الواقع والحيطة والحذر ، كما نقرأ في قصة السيدة حكيمة رضوان الله عليها بنت الإمام الجواد (عليهما السلام) التي حضرت ولادة الإمام المهدي سلام الله عليه ، والتي رواها بطريق معتبر شيخنا الصدوق أعلى الله مقامه الشريف في كتاب إكمال الدين وإتمام النعمة[1] ، حكيمة حضرت وكان الموضوع بتمام الكتمان .

1- كمال الدين : ٤٣٤ ح ١ .

الإجراءات التي اتّخذها الإمام العسكري (عليه السلام) لإثبات ولادة الإمام المهدي (عليه السلام)

الشيء الذي أريد أن أقوله رغم هذا الكتمان أنّ الإمام العسكري سلام الله عليه كان عنده في جانب آخر موازنة بالعملية ،

كان حريصاً على قضية إثبات ولادته ووجوده ، فاتّخذ جملة إجراءات :

إكثار العقائق عن الإمام المهدي (عليه السلام) :

من أهمّ هذه الإجراءات . هذا الموضوع مهم بارتباطه في موضوع الغيبة الصغرى ، لأننّا لماّ نتكلمّ عن موضوع الغيبة لابد أن نعرف أنّ هذا الغائب صلوات الله وسلامه عليه مولود موجود . بل أول إجراء اتخّذه الإمام العسكري سلام الله عليه فيما تفيد الروايات : أنّه أكثر من العقائق عن الإمام المهدي (عليه السلام) ، وهذه من خواصه أنه لم يعُق عن مولود على الاطلاق كما عقّ عن الإمام صاحب الأمر (عليه السلام) ، حتىّ ورد في رواياتنا : أنه عقّ عنه ثلاثمائة عقيقة[1] ، بل أمر الإمام العسكري (عليه السلام)عثمان بن سعيد أن يشتري كذا ألف رطل . الرطل قرابة ثلث كيلو غرام . من اللحم وممّا شاكل ويوزّعه على الفقراء[2] ، والشيء الملفت للنظر أنّ الإمام نوّع وعددّ الأماكن ، مثلا كَتب إلى خواصه في قم أن يعقوا[3] وأن يقولوا للناس أن هذه العقيقة بمناسبة ولادة المولود الجديد للإمام العسكري (عليه السلام)وأنّه محمدّ ، وهكذا مثلا كَتب إلى خواصّه في بغداد وفي سامراء .

1- راجع : كتاب الإمام المهدي (عليه السلام) من المهد الى الظهور: ١٤٧ ـ ١٤٨.
2- كمال الدين : ٤٣١ ح ٦ .
3- راجع : كتاب الإمام المهدي (عليه السلام) من المهد إلى الظهور : ١٤٥ ـ ١٥١ .

هذه عناية من الإمام سلام الله عليه ، كثرة العقائق وإخبار الناس بمناسبة هذه العقائق ومن ذبحت عنه هذه العقيقة مثلاً ، هذا كلّه إجراء أول أراد منه الإمام سلام الله عليه عملية إعلامية بأنّ هذا الإمام الثاني عشر المنتظر صلوات الله وسلامه عليه قد ولد وقد تشرّفت البشرية والعالم بإشراق نور وجهه المقدّس .

من رأى الإمام المهدي (عليه السلام) :

الإجراء الثاني الذي حرص الإمام (عليه السلام) عليه : هو أنّه كان يحضر مجاميع من خواصّه وشيعته وكان يعرّفهم على ولده الإمام المهدي سلام الله عليه ، وهذا ظاهر من جملة روايات :

مثلاً في إكمال الدين للشيخ الصدوق أعلى الله مقامه عن أبي غانم الخادم : أنّ العسكري (عليه السلام) أخرج ولده محمداً (عليه السلام) في الثالث من مولده وعرضه على أصحابه قائلاً : « هذا صاحبكم من بعدي وخليفتي عليكم وهو القائم الذي تمتدّ إليه الأعناق بالانتظار ، فاذا امتلأت الأرض جوراً وظلماً خرج فملأها قسطاً وعدلاً »[1] .

وهكذا الرواية السابقة التي رواها شيخ الطائفة أعلى الله مقامه في الغيبة والتي قرأتها على مسامعكم : أنّ الإمام أطلع أربعين . تقريباً . من خواصّ أصحابه على ولده سلام الله عليه .

وهنالك أشخاص آخرون أيضاً لا بعنوان مجاميع ، بل بعنوان أشخاص منفردين أيضاً اطلعهم الإمام سلام الله عليه .

هذا غير اطلاع من في البيت بمناسبة قضية الولادة ، مثل نسيم الخادمة وحكيمة وأم أبي محمد العسكري ، كما جاء في

الرواية التي يرويها الشيخ الصدوق أعلى الله مقامه ، رواية جليلة ومهمة جداً :

دخل أحدهم على السيدة حكيمة بنت الإمام الجواد (عليهما السلام) وسألها عمّا تأتم

1- كمال الدين : ٤٣١ ح ٨ .

به من الحجج ؟ فعدّت الأئمّة سلام الله عليهم إلى أن وصلت إلى الإمام العسكري (عليه السلام) فقالت بعده : والحجة بن الحسن بن عليّ ، فقال لها السائل : سيدّتي أتقولين ذلك عن خبر أو معاينة ؟ . يعني هذا الحجة بن الحسن رأيتيه أم سمعتي به ؟ . قالت : بل هي معاينة ، قلت : فلمن يؤع الناس اليوم والحال أنّ الناس لم يعاينوه ؟ قالت : لرجعوا إلى أُم أبي محمدّ . يعني أُمّ الإمام العسكري سلام الله عليه ، لاحظوا هذه القضية السائل يقول . قلت لها : بمن اقتدى الإمام العسكري (عليه السلام) في وصيته لأم أبي محمّد إذا كان الإمام هو ابنه محمدّ الحجة ابن الحسن سلام الله عليه .

يعني كان الإمام سلام الله عليه للتغطية على ولده وللحفاظ على ولده في بعض المجالات كان يحيل في الظاهر بعض القضايا على أم أبي محمّد يعني أُم الإمام العسكري سلام الله عليه ، كيف كان يحيل عليها ؟ لاحظوا الجواب في غاية الأهمية :

قالت (عليها السلام) : اقتدى في ذلك بجدّي الحسين بن علي شهيد الطفّ صلوات الله وسلامه عليه حيث أوصى في الظاهر بأخته العقيلة زينب (عليها السلام) ، وفي الواقع أنّ الإمامة لولده زين العابدين (عليه السلام) ، وذلك حفاظاً على ولده زين العابدين ، فكان ما يخوج من زينب من علم ربما نسب لزينب (عليها السلام) ، وهو في الواقع لعلي بن الحسين (عليهما السلام) [1] .

كانت ظروف تقية ، بحيث أنّ الراوي إذا روى كان يخاف أن يقول حدثني علي أو روى فلان عن فلان عن علي ، كثيراً ما كان يقول مثلاً : حدثني أبو زينب ، او روى فلان عن فلان عن أبي زينب ، ويعني بأبي زينب أمير المؤمنين سلام الله عليه [2] .

1- كمال الدين : ٥٠١ حديث ٢٧ ، الغيبة للطوسي : ٢٣٠ حديث ١٩٦ .
2- الإرشاد ١ : ٣١٠ .

فالخلاصة ، أم أبي محمد العسكري رأت الإمام ، نسيم الخادمة ، حكيمة ، كذلك أحمد بن إسحاق الأشعري في قضية طويلة أيضاً يرويها الشيخ الصدوق [1] ، ويعقوب بن منقوش ، مضافاً للعدد الذي ذكرته .

فالإخواء الأوّل قضية الإعلام والعقائق ، والإخواء الثاني قضية عرضه على الناس ، هذا في جانب .

فإذن الإمام سلام الله عليه في واقع الأمر غيبته كانت غيبة بعد ثبوت مولد ، بعد ثبوت وجود ، وأنّ الإمام سلام الله عليه كان يتعامل مع تلك القواعد عن طريق توقيعاته المقدّسة التي كان ينقلها أولئك السفراء .

1- كمال الدين : ٤٥٤ حديث ٢١ .

تحديد مبدأ الغيبة الصغرى

هنالك نقطة في تحديد مبدأ الغيبة الصغرى ، هناك نظريات ثلاثة في مبدأ الغيبة الصغرى ، ولعلّ هذا البحث بحث بكر :

النظرية الأولى

الغيبة الصغرى إنّما بدأت بمولده (عليه السلام) ، حيث كان مولده مبنياً على الكتمان ، فكان الإمام سلام الله عليه غائبا منذ ذلك الحين وإلى أن يظهر للعيان بشكل علني عام .

نوقش في هذه النظرية : بأنّ الإمام من مولده إلى وفاة أبيه الإمام العسكري سلام الله عليه شهيداً ، في هذه الفترة الإمامة لم تكن له ، وهذا خارج عن موضوع الغيبة التي نتحدّث عنها ، الحديث عن غيبته في فترة إمامته .

لكن هذا الأمر سهل ، لأنّ الغرض من الغيبة مطلق الغيبة ، سواء غيبته في عصر إمامة أبيه سلام الله أو غيبته في عصر إمامته ، الغرض ملفّق من هذا وذاك بحيث المجموع يكون هذه الفترة من مولده (عليه السلام) إلى هذا المبدأ من مولده (عليه السلام) إلى وفاة آخر نائب من النواب الأربعة وهو أبو الحسن علي بن محمّد السمري رحمه الله سنة ثلاثمائة وتسعة وعشرين ، فاذا بدأنا سنة مائتين وخمس وخمسين ، سنة مولد الإمام سلام الله عليه ، إلى سنة ثلاثمائة وتسعة وعشرين ، يعني قرابة أربعة وسبعين سنة ، هذا التحديد طبق النظرية التي ذهب إليها الشيخ المفيد رحمه الله .

والمناقشة في هذه النظرية لا من هذه الجهة التي ذكرها البعض ، بل المناقشة من جهة أخرى : أنّه ظاهر جملة من الروايات أنّ الإمام سلام الله عليه لم يكن غائباً بالمعنى المتعارف منذ ولادته ، نعم كان محفوظاً إلاّ عن الخاصة ، وكان

هناك تكتّم على اللقاء به على الإجمال بالنحو الذي بيّناه سابقاً ، كانت هناك محدودية في قضية رؤيته ، أما غيبة بتمام المعنى وبالمعنى الذي نفهمه بحسب الظاهر من مولده لم تشرع ، والدليل ما ذكرناه من جملة من الروايات : أنّ الإمام سلام الله عليه كان يأتي إليه مجاميع من أصحابه فيطلعهم عليه ، فالغيبة إذن لم تبدأ من حين مولده .

النظرية الثانية

الغيبة بدأت من حيث شهادة والده الإمام العسكري سلام الله عليه ، وبالضبط بعد صلاته على جنازة الإمام العسكري (عليه السلام) في القضية التي رواها أبو الأديان البصري [1] .

وهذه النظرية يمكن الأخذ بها لولا نظرية أخرى وهي :

النظرية الثالثة

نظرية متوسّطة في الواقع ، وهي نظرية تقول طبق النصّ الذي مرّ بنا عن غيبة الشيخ الطوسي أعلى الله مقامه ، نظرية

تقول بأنّ غيبته بدأت بعد مولده (عليه السلام)بفترة ، بدأت الغيبة وأعلن عن غيبته (عليه السلام) نفس والده الإمام العسكري (عليه السلام) .

وفي هذا عناية بليغة في واقع الأمر ، لأنّ الإمام (عليه السلام) إمام حاضر ، فحينما ينبىء عن غيبة ابنه الإمام المهدي سلام الله عليه يكون سكون النفوس إلى ذلك أكثر ، بعكس ما لو الإمام سلام الله عليه يغيب فجأة بدون سبق إنذار ، فالإمام العسكري (عليه السلام) حينما عرضه على من حضر عنده من شيعته قال : « ألا وإنّكم لا ترونه من بعد يومكم هذا حتّى يتم له عمر . . . » [2] إلى أن يذكر مسألة ظهوره في آخر الزمان .

1- كمال الدين : ٤٧٥ .
2- الغيبة للطوسي : ٣٥٧ حديث ٣١٩ .

أنا الذي أفهمه والله العالم : أنّ مبدأ الغيبة الصغرى من هذا الإعلام بالضبط ، وهذا الإعلام أي سنة يمكن تحديده ؟ العبارة تقول هكذا : «وإذا غلامٌ كأنّه قطعة قمر أشبه الناس بأبي محمد العسكري » يظهر ، انّ عبارة غلام تطلق على الصبي المميز ، بينما الإمام سلام الله عليه كان عمره قرابة الخمس سنوات لما استشهد والده الإمام العسكري (عليه السلام) ، وابن خمس سنوات لا يعبّر عنه غلام ، هذا الواقع هو إثارة تساؤل ؟

هذا النصّ أجيب عليه بأحد جوابين :

أنّه أحياناً يحدث أن يكون نمو فوق الطبيعي لبعض الأطفال ، هذا ملحوظ ، فابن خمس سنوات ربما يبدوا بعينك وكأنّه ابن عشر سنوات مثلاً ، هذا جواب .

الجواب الآخر ، وهو الجواب الأوجه ، وبه رواية في خصوص الإمام سلام الله عليه ، كما ورد في خصوص الزهراء سلام الله عليها ، رواية في قضية نموّها ، كذلك في نموّ الإمام المهدي سلام الله عليه ، وهذا من وجوه الشبه بينه وبين جدتّه الصدّيقة فاطمة (عليها السلام) ، يقول : أنّه (عليه السلام) ينمو في الشهر ما ينمو غيره في السنة في دور صباه [1] ، يعني في هذه القضية النمو غير طبيعي في دور الصبا سيكون لهذا الصبي المقدّس صلوات الله عليه : أنّه ينمو في دور صباه في الشهر ما ينمو غيره في السنة ، فلا يبعد أن يكون (عليه السلام) هو ابن أربع سنوات وشهور أو خمس سنوات يبدو . لا سيّما وأنّ هذه النسمة ليست نسمة عادية ، نسمة مقدّسة ، أعدتّها عناية الله عزّ وجل لليوم العظيم ، ادخرتها لذلك اليوم . فلا غرابة أن يعد الإمام بهذا الإعداد .

فاذن كلمة غلام نفسّرها بعد التحفظّات في كلمة صبي ، ففي هذا المورد إطلاق الصبي على الإمام يتناسب مع كونه قد قضى سنين من حياة أبيه سلام الله عليه .

ولهذا ، الأقرب أنّ الإمام سلام الله عليه مثلاً أعلن عن ذلك إما في عام

1- نحوه كمال الدين : ٤٢٩ حديث ٢ .

تسعة وخمسين بعد المائتين حيث يكون عمر الإمام سلام الله عليه قرابة أربع سنوات ، فيمكن القول أنّ الإمام سلام الله عليه الذي ولد في منتصف شعبان سنة مائتين وخمس وخمسين وأنّ الإمام العسكري سلام الله عليه أعلن عن غيبته في حدود قرابة منتصف شعبان سنة مائتين وتسع وخمسين ، وأنّ الإمام في هذه الأربع سنوات من سنة خمس وخمسين منتصف شعبان إلى منتصف شعبان سنة تسعة وخمسين بعد المائتين ، هذه الفترة لم تكن فترة غيبة ، لأنّ الإعلان صدر بحسب التقدير المشار إليه في حدود سنة مائتين وتسع وخمسين في منتصف شعبان ، فتكون غيبته (عليه السلام) قد بدأت منتصف شعبان سنة مائتين وتسعة وخمسين ، يعني قبل شهادة الإمام العسكري سلام الله عليه بشهور ، واستمرّت من منتصف شعبان سنة مائتين وتسعة وخمسين إلى سنة ثلاثمائة وتسعة وعشرين حيث وفاة آخر نائب من نواب الغيبة الصغرى ، وفي منتصف شعبان أيضاً كانت وفاة آخر نائب من النواب ، وهو أبو الحسن علي بن محمّد السمري ، فاذا حسبنا في هذا المورد من سنة مائتين وتسعة وخمسين منتصف شعبان إلى منتصف شعبان سنة ثلاثمائة وتسعة وعشرين تكون الحصيلة قرابة سبعين سنة ، وهذا ما يوافق بعض التحقيقات التي قالت بأنّ فترة غيبته الصغرى قرابة سبعين سنة .

هذه نقطة كان ينبغي الإشارة إليها .

النواب الأربعة

في نفس الوقت أيضاً هنالك نقطة أخرى ينبغي الإشارة إليها ، وهي مسألة النواب الأربعة للإمام سلام الله عليه .

قلنا : إنّ الإمام (عليه السلام) في فترة الغيبة الصغرى كان وثيق الصلة بقواعده الشعبية ، لكن بطريقة تماس تتناسب مع غيبته (عليه السلام) ، وهذه الطريقة هي عبارة عن طريقة السفراء .

مسألة السفراء من المسائل المهمّة في واقع الأمر ، يعني كيف نعرف أنّ هذا الشخص سفير عن الإمام سلام الله عليه ، لا سيّما وأنّنا نعلم أنّ هنالك من ادعى السفارة كذباً وزوراً ، وهذا باب واسع فتحه جملة من العلماء ، عقد مثلاً الشيخ الطوسي [1] أعلى الله مقامه أو الشيخ الصدوق [2] أو العلامة المجلسي [3] أعلى الله مقامهم فصولاً في أسماء الذين ادّعوا السفارة كذباً وزوراً ، والحال يقتضي أنّ الوضع والكذب ورد ، باعتبار أنّ مقام السفارة عن الإمام مقام مقدّس وعظيم أعظم من مقام المرجعية في زماننا ، فلا يبعد أن يتنافس عليه الكثير وأن يدّعيه الكثير ، فلابدّ من مثبتات في قضية السفارة حتىّ نستطيع أن نعرف الصادق من الكاذب .

وهذه المسألة في غاية الأهمّية نواجهها في مقام بحث هذا الموضوع .

من ادعى السفارة كذباً

من السفراء الذين ادعوا السفارة كذباً وزوراً :

1- الغيبة للطوسي : ٣٩٧ .
2- كمال الدين : ٤٨٥ .
3- البحار ٥١ : ٣٦٧ .

١ . الهلالي أحمد بن هلال العبرتائي ، (منطقة من بغداد والكوت) .

٢ . البلالي محمّد بن علي بن بلال .

٣ . النموي محمّد بن نصير النموي .

٤ . الحسين بن منصور الحلاّج الصوفي المعروف ، الذي قتله الملك العباسي .

٥ . أبو محمّد الحسن السويعي أو الشويعي .

٦ . محمّد بن علي بن أبي العقر الشلمغاني المعروف ، الذي كان من أعلام الشيعة وألّف كتبا في التشيع ، ولكنه لمنافسة جرت بينه وبين الحسين بن روح النوبختي أعلى الله مقامه الشريف النائب الثالث للإمام المهدي سلام الله عليه ، خرج عن طوره وأخذ يدّعي دعاوى غير صحيحة ، وحكم الإمام سلام الله عليه في توقيع من توقيعاته المقدسة بضلاله وانحرافه ، وأعلن عن ذلك أيضاً سفيره الحسين بن روح النوبختي .

ويروي بعض العلماء رواية ، هذه الرواية تقول : سأل رجل الحسين بن روح أعلى الله مقامه الشريف فقال له : ما تقول في كتب محمّد بن علي الشلمغاني ؟

ومحمّد بن علي الشلمغاني لم يكن رجلاً من السوقة أو رجلاً من العاديين ، إنما كان عالما من علماء الطائفة ، كان وجها من وجوه المذهب ، وكان قد صدرت عنه تصريحات ضالّة وانحرافات ، فوقف منه الإمام سلام الله عليه وتوابه موقفاً صارما ، وكان كثير التأليف ، كانت كتبه تملأ المكتبات الإسلامية ، فكانت مشكلة للشيعة في ذلك الزمن ، رجل يملك هكذا قدسية وهكذا علمية وهكذا فضيلة ينحرف بهذا الشكل ، يصعب على كثير من الأذهان أن يتقبّل هذه الفكرة ، فلهذا سألوا الحسين بن روح النوبختي عن هذا الموضوع أنّه يسأل الإمام سلام الله عليه .

فخرج التوقيع بتحريم قراءة كتبه وأنّها كتب ضلال ، حينئذ سألوه : ما نصنع وبيوتنا مليئة من كتبه ؟

يعني ما من بيت إلاّ وفيه كتاب من كتب ابن أبي غواقر .

قال : أقول لكم كما قال الإمام العسكري سلام الله عليه في بني فضّال .

وبنو فضّال بيت من البيوت العلميّة الشيعيّة ، ولكن هؤلاء ابتلوا بأنهمّ صاروا واقفية من الشيعة المنحرفين .

« خذوا بما رووا وذروا مارأوا »[1] .

رواياتنا الموجودة في كتبهم خذوها ، لا سيما وأنّها كانت أيّام استقامتهم ، وأما آراؤهم فلا تأخذوا بها ، خذوا بما رووا وذروا مارأوا ، فكان في الواقع أزمة واجهتها الطائفة ، أزمة من ادّعى السفارة كذباً ، ومنهم محمدّ بن علي بن أبي غواقر الشلمغاني .

لمحة أخلاقية

وبالمناسبة وفي الواقع هذه لمحة أخلاقيةرغبت أن أمرّ بها :

كم الفوق عظيم بين محمّد بن علي الشلمغاني بن أبي غواقر ، هذا الرجل العالم الضالّ ، وبين أبي سهل النوبختي ، وجعفر بن أحمد بن متيل ، أذكر مثالين كدرس أخلاقي لنا :

الرواية التي يرويها شيخ الطائفة أعلى الله مقامه الشريف في الغيبة عن جعفر بن أحمد بن متيل . من وجوه الشيعة ومن أعلامهم . يقول :

كنت عندرأس محمّد بن عثمان بن سعيد . يعني النائب الثاني للإمام المهدي سلام الله عليه في الغيبة الصغرى . وكان أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي عندرجليه ، وكان جعفر بن أحمد أقرب الناس لمحمّد بن عثمان ، وكان مستودع سرّه ، وكان الناس إذا جلسوا يرشّحون هذا الرجل . جعفر بن أحمد . أن يكون هو النائب الثالث .

1- الغيبة للطوسي : ٣٨٩ حديث ٣٥٥ .

يعني كان السائد في الأجواء حتّى في أجواء الحوزة آنذاك أنّ النائب الثالث هو جعفر بن أحمد بن متيل ،رجل له هكذا مقام علمي وله هكذا مركز في جو الحوزة العلمية ويقول : أنا كنت عندرأس محمّد ابن عثمان وكان أبو القاسم الحسين بن روح النوبختي عندرجليه .

وإذا به في آخر ساعة من ساعات حياته يلتفت ويقول : يا جعفر أمرت أن أوصي من بعدي للحسين بن روح لأبي القاسم .

يقول شيخ الطائفة : فقام جعفر بكلّ أدب وامتثال وأخذ بيدي الحسين بن روح وأجلسه عندرأس محمدّ بن عثمان وجلس هو عندرجليه[1] .

واقعاً هذا يحتاج الى جهاد نفس أن يكون إنسان يقال له : إنّ الحجةّ في هذا المورد ، فيتبع الحجةّ ولا يتبع الهوى ، هذا مثال .

المثال الثاني : أبو سهل النوبختي رضوان الله تعالى عليه :

سئل أبو سهل النوبختي لماذا لم تكن السفارة فيك بعد محمّد بن عثمان ؟ قال : أنا رجل ألقى الخصوم فربّما ضغطتني الحجّة فدللتُ على المكان .

يعني يقول : ربما أنا أتضايق ولا أتحمل أو أعرّض للتعذيب ، فربّما دللت على المكان ، والمكان يعني مكان الإمام صلوات الله عليه ، فهي قضية خطرة ، أنّني رجل ألقى الخصوم أخاصمهم كثيراً ، فربّما ضغطتني الحجةّ فدللت على المكان .

وأمّا أبو القاسم فإنّه رجل لو كانت الحجة تحت ذيله وقرّض بالمقاريض ما كشف الذيل عنه [2] .

هذا واقع يحتاج إلى جهاد نفس .

وهذا يذكرنا بموقف العبد الصالح علي بن جعفر أعلى الله مقامه الذي هو

1- الغيبة للطوسي : ٣٧٠ حديث ٣٣٩ ، وكمال الدين : ٥٠٣ حديث ٣٣ .
2- الغيبة للطوسي : ٣٩١ حديث ٣٥٨ .

من علماء أهل البيت سلام الله عليهم ابن الإمام الصادق وأخو الإمام موسى بن جعفر (عليهما السلام) ، الذي هو أيضاً كان يسوّي ركاب الإمام الجواد سلام الله عليه على شيبته ، فكان يسأل أنّه لماذا تصنع به وأنت عم أبيه ؟ فقال : كيف لا وقد رأى الله هذا الصبي لهذا الأمر أهلاً ولم ير هذه الشيبة لهذا الأمر أهلاً [1] .

المسألة ليست مسألة مغالبة ومنافسة على مقام ، المسألة مسألة دين وحجّة ومن اختاره الله عزّ وجلّ .

أنا أرغب من خلال هذه القضية أن أوضّح أنّ مدرسة هكذا عرفت بالانضباط والدقةّ في هذه المسألة ، مثل هذه المدرسة ، اعتنت عناية بالغة بقضية السفراء الأربعة .

ثبوت نيابة السفراء الأربعة

كان ثبوت نيابتهم بشهادة الثقات ، وهم بالمئات في مجاميع كثيرة فيما تروي الروايات ، وطبيعي أنّ المقام لا يسع لبسط جميع الروايات الواردة في إكمال الدين للصدوق رحمه الله أو غيبة الطوسي أعلى الله مقامه أو غيبة النعماني أعلى الله مقامه أو ما شاكل ، ولكن نشير بنحو الجدولة أنّ هنالك اتفّاقاً من الرواة والعلماء على شهادة الإمام العسكري (عليه السلام) بوثاقة عثمان بن سعيد العمري رحمه الله ، وأنّ الإمام المهدي سلام الله عليه أقرّه في منصبه وفي زمن غيبته الصغرى ، وكان يقول : « اسمعوا له واطيعوا » وهذا المعنى في واقع الأمر أخذ يتداول باعتبار النصّ عليه : « اسمعوا له واطيعوا » ، ثمّ لا يخفى أنّ مما يطاع فيه نصّه على من بعده ، فقد نصّ على ولده محمدّ بن عثمان من بعده .

فعثمان بن سعيد نصّ عليه الإمام العسكري والإمام المهدي (عليهما السلام) .

ومحمد بن عثمان نص عليه الإمام العسكري (عليه السلام) في الرواية التي أثبت لها

1- الكافي ١ : ٣٢٢ حديث ١٢ .

في الأثناء [1] ، وفي نفس الوقت نصّ عليه الإمام المهدي (عليه السلام) [2] ونصّ عليه أبوه عثمان وقال في حقه أيضاً : اسمعوا له وأطيعوا .

ومحمد بن عثمان هذا أطول نواب الإمام فترة ، فكانت نيابته قرابة أربعين سنة ، يعني من سنة مائتين وأربع وستين إلى سنة ثلاثمائة وأربعة .

ومن بعده تولّى الأمر الحسين بن روح النوبختي أبو القاسم رضوان الله عليه ، نصّ عليه أبو جعفر محمدّ بن عثمان النائب الثاني ، نصّ عليه في القضية التي سمعتموها قبل قليل وأمثال هذه القضية .

والحسين بن روح نصّ أيضاً على أبي الحسن علي بن محمد السمري ، وذلك بأدلةّ ووثائق ذكرَتهَا هذه المصادر المشار إليها .

ويدعم ذلك أو قل أنّه يدلّ على نيابتهم فضلاً عن هذه النصوص إجماع الطائفة الحقةّ والفرقة المحقة .

فالطريق الأوّل لإثبات نيابتهم اتفّاق ثقات الرواة والعلماء على نصّ الإمام المعصوم (عليه السلام) على أولهّم ، ثم شّهادتهم على نصّ السابق على اللاحق باعتبار أنّ مما تجب طاعة النائب واجب الطاعة فيه هو تعيينه لمن يأتي من بعده .

الطريق الثاني : نقلهم لخطّ الإمام سلام الله عليه المعروف ، وهذا أيضاً أشار إليه الشيخان الصدوق والطوسي رضوان الله عليهما ، قالوا في ضمن كلامهم : ممّا كان يعرف به الناس أنّ هذا سفير الإمام سلام الله عليه أنهّ كان الوحيد الذي يتصدىّ لنقل خطّ الإمام وتوقيعاته المقدسّة .

وخطّ الإمام معروف ، لأنّ المسألة متصّلة بزمن الحضور ، فخط الّإمام المهدي (عليه السلام) معروف في زمن حياة أبيه الإمام ، اطلع شيعته على ولده المهدي

1- الغيبة للطوسي : ٣٥٦ حديث ٣١٧ وفيه: «أنّ عثمان بن سعيد العمري وكيلي وأنّ ابنه محمّداً وكيل ابني مهديكم» .
2- الغيبة للطوسي : ٣٦٢ حديث ٣٢٦ وفيه: «وأمّا محمّد بن عثمان العمري فرضي الله تعالى عنه وعن أبيه من قبل فإنّه ثقتي وكتابه كتابي» .

وعلى خطّه وتوقيعه ، فكان خطهّ وتوقيعه مألوفا للناس ، ولهذا عبرة الشيخ الطوسي والشيخ الصدوق أنهّ كانت تخرج التوقيعات بالخطّ الذي كان في عهد الإمام العسكري سلام الله عليه ، يعني خطّ الإمام المهدي سلام الله عليه الذي رئي وشوهد في زمن الإمام العسكري (عليه السلام) .

فإذن قضية خطّ الإمام وتوقيع الإمام الذي كان ينفرد به هذا السفير الصادق الأمين ، كانت أيضاً طريقة من طرق الإثبات .

الطريق الثالث : مضافاً إلى ذلك قضية الكرامات الكثيرة التي كانت تجري على أيديهم لإثبات سفارتهم ، وبعض الكرامات تجري على أيديهم مباشرةً بعنوانهم ، وتارةً كانت تجري على أيديهم منسوبة إلى موكلهّم صلوات الله وسلامه عليه ، يعني هو النائب يقول : أخبرني بذلك سيّدي ، كما في القضية المعروفة المنقولة عن أبي علي البغدادي ، والرواية يرويها الشيخ الصدوق

أعلى الله مقامه في إكمال الدين يقول :

جاءت أمرأة تسأل عن نائب الإمام سلام الله عليه في الغيبة الصغرى ، وكانت أيّام نيابة الحسين بن روح النوبختي ، فقال لها رجل من قم : النائب هو الحسين بن روح ، فدخلت على أبي القاسم ، فكانت معها حقيبة أو محفظة فيها جملة من المجوهرات . الذهب وما شاكل ذلك . فدخلت عليه وسألته . أرادت أن ترى منه كرامة حتّى تعرف أنّه هو النائب حقاً . قالت له : أخبرني بما تحت عباءتي ؟ قال لها : ألقيه في دجلة ثمّ اقبلي إلينا لوجهك ، يقول أبو علي البغدادي : والله أنّي شاهد هذه القضية ما زدت فيها ولا نقصت حرفاً ، فذهبت وألقتها في دجلة ثمّ رجعت بسرعة إلى الحسين بن روح ، وإذا بها تجد محفظتها بين يدي الحسين بن روح وبعدها على قفلها لم تفتح ، قال : أو أخبرك بما فيها ؟ قالت : وما ؟ قال : فيها كذا مجوهرات ، كذا حلقات ذهب ، كذا سوار ، كذا خصوصيات إلى آخره ، يقول : فوالله لقد دهشت أنا والمرأة وعجبنا وسألناه ممّ علمت ذلك ؟ قال :

دلّني على ذلك سيدي صاحب الأمر صلوات الله عليه [1] .

هذه قضية ، وقضية أخرى ترتبط بمحمّد بن شاذان بن نعيم ، وإن كانت كرامته تأتي في قضية كرامات الإمام سلام الله عليه ، لكن فيها جانب يرتبط بالنيابة ، وستأتي بعد قليل .

أو قضية الشيخ الصدوق أعلى الله مقامه الشريف مع محمّد بن علي الأسود القمي رضوان الله عليه الذي كان من أجلاء الطائفة في قم ، هذا الرجل كلّفه أو طلب منه علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي . يعني والد الشيخ الصدوق رحمه الله . قال : أطلب منك أن تلتمس لي الحسين بن روح أبا القاسم أن يطلب من سيّدي صاحب الأمر (عليه السلام) أن يرزقني الله ولداً ، بالفعل طلب منه هذا المعنى وأبو القاسم نقله لصاحب الأمر سلام الله عليه ، يقول بعد ثلاثة أيّام واف الجواب ، قال إنّه (عليه السلام) يقول : إنّ الله تعالى سيرزقك ولداً ينفع الله به الناس ، يقول محمدّ بن علي : أنا شخصياً أيضاً كنت أتمنى الولد ، وقلت لأبي القاسم : آتيني بالجواب ، يقول : جاءني بالجواب أنّه عن الإمام سلام الله عليه أنّ الله تبارك وتعالى له أمر هو بالغه فيك ، يعني أنا كأنّه ما استجيبت دعوتي في قضية الولد ، لكن علي بن حسين استجيبت دعوته بتوسل الإمام وببركة الإمام . طبعاً الذي يرزق هو الله سبحانه وتعالى . بالفعل يقول والد الشيخ الصدوق والشيخ الصدوق نفسه يروي القضية في إكمال الدين وإتمام النعمة : وولد الشيخ الصدوق ببركة دعاء الإمام صاحب الأمر سلام الله عليه وبواسطة أبي القاسم الحسين بن روح النوبختي ، يقول الشيخ الصدوق : فكنت إذا حضرت مجلس ابن الوليد أستاذي محمّد بن الحسن بن الوليد في قم كانت له حلقة درسيّة كبيرة في قم كنت أحضر وأنا صغير ، فإذا رأى علمي وأجوبتي أعجب بها وقال : لا غرو وأنت دعاء صاحب الأمر [2] ، يعني لا عجب أن

1- كمال الدين : ٥١٩ ، الثاقب في المناقب : ٦٠٢ حديث ١٤ .
2- كمال الدين : ٥٠٢ حديث ٣١ ، بتصرّف .

تتبغ وأنت ولدت بفضل دعاء صاحب الأمر صلوات الله وسلامه عليه .

وهناك كرامات كثيرة من هذا القبيل ذكرت ، هذه الكرامات كانت تعزّز صدق نيابة هؤلاء النواب وسفارتهم عن الإمام سلام الله عليه .

طرق إثبات الإمام المهدي (عليه السلام) وجوده الحسّي في الغيبة الصغرى

أمّا طرق إثبات الإمام سلام الله عليه لوجوده الحسي في زمن الغيبة الصغرى ، فهناك طرق عديدة ، طبيعي هذا غير بحث أصل ولادته ووجوده (عليه السلام) ، وإنّما هو بحث في طرق إثبات وجوده الحسّي في زمن الغيبة الصغرى في الخصوص .

الطريق الأوّل : تمكين عدد من الخاصّة من مشاهدته عياناً ، كما أشرنا له في الرواية الواردة عن الإمام الصادق سلام الله عليه ، والتي افتتحنا بها صدر البحث ، وايصالهم بتبليغ ما شاهدوه إلى الناس وخاصة القواعد الشعبيّة الموالين للإمام سلام الله عليه مع إيصائهم بالكتمان .

الطريق الثاني : إقامة المعجزة والكرامة ، حيث كان الإمام سلام الله عليه تجري المعجزة والكرامة على يديه تارة عن طريق السفراء وتارة عن طريق بعض الخواصّ الأبدال من الناس ، من قبيل محمّد بن شاذان بن نعيم رضوان الله عليه ، يقول :

اجتمع عندي من الحقوق الشرعيّة خمسمائة درهم إلاّ عشرين درهماً ، فاستحييت أن أبعث بها للإمام (عليه السلام) دون أن أتمّها ، فأتممتها بخمسمائة وأوصلتها إلى الإمام سلام الله عليه . الظاهر عن طريق نائبه ، لأنّ القضية في زمن الغيبة ، والمفروض اللقاء المباشر في مثل هذه القضايا عن طريق النواب ، وإن كان يمكن أن يكون التقى به سلام الله عليه مباشرة . فجاء الجواب عن الإمام : «وصلت خمسمائة درهم لك منها عشرون درهماً »[1] .

1- كمال الدين : ٤٨٦ حديث ٥ ، الغيبة للطوسي : ٤١٦ حديث ٣٩٤ .

مثل هذه الكرامات كانت تظهر للإمام سلام الله عليه ، فكانت تعزّز وجوده الحسي .

الطريق الثالث : هو عبارة عن الأجوبة على مختلف المسائل ، فكان الإمام سلام الله عليه يجيب عليها ، وأنا بيّنت أنّ البحث مبني على الجدولة ، وإلاّ لو أردنا أن نبسط الكلام في تعداد المسائل التي وردت فيها توقيعات الإمام سلام الله عليه لكانت كثيرة جدّاً .

ونفس هذه المسائل والأجوبة عليها ومتانتها وانسجامها مع أجوبة آبائه الأئمّة الطاهرين ممّا يعني أنّ العين نفس العين

الصافية التي كانت تصدر منها المسائل عن الأئمّة الأطهار سابقاً ، أنهّا صادرة من إمام ، لا من شخص عادي .

الطريق الرابع : هو الخطّ الخاص للإمام سلام الله عليه ، فهنالك للإمام كما أشرنا في ثنايا حديثنا خطّ خاص ، هذا الخطّ الخاص مألوف ومأنوس في زمن أبيه الإمام العسكري (عليه السلام) ، وقد نصّ الصدوق رحمه الله بأنهّ من جملة الطرق التي كان يعرف الناس بها وجود الإمام سلام الله عليه وصدق دعوى سفارة مَن ادّعى السفارة ، كان ذلك من خلال معرفة خطّه (عليه السلام) ، لأنّ الرسائل كانت تصدر بخطّه وتوقيعه مؤرّخة بتأريخها أيضاً ، مما كانت تؤكد لكّل منّ كان له تماس بالإمام سلام الله عليه وبواسطتهم لبقية الطبقات كانت تؤكّد وجوده (عليه السلام) .

وهنالك مباحث أيضاً طويلة الذيل كما يقال أخرى ، وتفاصيل عديدة أيضاً في هذا المجال ، ولكن لضيق الوقت نكتفي بهذا المقدار من البحث ، وأترك الباقي من خلال أجوبة الأسئلة .

ولكن بالمناسبة ، في قضية السفراء الأربعة كان بودّي أن أفيض فيها أطول من ذلك ، ولكن لضيق المقام اكتفيت بما ذكرته .

وهنالك توقيع من توقيعات الناحية المقدّسة أرغب للتبرك أن أختم به ، لا سيمّا وأنهّ خاتمة الغيبة الصغرى أيضاً ، حيث جاء في هذا التوقيع من الناحية المقدّسة لآخر نائب وهو النائب الرابع وهو السمري ، وهو نصّ رسالة الإمام سلام

الله عليه للنائب الرابع ، يوصيه فيها بأن لا يوصي من بعده لشخص آخر فقد انتهت الغيبة الصغرى ، وهذه الرسالة تشهد عبارتها على صدورها من تلك الناحية المقدّسة ، يقول :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، يا علي بن محمّد السمري ، أعظم الله أجر إخوانك فيك » .

يعني هذا في حياته ، فالإمام سلام الله عليه نعى إليه نفسه في حياته ، وهذه القضية رواها كلّ من مرّ بها من علماء الطائفة ، كالصدوق والطوسي وأمثال هؤلاء قدس الله أسرارهم .

« فانّك ميّت ما بينك وبين ستةّ أيام » .

هذا يرتبط بموضوع علم الغيب ، ونحن بيّنا في محاضرات سابقة أن موضوع علم الغيب يختصّ بالله عزّ وجلّ ، ولكن الله يطلع على بعض المعلومات الغيبيّة مَن ارتضى من خلقه .

« فاجمع أمرك ولا توصي إلى أحد فيقوم مقامك بعد وفاتك ، فقد وقعت الغيبة التامّة ، فلا ظهور إلاّ باذن الله تعالى ذكره ، وذلك بعد طول المدّة وقسوة القلوب وامتلاء الأرض جوراً »[1] ، إلى آخر توقيعه المقدّس صلوات الله وسلامه عليه .

والحمد لله ربّ العالمين ، ونسأل الله سبحانه وتعالى بحقّ صاحب الأمر أن يوفقنا جميعا أنً نكون جنودا أوفًياء له (عليه السلام) وأن نكون مقبولين عنده ، فإنّه من أهل بيت ، رضاهم رضا الله وغضبهم غضب الله .

اللهم ارزقنا رضاه ورأفته ، اللهم قرّ عيوننا بطلعته المباركة ، اللهم عجّل فرجه وسهلّ مخرجه واجعلنا من أنصاره والشهداء بين يديه .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

1- كمال الدين : ٥١٦ حديث ٤٤ ، الغيبة للطوسي : ٣٩٥ حديث ٣٦٥ .

ملحق البحث[1]

الرؤية في زمن الغيبة

ورد في بعض النصوص : أنّه مَن ادعى الرؤية في زمن الغيبة الكبرى فلا تصدقّوه[2] .

المقصود من الرؤية في هذا المقام كما يستفيد المحقّقون باعتبار الجمع بين قضية أنّ الإمام سلام الله عليه غيبته غيبة هويّة كما قلنا لا غيبة شخصيّة فبالنتيجة يمكن أن يلتقي مع الناس ، لكي نجمع بين هذا المعنى وبين من ادّعى الرؤية فلا تصدقّوه ، هكذا حملوه على أحد محامل :

المحمل الأوّل : أنّ المقصود من الرؤية مع السفارة والنيابة ، يعني مَن ادعى أنه رآني وأني وكلته فلا تصدقوه ، لأن المفروض أنّه في زمن الغيبة الكبرى لا توجد نيابة شخصيّة كما ذكرنا سابقاً ، يعني الإمام سلام الله عليه لم يستنب شخصاً بعينه ، وإنّما النيابة العامة للفقهاء العدول كما سمعتم في التوقيع السابق : «وأمّا الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فانّهم حجّتي عليكم وأنا حجة الله » ، فهنا المقصود بالرؤية ليست الرؤية العادية ، بل الرؤية المقرونة بدعوى السفارة والنيابة ، هذا أوّل محمل .

المحمل الثاني : أنّ المقصود بالرؤية الرؤية التي يراد منها ترتيب آثار معيّنة على قول الرائي ، لأن هذا أمر مشكل أن يأتي إنسان فيقول رأيت الإمام سلام الله عليه وقال لي كذا ، قال لي اصنع كذا ، إفعل كذا ، لا تفعل كذا ، إذا فتحنا الباب أمام

1 - يعقب المركز ندواته العقائدية بالإجابة على الأسئلة ، وتتميماً للفائدة نذكر في هذا الملحق الإجابة على بعض الأسئلة مع الاختصار وحذف الأسئلة والاكتفاء بوضع عنوان لكلّ سؤال .

2- كمال الدين : ٥١٦ حديث ٤٤ ، وفيه : « ألا فمن ادعى المشاهدة قبل خروج السفياني والصيحة فهو كاذب مفتر » .

هذا المعنى يعني أن نصدّق كلّ مَن يدعي الرؤية في أن ينقل عن الإمام ما شاء فان ذلك سوف يولد إرباكاً كبيراً في الأحكام وفي عقائد ومفاهيم الشريعة الإسلاميّة .

فالمقصود هنا بالرؤية ليس مجرّد الرؤية للإمام سلام الله عليه ، وإنّما المقصود الرؤية المصحوبة إمّا بدعوى النيابة ، أو المقصود بها الرؤية التي يريد بها الرائي ترتيب الأثر على كلامه .

أنتم تعلمون أنّه في زمن الغيبة الكبرى مَن رأى الإمام سلام الله عليه وأيقن في ما بينه وبين الله أنه رأى الإمام ، فرؤيته حجّة عليه ، أمّا سائر الناس فلا يكون ذلك حجة عليهم .

فلعلّ الإمام يقول لا تصدقوه لا يقصد بأنّه لم ير ، لعلّه يريد : لا ترتبوا الأثر ، لأن هذا قد يجيء يدعيّ الأحكام الشرعية يقول قال لي الإمام أنّ حكم الشيء الفلاني حرام ، أو أنّ المسألة الفلانية في المكان الفلاني ، يمكن منَ يدعي الرؤية عادة لها ملازمات ولها لوازم نقل أخبار ونقل وقائع ونقل أحكام ، لا تصدّقوه ، يعني لا ترتبوا الأثر على كلامه .

هذا من قبيل ما ورد في باب القسامة ، الرواية الواردة في الوسائل : « . . . كذّب سمعك وبصرك عن أخيك ، فإن شهد عندك خمسون قسّامة وقال لك قولاً فصدقّه وكذبهّم . . . » [1] .

ليس المقصود هنا كذّب هؤلاء يعني ترميهم بالكذب بأنهّم واقعا لَم يسمعوا ، لا ، خمسون قسامّة ، وكل قسّامة خمسون ، يعني الفين وخمسمائة ، هؤلاء لا يكذّبون عادة ،ربمّا مع ذلك الإمام يقول كذبّ سمعك وبصرك وصدقّ أخاك .

المقصود بلا تصدقوه لا يعني أنّه كذبّوه ، يعني إنمّا المقصود لا ترتبوا الأثر على دعواه الرؤية ، فرؤيته له على كل حّال ، هذه نقطة .

1- الكافي ٨: ١٤٧ حديث ١٢٥.

المحمل الثالث :ربمّا أيضاً يمكن أن يقال : أنهّ من ادعّى الرؤية باعتبار أن الذي يدعيّ الرؤية يتكلم عنّ أنه متيّقن برؤّية الإمام سلام الله عليه ، يقول :رأيته هو ،وهذا بحسب الظاهر من كثير من الروايات الواردة أنّه تشخيص يقيني لمن يرى الإمام فيزمن الغيبة الكبرى ،والتشخيص اليقيني عادة لا يحصل ،والظن القوي يحصل ، حتّى العلماء الذين نقلت عنهم قضايا كثيرة وقصص كثيرة أنّهم التقوا بالإمام سلام الله عليه ، لم ينقل بعنوان اليقين ، ينقل قضية يظهر من قرائن هذه القضية أنّ الذيرآه هو الإمام سلام الله عليه ، أمّا أن يجزم ، هذا ليس مألوفا مَن طريقة علمائنا في نقل لقاءاتهم مع صاحب الأمر (عليه السلام) .

زواج المهدي المنتظر

مسألة زواج المهدي المنتظر (عليه السلام) مسألة هامشيّة كما تعلمون ، يعني هي مسألة مثارة ، ولكن مما يهوّن الخطب أنّها مسألة هامشية ، يعني ليست في خطر تلك المسائل الأخرى أو المسألة السابقة ، على العموم للإمام سلام الله عليه ظروفه الخاصّة كما تعلمون ، مسألة زواجه وعدم زواجه مرهونة بظروفه .

وموضوع الزواج فيه ذيول كثيرة للحديث يرتبط بعضها بقضية الجزيرة الخضراء ، ويرتبط بعضها بنسب المتنبّي ، فإن بعضهم حاول أن يقول بأنّ المتنبّي الشاعر المعروف أحد ذريّة الإمام المهدي سلام الله عليه ، يعني فيما يقرنون من بعض القرائن ومن نفسه .

هذا عالَمٌ في ذاته ، عالمَ ظريف طريف ولطيف ، لكن فيه مزالق كثيرة ، ولسنا مسؤولين عنه ، يعني هل تزوج ؟ أين يعيش ؟ كم له ذريّة ؟ هذه مسائل هامشية لسنا مسؤولين عنها وفيها مزالق ، فلهذا مثل هذه المطالب ربما يقال إنّ الأحرى التوقّف فيها والسكوت عنها .

عصمة النواب الأربعة

القاعدة العامّة في قضية التوكيل بذاتها إنّها لا تقتضي ولا تستلزم العصمة ،

الصفحة 346

لكن في خصوص النواب الأربعة ، ومن طبيعة التوكيل الذي ورد في حقهم : « اسمعوا له وأطيعوا فإنّه لا يقول إلاّ عن قولي » ، مثل هذا النصّ إذا أخذناه باطلاقه نستفيد أن هذا السفير لا يفتري على الإمام ولا يكذب ، وهذا المقدار من صدقه في النقول عن الإمام سلام الله عليه ، نحرزه من صيغة توكيل الإمام سلام الله عليه ، لا من مطلق التوكيل .

نحن نعلم أنّ هناك أشخاصاً وكلّهم الأئمة سلام الله عليهم ثم خانوا أماناتهم ، من قبيل البطائني ، ومن قبيل أشخاص كانوا ولاة من قبل أمير المؤمنين سلام الله عليه ثمّ خانوا أماناتهم ، وكلّهم الإمام وعينهم ولاة على البلدان :

فأصل التوكيل لا يقتضي العصمة ، ولكن إذا كانت صيغة التوكيل فيها عناية خاصّة من قبيل أنّه لا يقول إلاّ عن قولي ولا يظهر منه ما ينافي الاستقامة ، ولم يرد من الإمام سلام الله عليه ما يدلّ على انفساخ عدالته ، فحينئذ نقول بأنّ هذا رجل في تمام نقوله صادق ومطابق للواقع وأنّه أمين ، هذا المقدار نكتفي ونلتزم به .

التسمية

فيما يتعلّق بقضية التسمية أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة السابقين (عليهم السلام) نصوا على الاسم ، وهذا أمر لا مرية فيه ولا ستر فيه كما يقال ، لكن الكلام أنّ الإمام سلام الله عليه في الغيبة الصغرى وفي بدء الغيبة الصغرى كان ينهى عن التسمية في مجالات التقية فقط ، لا في مطلق المجالات ، يعني لا دليل عندنا أنّ الإمام (عليه السلام) نهى عن مطلق التسمية ، وإنّما نهى عن التسمية لغرض الحفاظ عليه ، بدليل أنّه إذا وقع الاسم مثلا دلّ على المكان ، هذا قرينة ، يعني هو أشبه بالواقع ، بيان العلّة للنهي ، فإذا لم يلزم من ذكر الاسم الدلالة على المكان فلا إشكال ، من قبيل أنّه يقال : لا تأكل الرمان لأنّه حامض ، المثال الذي يستعمله الأصوليون ، فاذا لم يكن حامضاً فكله مثلاً .

الصفحة 347

ففي هذا المورد الإمام إنّما نهى عن التسمية باعتبار قضية الدلالة ، باعتبار أنّ هذه القضية وجدانية الآن حتىّ في زماننا ، فإذا كانت مثلاً السلطة تطلب شخصاً بالدرجة الأولى وتحاول التعرّف على اسمه ، ومن بعد المعرفة باسمه تتحرّك لمعرفة مكانه ، أمّا بدون أن تعرف اسمه كيف تشخّص مكانه ؟ هذه قضية وجدانية في الواقع ولا سيمّا في ذلك الزمان ، باعتبار أنّ القضية في أوجّها والسلطة العباسية كانت تبحث عن الإمام سلام الله عليه وتحاول رصده والقضاء عليه ، وجرت محاولات عديدة لاغتياله (عليه السلام) وفشلت ، فلهذا الإمام كإجراء في تلك الحالة وفي تلك الظروف كان ينهى عن التسمية فيما يرتبط بالحفاظ عليه وعدم الدلالة على مكانه ، أما إذا لم يلزم منه هذا المحذور فلا بأس بالتسمية ، فقد سمّاه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) .

الفرق بين النائب والسفير

السفارة كما قرأنا توقيع الإمام سلام الله عليه ، بمعنى أنّ الإمام ينصّ على شخص معينّ يقول هذا وكيلي وقوله قولي ، هذا المعنى انتهى بالنائب الرابع وهو السمّري ، أمّا في زماننا يعبرّ نائب ، قلنا النائب العام ، المقصود بالعمومية هنا عمومية دليل التعيين ، يعني دليل التعيين ما جاء باسم شخص ، يقول فلان وكيلي ، إنّما جاء ببيان النوع ، أعطى عنواناً عاماً فقال : «وأمّا مَن كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه »[1] ، وإن كان هذا الكلام يرويه الإمام العسكري سلام الله عليه عن الإمام الصادق (عليه السلام) .

وورد في التوقيع : « أما الحوادث الواقعة فارجعوا إلى رواة حديثنا فانّهم حجّتي عليكم وأنا حجة الله »[2] ، هذا عنوان عام .

1- الاحتجاج ٢ : ٢٦٣ .
2- كمال الدين : ٤٨٤ حديث ٤ ، الغيبة للطوسي : ٢٩١ حديث ٢٤٧ .

فالمقصود بالنائب في زماننا هو عبارة عن الفقيه العادل الجامع للشرائط الذي يقوم مقام الإمام سلام الله عليه في تبليغ أحكام الدين وفي إدارة شؤون المسلمين وحفظ بيضة الإسلام .

هذا هو المقدار المقصود ،ولا يدّعي هذا النائب بأنّه ينقل عن الإمام مباشرة ،ولا يوجد عندنا نائب اليوم من النواب ولا فقيه من الفقهاء أو عالم من العلماء يقول أنا أنقل لكم قول الإمام مباشرةً ، أنا سمعت من الإمام مباشرة ،وانّما نرى علماءنا يستندون إلى مصادر التشريع المتعارفة ، مصادر الاستنباط ، الكتاب والسنّة والإجماع والعقل ، ولو كان هناك رؤية للإمام (عليه السلام) مباشرة لاستغنى هذا النائب عن مراجعة بعض هذه المصادر .

(٤٠) اختصاص الشيعة في التمسك بالقرآن الكريم

الشيخ حسين غيب غلامي الهرسلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدّمة

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمدّ وآله الطاهرين لا سيماً بقية الله في الأرضين .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1] .

تؤمن شتّى الفرق الإسلامية بأنّ القرآن هو الكتاب السماوي والدستور الحاكم على الشريعة ، ولهذا ينتهج الجميع من هذا المنطلق سبيل العمل وفق أُسسه وتعاليمه .

وأمّا بالنسبة إلى بحثنا المعنون بـ « اختصاص الشيعة في التمسك بالقرآن الكريم » ، فإنّه يمتاز من هذه الناحية ، إذ تتجلّى فيه أحقيّة الفرقة الناجية والمتمسكة بالقرآن بين المذاهب الإسلامية الأخرى .

وممّا لا شكّ فيه أننا نجد كل مذهب يتمتع برؤى وعقائد يتفرد بها ويسير وفقها ، مع حسبانه أنه الحائز للمكانة الرفيعة بين الفرق ، وقد أشار القرآن إلى هذه الحقيقة بقوله تعالى : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾[2] .

ومن الواضح أنّ المرء يفرح بما لديه ويطمئن بمذهبه مالم يتّضح له بطلان ما هو عليه ، ولكن حينما يعي الضمير المتيقظ والعقل السليم فساد مذهبه ، وعندما يستبصر المرء ليعتنق مذهباً آخر بعد التعقّل والتأمل ، حينئذ يدرك المرء أنه كان مخدوعاً بسراب كان يمنعه ويعيقه من التوجّه نحو النبع حينما كان يبحث عن منهل يروي تعطشه ، ويدرك أنه كان يتخبط في حركته تائهاً حيراناً .

1- النحل : ٨٩ .
2- المؤمنون : ٥٣ .

إنّ القرآن الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمتاز بمكانة ومركزية رفيعة ، ويمتلك شموليّة تامة ، يتمكنّ بها أن يحيط بكافة الحقائق ويسعه أن يكون هاديا للبشرية كافة ، إذ تتمكن كلّ طائفة وأمة أن تنتفع منه وأن تحمل منه زاداً لحركتها في الحياة .

وممّا يثير الانتباه في المسلمين أنهّم مع كلّ ما يمتلكون من الثروة الثقافية والعلمية الطائلة التي تلقوها من القرآن والتعاليم الزاهرة والمشرقة لهذا الدين ، فإنّهم لم يفكّروا باستخدامها كما هو المطلوب ، أو أنهّم قل مَّا انتفعوا منها لتلقي واستيعاب الحقائق والشؤون الضرورية للحياة الدينيّة .

وفي الحقيقة فإنّ المسلمين قلمّا استعانوا بكتاب الله عزّ وجل وقلماً نهلوا منهج الحياة من هذا الركن السديد وهذا المنهج الربّاني الخالد .

وفي هذا الخضم نجد أعداء الاسلام بعدما اعترتهم الخيبة واليأس من محاربة الدين الإسلامى الحنيف وكتاب الله عزّ وجلّ ، حاولوا تجربة سبل متعدّده واحدة تلو الأُخرى للإطاحة بالإسلام ، فالتجؤوا إلى توسيع نطاق الاختراق والاقتحام في أوساط المجتمعات الإسلامية والاندساس فيما بينهم ليشغلوا المسلمين بمختلف الوسائل المتاحة بأُمور وقضايا واهية وغير مثمرة لا جدوى فيها .

لكن علماء المذاهب الإسلامية بادروا على ضوء سعة مستواهم الفكري وممتلكاتهم العلمية وعلى أساس مرتكزاتهم الاعتقادية وتمشّياً مع مبانيهم المذهبية إلى تأدية مهمتهم بإعداد أبحاث مختلفة في شتىّ مجالات العلوم القرآنية وبيان فضائله

وإيضاح أحكامه المشرقة التي تعتبر ركناً أساسياً في تشريع الأحكام .

وكما يستفاد من آراء ونظريات ذوي الاختصاص في شتّى مجالات الفروع العلميّة ، انتقى علماء الدين وكبار الفضلاء ممّا قدّم الأوائل وبيّنوا ما توصلوا إليه بأطُر صالحة وأوعية متناسبة .

وتزامناً مع ازدياد وتعدّد المدارس الكلامية نشأ النزاع والتشاحن حول الآيات القرآنية ، واندلعت مشاجرات لفظيّة ، تبعها التكفير ، وأُصدرت أحكام وفتاوى ثقيلة من قبل أحدهم على الآخر ، وتخاصم أصحاب الرأي والاجتهاد مع أهل الحديث ، وتعرّض مذهب الاعتزال للأشاعرة ، ونشأ اشتباك وتصادم فكري عنيف من قبل أهل الحجاز مع مفكّري بغداد ، وكلاهما مع أهل البصرة ، وتصدّى هؤلاء الثلاثة لمخالفة مذهب أهل البيت (عليهم السلام) .

وأدّى ذلك لينكب كلّ منهم على مجموعة من الآراء والمعتقدات ، يعولّ عليها ولا يتجاوزها إلى غيرها .

ووقفت الأنظمة السياسيّة الحاكمة في القرن الأول والثاني والثالث وقوفاً تامّاً إلى جانب هذه التكتلاتّ المتسمةّ بالطابع العلمي ، والتي كانت السبب الأساسي لنشوء معظم المشاجرات والخصومات الكلامية في تلك الفترة ، فكانت تحرّضهم وتحرضهم على ذلك .

ولا زال وبعد مضي القرون المتمادية مسألة إيقاد النزاع والخلاف والمشاجرات في أوساط المسلمين عبر إثارة القضايا المبهمة والمشكوكة التي تمهّد الأرضيّة لوقوع التفرقة بين الناس والتي تركت آثارها المرةّ على المجتمع الإسلامي كما وأنهاّ سلبت منهم التعايش السلمي والترابط الأخوي الذي دعى إليه حجج الله وسفراء العدالة والصدق في ظلّ مناهجهم السماوية السامية التي جاؤوا بها إلى البشرية .

وفي خضم هذه الصراعات والآراء المتضاربة والمختلفة التي طرحت في المائة الأخيرة كانت الأنظار متوجّهة إلى فئتين قد انشغلتا بالمشاجرات العقائدية أكثر من الفئات الأُخرى ، والملحوظ أنهما قد تركتا آثاراً متعددّة تعبرّ عن معتقداتها المذهبية .ّ

وممّا لا شكّ فيه أنّ الانشغال الذهني بالأمُور والقضايا الهامشية يعتبر أفضل

فرصة للذين يستهدفون الوصول إلى غاياتهم ومآربهم الخاصّة ، ليتمكنّوا من خلالها أن يحققوّا مبتغياتهم بصورة كاملة .

والجدير ذكره في هذا المقام أنّ الطوائف والفرق المخالفة للمذهب الإمامي قد روّجت الافتراءات والتهم الباطلة بأشكال مختلفة وبشتّى الوسائل والادعاءات على أتباع هذا المذهب ، وأثاروا مسألة الدفاع عن القرآن والذبّ عنه ، بغية الوصول إلى دعم حججهم وماهم عليه ، للتظاهر بأنّهم هم المتفوّقون بدعم ونصرة القرآن الكريم .

وبما أنّ هذه الندوة تستهدف بيان مسألة اختصاص مذهب الإمامية وتفرّده عن سائر المذاهب الاسلاميةّ في التمسكّ بالقرآن والالتزام بحاكميته ، فحريّ أن لا أُطيل عليكم أكثر من هذا ، ولندخل معاً في صميم الموضوع .

وقبل أن نشرع بالبحث ، تبدو جملة من الإيضاحات المختصرة حول الأدلّة الأربعة في تشريع الأحكام ضروريّة ، أشير

إليها بصورة مجملة ومختصرة .

الأدلّة الأربعة في التشريع

جُعلت قواعد أدلّة الأحكام الشرعية أربعة أركان أصلية (الكتاب ، السنةّ ، العقل والإجماع) وهي التي تسمُى بالأدلة الأربعة وتُتخذ ركائز تبنى عليها مناهج البحث .

وفي هذا المجال وقع الاختلاف بين المذاهب الإسلامية في تعيين مصداق كلّ من هذه الأُصول الأربعة ، فعلى سبيل المثال جُعل القياس مكان العقل بين أوساط أبناء العامّة ،واعتبر مؤهلاً للعمل به ، ونجد المذهب الحنفي يتمتع بمستوى رفيع لتلقيه والأخذ به بصورة لا يحظى بها المذهب الشافعي ، ولم يصل إلى ذلك الحدّ .

أمّا الأُصول الثلاثة الأخُرى ، فيتفق المذهب الإمامي فيها مع أبناء العامة في اللفظ ، وينتهج كل منّهم في الأخذ بكل منّ هذه الأُصول الثلاثة مذهباً وطريقاً خاصاً ينتهي في بعض الأحيان إلى التباين والافتراق فيما بينهم .

فعلى سبيل المثال : إنّ الإمامية تثق بالإجماع الذي يستكشف منه رأي وقول المعصوم (عليه السلام) ،وهذه الصورة مما لا نجدها بين أوساط أبناء العامّة بالنسبة إلى الإجماع وإنّما نجدهم يكتفون في ذلك بحديث مجموعة يعُتمد على قولهم .

أمّا الركائز الأساسية والرئيسيّة الأخرى فهما الكتاب والسنةّ :

الكتاب

يعتبر الكتاب السماوي . كمصدر أساسي في تشريع الأحكام عند كافّة المذاهب الإسلامية . بأنّه يمتاز بالأسبقية والأفضلية الخاصّة عند جميع المذاهب وتليه المصادر الأخرى في مكانة تتأخرّ عنه ،وهذا مما لا يمكننا أن نستبدله بصورة أخرى ، إذ السنّة أيضاً تستقي حجيّتها من الكتاب ، وتستقي حجيتها وفقاً

لحكمة الله سبحانه وتعالى ،وأيضاً فالأنبياء وأوصيؤهم إنمّا وجبت طاعتهم على ضوء أوامر القرآن الكريم .

إنّ القرآن الكريم بصفته خاتم الكتب السماوية وأكمل دستور ربّاني ، يعتبر أولّ ركيزة أساسية من الأصول الأربعة ،وانّ آياته تتمتّع بثروة هائلة تستطيع أن تمدّ مصادر التشريع بالأحكام المرتبطة بشؤون الفرد والجماعة .

وبما أنّ صدور القرآن الكريم من عند الله سبحانه وتعالى أمر مفروغ منه ومسلمّ به ، يجد المتمسكّ بأحكامه المشرقة من هذا المنطلق أن يولّيه الثقة والانقياد له ،وأن يكون متمسكاً وملتزما بأوامره ونواهيه .

وحيث إنّ هذا الكتاب السماوي يعتبر البرنامج الإلهي الأخير المنُزل من قبل الله سبحانه وتعالى لهداية البشرية ، فيتحتم أن تستوعب أحكامه كافّة الفترات الزمنية اللاحقة للعمل به والانتفاع منه ،والبطون المتعددّة للقرآن تكفي ليكون له على امتداد العصور والقرون المصاديق البارزة والواضحة على أرض الواقع ،واتصاف القرآن بالبطون المتعدّدة جعلت دلالة آياته ظنيّة ،وجعلته مؤهّلا لحمل أوجه ومعاني تلك البطون .

ومن جهة أُخرى أثبتت ضرورة وجود المبيّن والمبلغ للقرآن هذه الحقيقة بأن الآيات القرآنية ليست بذلك المستوى الذي يستوعبها أو يفطن إلى مغزاها الجميع عندئذ يبرز بوضوح ضرورة وجود من يرفع الحاجة بتبيينه وتفسيره .

وكما قيل إنّ مسألة وجوب وضرورة وجود المبيّن للقرآن ﴿ لِتبُيَنّ للناسِ ما نِزلَ إليهِمَ ﴾[1] تثبت أن استيعاب وتفطّن الآيات غير متاح للناس من دون تبيين وإيضاح .

ويتّضح من لزوم تبيين الوحي هذا الأمر ، بأنّ الرسول ينبغي أن يحمل على عاتقه مهمةُ التبيين ، إضافة إلى مسألة تبليغ وعرض الآيات .

1- النحل : ٤٤ .

وفي نطاق أوسع فقد أُذن للرسول أن يصرّح ويبيّن مجمل ومتشابه الكتاب ، أو يشُير إلى مالم يتطرق إليه القرآن ، ومن ثم نجد وضوحاً في التوجيهات والأحكام الدينيّة والشرعية مما لا نجده في الكتاب وحده .

وتواجد مثل هذه الأحكام في السنّة توضّح وتبيّن لنا هذه الحقيقة بأن مسألة تبيين الآيات القرآنية هي التيّ توفر المقتضي لبيان وذكر مثل هذه الأحكام ، وذلك لقوله تعالى في سورة الحاقّة : ﴿ وَلوَ تقوَلَ عَلَينا بَعضَ الاقاوِيل لاخَذنَا مِنهَ بالَيمَينْ ثمِ لقَطَعنا مَنهِ الوَتينْ ﴾[1] ، وهذا يعني أنّ الرسول لم يكن مأذوناً لبيان أي كلام في مجال التشريع ولم يسمح له أن يشرّع من تلقاء نفسه بما يشاء ، وعلى هذا يدلّ قوله تعالى : ﴿ وما يَنطْق عُنَ الهِوىْ إن هو إلا وُحَي يوَّحَىْ علمهُ شَديد القوَّىَ ﴾[2] وقوله تعالى : ﴿ قُلْ ما يكوَنُ لي أن أبدلّه مُنَ تلَقاء نفسيْ إن أتبَعْ إلا ما يوحَىَ ﴾[3] .

السنّة

عُرف التمسك والالتزام بالسنة ووجوب اتباعها في أوساط المذاهب الإسلامية بأنه الأساس والركيزة الثانية في مجال تشريع الأحكام .

ولم يلحظ أي رفض أو إنكار في مجال شرعيته ، ولكن الأمر الجدير بالمتابعة والدراسة بدقّة وحيطة في هذا المجال هو مناقشة مدى الاستقلال بالسنّة أو صلتها بالكتاب .

وكما بيّنا فيما سبق فإن السنة تلزم بالضرورة . ومن دون أي انفصال . أن تكون مبينة لأحكام القرآن المشرقة ، ولا يمكنها الانفصال عن القرآن أبداً .

1- الحاقة : ٤٤ ـ ٤٦ .
2- النجم : ٣ ـ ٥ .
3- يونس : ١٥ .

والملاحظة التي ينبغي الالتفات إليها في مجال تبيين وإيضاح السنّة للأحكام القرآنية هي هل يمكن للسنة أن تتعارض أو تتنافى مع الكتاب أم لا ؟

السنّة : هي قول وفعل وتقرير المعصوم ، ويختصّ ذلك عند أبناء العامة برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فهل هذه الاتّجاهات والمصادر الثلاثة من الرسول والإمام يمكنها ولو بصورة جزئية أن تقع في عرض الكتاب لتعارضه أو تنافيه ؟

وإجابة على هذا الاستفسار وهذه المسألة التي تتشكّل منها المباحث الرئيسية في هذا المجال سنناقش هذا الموضوع وندرس هذه القضيّة تحت عنوان « استقلال السنّة في التشريع » .

استقلال السنّة في التشريع

دوّنت في الآونة الأخيرة كتبٌ كثيرة تحت عنوان « التشريع الإسلامي » من قبل شخصيات مختلفة ، إذ هي على الأغلب تصدر كرسائل لنيل درجة الدكتوراه ، وقد دوّن البعض وتحت عنوان « استقلال السنّة في التشريع » أبحاثاً حول الاكتفاء الذاتي للكتاب والسنّة ، وقد طرحوا وجوهاً ونماذج لاستقلال كلّ منهما ، ومن مجموع أبحاث هذه الكتابات نستوحي أن الحاجز والقضية الشائكة الأساسيّة عندهم هي عدم الإذعان لأخبار وأحاديث العرض على الكتاب ، إذ نجدهم يتهجّمون بعنف وبألفاظ متشدّدة ولاذعة على هذه المسألة .

وفي الحقيقة فإنّ قضية عرض الأخبار على الكتاب تعتبر في نظر أبناء العامة رؤية ضالّة تسرّبت إلى التفكير والعقلية الإسلاميّة عن طريق الزنادقة والروافض والخوارج !

وكذلك يستشفّ من أقوال ووجهات نظر كبار العلماء عند أبناء العامّة بأنّ هذا الأسلوب في التفكير عند أوساط أئمتهم وشيوخهم يمتاز بخطورة وحساسية خاصّة إذ نجدهم يواجهون أيّة حركة التفات أو توجّه إلى حاكمية القرآن في مقام رد أو قبول الأحاديث والأخبار بتكفيرها والردّ عليها ، ونجدهم يظهرون الاشمئزاز والتنفرّ من ذلك !

ومن هنا ينبغي أن نلحظ قضية استقلال السنّة ، والتي أصبحت وسيلة تستخدم في الفترة الأخيرة لمهاجمة مذهب أهل البيت (عليهم السلام) في بيانهم لأحاديث وجوب العرض على الكتاب ، أنّها كم تتطابق وتنسجم مع الضوابط والأسس العلمية ، وما هو الميزان لتلقّي وقبول ذلك عند أبناء العامّة ؟

إنّ هذا الأسلوب والنمط في التفكير والرؤية عند مذهب الإمامية وأهل البيت (عليهم السلام) اعتبر مبدءاً مقدسّاً ومتقناً ، فاتبعوه بتمام القوة ولرتؤا ضرورة أن تتطابق السنّة مع الكتاب .

وفي الحقيقة فإنّ مسألة الحفاظ على السنّة تستوجب وتحتمّ على الإنسان المؤمن والمتعبدّ بالشريعة في كافة الفترات الزمنية أن يتعامل مع الأحكام الصادرة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما يتناسب مع شأنها ومكانتها ، وليتعلّمها ويُعلمّها للآخرين ، وأن يكون متمسّكاً بها .

ومما لا شكّ فيه ، فإنّه كان من المحتمّ في بدء الدعوة الإسلامية ّ. لضرورة العمل بالسنة ّ. أن يتم الحّفاظ والمواظبة على الأقوال والسنن المأثورة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأن يُحاول جهد الإمكان وبأتمّ الصور المراقبة والمحافظة عليها ، ولكن عندما منع الخلفاء التنوين ، وذلك لأجل أغراض ووجهات نظر خاصّة ، لم يمكن الوصول إلى السنّة الصحيحة وإلى كافّة أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

فعندها وانطلاقاً لرفع الحاجة وسدّ الافتقار ، ومن أجل الوصول إلى ما يرومون إليه ، عمدوا إلى أمر يقربهم إلى السنةّ ويوصلهم إليها ، فاختلقوا أمراً لينوب عن ذلك .

ومن هذا المنطلق اعتبروا عمل الصحابي وعمل أهل المدينة في عداد السنّة وذلك لأنّ أفعالهم مستقاة من سنةّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

ومن الواضح أنّ هذا النمط والأسلوب لتلقّي السنةّ لا يسعه أن يكون مبيناّ لهًا على وجه الحقيقة ، ومن جهة أخرى فهذا التمسّك يتمّ إذا لم يعتر فعل الصحابة أو أهل المدينة عيب أو نقص .

وحيث إنّ السياسة العامّة للسلطة الحاكمة بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) انتهجت نهجا وًسبيلا خاصا ّ، وظهرت أحداث ومجريات غير متوقّعة وغير مرتقبة في طريق السنّة عندها لم يبق َمجال لُلتمسك ّبالسنة عّبر أفعال هؤلاء .

ومما لا شكّ فيه فإنّ أهل بيت الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا سيمّا علي بن أبي طالب (عليه السلام) هم الأولى والأتقن في استيعاب وفهم ومعرفة القرآن والسنّة ، وهذا مما اعترف به مخالفوهم ، حيث يقول المناوي في فيض القدير : « قال الحوالي : قد علم الأولون والآخرون أنّ فهم كتاب الله منحصر إلى علم علي ، ومن جهل ذلك فقد ضلّ عن الباب الذي من ورائه يرفع الله عنه القلوب الحجاب ، حتّى يتحققّ اليقين الذي لا يتغيرّ بكشف الغطاء »[1] ، فمع هذا الوصف كيف يمكننا القول بأن يكون غيره مقدَّماً عليه في بيان السنة ؟

كما أنّ التمسك والالتزام بأقوال الصحابة أو أهل المدينة مع كثرة مواطن الضعف الموجودة فيها لن تصل أبدا في المستوى إلى الوثوق والاتّكال عليها كما هو الحال في أقوال أهل بيت الرسول صلوات الله عليهم وهم الذين أُذهِبَ عنهم الرجس وطُهِّروا تطهيراً .

وهذا من مسلّمات قواعد الترجيح في الأخذ بالأخبار والأحاديث والعمل بالسنن من جهة السند والتي تمتلك المستوى الرفيع في وثاقتها والعول عليها .

فبناءً على هذا لا يمكننا الوثوق والاعتماد في تلقّي السنة إلا بمّا جاء عن طريق أهل البيت : الذين وافق الجميع على طهارتهم وعلوّ شأنهم العلمي .

1- فيض القدير ٣ : ٦١ .

موضع الافتراق في تقسيم الأخبار

أجد من الضرورة . إذ يتمتّع بحثنا بأهميّة ومكانة خاصة . أن نتمعنّ فيه ، وأن نحكم أمره بما يناسب المقام .

فإنّ الكتاب والسنّة كما اعتبرهما الإماميّة المصدرين الأساسيين من الأدلة الأربعة ، واتخذّ أبناء العامة أيضا هذين الأمرين ركناً لقواعدهم التشريعيّة ، واعتبروهما أصلين مستقلّين في مجال التشريع ، وذكرنا فيما سبق أن مذهب الإمامية اشترط وجود ترابط بين الكتاب والسنّة ، وعرّف السنة أنها مبينة ومفسرة للكتاب .

وقد قسّم البعض . كابن حزم . الأخبار فيما ترتبط بالكتاب إلى قسمين البعض الآخر إلى ثلاثة[1] ، والفئة الثالثة إلى أربعة أقسام[2] .

وهؤلاء البعض ممّن قسّم الأخبار إلى ثلاثة أو أربعة أصناف ، ذكروا أمورا في السنة مما لم تتبين في القرآن ، كتحريم نكاح العمّة وخالة الزوجة وتحريم أكل لحم الحمر الأهلية وكلّ ذي ناب من السباع ومخلب من الطير ورجم المحصن وغير ذلك ، إذ ذكر ابن حجر الكثير منها في بلوغ المرام ، وذكر الشوكاني ذلك في نيل الأوطار .

كما وأنّ تواجد مثل هذه الأخبار في السنة كان سببا لظهور القول باستقلال السنة في التشريع وسببا لنشوء الآراء والأقوال

المختلقة ، وعند تبنّيهم لهذه الآراء نجدهم لا يشترطون لزوم عدم مخالفة الأخبار للكتاب وترجيح الموافق منها فحسب ، بل نجدهم يكفّرون من يقول بذلك ، ويتبرّؤون منه .

1- راجع كتاب «حجيّة السنّة» : ٤٩٦ ـ ٤٩٧ .
2- راجع كتاب « الفكر الإسلامي » .

إنّ قوة الاستدلال والوهنة عند مذهب الإمامية على ضوء الكتاب والسنّة ، هو الذي نقبّ هذا البحث وأبداه محققاً ومهذباً ، فأحال الأمر وأرجعه إلى العلماء الأعلام وأولي الألباب ، ليحكموا بأنفسهم ويبيّنوا مذهباً يمتاز بمستوى رفيع في تمسكه بالكتاب والسنّة بين المذاهب الإسلامية عامّة ، وليبينوا ما هي نسبة الصدق في التمسك بالقرآن والسنة للذين يدعونّ ذلك ويتظاهرون به .

رأي أبناء العامّة في عرض الخبر على الكتاب

من الأمور والملاحظات التي لم يُلتفت إليها في هذا المجال هي عدم التمعّن الشامل في المدلول التطابقي لقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾[1] ، إذ نجد أنّها حُملت فيما يخصّ استقلال أوامر الرسول ونواهيه بصورة منفصلة ومنقطعة عن كتاب الله عزّ وجلّ ، وهذا تصورّ باطل أو على أقل تّقدير أنه غير تام ، لأن اختّصاص هذا الأمر في مجال السنّة يعتبر تصرفاً يُفتقد القرينة على الظهور وهذا مما لم يجُعل له في المباحث الصناعية المتعلقة بحجية الظواهر ضابطاً يتكفّل ببيانه وايضاحه .

وتوهَّمَ البعض أنّ فحوى الآية المباركة يتعارض مع الأخبار القائلة بلزوم عرض الخبر على الكتاب ، وعلى هذا يمكن للسنّة بصفتها الدليل الحاكم أن تقضي على حكم الآيات ، أو أن تصل إلى حدّ يمكنّها من أن تنسخ حكم الآيات .

فبناءً على هذا تفتقد هذه الأخبار حيثيتها لوجود المعارض مع الآية التي مرّ ذكرها ، ومن الواضح والبديهي جدا أن ما في الآية المباركة تقصد بيان مهمّة الرسول وشرح رسالته (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وأنّ المبادرة إلى تجزئتها عما هو خارج عن الكتاب يخالف ظهور الآية .

وقد جاء في كتاب حجّية السنّة للدكتور عبد الغني عبد الخالق (المتوفىّ سنة ١٤٠٣ هـ) مايلي :

« أحاديث العرض على كتاب الله : فكلّها ضعيفة ، لا يصحّ التمسكّ بها ، فمنها ما هو منقطع ، ومنها ما بعض رواته غير ثقة أو مجهول ، ومنها ما جمع بينهما . وقد بيّن ذلك ابن حزم في الإحكام والسيوطي في مفتاح الجنّة نقلا عن البيهقي

1- الحشر : ٧ .

بالتفصيل » [1] .

وفي كتاب الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي لمحمّد بن الحسن الحجوي الفاسي (المتوفّى سنة ١٣٧٦ هـ) :

« اعلم أنّ الحقّ عند أهل الحق أن السنة مستقلة في التشويع . . . وما يروى من طريق ثوبان من الأمر بعوض الأحاديث على القرآن ، فقال يحيى بن معين : أنّه من وضع الزنادقة ، وقال الشافعي : ما رواه أحد عمن يثبت حديثه في شيء صغير ولا كبير » [2] .

وقال ابن عبد البر في كتاب جامع العلم :

« عن عبد الرحمن بن مهدي أنّ الزنادقة وضعوا حديث : ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق فأنا قلته وإن خالفه فلم أقله . ونحن عرضنا هذا الحديث نفسه على قوله تعالى : ﴿ مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [3] وغيرها من الآيات الدالّة على الأخذ بالسنّة ، فتبيّن لنا أن الحديث موضوع ، دل على نفسه بالبطلان [4] . وقد نقل ابن حزم الأندلسي في كتاب الإحكام في أُصول الأحكام مجموعة مختلفة من هذه الروايات ثمّ بادر إلى تضعيفها جميعاً ، قال في فصل قوم لا يتقوّن الله فيما ينسب إلى النبي : « قد ذكر قوم لا يتّقون الله عزّ وجل أحاديثا في بعضها إبطال شرائع الإسلام وفي بعضها نسبة الكذب إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإباحة الكذب عليه » [5] .

ثمّ بادر ابن حزم لبيان وسوء الأحاديث فضعّفها واحدة تلو الأخرى ، ثم قال معلقاً على رواة بعض الأحاديث : « ساقط متهم بالزندقة » .

1- حجّية السنّة : ٤٧٤ .
2- أعلام الموقعين ٢ : ٣٠٩ ، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ١ : ١٠٤ .
3- الحشر : ٧ .
4- جامع بيان العلم ٢ : ١٩١ .
5- الإحكام في أصول الأحكام : ٢ : ٢٠٥ .

وقال : « كلّ من يروي هذه الأحاديث فقد كذّب على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) » .

وقال أخيراً : « وقال محمّد بن عبد الله بن مسرة : الحديث ثلاثة أقسام : فحديث موافق لما في القرآن فالأخذ به فرض ، وحديث زائد على مافي القرآن فهو مضاف إلى مافي القرآن والأخذ به فرض ، وحديث مخالف القرآن فهو مطرح » .

ثمّ يقول : «ولا سبيل إلى وجود خبر مخالف لما في القرآن أصلا ، وكل خبر شريعة ، فهو إمّا مضاف إلى مافي القرآن ومعطوف عليه لجملته ، وإمّا مستثنى منه لجملته ،ولا سبيل إلى وجه ثالث » [1] .

فنستوحي من هذه المقولات أنّ هذه الفئة ترتئي أنّ الأحاديث المنقولة في العرض على الكتاب لا مصداقية لها ولا صلة بينها وبين الكتاب والسنّة ، بل هي ترتبط بالزنادقة ،ولا تمتلك الصلاحيّة للاستدلال بها والعول عليها .

1- الإحكام في أصول الأحكام ٢ : ٢٠٥ .

رأي الشاطبي ومخالفته للمشهور

ومن أبناء العامّة نجد الشاطبي في كتاب « الموافقات » كمخالف للقول المشهور وموافق لرأي الإماميّة ، ونجده في مقام التعارض قدّم النصّ القرآني على الحديث ، وهو إذ جعل السنةّ وعا للكتاب ، ووافق الرأي الذي ينطلق على ضوء الأسس المنطقية أُعتبُر مخالفا لمشهور ما عليه أبناء العامةّ ، واعتقد الجميع أنه خالف الطريقة الصحيحة بتبنيه هذا المعتقد .

يقول الشاطبي : « إنّ الكتاب مقطوع به ، والسنةّ مظنونة ، والقطع فيها إنمّا يصح في الجملة لا في التفصيل ، بخلاف الكتاب ، فإنّه مقطوع به في الجملة والتفصيل والمقطوع به مقدّم على المظنون ، فلزم من ذلك تقديم الكتاب على السنةّ »[1] .

فقدّم الشاطبي القرآن على السنةّ لأنهّ قطعي الصدور ، وجعل للسنةّ مكانة خاصة بصفتها مفسرة ومبينة لكلام الوحي[2] ، واعتقد بأنّ القرآن فيه تبيان لكلّ شيء والسنةّ هي العارفة بذلك والمطلعة عليه وهي التي تتكفلّ ببيان وايضاح ذلك للناس ولم يبيّن للناس شيءٌ سوى الوحي[3] .

وكما قلنا إنّ جمهور أبناء العامّة خالف ما ذهب إليه الشاطبي :

يقول الدكتور عبد الغني : « ومن ذلك كلّه تعلم بطلان ماذهب إليه الشاطبي في الموافقات من أن رتبة السنةّ التأخرّ عن الكتاب في الاعتبار ، وقد قلّده في ذلك بعض الكتاّب من المتأخرّين في هذا الموضوع ، وبالتقليد أغفل من أغفل . . . »[4] .

1- الموافقات ٤ : ٧ .
2- المصدر السابق ٤ : ٧ .
3- المصدر السابق ٤ : ١٠ .
4- حجيّة السنّة : ٤٨٨ ـ ٤٨٩ .

وممن خاض في هذه المخاضّة ، وبادر لنشر أمور مفتعلة ولا أساس لها وحرّض على مذهب الشيعة هو الدكتور السالوس الذي أصدر لحدّ الآن مجموعة كتب ضدّ مذهب الإماميّة ، وفي إحدى هذه الكتب باسم قصةّ الهجوم على السنة تعرضّ لهذه المسألة ، وكفّر أتباع مذهب التشيعّ ، وذكر أنهّم ينتمون إلى مقولة تقدمّ القرآن على الأخبار .

قال : «وأصل هذا الرأي فاسد . لزوم عرض الخبر على الكتاب . أنّ الزنادقة وطائفة من الرافضة ذهبوا إلى إنكار الاحتجاج بالسنّة والاقتصار على القرآن ، وهم في ذلك مختلفوا المقاصد . . . »[1] .

ونقل كلام السيوطي في مفتاح الجنّة بهذه الصورة : « إنّ قائلا رافضيا زنديقا أكثر من كلامه أن السنة النبوية والأحاديث المروية لا يحتجّ بها ، وأنّ الحجة في القرآن خاصةّ ، وأورد على ذلك حديث : ما جاءكم عنيّ من حديث فاعرضوه على القرآن فإن وجدتم له أصلا فخذوه وإلاّ فردّوه »[2] .

وهو يريد أن يقول : إن الذين يعتقدون بلزوم عرض الأحاديث على الكتاب في الحقيقة يعتقدون بالكتاب فقط وأنّهم ينكرون

السنّة !

وبالرغم مما يُرى من نقاط ضعف في هذه المقولة ، يبدو أنّه قد نسي أنهّ إذا كان قول « الاقتصار على القرآن » يوجب الزندقة ، فإنّ عمر بن الخطاب ينبغي أن يكون من الزنادقة في هذا المجال [3] ، لأنّه يعتبر الرائد الأول لهذه المقولة ، ويليه الخوارج الذين يعتبرهم أبناء العامّة من أهل الصدق ويعدوّن أحاديثهم من أصح الأحاديث [4] ، لأنّ الخليفة الثاني هو الذي قال . ولأوّل مرّة . في حضور الرسول مقولة : « حسبنا كتاب الله » ، وكذلك الخوارج في بيان « الحكم لله » وقفوا بوجه حجة الله في تلك الظروف الحرجة والخطيرة .

1- قصة الهجوم على السنّة : ٣٣ .
2- المصدر السابق : ٣٢ .
3- صحيح البخاري ١ : ٣٧ و٥ : ١٣٨ و٧ : ٩ و٨ : ١٦١ .
4- الكفاية للخطيب : ١٥٣ ، السنّة ومكانتها في التشريع الإسلامي : ١٠١ ، أصول علم الحديث : ١٦٠ ـ ١٦١ .

تهيئة الخوارج !

سبّبت نقاط الالتقاء ووجوه الاشتراك عند بعض الفرق أن يتحدوا في قبال مذهب التشيّع ، وليدافعوا عن الخوارج ويعتبروا المذهب الإمامي هو الفرقة المنفردة والمختصّة بالتمسك بالقرآن عند ضرورة العرض على الكتاب ، كما نجد في كتبهم . عند تبرير الخوارج في نقلهم الأحاديث الموجودة في مبحث لزوم العرض على الكتاب : روى عبد الرحمن بن مهدي : « ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله ، فإن وافق كتاب الله فأنا قلته ، وإن خالف كتاب الله فلم أقله ، وإنّما أنا موافق كتاب الله وبه هداني الله » ، ثمّ قال : إنّ هذا الحديث إنمّا وضعه الخوارج والزنادقة [1] .

ثمّ يقولون في مقام تبرير الخوارج : وأمّا الحديث الذي نسبه عبد الرحمن ابن مهدي إلى الخوارج فرجّح أن الزنادقة وحدهم وضعوه ، لا سيّما وكلّ من يحيى بن معين والخطابي في تذكرة الموضوعات ينسبانه للزنادقة [2] ، كما أن محمّد عجاج الخطيب يضعّف نسبة هذين الحديثين للخوارج [3] .

وهذا الظن الحسن بالخوارج هو تتمة للايضاح المنقول عن أبي داود السجستاني إذ يقول « ليس في أصحاب الأهواء أصحّ حديثاً من الخوارج » [4] .

وأيضاً عن ابن تيمية : «والخوارج مع مروقهم من الدين فهم من أصدق الناس حتّى قيل : إن حديثهم من أصح الحديث » [5] .

1- جامع بيان العلم وفضله ٢ : ١٩١ .
2- السنة ومكانتها في التشريع : ٩٩ .
3- السنة قبل التدوين : ١٣٦ ، أصول علم الحديث : ١٦٠ .
4- الكفاية للخطيب : ١٥٨ .
5- السنّة ومكانتها في التشريع : ١٠١ .

وجاء في كتاب مسند الفراهيدي من كتب الإباضية إذ هم يُعتبرون من فرق الخوارج ، ذكر حديث لزوم عرض الحديث على الكتاب عن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ولفظه : « إنّكم ستختلفون من بعدي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله ، فما وافقه فعنيوما خالفه فليس عني » [1] .

ومن هنا يتبيّن محاولة تبرئة الخوارج من هذا الافتراء والادّعاء بأنّ الإمامية قد تفردّوا في اختصاصهم بتقديم الكتاب على السنّة وذهبوا إلى عرض الخبر على الكتاب .

1- مسند الربيع بن حبيب الفراهيدي ١ : ٣٦ حديث ٤٠ .

تمييز الأحاديث الموضوعة

واستناداً إلى نظرية أبناء العامّة في المنع من عرض الخبر على الكتاب ينبغي أن تنقحّ الأحاديث وتهمل الموضوعة منها في كتب الحديث بصورة كاملة ،وإلاّ فمن الصعوبة أن نحكم بصحّة الأحاديث ،وأن نتعامل معها كسنةٌ مع عدم الإذعان بتنقيح الأحاديث الموضوعة التي تشتمل على أربعة عشر ألف [1] أو اثني عشر ألف [2] حَديث وأن لا نقول بتنقيحها من قبل ذوي الاختصاص .

وكانت الطريقة السائدة عند بعض المحدّثين الكبار من أبناء العامّة الملقبّين بـ « أمير المؤمنين في الحديث » أنهمّ لتحققّ فواياهم ومآربهم الخاصّة عمدوا إلى جعل ووضع الحديث ، وكانوا يضعون الحديث .

فبناءً على هذا الأساس إذاً لا نمتلك موازنا ومقياسا معّينا لتمّييز ومعرفة الأحاديث الصحيحة ، ومما لا شك فيهّ أن ذلكّ سيؤدّي بنا إلى مواجهة عقبات ومشاكل في معالجة هذا الأمر !

على سبيل المثال : نعيم بن حمّاد المروزي ، هذا الراوي الذي أشادوا به ووُصف بالمقامات والدرجات الرفيعة : كان نعيم بن حمّاد أعلم الناس بالفرائض وأول من جمع المسند وصنفهّ [3] ، لكننا نجده مع هذا الوصف في إمامة الحديث ، فقد كانت له صفة منبوذة وبغيضة وهي وضع الحديث ، وكان يبادر إليها كما قالوا عنه :

1- تنزيه الشريعة المرفوعة ١ : ١١ ، أصول علم الحديث : ٩٧ .
2- الكفاية للخطيب البغدادي : ٤٧١ .
3- تاريخ بغداد ١٣ : ٣٠٨ ، سير أعلام النبلاء ١٠ : ٥٩٧ و٥٩٩ ، تهذيب الكمال ٢٩ : ٤٦٨ و٤٧٢ .

كان يضع الحديث في تقوية السنة [1] ، ووضع في الردّ على أبي حنيفة وناقض محمدّ بن الحسن ووضع ثلاثة عشر كتاباً في الردّ على الجهمية [2] ، وقال أبو داود فيه : « عند نعيم بن حمّاد عشرون حديثاً عن النبي ليس لها أصل » [3] ومما لا يخفى أنه كان يبادر إلى تدريب بعض التلاميذ في هذا المجال كمحمد بن إسماعيل البخاري ! !

وكذلك الراوي عن عكرمة أبي عصمة نوح بن أبي مريم الذي قيل له : « من أين لك عن عكرمة عن ابن عباس في

فضائل القرآن سورة سورة ؟ . . . فقال إنّي رأيت الناس قد أعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي محمّد بن إسحاق فوضعت هذه الأحاديث حسبة »[4] .

وهذا يعني أنّه أيضاً كان يضع الحديث وكان مصاباً بنفس الداء الذي قد ابتلى به نعيم بن حمادّ .

فالذين يعتقدون بضرورة تصحيح الأحاديث وقالوا : لا ينبغي عرض الأحاديث على الكتاب ، هل فحصوا هذه المجموعة من الأحاديث ، وهل تمّ تعيينها وفرزها من قبلهم ؟

وفي إزاء هذه الرؤى والأفكار ، هل يصحّ أن نتهّم الذين ينادون للمحافظة على السنةّ وصيانتها . إذ جعلوا الكتاب الإلهي ضابطاً وملاكاً لمعرفة السنةّ الصحيحة . أنهمّ زنادقة .

والآن إذ تعيّن وتحتمّ وجود نماذج كثيرة من الموضوعات في الأحاديث النبوية ، فكيف نحكم على هذه الأحاديث وبصورة عامّة لأي جهة أو لأي فئة يمكننا أن نسند أو نردّ هذه الأخبار ؟

1- سير أعلام النبلاء ١٠ : ٦٠٨ ـ ٦٠٩ .
2- المصدر السابق ١٠ : ٥٩٩ .
3- سير أعلام النبلاء ١٠ : ٦٠٩ .
4- موضوعات ابن الجوزي ١ : ٤١ ، تدريب الراوي ١ : ٢٨٢ .

فهل نجرؤ على نسبتها إلى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ أم نسندها وننسبها إلى الكذّابين والوضاّعين والمرتزقة الذين يعملون لصالح الحكّام والطغاة والظلمة ؟

فيستوجب حتميّة وجود أخبار القصاّصين والوضاّعين والزنادقة في كتب الحديث أن ننتهج لتحكيم وتصحيح السنةّ النبوية أسلوب وطريقة التصفية والتنقية في الأحاديث ، ليمكننا بذلك تمييز ومعرفة مختلقات أيادي بني أمية وموضوعات القصاّص والزنادقة التي قد انتشرت وتبعثرت في كتب الأخبار الذائعة .

ولا يوجد ولن يوجد سبيل أفضل وأكثر وثوقاً وائتماناً من القرآن في هذا المجال .

وهذا الأصل الحاسم والسديد هو من الأصول المسلَّم بها عند مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ، وهو الذي قد عملوا به وساروا عليه ، وهو بصفته ضابطاً وقاعدة لمعرفة الأخبار الصحيحة من الأخبار والأحاديث الضعيفة .

التعارض بين الكتاب والسنّة

كما أشرنا فيما سبق فإنّه يستحيل وقوع التعارض بين الكتاب والسنةّ ، إذ لا يسعنا أن نجد تبريراً وتأويلا منطقيا لذلك ، ولكن أراد بعض أبناء العامّة أن يتظاهروا بوجود خلاف وتعارض بين البيان والمبيَّن ، ليستلزم بعد ذلك ضرورة استقلال السنّة في تشريع الأحكام ، وليوهموا أن ذلك هو أمر متاح ويمكننا أن نتلقاّه ونأخذ به .

ذكر في كتاب مفتاح السنّة للخولي : « أنّ الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وظيفته البيانوالبيان غير المبينَّ ، فالبيان مفصل والمبيَّن مجمل ، فكان هناك نوع مخالفة ، فمن اتبع المبينَّ فقد اطاع الله ومن اتبع بيان الرسول لكلام الله فقد أطاع الرسول » [1] .

علماً أنّه توجد جماعة أُخرى في أوساط أبناء العامة لم يقبلوا هذه الفكرة بهذه الصورة ، فقد جاء في كتاب المدخل لدراسة السنّة النبوية : « ما كان للبيان أن يناقض المبينَّ ،ولا الوقوع أن يعارض الأصل ، فالبيان النبوي يدور أبدا ًفي فلك الكتاب العزيز لا يتخطّاه ، ولهذا لا توجد سنة صحيحة ثابتة تعارض محكمات القرآن وبياناته الواضحة » [2] .

وأيضاً مسألة لزوم نسخ الكتاب وتخصيصه ، وفي بعض الموارد الأخرى تقديم السنّة على الكتاب ، هي من جملة المسائل التي عرضت وطرحت في ساحة الأبحاث العلمية لأبناء العامّة ،والتي نشير إلى نماذج منها :

١ . يقولون في إرث الأنبياء أنّ « نحن معاشر الأنبياء لا نورّث » تتعارض مع قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَولادِكُم ﴾ [3] ، وبما

1- مفتاح السنة ، محمّد عبد العزيز الخولي : ١٠ .
2- المدخل لدراسة السنة النبوية للقرضاوي : ١١٧ .
3- الفكر السامي للفاسي ١ : ١٠٦ ، والاية في سورة النساء : ١١ .

أنّ النسبة الواقعة بينهما هي العموم والخصوص ، فالنتيجة تكون بتقديم الخاص على العام .

وواضح من غير تذكير بأنّ مثل هذه الأكاذيب والافتراءات لا يمكنها أن تعالج المعاريض الأخرى التالية لهذا النصّ ، إذ إجمالا اطلاق كلمة « الإرث » تمنع من هذا التخصيص ، ونستوحي من عبارة ﴿ وَأُوتِينا مِن كُلِّ شَيءٍ ﴾ [1] ، ومن جهة أُخرى أنّ استدلال الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) بهذه الآية في مواجهتها مع أبي بكر عند مطالبتها فدك تدلّ على ما يورّثه الأنبياء .

وقد بادر بعض الأعلام في هذا المجال ، ومنهم فخر الإسلام البزدوي الحنفي في كشف الأسرار « قوله : « اجماع السلف على الاحتجاج بالعموم) أي بالعام الذي خصّ منه ، فإن فاطمة احتجَّت على أبي بكر في مواثها من أبيها بعموم قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِي أَولادِكُم ﴾ الآية مع أن الكافر والقاتل وغيرهما خصوا منه ، ولم ينكر أحد من الصحابة احتجاجها به مع ظهوره وشهرته ، بل عدل أبو بكر في جوابها إلى الاحتجاج بقوله : نحن معاشر الأنبياء لا نورث وما تركناه صدقة » [2] .

ومما لا شكّ فيه بأنها (عليها السلام) .وفق النصوص الصحيحة والمتواترة بين الفريقين . « سيدّة نساء أهل الجنة » ،ولا يعقل لسيدة نساء أهل الجنة أن تبادر وتستدل في حياتها الدنيوية بأمور لا تصحّ .

وكلام فخر الاسلام البزدوي يشير إلى هذا الأمر : بأن القتل والكفر يعتوان من الأسباب المانعة للإرث ،ولا ينكر أحد بين المسلمين ذلك على النقيض من مسألة إرث الأنبياء إذ تفرّد أبو بكر بذكرها ، وقد خالفه كبار الصحابة وفي طليعتهم أهل

بيت الرسول صلوات الله عليهم .

1- النمل : ١٦ .
2- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام ، البزدوي البخاري ١ : ٤٥٢ .

٢ .ومورد آخر هو قوله تعالى : (فَمَا استمتَعْتمَ بْهُ منهن فآتوَّهنَ أُجورُهنَّ فُرِيضَةُ)[1] شأن نزولها كما تصوّح أوثق المصادر التفسيرية للفريقين ، أنّها نزلت في نكاح المتعة ، ومن هذا المنطلق تعرّضت لسخط البعض ، فذهب جماعة إلى القول بنسخها ، ويقول الفخر الرازي في هذا المجال : « المراد بهذا الآية حكم المتعة ، وهي عبارة عن أن يستأجر الرجل المرأة بمهر معلوم لأجل معيّن فيجامعها »[2] .

وجاء في تفسير أبي حيان : « قال ابن عباس ومجاهد والسدي : إن الآية في نكاح المتعة »[3] .

وفي تفسير أبي السعود : « نزلت في المتعة التي هي النكاح إلى وقت معلوم »[4] .

٣ .ونموذج آخر رواية مسلم عن أبي هريرة : « خلق الله عزّ وجلّ التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبثَّ فيها الدوّاب يوم الخميس ، وخلق آدم (عليه السلام) بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخَلق من آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل »[5] .

في حين نجد القرآن يشير إلى نقيض ما في هذه الرواية ، وقد جاء فيه أنّ الأرض والسماء خلقتا في ستة أيام كما يقول تعالى : ﴿ إِنَّ ربكمَّ اُلله الذُي خَّلِق

1- النساء : ٢٤ .
2- التفسير الكبير ١٠ : ٤٩ .
3- تفسير أبي حيان ٣ : ٢٢٥ .
4 - تفسير أبي السعود ٣ : ٢٥١ ، تفسير القرطبي ٥ : ١٣٠ ، تفسير البيضاوي ١ : ١٧١ ، تفسير ابن كثير ١ : ٢٤٠ ، الدر المنثور ١ : ٣١٠ و٢ : ١٤٠ ، تفسير الخازن ١ : ٣٦١ ، تفسير التسهيل ١ : ١٣٧ ، تفسير الآلوسي ٥ : ٥ ، تفسير المراغي ٢ : ١٩٠ ، تفسير الشوكاني ١ : ٤٤٩ .
5- صحيح مسلم : ٨ : ١٢٧ .

السَّمٰوٰاتِ والارضَّ ْفي ستةِ أيامٍ ﴾[1] .

٤ .ومن الموارد الأخرى : « لا وصية لوارث »[2] إذ حكم فيها بنسخ آيات الوصية ﴿ كُتِبَ عليكَمْ إذُا ْحضرَ أحدَكم الْموَتُ إُن تْركَ خيرَا الَوْصيَّة ْللوالدِيَّن والاْقرَبين بْالمعرَوفَّ ْحقِا َعلى ْالمتقين ﴾[3] .

٥ .وكذلك رواية « البكر بالبكر : جلد مائة وتغريب عام » والآية ﴿ فَاجلْدِوا كل وُاَّحدَ منهما مْائةَ جلدةَ ﴾[4] .

لأنّ حاكم الشرع إذا اكتفى بالجلد وحده فقد خالف السنّة ! واذا أراد أن يعمل على ضوء السنّة فإنه سيخالف الكتاب ، وهذه المسألة هي من نماذج اختلاف الواقع بين شتّى المذاهب الإسلامية مع الأحناف[5] .

٦ .وفي مجال آخر مما يملك النطاق الواسع فى التمسّك به بين أوساط أتباع ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب ، هو حديث « إنّ الميت يعذّب في قوه ببكاء أهله عليه » إذ يتعارض مع استدلال عائشة ويخالفه القرآن ، ورواية النهي عن البكاء يرويها عبد الله بن عمر عن أبيه .

ففي البخاري : « قال ابن عباس : فلما مات عمر ذكرت لعائشة ما قال عمر : إنّ الميت يعذّب ببكاء أهله عليه ، فقالت يرحم الله عمر لا والله ! ماحدّث رسول الله إنّ الله يعذّب المؤمن ببكاء أحد ، ولكن قال : إن الله يزيد الكافر عذابا ببكاء أهله عليه ، وقالت : حسبكم القرآن : ﴿ ولاَ تزِرُ وازِرةٌ وِزْرَ

1- الأعراف : ٥٤ .
2 - الحديث بهذا اللفظ رواه أبو داود ١ : ٦٥٦ حديث ٢٨٧٠ ، والترمذي ٣ : ٢٩٣ ، وابن ماجه ٢ : ٩٠٥ حديث ٢٧١٣ كلهم عن أبي امامة الباهلي ، وبوّب البخاري في الصحيح بهذا اللّفظ فقال : باب لا وصيّة لوارث ، ثمّ ذكر حديث ابن عباس بمعناه ٣ : ١٨٨ .
3- البقرة : ١٨٠ .
4- النور : ٢ .
5- اعلام الموقعين ٢ : ٣٨٠ ـ ٣٩٦ .

أُخْرى ﴾ »[1][2] .

وكذلك الآيات الواردة في المواريث بالنسبة إلى الذكور والإناث والقول بالتعصيب[3] في تقسيم الفرائض .

فجاء في التنزيل : ﴿ لِلرِّجالِ نَصيبٌ مِمّا تَرَكَ الوالِدانِ والأقْرَبونَ وَلِلنِّساءِ نَصيبٌ مِمّا تَرَكَ الوالِدانِ وَالأقْرَبونَ مِمّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصيباً مَفْروضاً ﴾[4] .

وكذلك قوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ في كِتابِ اللهِ ﴾[5] .

والآيتان المذكورتان تنافيان القول بالتعصيب في روايتهم : « ألحقوا الفرائض بأهلها فما بقي لأولى رجل ذكر »[6] ، مع أنّ أصحاب الفرائض في طبقاتهم المقرّرة محفوظة لا يتجاوزون الأخرى ، والقول بالتعصيب في « فما بقي لأولى رجل ذكر » ينافي ﴿ أُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أَوْلى بِبَعْضٍ في كِتابِ اللهِ ﴾ وتفصيل ذلك في كتب الفقه .

وتحري الدقّة والتمعّن في هذا الأمر وفي الكلمات الأخرى توصلنا إلى هذه النتيجة ، وهي أن فقدان الأصول الثابتة وعدم امتلاك المباني والأُسس المتينة والمستحكمة هو السبب في نشوء هذه الفجوة وهذا الخلل والتنافر في الرؤى ومنهج التفكير ، ولا يمكن أيضاً أن نتصوّر غير ذلك في مثل هذه الحالة .

1- الأنعام : ١٦٤ .
2- صحيح البخاري ٢ : ٨١ .
3 - والقول بالتعصيب هو القول بحرمان النساء من الإرث فيما زاد على الفريضة وذلك في التركة التي تبقى بعد التقسيم ، والقول به يختصّ بأهل السنّة وأهل الجاهلية حيث يخصّصون الأرث بالرجال دون النساء كما لا يخفى .
4- النساء : ٧ .
5- الأنفال : ٧٥ والأحزاب : ٦ .
6- صحيح البخاري ٨ : ٥ .

وأيضاً ففي الأبحاث المرتبطة بحجيّة الخبر ، وفي تعارض الخبرين يتعلقّ ويرتبط تصحيح واستقرار التعارض على أصل صدور الخبر ، وإذا وقع أحد الأخبار في مخمصة ، أو واجه مانعاً أو حاجزاً في مرحلة الصدور ، فعندئذ لا يسعنا أن نعتبره طرفاً للمعارضة ، وممّا لا شكّ فيه أن أحد السبل لتمييز ومعرفة صدور الخبر هي موافقته أو عدم مخالفته للقرآن ، إذ هذا الأمر بصفته أوثق وأتقن سبيل معروف في هذا المجال .

وفي كتب الأصول لأبناء العامّة ، كأصول السرخسي [1] ، وكشف الأسرار [2] والتقرير والتحبير [3] ، والتيسر والتحرير [4] ، وإرشاد الفحول [5] أيضاً عرّف التعارض بمعنى تمانع الدليلين ، إذ ينفي كلّ من الدليلين موضوع الدليل الآخر وللأسف لم يلحظ في أي كتاب من هذه الكتب مسألة المخالفة مع الكتاب أو الموافقة معه ، وفي جملة من الموارد بادر البعض الى الاستهزاء بالأخبار والأحاديث المرتبطة بهذا الباب واعتبروها مردودة ومرفوضة .

1- انظر أُصول السرخسي ٢ : ١٢ .
2- انظر كشف الأسرار عن أصول فخر الاسلام البزدوي ٣ : ١١٩ ـ ١٢٠ .
3- التقرير والتحبير ٣ : ٢٦٩ .
4- التيسير والتحرير ٤ : ١٤٦ .
5- إرشاد الفحول ٢ : ٢٥٧ .

اختصاص الإمامية في التمسّك بالقرآن

يمتاز المذهب الإمامي الاثنا عشري في مسألة التمسّك بالقرآن بخصوصية فذّة قد حرمت منها المذاهب الإسلامية الأخُرى ، وهي أنّ مرجعية القرآن تعتبر الركن الوثيق والأساسي والمسلَّم به والمقدّس عند مذهب الإمامية ، ومن هذا المنطلق نجدهم بادروا إلى الالتزام والتقيّد بها ، وفي الواقع إنّ جعل القرآن كمرجع عند مذهب الإمامية لتصديق وتأييد أو تكذيب وتفنيد الأخبار والأحاديث هو من الأمور التي شيّدت قواعدها على أسس من البرهان والعقل ، وقلّما نجد دليلا يصل إلى قوته وسداده ومتانته ، وقلّما نجد دليلا يمتلك هذا المقدار من الأهميّة والقيمة .

رأي الإمامية في حاكمية الكتاب

كما قلنا فيما سبق فإنّ مسألة موافقة الكتاب وعدم مخالفته في مطلق الأخبار وعند ترجيح الخبرين المتعارضين من المسلّمات عند الإمامية ، وقد ادعى العلماء التواتر في صدور روايات هذا الباب .

ومما لا شكّ فيه أنّه لا يسع أيّ ضابط أو قاعدة في هذا الشأن أن تكون أتقن وأوثق من القرآن ليمكننا أن نشخّص صحة الأمور وسقمها ولا سيّما في ما يخصّ باب الأحاديث والأخبار .

وأقوال المفكّرين الفطاحل في المجالات العلمية في مذهب الإمامية تثبت هذه الحقيقة : بأنّ جعل القرآن مقياسا لتثبيت الشؤون الفردية والاجتماعية هو أمر ضروري جدّاً ويمتاز بأهميّة خاصة .

وفيما يخصّ بحاكمية الكتاب وجعله الميزان والمقياس لتمييز وتعيين الصحيح والفاسد من الأخبار ، فإنّه قبل أن يتم إثباته عن طريق النصوص قد ثبت عن طريق الأدلّة والواهين من أنّه أمر لا غبار عليه ،ولا يمكن تجاوزه إلى أي وجه آخر .

وكما يشاهد في بيان أخبار وأقوال فطاحل العلماء فإنّ حيوية هذا الأمر وسداده تمتاز بوضوح وإشراق ، إذ توحي بأننّا لا نحتاج إلى أي دليل خارجي لقبولها والإذعان لها ، ومجرّد نسبتها إلى كتاب الله وصيانته من الخطأ والتحريف لهما شاهدان على ذلك وهما دليل على صدقها وصحّتها ، إذ تتمكّن بذلك أن توفرّ الأرضية لجعل القرآن الحاكم والمرجع لتمييز وتعيين الأخبار الصحيحة عن الأخبار السقيمة والفاسدة .

وفي هذا المجال نشير إلى جملة من أقوال العلماء المختصّين وأهل الخبرة في هذا الشأن .

يقول الشيخ الأنصاري :

« الثانية : أن يكون (الخبر المخالف) على وجه لو خلا الخبر المخالف له عن معارضه لكان مطروحاً لمخالفة الكتاب ، كما إذا تباين مضمونها كليّة ، كما لو كان ظاهر الكتاب في المثال المتقدم ، . . . واللازم في هذه الصورة خروج الخبر المخالف عن الحجيّة رأساً لتواتر الأخبار ببطلان الخبر المخالف للكتاب والسنة والمتيقّن من المخالفة هذا الفرد ، فيخرج الفرض عن تعارض الخبرين ، فلا مورد للترجيح في هذه الصورة أيضاً » [1] .

ويقول الآخوند الخراساني :

« . . . أنّ الأخبار الدالّة على أخذ الموافق من المتعارضين غير قاصرة عن العموم لهذه الصورة لو قيل بأنهّا في مقام ترجيح أحدهما ، لا تعيين الحجّة عن اللاحجّة كما تراءاها عليه ، ويؤيدّه أخبار العرض على الكتاب الدالة على عدم حجية المخالف من أصله ، فانّهما تتوغان عن لسان واحد ، فلا وجه لحمل المخالفة في أحدهما على خلاف المخالفة في الأخرى كما لا يخفى » [2] .

ففي هذا التصريح يستدلّ الآخوند بجهتي موافقة الكتاب ومخالفته : أحدهما ترجيح الموافق مع الكتاب في المتعارضين بالعموم والإطلاق ،والآخر بطلان الخبر المخالف مع القرآن على ضوء أخبار لزوم العرض على الكتاب .

ويقول الأصفهاني (رحمه الله) أيضاً في هذا المجال :

« أمّا بمقتضى أدلّة الترجيح ، فاللازم تقديم الخبر الموافق لظاهر الكتاب بل لعلّة القدر المتيقّن من مورد الترجيح فتدبر .

وأمّا إذا كان الكتاب نصّاً ، أو أظهر من المخالف فهو مورد سقوط المخالف عن الحجيّة رأساً بحيث لو كان وحده ما صح الأخذ به ، فانه القدر المتيقّن من الأخبار الدالّة على أنهّ زخرف وباطل ، وقد مر أنه من باب تمييز الحجة عن اللاحجة ، لا من باب الترجيح بموافقة الكتاب » [3] .

1- فرائد الأصول ، كتاب التعادل والتراجيح ، باب الترجيح بموافقة الكتاب ٤ : ١٤٨ .
2- كفاية الأصول : ٤٥٩ .
3- نهاية الدراية ٣ : ٤٢٠ ـ ٤٢١ .

ويقول الشهيد الصدر (رحمه الله) أيضاً :

« الطائفة الثالثة : وهي الروايات الآمرة بعرض نفس أخبار الأئمّة على الكتاب وجعل الكتاب معياراً لتمييز الأخبار الصحيحة عن الأخبار الكاذبة ، على عكس ما يقوله الأخباريون [1] من فرض أخبار الأئمّة أصلا والكتاب فرعاً يفسرّ بلحاظها ، وقد ادّعي تواتر هذه الطائفة .

والانصاف أنّ هذه الطائفة من أقوى الأدلّة على حجية ظواهر الكتاب الكريم ولا يأتي هنا احتمالنا السابق في الطائفة الثانية ، إذ المفروض في هذه الأخبار جعل القرآن مقياساً لصحّة الخبر وسقمه ، فاذا فرض أنّ العرض بالقرآن المفسرّ بالخبر كان ذلك رجوعاً مرّة أخُرى إلى الخبر فينتهي ذلك إلى جعل نفس الخبر مقياسا لصحة الخبر وسقمه ، وهذا مما لا معنى له ولا يحتمل ، وهذا بخلاف

1 - من المناسب لكبار العلماء والشخصيات الدينيّة ، في كتبهم الاستدلاليّة عند التطرّق إلى مبحث حجّيّة ظواهر الكتاب وفي مقام الردّ على الأخباريين وأيضاً في مبحث تعارض الخبرين حين يبادرون إلى بيان روايات لزوم العرض على الكتاب ، أن يتعرّضوا في بدء الأمر إلى أبناء العامّة بصفتهم مخالفين لهذه المجموعة من الأخبار ، ثمّ ليتعرضوا الى الأخباريين بصفتهم ساروا على نهج أهل الخلاف في هذا الخصوص ، ليتّضح بذلك عظمة مذهب التشيّع للعالم ومستوى تمسكهم بالكتاب ، وأيضاً ليتحقّق الغرض من الاستدلال على المراد والمطلوب بصورة أفضل وأتم .

وإن اشتراك وموافقة الأخبارية وأهل الخلاف تثبت حقيقة امتياز منهج وأسلوب التفكير والاجتهاد والاستنباط عند مذهب الإمامية .

وبهذا الأُسلوب يتجلّى بوضوح مسألة بطلان المنهج المخالف وتتبدّل ساحة المنازعات إلى شكل آخر .

والملاحظة الجديرة بالاهتمام في هذا المبحث هي أن يعلم العالم الإسلامي والحوزات العلمية في شتّى أنحاء العالم أنّ التشيّع يستقي وجوده ويكتسب صفته الرسمية على ضوء تطابقه مع القرآن ، وأنّه يرى السنّة في موازات القرآن ومرتبطة بالكتاب ، على خلاف مذهب أبناء العامّة ، إذ يرون السنّة مستقلة في التشريع وغير مرتبطة بالقرآن ، وقد فنّدوا ورفضوا الروايات الواردة في موضوع عرض الروايات على الكتاب واعتبروها موضوعة من قبل الزنادقة !

باب الشروط ، فهناك لا يكون تهافت في أنّ يكون مقياس صحّة الشروط وفسادها مخالفتها للقرآن المفسرّ بالخبر وعدمها .

والحاصل أنّ المتفاهم عرفاً من هذه الطائفة بشكل واضح لا خفاء عليه أنّ القرآن هو الأصل وأن الأخبار هي الفرع وأن كلّ ما خالف الكتاب سواء كانت مخالفة لفظية أو ظهورية يجب طرحه ولا يجوز العمل به ، بل هو مما لم يقولوه ، لأنهم تلامذة القرآن وأبناؤه فلا يأمرون بشيء يخالف القرآن . . . » [1] .

وحصيلة الكلام ، هو أنّ ما يفهم عرفاً من أخبار لزوم العرض على الكتاب هو أنّ القرآن هو الأصل والأخبار فرع ، وكل شيء يعارض أو يخالف القرآن بأيّ شكل من الأشكال . لفظية كانت أو ظهورية . فيجب رفضه ولا يجوز العمل به ، بل ينبغي أن نقول بأنّ التحدّث على خلاف ونقيض القرآن يعتبر من الموارد التي لم ولن يتحدثّ بها الأئمة ، وذلك لأنهم تلاميذ مدرسة الوحي وأبناؤها ، ولا يتفوّهون أبداً بما يخالف القرآن أو ما يعارضه .

1- مباحث الأُصول للسيّد الحائري تقريراً لأبحاث الشهيد الصدر ١ : ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

أحاديث الإمامية في عدم الأخذ بالأحاديث المخالفة للكتاب

١ . خبر الراوندي عن الصادق (عليه السلام) : « إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعوضوهما على كتاب الله ، فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فَرُدّوه ، فما لم تجدوهما في كتاب الله فاعوضوهما على أخبار العامة ، فما وافق أخبارهم فذروهوما خالف أخبارهم فخذوه » [1] .

٢ .روى الصادق (عليه السلام) : « أنّ رسول الله خطب الناس بمنى ، فقال : أيها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته ، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله » [2] .

٣ .وعن الإمام أبي جعفر الثاني . محمّد الجواد (عليه السلام) . في مناظرته ليحيى ابن أكثم ، قال : « قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حجّة الوداع : قد كثرت عليَّ الكذابةُ وستكثر بعدي ، فمن كذب عليَ مَتعمَّدا فليتبوأ مقعده من النار ، فإذا أتاكم الحديث عني فاعوضوه على كتاب الله وسنتي ، فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به ، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به » [3] .

٤ .وعن الصادق (عليه السلام) عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله « إنّ على كلّ حقٍّ حقيقة وعلى كل صواب نوراً ، فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه » [4] .

1- وسائل الشيعة ٢٧ : ١١٨ حديث ٣٣٣٦٢ .
2- أصول الكافي ١ : ٦٩ حديث ٥ .
3- احتجاج الطبرسي ٢ : ٢٤٦ .
4- أصول الكافي ١ : ٦٩ حديث ١ .

وأيضاً يروي الكليني (رحمه الله) أنّ الإمام جعفر بن محمدّ (عليه السلام) قال : « إن الله تبارك وتعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شي ، حتّى والله ما ترك شيئا يحتاج إليه العباد حتىّ لا يستطيع عبد يقول لو كان هذا أنزل في القرآن إلا وقد أنزله الله فيه » [1] .

وكذلك روى عن الإمام محمّد الباقر (عليه السلام) : « أنّ الله تبارك وتعالى لم يدع شيئا يحتاج إليه الأمةُ إلا أنزله في كتابه وبيّنه لرسوله (صلى الله عليه وآله وسلم) وجعل لكلّ شيء حداً وجعل عليه دليلا يدل عليه ، وجعل على من تعدى ذلك الحد حدّاً » [2] .

وقد ذكرت أحاديث كثيرة بهذا المضمون في كتاب الوسائل :

« ما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فدعوه » [3] .

« وكلّ حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف » [4] .

« ما خالف كتاب الله فردّوه » [5] .

وجميع هذه الأحاديث تنطلق في اتّجاه واحد ، وتمتلك مضامين مشتركة وعامّة وهي لزوم عرض الخبر على الكتاب أو جعل القرآن بصفة الميزان والمقياس لتمييز ومعرفة الصحيح والفاسد من الأخبار ، وأنّ الرسول والأئمّة الميامين (عليهم السلام) لم يتفوّهوا بما يخالف الكتاب السماوي ، ولم يحكموا بما يناقضه أبداً ، وكان لسان حالهم : نحن أهل بيت لا نقول بما يخالف قول الربّ ، وكلّ ما يخالف القرآن فهو باطل وزخرف .

وحريٌّ بهذه الأخبار الموجودة في كتب الإمامية أن تدرس وتناقش في اتّجاهين :

١ . الأخبار المطروحة لمعالجة ما يخصّ المتعارضين .

1- المصدر السابق ١ : ٥٩ حديث ١ .
2- أصول الكافي ١ : ٥٩ حديث ٢ .
3- وسائل الشيعة ٢٧ : ١٠٩ ـ ١١٠ حديث ٣٣٣٤٣ .
4- المصدر السابق : ١١١ حديث ٣٣٣٤٧ .
5- المصدر السابق : ١١٢ حديث ٣٣٣٥٢ .

٢ . الأخبار المذكورة في عرض مطلق الأحاديث على الكتاب .

وبالنظر إلى هاتين المجموعتين من الروايات نلحظ أيَّ نمط قد اتّخذه مذهب أهل البيت أو أي طريقة ليتقبلّ هذه الحاكمية ، وكيف سار على ضوء أقوال الأئمّة التي صدرت بموازاة الواهين العقليّة المستحكمة والمتينة ، وكيف حكمّ الروايات مع الميزان والمقياس الإلهي وكلام الوحي ، وكيف رفض ما خالفه وما غاوره .

إنّ مذهب أبناء العامّة لرتأى بأن هذه الأحاديث مختلقة وقد وضعتها الزنادقة وهي لا تملك أي حيثية أو مقولة في نفسها ! علماً بأنّ الإمامية وأبناء العامة اشتركوا في رواية نصوص هذه الأحاديث وفي امتلاكها وحدة الفحوى والمضمون .

والأحاديث التي ذكرها ابن حزم في كتاب « الإحكام » وذكرها الآخرون في كتبهم الفقهيّة والحديثيّة . كما أشير إلى نماذج منها في بدء البحث . تتّحد في نصوصها مع فحوى ومحتوى الأحاديث الشيعية ،ولا يوجد اختلاف فيما بينها ، لكن ليعلم على مستوى ذلك علاقة كلّ من الفريقين بكتاب الله ووحيه .

الصفحة 392

الصفحة 393

فقه الشيعة في الموافقة مع الكتاب

بما أنّ مبنى وأساس المسائل الفقهية يعود إلى امتثال أوامر الشارع المقدّس لذا يعتبر القرآن الكريم بصفته الكتاب السماوي الأخير والتام لتعيين منهجية وظائف البشرية هو المدار والمركز الأساسي لفهم واستيعاب هذه التوجيهات والقرارات ، إذ يستفاد من آياته المباركة لمعرفة الحقائق وفهم المعارف الدينية .

والكتب التي ألّفها العلماء في مجال آيات الأحكام وافتتاح وبدء المباحث الفقهية والكتب الاستدلالية بآيات الوحي تحكي وتعبر عن هذه الحقيقة : بأنّ أساس فهم وإدراك الدين ووعي المسائل الشرعيّة إنمّا يرتبط بهذا الكتاب السماوي وهو الذي تمسكّ به كبار علماء الدين والتزموا به في أوامرهم ونواهيهم تمشياً وتوافقاً مع المباحث الفقهية المتداولة ، فكانوا يستنبطون الأحكام اللازمة منه .

وقد أوضحنا هذا الأمر فيما سبق بصورة عامة في باب موافقة الكتاب ومخالفته في الأخذ بالروايات والعمل بها ولا يوجد ضرورة لإعادة ذلك .

الصفحة 394

الصفحة 395

فقه الحديث « لزوم عرض الخبر على الكتاب »

قلنا فيما سبق بتواتر روايات لزوم العرض على الكتاب في أوساط الإمامية وقد طرح البعض صعيدين أساسيين لتمييز ومعرفة الأخبار الصحيحة من الأخبار الضعيفة ولقد زيّن .ولله الحمد . علماء الدين كتبهم الاستدلالية بالآيات اللامعة والنيّرة ،

وساروا على هذا النهج لحد الآن .

والملاحظة الجديرة بالذكر في هذه المباحث هي مسألة فهم واستيعاب ألفاظ الملمّين بكلام الرسول والأئمة (عليهم السلام) .

فالإمام (عليه السلام) مع إشرافه التام وهيمنته الشاملة على أجواء وأحوال الحديث في تلك الفترة الزمنية ، ومع لحاظ الصعيدين الأساسيين ، فإنّه قد بادر إلى إيضاح وبيان أخبار لزوم العرض على الكتاب .

وفي الحقيقة لقد أوضح الإمام (عليه السلام) ذلك في كلا الصعيدين ، وإحدى تلك الأصعدة هي الإشراف والإحاطة التامة على المجريات والاتفاقات التي تحيط بالمحدّثين الذين تصدّوا لمسألة تدوين الحديث ، وكانوا يسيرون على منهج السلطة السياسية الحاكمة . والإمام (عليه السلام) . مع العلم بأنّ هؤلاء لم يستسلموا لحاكمية القرآن ، وقد تمرّدوا على الفهم الصحيح للآيات وتهرّبوا منه . بادر إلى ذكر وبيان أحاديث لزوم حاكمية القرآن وأبدى الملاحظات والنقاط الدقيقة والأساسية في هذا المجال .

والصعيد الآخر الجدير بالاهتمام في إفصاح هذه الطبقة من الروايات هو الإحاطة اللازمة والدقيقة على ملابسات القصّاصين والأنظمة المزوّرة في وضع الأحاديث والأخبار ، والإمام (عليه السلام) أيضاً ومع التحرّي والدقة في كيفية تهاجم الخصوم لتحريف السنّة النبوية عن مسارها والقائها في التيه ، بادر إلى بيان هذه

الأخبار ، وذلك لأنّه لا يوجد سبيل لمواجهتهم سوى القرآن ، بل القرآن هو الحاكم الوحيد لفصل النزاع وهو الوحيد الذي يمكنه أن يحلَّ العقدة من هذه المعضلة ، وأن يحرّر وينقذ المعارف الدينية والحقائق الشرعية من الزيغ والانحراف والضلال .

وكما ذكرنا فيما سبق فإنّه ينبغي أن لا يقع تباين بين السنّة والكتاب ، وأن لا توجد بينهما مخالفة أو مناقضة .

والملاحظة الجديرة بالذكر بعد سرد هذه المواضيع هي أن نشير إلى مسألة ردّ الإمام (عليه السلام) لأخبار وأحاديث أبناء العامّة عند افتراض التعارض ليكون ذلك سبباً لترجيح أحد الطرفين .

وتبيّن من المخالفة مع القرآن أنّ الروايات عموما تَسقط بذلك من الحيثية ولكن أين يكمن وجه بطلان الخبر عند موافقته مع أبناء العامّة ، وبأيّ وجه يمكننا أن نقبل ذلك ، فهذا ما نود الإشارة إليه .

إنّ الإمام وبالتحديد حينما ردّ أخبار أبناء العامة ، فإنه قد حرص على فحوى الآيات المشرقة القرآنية ، كما نجد في رواية الراوندي والتي حثّت على استدلال العلماء بها ، إنّ الإمام كرّر عبارة كتاب الله مرتين ، ويكمن في هذا التكرار ملاحظة جديرة بإمعان النظر فيها ، إذ بها يتعيّن أنّ محور كلام الإمام في تمييز ومعرفة الأخبار الصحيحة هو موافقة الكتاب حينما يتعارض الخبران على وجه التخصيص والمخالفة مع الكتاب على وجه الأعم في الأخبار .

ويكمن في مسألة العرض على أخبار أبناء العامّة هذا المعنى : أنّ المدلول التضمنّي لتلك الأخبار قد نفى السنة النبوية الواردة من قبل أهل البيت : الذين يُعتبرون لساناً للكتاب ، ومبينيّن لآيات الوحي .

وبيان مواجهة أخبار أبناء العامّة مع القرآن في هذه الروايات التي يؤكّد الإمام (عليه السلام) فيها على ذلك تدلّ على أهمية

الحركة ضد القرآنية التي تبنّاها أبناء العامّة لدعم وتأهيل مبتغيات وأهداف الخلفاء ، والتي تبنوّها للمواجهة مع الدور المؤثر الذي تبنّاه أهل البيت (عليهم السلام) لإيضاح وتبيين الكتاب والسنّة .

وكما يفيد ويشهد التاريخ فإنّ المرحلة الحاسمة والمصيرية لفترة تدوين وضبط السنّة كانت من أحرج وأقسى الفترات على آل علي (عليه السلام) وهذه الفترة أدّت لأن ينتهز البعض فرصة العمل ضد آل أبي طالب [1] .

ومن جهة أُخرى مع صدور الحديث النبوي : « علي مع القرآن والقرآن مع علي وأنّهما لن يتفرّقا حتىّ يردا علي الحوض » [2] ، وقوله (صلى الله عليه وآله وسلم) : « إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله » أي علي بن أبي طالب [3] ، استوجب هذا الأمر أن يعزل نظام آل مروان وآل أمية القرآن عن السنّة وليدّعوا الاستقلال التشريعي للسنة ويبينوا في رسائلهم وكتبهم انقطاعها عن الكتاب .

ولكن جاء في حديث الإمام الصادق (عليه السلام) : « إذا ورد عليكم حديثان مختلفان فاعرضوهما على كتاب الله فما وافق كتاب الله فخذوه وما خالف كتاب الله فردوه ، فما لم تجدوهما في كتاب الله فاعرضوهما على أخبار العامّة ، فما وافق أخبارهم فذروه وما خالف أخبارهم فخذوه » [4] .

وفي هذه الرواية إذ يقارن الإمام (عليه السلام) بين القرآن وأخبار أبناء العامّة ، فإنّه في الحقيقة حددّ سمات وخصائص أخبار أبناء العامّة من جهة انتسابها إلى كتاب الوحي كما بيّن مع ذلك التبعات العملية المترتبة من هذه الأخبار بذكره مقولة : « في خلافهم رشد » ، أو ذكره عبارة : « ففيه الرشاد » ، وعبارة : « فما لم تجدوهما

1 - وفيما يخصّ هذا الائتلاف المشؤوم قال المعتز العباسي بعد ذلك : « إن ولاّني الله لأفنينّ جميع آل أبي طالب » تاريخ أبي الفداء ٢ : ٢٩ .
2 - المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٢٤ ، وانظر مجمع الزوائد ٩ : ١٣٤ ، المعجم الأوسط ٥ : ١٣٥ ، المعجم الصغير ١ : ٢٥٥ ، الجامع الصغير ٢ : ١٧٧ ، فيض القدير ٤ : ٤٧٠ ، كنز العمال ١١ : ٦٠٣ حديث ٣٢٩١٢ .
3 - تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤٥١ ـ ٤٥٥ ، مسند أحمد ٣ : ٣١ ، المستدرك ٣ : ١٢٣ ، المصنّف لابن أبي شيبة ٧ : ٤٩٧ ـ ٤٩٨ حديث ١٩ ، مسند أبي يعلى ٢ : ٣٤١ حديث ١٠٨٦ ، حلية الأولياء ١ : ٦٧ ، دلائل النبوّة للبيهقي ٦ : ٤٣٥ ، الخصائص للنسائي : ١٣١ .
4- وسائل الشيعة ٢٧ : ٢٠٤ حديث ٣٣٦٠٦ .

في كتاب الله » والتي كرّرها الإمام بعد مسألة العرض على الكتاب تعتبر تأكيداً والحاحاً لبذل العناية والاهتمام بالكتاب ، وأنّ مخالفة أخبار العامّة تملأ ثغرة ما لم يرد في الكتاب .

والسيرة العملية للأئمّة تدلّ بوضوح على أنهّم كانوا يتمسكّون بذلك في استدلالاتهم ، وكانوا يستشهدون بالآيات القرآنية المباركة ، وكانوا قد جعلوها مركزاً ومداراً لأحكامهم ليثبتوا بذلك أنّ السنةّ متلائمة ومنسجمة مع الكتاب ، وينبغي أن تتحصنّ بالقرآن .

ولهذا الأمر نجد تشديد والحاح مخالفي مذهب التشيّع لجعل مسألة تحكيم القرآن وكونه فاصلا للنزاع من أفكار الزنادقة ، ولهذا نجدهم قابلوا هذه الفكرة بكلّ ما أوتوا من قوة .

وأخواً ، نسأل الله أن يهدينا بالقرآن وبأنواره الساطعة وأنجمه الظاهرة ، والحمد لله ربّ العالمين .

الصفحة 399

(٤١ . ٤٢) ابن شهاب وتدوين السنّة ورجال البخاري

الشيخ حسين الهرسلي

الصفحة 400

الصفحة 401

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيدّ الأنبياء والمرسلين محمدّ وآله الطيبين الطاهرين سيماّ بقية الله في الأرضين .

﴿ وَما جعَلنا الرؤيا الّتي أريّناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيرا ﴾[1] .

البحث الّذي يجب أن نتطرق إليه في هذه الليلة يدور حول مسألة تدوين السنةّ ودور ابن شهاب الزهري في المسألة . كما أُعلن سابقاً . هذه المسألة قابلة للبحث والمحاورة من جهات متعددة .

الذين كتبوا في تدوين السنّة

مسألة تدوين الحديث تعرّض إليها فريقان :

أحدهما : ألّف الكتب في مسألة تدوين السنّة ، والتي بدأت من بداية المائة الهجرية الأولى ، وهذا الفريق كان راضياً ومسروراً من هذا العمل ، وكتبهم من أولها إلى آخرها تؤكدّ على عظمة هذه الحركة وتمدحها .

الفريق الآخر : ألّفوا كتباً أيضاً ، ولكن أشكلوا على هذه الحركة وشككّوا في أصلها .

وهذا الفريق الثاني فريقان كذلك :

الفريق الأوّل : المستشرقون غير المسلمين ، وهؤلاء قاموا بجمع وتأليف دوائر المعارف للعالم الإسلامي وذكروا هذه المسألة .

الفريق الثاني : الّذين أظهروا عدم رضايتهم لهذه الحركة ، هم المنتمون

1- الإسراء : ٦٠ .

الصفحة 402

لمذهب أهل البيت (عليهم السلام) ; وذلك لأنّ هذه الحركة كانت منفصلة عن أهل البيت (عليهم السلام) ، يعني بحثت في

زمن من الأزمان ولم تُدخل أهل البيت (عليهم السلام) في هذه القضية .

والمستشرقون الّذين أقدموا على تأليف الكتب في هذه القضية . سواءً كانت على شكل كتيبات مستقلة أو ضمن دوائر المعارف . فإنّ تشكيكهم امتدّ للتعرّض بحجية القرآن ووضعه على طاولة البحث بالإضافة إلى حجية السنة المدونة ، واستدلال هؤلاء على تشكيكاتهم كالتالي : هو أنّه إذا كان بنو أُمية الذّين رفعوا راية هذه الحركة في الشام ، وأن هذا التدوين للسنة كان تحت رعاية وإشراف وأمر خلفاء بني أُمية ، فإذا كان لهؤلاء اعتبار إسلامي ، فإنّ حركتهم العلمية هذه معتبرة أيضا ولها قيمة وأهمّية ، ولكن إذا لم يكن لبني أمية اعتبار إسلامي ومكانة خاصّة ، فإنّ حركتهم هذه لا اعتبار لها .

وهذا استدلال مبنيّ على قاعدة عقلية صحيحة ، يعني المقدّمة التي ذكُرت للاستدلال مقدمة صحيحة ; لأن الشخص غير المعتبر لا اعتبار لعمله أيضاً . وهذه من أهمّ قواعد رواية الحديث ، فالراوي المعتبر حديثه معتبر ، وغير المعتبر حديثه كذلك غير معتبر ، وهذه مسألة واضحة جدّاً .

فهؤلاء قالوا : بناءً على تفسير الآيات والروايات الواردة في هذا المجال ، فإنّ بني أُمية لا يمتلكون الاعتبار الكافي بالشكل الّذي يعتمد على أوهم العلمي هذا .

هنالك شخصان لعبا دوراً أساسياً في مسألة تدوين السنة ، وهذان الشخصان متحدّان في الاسم ومن عائلة واحدة ، الأول : عمر بن الخطاب ، والثاني : حفيده عمر بن عبد العزيز من طرف ابنته .

ولهذين الشخصين دوران متضادان في مسألة تدوين السنة .

الأوّل : وهو عمر بن الخطاب منع كتابة الحديث بحجّة حفظ كتاب الله تعالى وقال : خفت أن يندرس الكتاب ، فقد منع رواية الحديث ونقله وكتابته وقام

باجراءات كثيرة سجّلت في التاريخ بشكل مفصل ، وألفُتّ كتب حول هذه القضية بشكل مفصل ، وذلك أن هذا المنع حصل صوناً لكتاب الله تعالى من الاختلاط بكلام الإنسان .

إذن فالخليفة الثاني منع تدوين الحديث .

وفي بداية سنة ١٠٠ للهجرة حصلت حركة أُخرى على يد عمر بن عبد العزيز بدافع التعاطف مع السنّة النبوية ، فقد كتب عمر بن عبد العزيز رسالة إلى والي أهل المدينة أبي بكر بن أبي حزم كتب فيها : «انظر ما كان من حديث رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فاكتبه فإنّي خفت دروس العلم» [1] .

ولم تدم خلافة عمر بن عبد العزيز أكثر من سنتين ، ولهذا لم يستطيع أن يرى ثمرة مشروعه ، ولكن حركة تدوين الحديث انبثقت من الأمر الّذي أصدره ومن ثمّ نسبت إليه .

ومن ثمرات هذه الحركة التي يمكن أن تذكر ، حصول تنافس حديثي بين مدينتين متناقضتين ، يعني تواجد مركزين للحديث وهما الكوفة والشام ، وكان هذان الثقلان على طرفي نقيض ، وكان لهذين المركزين أهمّية عالية بالنسبة للحديث في تلك

العصور الخالية ، وقد وفد إلى الكوفة جمع من المحدّثين بأمر من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وخصوصاً جماعة كبيرة من أصحاب الشجرة ، وقد نقل هؤلاء أحاديث الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وأمّا كيفية تأسيس الشام ، فإنّ عمر بن الخطاب عينّ يزيد بن أبي سفيان أخو معاوية واليا ً على الشام ، ثم بُعّد ذلك أرسل معاوية وعيّنه واليا ً على الشام ، وتدريجيا ً توّجه أتباع معاوية وأصحابه والتفوا حوله في الشام ، فحصلت للشام مركزية في مقابل أهل الكوفة ، ولذلك نلاحظ في علم الرجال أنّ أهل الكوفة يضعفون أهل الشام ، يعني مجردّ كون الراوي من أهل الشام يكفي في تضعيفه .

1- تنوير الحوالك : ٥ ، صحيح البخاري ١ : ٣٢ .

وترتّب على ذلك أن يضعف أهل الشام أهل الكوفة ويرمونهم بالتشيّع ; وذلك لأن أمير المؤمنين (عليه السلام) اتخذّ الكوفة عاصمة في زمن خلافته ، ولذا فإنّ الانطباع المأخوذ أنّ كلُ مّا يصدر من الكوفة فإن له سمة شيعية لولاء أهل الكوفة للإمام علي (عليه السلام) .

ومن التضعيفات الرجالية المهمّة في هذا المجال تضعيفات الجوزجاني وابن خراش .

وهذان المركزان الحديثيان لهما أهمّية عالية في التاريخ الإسلامي ; وذلك لتشخيص الجهة التي قامت بوضع الأحاديث أو لكشف هل أنّ السنّة كانت مصونة أو أنهّا قد دمرّت .

ولكُلّ من هذين المركزين مرجحّات يمكنهم إظهارها أكثر من المناطق الأخُرى .

ومن الشخصيات الرئيسة من التابعين (سعيد بن المسيب) ، وله موقعية هامّة بالنسبة لرواية الحديث ، سواء أحاديث السنّة أم أحاديث الشيعة .

وقد بذل أهل الشام جهوداً كثيرة وأموالاً وفيرة لاستقدام سعيد بن المسيب . يعني في خلافة بني أمُية في الشام . بذلوا كلُ وسيلة لصيد عالم في الحديث ، ولكنّهم فشلوا في استقدام سعيد بن المسيب ، ولمّا لم يوفقّوا في استقدام سعيد بن المسيب ، قاموا باستدعاء ابن شهاب الزهري .

من هو ابن شهاب الزهري

ابن شهاب الزهري وهو محمّد بن مسلم ، ولكنهّ مشهور بكنيته (بنسبته لجدهّ) ابن شهاب ، وبلقبه الزهري ; وذلك لنسبته لبني زهرة . وقد أُختلف في تاريخ ولادته ، قيل : ولد في عام –٥١– هـ إلى عام –٥٨ – هـ ، وهذا الشخص ورد إلى الشام في عام –٨١ – هـ ، وانتمى إلى حاشية عبد الملك بن مروان ، وحينما ارتبط بالخلافة الأموية وكّلت إليه هذه المهمّة في الحديث ; وذلك لأنّه تلقّى الحديث من أهل

المدينة المنوّرة مركز الصحابة ، كما أنّها مهد الوحي ، وكذلك تلقّى الحديث في مكةّ ، فجمع حديث الحرمين : حرم مكة ّ ، وحرم المدينة .

من الأُمور المؤسفة أنّ علمنا في رجال الحديث يلحظ فيه بعض النواقص في مسألة التوثيق والتضعيف للأشخاص . بعض علمائنا وفقهائنا .رضوان الله عليهم أجمعين .وخصوصاً هؤلاء الذّين لهم كتب رجالية ، بما أن ّلهم علم واحاطة في فقه أهل السنّة ، وأُصول أهل السنةّ ، ورجال أهل السنة ّ، كانوا متسلطيّن في التوثيق والتضعيف لرواة الحديث ، فلذلك يلاحظون الأُمور الدقيقة .

أمّا البعض الآخر والذّين يجهلون مباني أهل السنةّ في التوثيق والتضعيف ، فإنهمّ يواجهون بعض المشاكل ، مثلا : ابن شهاب الزهري وثّقوه ; وذلك لأنّه كان من جلساء الإمام السجاّد (عليه السلام) واعتبروه من أصحابه ، يعني اكتفوا بتوثيقه بهذا الظاهر فقط .

ولكن العلماء الآخرين ، مثل : الشيخ الطوسي وابن شهر آشوب وغيرهما لأنّهم كانوا خبراء في هذه المسألة ذكروا أنّه كان ناصبياً ، لماذا ؟

وذلك استناداً لرسالة ذُكرت في كتب التاريخ ، ونسُبت هذه الرسالة للإمام السجاد (عليه السلام) ، وقد ذكرها صاحب كتاب تحف العقول .وهو من الكتب الشيعية .وبعضهم نسب هذه الرسالة لسلمة بن دينار .

وهذه الرسالة فيها خطاب للزهري يقول فيها جعلوك جسراً[1] . يقصد بني أُمية . للوصول إلى أغراضهم ، وبك بثوّا الشكوك في قلوب المؤمنين والمسلمين ; وذلك لأنّ ابن الزهري كان في معيّة أهل البيت (عليه السلام) لمدةّ –٣٠– عاماً ، وأخذ حديث أهل المدينة أيضاً ، وحينما دخل إلى الشام روى أحاديث أهل المدينة بالشكل الذّي أراده بنو أُميةّ منه .

1- تحف العقول : ٢٧٤ .

ومن الّذين تلقّى الزهري الحديث منهم سعيد بن المسيبّ ، وحينما التقى الزهري مع عبد الملك بن مروان طلب منه أن يكتب الحديث ، ويعلّم أولاد بني أُميةّ ، وقال له عبد الملك بن مروان : كل مّا تكتب من الأحاديث انسبه إلى سعيد ابن المسيب[1] .

وهذه من الوثائق التاريخية الهامّة لتقييم حركة تدوين السنةّ ، ولذلك نلاحظ أن ّالبخاري روى –١٢٥٠– حديثاً عن الزهري ، –١١٠٠– حديث منها رويت عن سعيد بن المسيب ، وسعيد بن المسيب كان يلعن بني أُمية قاطبةً بعد كلُ صّلاة ، ولذلك ألبسوه جبّة مهينة وجلدوه ; لأنّه لم يستجب لتحقيق رغبات الخلافة الأموية في مسألة تدوين الحديث ، وقد استطاع الزهري أن ينسب الحديث لابن المسيب بسهولة ; وذلك لأنّه درس عنده لمدةّ –٨– سنوات ، وأخذ الحديث منه كما قال ابن شهاب نفسه .

وينقل الذهبي في السير وفي تاريخ الإسلام وابن عساكر في المجلد ٥٥ من تاريخ مدينة دمشق : أنّ ابن شهاب الزهري عاد إلى المدينة بأمر من عبد الملك ابن مروان ، واشترك في صلاة سعيد بن المسيب ، وبعد إكمال الصلاةرافق سعيد ابن

المسيب وهو في طريق عودته لمنزله ، ولكن سعيد بن المسيب لم يكلّمه ولم يجبه ولم يرد سلامه ، وحينما وصل إلى منزله وضع قدماً داخل المنزل والقدم الأُخرى خارج المنزل والتفت إلى ابن شهاب الزهري ، وقال له : أنت الذي حدثّت حديثي في الشام عند بني مروان ، وأظهر غضبه وكراهته الشديد لهذا العمل ، ثُمّ أغلق الباب بشدةّ في وجهه [2] .

وبعد ذلك عاد ابن شهاب الزهري إلى الشام ، وكان أوّل من صنفّ الدفاتر ، فأرسلها إلى البلاد ، ومن الكتب التي بقيت منذ ذلك العصر كتاب (الموطأ) لمالك ،

1- تاريخ مدينة دمشق ٥٥ : ٣٠٣ ، جامع بيان العلم : ١٠٠ .
2- تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨ ـ ١٠٠) : ٣٧٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٥٥ : ٣٩٨ ، وانظر أيضاً البداية والنهاية ٩ : ٣٧٨ .

ومالك كان تلميذاً لابن شهاب الزهري ، وأخذ الحديث عنه لمدةّ ـ ١٠ ـ سنوات .

ومن أقوال مالك بعد كتابته للحديث والتي نقلها الحاكم في كتاب «معرفة علوم الحديث» [1] وكذلك الخطيب البغدادي في «الكفاية في الحديث» [2] أنّه قال : «لقد نقلت أحاديث وددت أنّي جلدت ولم أنقلها» ، وأظهر عدم رضايته لنقل بعض الأحاديث .

ونحن نلاحظ أنّ الزهري لعب دوراً هاماً في نقل الحديث ، ولقبُ بأنه أوّل منّ صنف الحديث .

طبع في السعودية في الآونة الأخيرة سلسلة من الكتب تحت عنوان (الاتّهامات الكاذبة) ، واحدة من هذه الاتّهامات التي تصدّوا للدفاع عنها ، هي : أنّ الزهري لم يكن معلماً للحجاجّ ; لأن منّ الإشكالات الواردة على الزهري أنه كان معلما لأطفال بني أُمية ومعلماً للحجاجّ ، وخصوصا في تعلم منّاسك الحج .

والجواب الذّي طرح للدفاع عن الحجاّج ، أنّ الحجاج لم يلتق بالزهري إلا مرّة واّحدة في طريق الحج ، وذكروا نصا مجملاً ورد في كتاب تهذيب التهذيب لابن حجر [3] .

ولكن قصّة كونه معلمّا للحجاجّ في أحكام الحج ، ذكرتُ في كتاب (تقييد العلم) [4] للخطيب ، وهؤلاء لم يذكروا هذا النصّ واكتفوا بالنصّ الذّي ذكر في تهذيب التهذيب ، ولكن المسألة واضحة في (تقييد العلم) للخطيب .

سبب مبادرة عمر بن عبد العزيز إلى تدوين السنة

هذا ما لدينا من المعلومات حول تدوين السنة في الشام من حيث السير التاريخي .

1- معرفة علوم الحديث : ٦١ .
2- سير أعلام النبلاء ٧ : ٢١٣ .
3- تهذيب التهذيب ٩ : ٣٩٨ .
4- انظر تقييد العلم : ١٤٠ .

حينما تفرّق الصحابة في الأمصار ورووا الأحاديث النبويّة واختلفوا في الروايات ، فهذا الاختلاف في الروايات أدىّ إلى

تردّد الناس إلى مدينة النبي(صلى الله عليه وآله)لحلّ الخلاف ، ودور بني هاشم من أبرز الدور فيها وأعرف المنازل ، لذلك قصدها الناس بشكل مباشر وخصوصاً بيت الإمام الباقر (عليه السلام) ،وهذا أدّى إلى غضب بني أُمية وعدم ارتياحهم لهذا السلوك ،وأحسّوا بالخطر من تردّد الناس على بيوت بني هاشم لحلّ الخلاف الروائي ، ولذلك بادر عمر بن عبد العزيز إلى تدوين السنّة .

ومن الأُمور المؤسفة أن بعض كُتّابنا يبرزون رضاهم ويؤيدوّن شخصية عمر ابن عبد العزيز وهذه من المصائب ; لأن عمر بن عبد العزيز حسب ما تروي الكتب التاريخية مثل كتاب مدينة دمشق الّذي طبعت دورته بشكل كامل وتولت إلى الأسواق ، وكذلك ترجمته في الكتب الرجالية ، تذكر أنّ هذا الشخص جاء إلى المدينة لطلب الحديث ، وكان يسبّ أمرالمؤمنين (عليه السلام) حتّى سن ٢٥ عاماً يعني شخص جاء إلى المدينة لتلقّي الحديث ويسبّ أمير المؤمنين (عليه السلام) مسألة مهمّة ! ولكن لمن ؟ للمحدثّين الذّين كانوا في ذلك الزمن يقولون له : منافق ابن منافق ; لأن والده عبد العزيز كان واليا على مصر ، ولمّا جاء عمر إلى المدينة لأجل طلب الحديث والرواسة . حسب تعبيرنا . ،ولأنّه كان يسبّ أمرالمؤمنين (عليه السلام) قالوا : إنّه منافق ابن منافق ، حينما كان يطلب العلم في المدينة .

والمطلب الثاني حول عمر بن عبد العزيز ، أنّه حينما كتب رسالة إلى أهل المدينة وعلى رأسهم الوالي أبي بكر بن أبي حزم ،وأبي بكر أبي حزم هذا له تاريخ مفصّل ، وذلك لأنّه كان قاضيا أولاً ، ثم صّار واليا علىً المدينة من طرف بني أمية ، وله أهمّية عند بني أُمية ، ولولايته على المدينة أهمية عالية ومسؤولية عجيبة ، وذلك لأن في زمن ولايته كان هنالك بروز للأمام الباقر (عليه السلام) والإمام الصادق (عليه السلام) ، وكانت شهرة الإمام الباقر انتشرت في الآفاق ، وله كرسي تدريس أو حلقة تدريس في المدينة .

وحينما ذهب ابن حزم إلى المدينة خطب في مدخلها خطبة مفصّلة وشديدة أرعب فيها أهل المدينة وحذّرهم من التمردّ على الخلافة الأموية ، وفي الرسالة التي أرسلها عمر بن عبد العزيز إليه أكّد عليه بقوله : «انظر إلى حديث عمرة ابنة عبد الرحمان» ،وهناك اختلاف في النسخ هل هو عمرو أو عمرة كما ذكر ذلك الدارمي وغيره .

وعمرة ابنة عبد الرحمن من الناصبيات الشديدات ،وهي ربيبة عائشة تربّت في حجرها وفي بيتها ، وكانت خبيرة بأحاديث عائشة .

فإذن اهتمام عمر بن عبد العزيز بتدوين العلم ، وقوله لأبي بكر بن أبي حزم : «خفت ضياع العلم» ، أو «دروس العلم»[1] هدفه الأساس هو إحياء هذه الأحاديث ، وليس قصده إحياء سنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) ; وذلك لأنّ السنّة النبوية محفوظة عند أهل البيت (عليهم السلام) وعند بني هاشم (أهل الدار أدرى بما في الدار) .

ويقول الذهبي : إنّ ابن حزم كان يتختمّ بالذهب[2] يعني يلبس خاتماً مصنوعاً من الذهب ، في حين أنّ البخاري وغيره يروون روايات في حرمة التختّم بالذهب ولبسه وحرمة لبس الحرير للرجال .

وقد حكم أبوبكر بن أبي حزم المدينة بالتخويف والإرعاب ، كُلّ هذه الأمُور تذكر في تاريخ أبي بكر بن أبي حزم .

وهنالك ملاحظة هامّة يجب أن لا نغفل عنها ، ألا وهي أنّنا حينما نقلبّ كتب التاريخ وعلى الخصوص الكتب التي تتحدثّ عن الرجال ، مثلاً نلاحظ ماذا تقول عن ابن شهاب الزهري ؟ تقول عنه : ثقة ، ثبت ، أعلم .

ولكن لو نلاحظ من هم الموثّقون لهذا الشخص ؟ نجدهم خمسة أشخاص

1- تنوير الحوالك : ٥ ، صحيح البخاري ١ : ٣٣ ، أضواء على السنة المحمدية : ٢٦٠ ، الطبقات الكبرى ٢ : ٨٣٧ .
2- سير أعلام النبلاء ٥ : ٣١٤ .

يوثّقون الزهري ويوثّقون أبي بكر بن أبي حزم ، وكلُ هؤلاء الخمسة هم من قضاة بني أميةُ .

نحن في توثيق الرجال ، وعلى الخصوص بالنسبة للكتب التي طُبعت أخيراً في الدفاع عن هؤلاء الرجال والردّ على المستشرقين ، نحن طبعاً لا ندافع عن المستشرقين ، وكذلك لا نقتنع بالجواب الدفاعي الذّي أعطي للمستشرقين بأنّ الزهري أو ابن أبي حزم جمعوا العلم ودوّنوا السنن النبويّة وأنهّم موثقوّن ، هذه الأجوبة تضحك الثكلى ، لماذا ؟

لأنّ التوثيق المعتبر هو الذّي يصدر من شخص محايد لاتوجد عنده مصالح وأغراض من التوثيق ، أو لا يكون توثيقه بسبب تعصّب مذهبي ، فهؤلاء الأشخاص الذّين وثقّوا ، كلهُمّ أصحاب أغراض ومطامع ، وكلهمُ قّضاة لبني أمية ُ.

فإن كانوا حياديين فلِمَ لا يأخذون بتوثيقات سعيد بن المسيبّ الذّي لا ناقة له ولا جمل في النظام الحاكم ، وليس له مطامع دنيوية وأهواء شخصية ؟ !

إنّ سعيد بن المسيبّ لم يكتف ِبعدم التوثيق فحسب ، بل أظهر رفضه للجهاز الحاكم ، وأعلن أن بّني أميةُ غاصبون للخلافة .

والسؤال الّذي يرد هو : إذا كان سعيد بن المسيبّ مخالفا لًلسلطة الحاكمة ، فكيف ذكر اسمه في أسانيد الأحاديث ؟

نقول : إنّ هذه الروايات ليست هي عين الروايات التي قالها سعيد ، ليس عين اللفظ الذّي قاله سعيد ، بل هي روايات نسبت له ، وذلك لأنّ عبد الملك بن مروان حينما طلب من الزهري أن يدوّن الحديث قال له : إنّ أهل الشام لا يعرفون عن ولاية علي (عليه السلام) شيئاً ، فاحذر أن تذكر شيئاً من مناقبه [1] .

إذن يجب علينا في مسائل التوثيق والتضعيف أن ندقّق ونلاحظ هذه الأمُور ، فحينما نقرأ توثيقات كثرة لأبي بكر بن أبي حزم ، يجب أن نرى مَنْ هو

1- الصحيح من السيرة ٤ : ٣٥٨ .

الموثّق له ؟

هل هو ناصبي ؟

أو هل هو من أتباع بني أُمية وخصوصاً القضاة ؟

فهؤلاء لا اعتبار لتوثيقاتهم ; لأنّ هؤلاء تربّوا عند خلفاء بني أُمية في الشام ، بل إنهمّ أخذوا أموالا لجّعل أحاديث في السنة حسب أهواء الخلفاء .

إذن فتدوين السنّة الذّي حصل في الشام ، يعني الحركة منذ منع التدوين إلى التدوين لا قيمة لها عند مذهب أهل البيت (عليهم السلام)ولا تأثير لها ; لأنّها منفصلة عن أهل البيت (عليهم السلام) ، وليس لها تأثير علينا ،ولا يوجد أيّ شيء هام يمكن أن نعتمد عليه فيها .

وذلك لأنّ السنّة عند أهل البيت (عليهم السلام) ، ولهم كرسي درس وافقُ علمي خاص ّ، وقد أذعن الجميع لعلمهم ، فهذا الذهبي وغيره من قدماء علماء الرجال يصرّحون بأن لا أحد يقدر أن يبلغ عظمة أهل البيت في الحديث [1] ، ويعتبرونهم لائقين للخلافة والسيادة على الرغم من انوفهم .

ولو نلاحظ أهل السنّة أنهّم لا يبالون بنقل الحديث عن النواصب أو الذّين ليس لهم خبرة في الحديث ، ولكنهمّ لا ينقلون الحديث عن أهل البيت أبداً ،وهذا يكشف عن نواياهم السيئة .

مثلاً في ترجمة الإمام السجاد (عليه السلام) هنالك تناقض ففي طبقات ابن سعد ذكر أنهّ «كثير الرواية» [2] ، ولكن حينما سئل ابن شهاب الزهري : لماذا لا تروي عن الإمام السجاد ؟ . مع العلم أنّه عاش معه حوالي ٣٠ سنة . قال : «إنّ علي بن الحسين قليل الرواية» [3] .

1- انظر سير أعلام النبلاء ٤ : ٣٨٩ .
2- طبقات ابن سعد ٥ : ٢٢٢ .
3- تاريخ أسماء الثقات : ١٤٠ ، تذكرة الحفاظ ١ : ٧٥ .

فلماذا هناك كثير الرواية وهنا قليل الرواية ؟ فنقول لابن الزهري : أنت تربّيت عند السجاد (عليه السلام) ودرست الحديث عنده ، لماذا تقول عنه : إنّه قليل الرواية ؟

فهذه التناقضات لا يوجد جواب لها ،

وأمّا عدم نقل الصحاح الروايات عن أهل البيت (عليهم السلام) مع العلم أنّ أهل البيت (عليه السلام) لهم مقام علمي وحلقة تدريس ، فهذا بحث مفصّل آخر ، سوف نتعرّض له ،واذا استطعنا سنبحثه في الليلة القادمة .

لا آخذ من وقتكم أكثر من هذا ، ويبدو أنّ الوقت قد انتهى ،وعلينا أن نختم الكلام .

الأسئلة والأجوبة

سؤال : هل هذا البحث الّذي بحثتموه بحث تاريخي أصله عقائدي ؟

الجواب : نعم ، هذا المبحث يعود أصله لأمر عقائدي ، ولذلك طرح ،وهو علّة انقطاع الحديث عن أهل البيت (عليهم

السلام) ، ولم يرووا عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، فما هي العلة ؟

وهذه مسألة اعتقادية يجب الإجابة عنها .

فالرواية عن الإمام الصادق (عليه السلام) في الصحاح إمّا غير موجودة أو قليلة .

والمسألة الثانية هي هل أنّ حركة تدوين السنّة أمر ممدوح أو أمر مذموم ؟

وهذه مسألة قائمة بذاتها ، والبحث فيه جهات متعددة ، تطرّقنا إلى جهات منها ، وبقيت بعض الجهات ناقصة تحتاج إلى أجوبة .

وهنالك جهات معيّنة نحن في إيران نهتم بها ، وأمّا على نطاق الدول الإسلامية خارج إيران فقد بحثت على مدى ١٩- عاماً ، وعقدت الندوات المختلفة وأُسست منظمّات في مصر وغيرها لأجل بحث هذه الحركة ، وأعطوا أجوبة لإشكالات المستشرقين الّذين وضعوا علامات استفهام على أصل الإسلام وشكّكوا فيه .

أمّا أهل البيت فإنّهم لا يشكلون عليهم ; لأنّ الإسلام المعروف والمشهور في الخارج هو أحد المذاهب الأربعة الحنفية ، والمالكية والشافعية والحنبلية ، ولا ينصرف الإسلام إلى مذهب أهل البيت (عليهم السلام) ، ولذلك فإنّ إشكالات المستشرقين تتوجّه إلى المذهب السنّي يعني عليهم أن يجيبوا على إشكالات المستشرقين ، وأمّا نحن فنقول بعصمة الأئمة (عليهم السلام) ، ونقول بأنّهم ركن هامّ للإسلام ، ولكن للأسف لم يستفيدوا منهم ، ولم يأخذوا عنهم السنن المتداولة .

وابن شهاب الزهري متّهم بالقتل في العقد الفريد ، فهو قاتل ، وهو أوّل من دوّن الحديث ، وأوّل من صنفّ العلم هو هكذا[1] ! !

1- العقد الفريد ٥ : ١٣٥ .

سؤال : بالنسبة إلى عمر بن عبد العزيز تقولون : إنّه كان يلعن الإمام علي (عليه السلام) ، وهو من جهات أُخرى مخالف لها ؟

الجواب : حينما تولّى الخلافة . طبعاً هو من أحفاد عمر بن الخطاّب من بنته ، وابن عمر كان خاله ، ومعلمّه عبيد الله بن عبد الله بن مسعود . جاء إلى المدينة ، وكان عمر بن عبد العزيز يختلف إلى عبيد الله بن عبد الله (ابن مسعود) يسمع منه العلم ، فبلغ عبيد الله أنّ عمر ينتقص علي بن أبي طالب ، فأتاه عمر ، فقام يصلي ، فجلس عمر ، فلم يرح حتّى سلمّ من ركعتين ، ثمّ أقبل على عمر بن عبد العزيز فقال : متى بلغك أنّ الله سخط على أهل بدر بعد أن رضي عنهم ؟

قال : قال : فعرف عمر ما أراد ، فقال : معذرة إلى الله وإليك ، والله لا أعود . قال : فما سمع عمر بن عبد العزيز بعد ذلك ذاكراً علياً إلا بخير[1] .

وحينما تولّى زمام الخلافة أرجع فدكاً ، أرجعها على ما كانت عليه في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، يعني أرجعها إلى بيت المال ، وقد اشتبه البعض وتصوّر أنّه أرجعها لبني هاشم ، ولكن في تاريخ السنةّ مثلا فيِ كتاب «تاريخ مدينة

دمشق» يذكر أنّه أرجعها على ما كانت عليه في زمن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وقد كانت في حيازة بعض الأشخاص ، يعني استولى عليها بعض الأشخاص في زمن عثمان ، وعمر بن عبد العزيز أرجعها على ما كانت عليه في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ولم يرجعها لبني هاشم [2] .

ولذلك هنالك بعض الأشخاص أعجبوا بعمر لتصوّرهم الخاطىء عنه ، ولأجل هذه الأعمال فهو لم يكن هكذا قبل خلافته ، وكان يسب إلى أن بلغ عمره –٢٥– عاماً ، وذلك حينما جاء للمدينة لأجل الرئاسة .

1- تاريخ مدينة دمشق ١٣٦/٤٥ ، المعرفة والتاريخ ٥٦٨/١ ، سير أعلام النبلاء ١١٧/٥ ، البداية والنهاية ١٩٣/٩ .
2- تاريخ مدينة دمشق ٤٥ : ١٧٨ .

سؤال : لماذا كان يسب ؟

الجواب : كُلّ أولاد بني أُمية ولدوا على النصب !

سؤال : قصدي لماذا رفع السب ؟

الجواب : وذلك لأنّ سبّ الصحابة ولدّ مشاكل للخلافة الأموية في الشام ، وكذلك لتأليف قلوب بني هاشم وشيعتهم بعد أن حصلت لهم قوّة في المدينة ، وكذلك فإنّ سلطنة الأمويين تزلزلت منذ مقتل سيدّ الشهداء (عليه السلام) ، وبشكل كليّ فإن الدعاية والإعلام ضدّ السلطة في الشام قد توسّعت في البلدان المختلفة ، ولذلك استوحش الخلفاء من سبّ أمير المؤمنين (عليه السلام) خوفاً على خلافتهم من أن تزول وتضمحل .

ولذلك بدأوا يتشبّثون بعدّة أُمور لتأليف القلوب ، ويتخّذوا ظاهر ديني ، وهذه من صفات أهل الدنيا ، فهم حينما يحسونّ بوجود خطر على ملكهم يحاولون التظاهر ببعض الأُمور لتأليف قلوب العوام .

سؤال : ألم تكن فدك بيد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟

الجواب : من المفروض أن تعود لبني هاشم ، ولكن من باب حديث «لا نورث» ، وهو أنّ النبيّ لا يترك موراثاً ، والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لم يكن موجوداً ، وكذلك هم لا يعتقدون مثلنا أنّ فدكاً مُلك الزهراء (عليها السلام) ، بل يقولون : إنّها كانت بيد النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولمّا كان النبي غير حاضر فإذن يجب أن تعود لبيت المال .

سؤال : في زمن أبي بكر وعمر وعثمان كيف كانت ؟ هل كانت في بيت المال ؟

الجواب : لقد أُعطيت لأشخاص في زمن عثمان ، ولكن هؤلاء أرجعوها إلى بيت المال ، ويذكر ابن عساكر في «تاريخ دمشق» أنّها عادت على ما كانت عليه في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) [1] .

1- تاريخ مدينة دمشق ٤٥ : ١٧٨ .

فمن الأُمور الدينية البارزة التي قام بها عمر بن عبد العزيز رفع السبّ وإرجاع فدك لبيت المال .

وصلّى الله على محمدّ وآله الطاهرين .

ترجمة أم علاء الحسون

٢٥ ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ

بداية النبوة ٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيدّ الأنبياء والمرسلين محمدّ وآله الطيبين الطاهرين لاسيماّ بقية الله في الأرضين .

﴿ يَا أَيُّهَا الذِّينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكم فَاسَقٌ بِنبَأ فَتبيّنوا ﴾[1] .

البحث الّذي سنبحثه الليلة يدور حول رجال «صحيح البخاري» .

وقبل أن ندخل في البحث نبدأ بمقدّمة نتحدّث فيها عن أهمّية السنةّ في الأدلة الّتشريعية الأربعة وتشخيص موقعية السنة ، ثم بعد إتمام هذه المقدّمة نطرح بحثاً حول أهمّية الإسناد في الروايات التي يتوقّع عليها حجية السنة ، فكما أن للقرآن الكريم كتابنا المقدّس . موقعيةّ عظيمة عندنا نحن المسلمون ، وقد استحكم هذا الدين القويم ببركة هذا الكتاب السماوي ، كذلك السنةّ لها نفس هذا الوزن في حفظ الدين .

ترك بعض الصحابة الرواية عن النبي(صلى الله عليه وآله وسلم)

وقد مرّت السنةّ بظروف أثرّت عليها وخصوصا الّتقلباتّ السياسية للخلفاء ، ولذلك حصلت اختلالات في الحديث النبوي بسبب هذه الظروف التي أدّت إلى منع تدوين الحديث والسماح بتدوينه بعد ذلك بشروط .

الكثير من الصحابة الّذين أدركوا الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وسمعوا رواياته رحلوا عن هذه الدنيا ، والذّين بقوا على قيد الحياة اختلفوا فيما بينهم ، وبسبب الاختلاف في

1- الحجرات : ٦ .

فهم الرواية وتوّع الاستنباطات تنوّعت الخطوط الفكرية ، مثلا يقال : إن أنس بن مالك ذهب إلى الشام وحينما رأى الصلاة بكى ، فلمّا سئل عن سبب بكائه قال : « ضيعّتم الصلاة »[1] .

وقد ذكر هذه الرواية البخاري في صحيحه في باب «ضياع وقت الصلاة» ، وفي باب وقت الصلاة أيضاً ، وكذلك نلاحظ أنّ عبد الله بن مسعود أقام في الكوفة سنتين ولم يرو عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وحينما سئل عن سبب تركه للروايات قال : أخشى أن أنسب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) مالم يقله .

فهذه الفترة القصيرة جعلت الصحابة يخافون من إسناد رواية للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وينقل المؤرّخون امتناع عبد الله بن مسعود وسعد بن معاذ عن الرواية عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومن هذه الكتب التاريخية كتاب تاريخ دمشق الّذي هو الآن في متناول اليد ، وقد نقل كلّ الأحداث .

كان هنالك فقه الكوفة وفقه بغداد ، وهذان تابعان لمسلك حمّاد بن أبي سليمان في الكوفة والّذي تخرّج منه أبوحنيفة ، وكان هؤلاء يعرفون هذا الحديث الصادر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) «من كذب عليّ متعمّداً . . . .»[2] ، ولذلك يمتنعون من نقل الروايات ، وحينما يُسألون عن سبب الامتناع يقولون : نخاف أن نكذب على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولذلك استبدلوا السنّة بالمباني العقلية كالقياس والاستحسان ، ولذلك حصل ركود في تنظيم السنّة وتدوينها من قبل هؤلاء .

والعلّة التي أدّت إلى الاعتماد على المنهج العقلي والقياس هو رحيل الصحابة عن الدنيا وترك الحديث المنسوب للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) خوفاً من الكذب عليه ، ولهذا التجأوا إلى القياسات والأحكام العقلية ، وهذه الحالة فرضتها الظروف

1- صحيح البخاري ١ : ١٣٤ ، وراجع كتابنا « الإمام البخاري وصحيحه الجامع » : ٩ ـ ١١ .
2- لاحظ تاريخ مدينة دمشق ١٨ : ٣٣٣ ـ ٣٣٥ ، ٢٤ : ٢٣٧ ، ٣٤ : ٩٠ ـ ٩١ ، ٦٧ : ١٥٠.

الاجتماعية وأرادها الخلفاء ، وذلك لأنّ التعرّض لكتاب الوحي . القرآن الكريم . ليس بالأمر السهل والهيّن ، ولذلك لجأوا إلى تدمير السنّة لغرض الشريعة وتحطيمها ، وكذلك قاموا بإدخال الروايات المدسوسة والمجعولة في السنن النبويّة ، وبهذا فتحوا ثغرة في السنّة .

فهذا ابن الجوزي يذكر في كتابه الموضوعات وجود ١٤٠٠٠ – أربعة عشر ألف حديثاً موضوعاً ، وفي مكان آخر يذكر ١٢٠٠٠ – اثني عشر ألف حديثاً مجعولاً[1] .

فدخول هذا المقدار الكبير من الروايات المكذوبة في السنّة النبويّة لايعدّ عددا قليلاً .

ولهذا الأمر انبثق علم تصحيح وتضعيف الروايات عند المحدّثين ، وألّف العلماء كتباً تدور حول مباني الجرح والتعديل ، وكذلك كتبوا في الضعفاء وفي الموضوعات وفي المدلّسين ، وجمعوا أسماء الرواة الضعفاء ، كلّ هذا كان لأجل معرفة الراوي الجيّد من الراوي الضعيف .

وهذا التفكير تفكير جيّد وصحيح في بداية أمره ، ولكن لمّا كان العلماء يدورون في فلك السلطة الحاكمة ، وقد نصُبوا من قبلهم ; فلذلك اقتصر عملهم على الروايات النبويّة التي لاجدال فيها ، وكانوا يركّزون على السند أكثر من المتن ، ولذلك سعوا في نقل الأحاديث ذات السند الصحيح ، ولذلك يقال : إنّ البخاري ومسلم لم ينظروا إلى المتن أبداً ، وتركّزت عنايتهم على السند .

الآثار المترتّبة على الاهتمام بالمتن

وسبب هذا الشيء يعود إلى أبي حنيفة خرّيج المدرسة الكوفية والبغدادية فقد قال : لم يصح عندي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلاّ سبعة عشر حديثاً[2] . فهذا الكلام

1- الموضوعات ١ : ٣٨ ، ٤٨ .
2- تاريخ ابن خلدون ١ : ٤٤٤ .

دفع العلماء إلى البحث عن الروايات الصحيحة وجمعها .

وقد قال الخطيب في كتابه «نصيحة أهل الحديث» ، وهو كتيب صغير ولكن فيه مطالب دقيقة حول النقل التاريخي للمحدّثين وأهل الرأي الذّين اجتمعوا في بغداد ، وقد طعن فيهم بقوله : «أنتم الصيادلة ونحن الأطباء»[1] .

وكذلك حمّاد بن أبي سليمان خطب في الكوفة وقال : «يا أهل الكوفة رأيت عطاءً وطاووساً ومجاهداً ، فصبيانكم ، بل صبيان صبيانكم أفقه من محدّثين الحجاز»[2] .

وهؤلاء لا يرون المحدّثين والصحابة من المجتهدين .

والآن لو تدقّق في أُصول الأحناف تراهم لا يقيمون وزناً لعلماء المذهب الشافعي والمذهب الحنفي من الناحية الفكرية والفقهية ; وذلك لأنّ مباني الاجتهاد مختصّة بهم ، ويعتبرون أنفسهم رواد هذا الخط .

وقد قلنا في محاضرة سابقة أنّ من الأسباب والعلل التي أدّت إلى تأليف صحيح البخاري هو إخماد هذه الفتنة ، فالحمُيدي من الشيوخ المكثرين في الحديث ، وقد ابتدأ البخاري صحيحه بقوله : «حدّثنا الحميدي» ، وهذا الحميدي ذكروا أنّه صاحب البلايا ، وكان شيخ الحرم وهو مكّي قرشي ، ويحدّث في المسجد الحرام ، فهذا كان لا يقول : أبوحنيفة حينما يذكره ، بل يقول : أبوحنيفة ، ولمّا سئُل عن السبب قال : أخاف أن ينجس ذكره المسجد الحرام[3] .

لذلك البخاري يريد أن يثبت نفسه أنّه من أتباع الحميدي ، فلذلك ابتدأ صحيحه بقوله : «حدّثنا الحميدي» .

1- نصيحة أهل الحديث : ٤٤ ، وفيه عن الأعمش مخاطباً أبا حنيفة : (نحن صيادلة وأنتم أطباء) .
2- نصب الراية ١ : ٣١ ، تاريخ ابن معين ٢ : ٥٤ ، ميزان الاعتدال ١ : ٥٩٦ .
3- تاريخ بغداد ١٣ : ٤٠٨ .

وقد غيّر الحميدي انتماء البخاري المذهبي ، حيث إنّ أباءه وأجداده من بخارى كانوا على المذهب الحنفي ، ولكنهّ غوهّ إلى المذهب الشافعي .

وقد ذكرت هذه الأحداث بشكل مفصّل في الكتب ، وذلك عند ذكر الرحلات الخمسة التي قام بها البخاري إلى البصرة في زمن المتوكّل العباسي ، ولكلّ رحلة من هذه الرحلات أحداث مفصلة سوف نشرحها في فرصة أخرى .

إذن أهميّة السند لإثبات السنةّ أمر ضروري جداً ، ولما كانت السنة تتلو كتاب الله تعالى في الأهمية فإذن لابد منّ تصحيح أسانيدها .

الكتب المؤلّفة في الأحاديث الموضوعة

وقد أُلفّت كتب مستقلة في الأحاديث الموضوعة لفصلها عن الروايات الصحيحة ، وهذا أدىّ إلى قبول الصحاح الستةّ وعلى رأسها الصحيحين . على أنّ رواياتها صحيحة النسبة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فهل هذا الأمر صحيح ؟

هذا مطلب يحتاج إلى البحث في قضيته الصغرى ، وهو : هل أنّ كلّ ما جاء في الصحيحين صحيح أم لا ؟ فالبحث هو هل الصحيحان صحيحان أم لا ؟

وفي البحث السندي الّذي وعدنا أن نبحثه في هذه الليلة ، يجب أن يبحث عصر التدوين الذّي بحثناه في الليلة السابقة ، عصر التدوين الّذي تمثلّه دفاتر ابن شهاب الزهري التي أرسلت إلى البلدان بواسطة عمر بن عبد العزيز .

فأوّل من صنفّ في هذا العلم الزهري ، وأرسلت الدفاتر إلى البلدان ، وصارت هذه الدفاتر العروة التي يتمسكّ بها الناس حتّى لا يحتاجون إلى اللجوء إلى بيوت أهل البيت من بني هاشم لحلّ الاختلافات الموجودة في الأحاديث .

ولمّا كان الزهري خبيراً بالمغازي فأوّل كتاب ألفهّ كان في الغزوات ، غزوات النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) التي جمعت في عصره ، وقد جمع هذه الغزوات من الإمام السجاد (عليه السلام) ، وكتبها في زمانه .

ولكن حينما قدّم الكتاب إلى عبد الملك بن مروان فقرأه ورأى مناقب ومدائح الأنصار وكذلك مثالب وذمّ بني أمُية ، تأذىّ ولم يرض عليها .

ولذلك حصل أوّل تلاعب في تاريخ المغازي ، وحرفّت الأحداث على الخصوص في مدح الأنصار وذمّ بني أمُية .

ولذلك قام المحدّثون الخواء بالأسانيد الصحيحة بالإشارة إلى هذه القضايا والتصريح أحياناً بها .

وفي باب رجال البخاري الّذي هو بحثنا اليوم سنتطرق إلى مسألة تصنيف أنواع الرواة حسب بلدانهم .

أنواع الرواة في البخاري

يوجد في صحيح البخاري ثلاثة أنواع من الرواة :

القسم الأوّل : أهل الشام وأتباعهم .

القسم الثاني : رواة أهل البصرة ، والتي أُثيرت فيها في ذلك العصر مباحث الجهمية والمعتزلة والقدرية ، وصارت

البصرة مركزاً للمباحث الكلامية والعقائد المختلفة .

القسم الثالث : أهل الكوفة ، هنالك الكثير من الرواة السنّة من أهل الكوفة ، ولكن كانوا يرمون بالتشيّع ، وأحيانا ً رأي الخوارج .

في ضمن قسم أهل الشام أو أتباعهم هنالك القضاة والرواة المجنّدين لخدمة بني أُمية ، فهؤلاء يمثلّون شريحة من الذيّن ينقلون الروايات .

القسم الثاني والّذين هم من أهل البصرة ، فهؤلاء يتسّمون بالنصب تبعا ً لأهل الشام ، وقد سرى إليهم النصب من أهل الشام ، وعندنا نماذج من هؤلاء .

يذكر أنّ في زمن الحجّاج كانوا يلقون القبض على الناس ويسألوهم ، فإن لم يجيبوا إماّ يجلدوا واماإ ّتقطع أعناقهم ، ويوجه ّ لهم هذا السؤال : هل أنت رافضي ؟

وفي إحدى القصص قال رجل إجابة على هذا السؤال : كيف أكون رافضياً وأنا من أهل البصرة ؟ ! ففي ذلك الزمان كون الرجل من أهل البصرة يستلزم كونه ناصبياً[1] .

وبهذا ينال رخصة النجاة من يد الحجّاج ويصدر الأمر بإطلاق سراحه .

موقف البخاري في كتابه من أهل البصرة

وللبخاري عقيدة ضدّ أهل البصرة ، وله مبنى كلامي كتبه في كتاب خلق أفعال العباد .

وكتاب خلق أفعال العباد كُتب في عصر المتوكّل ، لماذا ؟ لأن ّالمتوكلّ أصدر أمرا للمُحدثينّ أن اجلسوا في مسجد الرصافة وفي مدينة المنصور وحدّثوا الناس بأحاديث في رد ّالجهمية والمعتزلة والروافض ، وانشروا أخبار التجسيم بين عامة الناس .

وهذه هي نفس الأخبار التي أراد اليهود أن ينشروها بواسطة الأحبار ككعب الأحبار وتميم الداري بين المسلمين ، فقد أمر المتوكّل ببثهّا بين الناس .

وحينما كتب البخاري كتاب خلق الأفعال قال فيه : ما أُبالي أن أُصليّ خلف اليهود والنصارى ولا أُصليّ خلف الجهمية والروافض[2] .

فهو بهذا الكلام أثبت كفر الجهمية وكفر المُرجئة .

ولكنّه في صحيح البخاري روى روايات كثيرة عن المرُجئة والقدرية والجهمية ، وهذا تناقض واضح منه وتهافت بينّ ، فكيف يقول في كتابه : إنّ الجهمية كفرة ، والمرُجئة كفرة ، والقدرية كفرة ، ولو خيرّت أن أُصليّ خلف اليهود والنصارى أو خلف المرجئة والجهمية والقدرية لاخترت اليهود والنصارى ، فهذا يعني أنّه يعتبر أنّ اليهود والنصارى أفضل من هؤلاء .

1- انظر لسان الميزان ٤ : ٤٣٩ .

2- انظر خلق أفعال العباد : ١٣ .

إذن كيف تروي عنهم وهذه عقيدتك بهم ، فقد ذكر الكثير عن المرجئة والجهمية والقدرية ؟ !

فهذا نوع من رواة البخاري ، وهذا تناقض بيّن بين كتاب صحيح البخاري وكتاب خلق أفعال العباد .

النقض الآخر على البخاري أنّ البخاري روى عن أشخاص ضعّفهم هو بنفسه ، يعني نحن أحيانا نَقول : إن الراوي الفلاني ضعيف ، فيقال : إنّه ثقة حسب مبنى البخاري ، فنحن إذا كنّا أصحاب مبنى فيجب أن نقبل هذا الشيء .

والمحدّثون مختلفون في مبانيهم ، مثلاً رواي حسب رأي يحيى بن معين ضعيف ولكنهّ ثقة حسب رأي أحمد بن حنبل ، فهذه مباني مختلفة ، ونحن في تصحيح الأحاديث يجب العمل بالمباني المطلوبة ، فإذن نحن نحتاج إلى مقدّمات لإكمال البحث .

أمّا هنا فلا نحتاج إلى مقدّمات ; لأن الرجال الذيّن ضعفهمّ البخاري في كتاب الضعفاء كيف يروي عنهم في كتابه الصحيح ؟ !

مؤلّفات البخاري

لأجل توضيح هذه المسألة يجب أن نبحث حول كتب البخاري :

ألّف البخاري –١٧– كتاباً ، –٣ – منها في الضعفاء ، أحدها بعنوان الضعفاء الصغير والآخر باسم الضعفاء الكبير .

الضعفاء الكبير عرف عنه أنّه مفقود ، وهنالك بعض الكتاّب يقول : ذكره البخاري في الضعفاء أو في الضعفاء الكبير ، فأين كتاب الضعفاء الكبير ؟ وقد ذكر كتاب الضعفاء الكبير على أنّه كتاب مفقود .

وأخيراً طبع في السعودية مجموعة تحت عنوان مؤلّفات محمدّ بن إسماعيل البخاري ، ذكروا في فهرست الكتب كتاب بعنوان «الضعفاء الكبير» .

الرواة الّذين يضعفهم البخاري ويروي عنهم في الصحيح

في مجال الرواة الّذين ضعّفهم البخاري في كتاب الضعفاء وروى عنهم في كتاب الصحيح ، سنذكر لكم أيهّا السادة نماذج منهم :

١ . عطاء بن أبي مسلم الخراساني .

روي البخاري عن عطاء بن أبي مسلم في تفسير سورة النور .

قال أبوزرعة العراقي : ذكره البخاري في الضعفاء ، والعجب من البخاري في إخراجه له في الصحيح مع ذكره في الضعفاء .

البيان والتوضيح للحافظ أبوزرعة العراقي .

٢ . عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أبوعتبة الدراني (ت ١٥٤ هـ) .

روى له البخاري في الصوم والأنبياء والمناقب ، وذكره البخاري في كتاب الضعفاء الكبير الّذي قلنا إنّه في عداد الكتب المفقودة .

وقال الذهبي : لم أر أحداً ذكره في الضعفاء غير أبي عبدالله البخاري في الضعفاء.

يقصد أنّ أحداً لم يضعفه سوى البخاري فإنه ذكره في كتاب الضعفاء الكبير .

٣ . مقسم بن بجرة مولى عبد الله بن حارث (ت ١٠١ هـ) .

روى له البخاري في المغازي وتفسير القرآن .

قال أبوزرعة العراقي : ذكره البخاري في الضعفاء وأخرج له في الصحيح ، وضعّفه ابن حزم وعقيب ذلك يقول الذهبي : والعجب أنّ البخاري أخرج له في صحيحه وذكره في كتاب الضعفاء ، فساق له حديث شعبة بن حكم عن المقسم عن ابن عباس[1] .

٤ . مروان بن الحكم .

مروان بن الحكم واحد من الرواة الّذين روى عنهم البخاري في صحيحه –٢٣– حديثاً .

1- ميزان الاعتدال ٤ : ١٧٦ .

وأُقدّم بحثاً عرضياً ، وهو أن (ابن حجر) ألف كتاب (فتح الباري) ، واحتاج في كتابه إلى مقدمة للدفاع عن رواة البخاري ، ولذلك ألّف (هدي الساري) دفاعاً عن رواة البخاري ، وقد أظهر هذا الكتاب علم ابن حجر ومهارته ، وقد أذعن الكثير من العلماء على أعلميّته وقالوا : لولا (هدي الساري) لما ظهر علم ابن حجر العسقلاني . والكتاب عبارة عن مقدّمة لفتح الباري .

ونحن حينما نقرأ هذا الكتاب ونقول للذين يقولون : إنّه لولا مقدّمة فتح الباري لما ظهرت أعلمية ابن حجر : إنكّم يجب أن تعلموا وتضيفوا إلى معلوماتكم أنّ ابن حجر حينما يدافع عن رواة البخاري يقول : إنّ البخاري ذكره في المتابعات أو إن له شواهد ، ولكن حينما نتفحّص نجد أنّ متابعات وتعليقات البخاري لا اعتبار لها عند العامة في مسانيدهم ، يعني الرواة الموجودين في التعليقات أو المتابعات أو الشواهد لاتدلّ على اعتبار الراوي ; ولذلك حينما يريد ابن حجر أن يدافع عن الراوي يقول : روى له البخاري في المتابعات ، يعني لم يروِ له في المسانيد وفي الروايات ذات السند التام .

ولكن نحن ذهبنا وتفحّصنا كلام ابن حجر عن الضعفاء الّذين يدافع عنهم ، ومنهم مروان بن الحكم هذا ، وقد قال ابن حجر عنه : إنّه روى صلح الحديبية فقط .

بينما نحن وجدنا له –٢٣– رواية في صحيح البخاري وذلك في : الأذان والحجّ والوكالة والعتق والهبة والشروط والجهاد وفرض الخمس والمناقب والمغازي وتفسير القرآن والأدب والأحكام[1] .

ورواية صلح الحديبية مشهورة ومفصّلة عن مروان الحكم ومسور بن مخرمة .

1- انظر صحيح البخاري ١ : ١٨٦ ، ٢ : ١٥١ ، ٣ : ٦٢ ، ١٣٩ ، ٢١٢ ، ٤ : ٢١٠ ، ٢١١ ، ٥ : ١٨٢ ، ٧ : ١٠٧ ، ٨ : ١١٥ .

إذن فهذا مروان شخص يضعّفه البخاري نفسه وينقل عنه بعنوان أنّه صحابي قد أدرك الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وشاهد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وسمع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في صلح الحديبية ،

ولكن بعد كُلّ هذا يقول في كتابه : قال البخاري : لم ير النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ! فإن لم ير النبي فكيف يروي صلح الحديبية بشكل مسند ؟ !

٥ .زياد بن ربيع أبو خواش اليحمدي .

روى له البخاري في المغازي وقال أيضاً : في إسناده نظر ، وقال العقيلي :زياد بن ربيع قال : البخاري : في إسناده نظر ، وقال الذهبي : قد احتجّ (بزياد) أبو عبد الله البخاري في جامعه الصحيح [1] .

٦ . عبّاد بن راشد البصري النزار .

روى له البخاري في التفسير ، قال الذهبي : أخرج له البخاري مقروناً بغيره ، ولكنّه ذكره في كتابه الضعفاء ، وقال النسائي : ليس بالقوي [2] .

٧ . حصين بن عبد الرحمن أبو هذيل السلمي (ت ١٣٦) .

روى له البخاري في كثير من أبواب كتاب الصحيح في مواقيت الصلاة والجمعة والجنائز والزكاة والصوم والبيوع والهبة والجهاد والسِير وفرض الخمس والأنبياء والمناقب والمغازي والطب والاستئذان والدعوات والرقاق والديات والتوحيد .

وهذا أيضاً ممّن ذكره البخاري في الضعفاء ، وابن عدي والعقيلي في كتب ضعفائهم أيضا [3] .

وكتاب الضعفاء هذا كما قلنا سابقاً مفقود ، ولمّا كان الأشخاص المذكورين

1- ضعفاء العقيلي ٢ : ٧٦ ، ميزان الاعتدال ٢ : ٨٨ .
2- ميزان الاعتدال ٢ : ٣٦٥ .
3- الكامل ٢ : ٣٩٧ ، ضعفاء العقيلي ١ : ٣١٤ .

في كتاب البخاري كثرة ، فإذا كان كتاب الضعفاء الصغير هو الضعفاء الكبير المفقود فهذا حجّة لبحثنا ، ولكن إذا كان كتاب الضعفاء للبخاري هو هذا الموجود في الأسواق فأقول : إنّ فيه سقطاً كثيراً ، وهذه من الإشكالات التي توجّه إليه .

وهذا الكتاب الّذي طبع أخيراً في الحجاز بعنوان مصنفات محمدّ بن إسماعيل البخاري وذكروا أنه مّن المفقودات ، ولكن الحقيقة أنّ الضعفاء الكبير لم يصل إلينا ، وقد ذكرنا هذا المطلب لارتباطه بالموضوع [1] .

أهميّة علم الجرح والتعديل

إذن نعلم أنّ الجرح والتعديل أمر هامّ جداً ، والروايات مرتبطة به لأجل تصحيحها ، يعني صحة الروايات متوقف على صحّة الأسانيد .

وإذا كانت أركان الاستنباط وأركان التصحيح وحجّية الخبر تتمّ بهذه المباحث ومتوقفة عليها ; لأنها مقدمات التصحيح ، فإذا كانت صحيحة فالسنّة صحيحة ، وإن لم تكن صحيحة فستكون حجية السنة تحت علامة الاستفهام ، فاذا لم يستطيعوا الجزم بحجيّة السنة ، وأنّ هذه الأحاديث صادرة عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فهذا أول الوهن وأول نسبة الكذب ، وهو فعل حرام .

إذن السنّة متوقفة على حجيّة الأدلة ، وهنا تكمن أهمية الجرح والتعديل ، ولهذا السبب نحن نعتني بها ونعتقد بحجية الخبر ، فيجب البحث عن الخبر والفحص عنه والمداولة حوله ، فإذا كانت أركان أهل السنّة غير تامة فكيف ينسبون السنة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ !

هنالك طائفتان من الأفراد يروي عنهم البخاري ، الطائفة الأولى : الشاميين ، والطائفة الثانية : أهل الحرمين والمتمثّل بعبد الله بن الزبير ، وبين هاتين الطائفتين صراع قائم لنيل الملك والحياة في الدنيا .

1- راجع كتابنا « الإمام البخاري ٣٥١ ـ ٣٦٤» .

فهنالك حلقة أو مثلّث يتمثّل بخلفاء بني أُمية في الشام ، وعبد الله بن الزبير في مكة وعروة بن الزبير في المدينة مع المسور بن مخرمة .

ومسور بن مخرمة هذا من الأفراد الّذين يجب أن يهتمّ بمواسته خواء الرجال ويبحثون في تعديله أو جرحه .

المسور بن مخرمة

والمسور بن مخرمة مقرّب من السلطة ، والدليل على ذلك حينما جاءت إلى الخليفة الثاني عمر بن الخطاب تحف وهدايا كثيرة إلى المدينة كان فيها برد يماني لايليق إلاّ بالخليفة ، ولكن حينما سألوا عمر : لمن ستعطي هذا البرد ؟

قال : لأفضل شاب في المدينة .

قالوا : من هو أفضل شاب في المدينة ؟

قال : المسور بن مخرمة[1] .

وقد كان المسور ينال رعاية خاصّة من عمر بن الخطاب .

أفضل الشباب في المدينة هما سيّدا شباب أهل الجنّة الحسن والحسين (عليهما السلام) ، وكان تاريخ تولدّهما مقارب لتاريخ تولّد المسور بن مخرمة وعبد الله بن عباّس .

فعلى أيّ أساس يكون المسور بن مخرمة أفضل شباب المدينة ؟ !

ليس إلاّ لأنّه روى رواية سيئة بحق أُم المؤمنين (عليه السلام) ، وهي رغبته بالزواج من بنت أبي جهل ، وقول النبي : فاطمة بضعة منّي ، في هذه الحادثة ، وأنّها علةّ قول النبي : من أغضبها أغضبني .

فهكذا يدخل المسور بن مخرمة الروايات إلى السنة النبوية[2] .

1- انظر سير أعلام النبلاء ٣ : ٣٩١ .
2- مسند أحمد ٤ : ٣٢٦ .

وكذلك عبد الله بن الزبير وعروة بن الزبير الناصبيان ، وهذا النصب الشديد أدّى إلى تنفرّ أتباعهم منهم وفرارهم إلى الشام .

وقد أدّى حبهّم للدنيا أنهّم أعلنوا الحرب على السلطة الحاكمة في الشام ، وهكذا اجتمع قطبان على أهل بيت النبي (عليهم السلام) .

ولذلك حينما ندقّق في هذه القضية نرى أنّ محمدّ بن مسلم ابن شهاب الزهري روى –١٢٠٥ – رواية في صحيح البخاري ، وهذه الروايات من غير المتابعات والتعليقات .

إذن فابن الزهري عمود خيمة التسنّن أفسد نفسه بصحبة الملوك ، منديل الأمراء ، معلمّ الحجاّج ، هذا الحجاّج الذيّ لا يستطيع أحد أن يدافع عنه لسوء سريرته وسيرته ، فالزهري معلّمه ، علمّه الحجّ ومناسك الحج ّ، فكيف تعترف بمثل هذا الشخص وتعتمد على الروايات التي يرويها عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ !

الزهري الّذي يروي رواية سيئة في حقّ علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، هذه الرواية التي لا نستطيع قراءتها في كلُ ّ مكان ولأيّ شخص كان ، وهي أنّ أمير المؤمنين حفيت أظافره من كثرة ما كان يتسلقّ على أزواج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ؟ ![1]

فمثل هذا الشخص الّذي يزرع بغض أمير المؤمنين (عليه السلام) في القلوب ، كيف تقول : إنهّ من أصحاب السجاد (عليه السلام) وإنّه من خواصّ علي بن الحسين (عليهما السلام) ؟ ! من المستحيل أن يجتمع هذان الأمران فيه .

عاش ابن الزهري –٤٥ – سنة في حاشية بني مروان ، وكان معلّم أطفال بني أُمية والكثير من الخلفاء تربوّا على يديه ، فيجب أن نبحث في الأقوال الصادرة من هؤلاء ، ويجب أن نحقق في حجّية رواياتهم وما نسبوه للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) .

وأمّا الإمامية فإنهّم يحققوّن كثيرا فيِ الراوي ويضعفوّن الراوي لأبسط إشكال ، ولا يأخذون رواياته بنظر الاعتبار ، والرواية الصحيحة عندهم هي الرواية

1- تاريخ الإسلام ٧ : ٥١٧ ، وفيات ٣١١ ـ ٣٢٠ .

ذات السند الصحيح ، والرواة الثقات الّذين لا توجد مشكلة في جرحهم وتعديلهم .

نكتفي بهذا المقدار ; لأنّ الوقت أدركنا حسب الظاهر ، وإذا وجد عند السادة الحاضرين مطلب أو سؤال فنحن في خدمتهم .

الأسئلة والأجوبة

سؤال : بالنسبة إلى الاختلاف الواقع ما بين صحيح البخاري ورجال الضعفاء الكبير ، يحتمل أنّ نظره قد تغيّر فلا يوجد تناقض في هذه الحالة ؟

الجواب : في مقام الجواب عن هذا السؤال نقول : لو سلّمنا بصحة هذا الادعاء فستبرز مشكلة أُخرى ، وهي عدم تمييز رواة صحيح البخاري ، مثلاً ، محمّد مشترك في الرجال مثلاً في عشرة أشخاص أو أكثر ، وقد قال ابن حجر : إن هذه من تدليسات البخاري ، لماذا ؟

لأنّ من شيوخ البخاري محمّد بن يحيى الذهلي ، وهذا الشيخ من الأشخاص الذّين اتهموا البخاري ، وفي أي مدينة يحل فيها البخاري يرسل رسالة إلى الوالي أن أخرج هذا الرجل من مدينتك ، ومن الّذين وجّهت لهم رسائل أبوزرعة وأبوحاتم الرازيين وكانا في الري ، رحل البخاري إليها بعد البصرة وبغداد وتوقّف فيها .

وكان أبوزرعة وأبوحاتم من الشيوخ المكثرين بنقل الحديث في كتب الصحاح ، بل إنّهما من أركان مذهب العامّة ، وحينما وصلتهم الرسالة أخرجوا البخاري من ري ، فذهب إلى نيسابور ، ولمّا كان محمّد بن يحيى شيخ أهل خراسان أخرجوا البخاري من نيسابور بعد أن وصلته الرسالة .

ويقال : إنّ لمحمّد بن يحيى الذهلي – ٤٠ – رواية في صحيح البخاري ، ولكنّه لم يصرّح ولو مرّة واحدة باسمه ، مرّة يقول : عن أبي عبد الله ، وأحياناً يقول : محمّد ، وتارة أُخرى ينسبه إلى جدّه . وهذه عدت من تدليسات البخاري .

وأمّا كتاب الضعفاء الكبير فإنّه ألفّه قبل تأليف الصحيح ، ويذكر ابن حجر أن الصحيح متأخر عن الضعفاء ، يعني كتاب الصحيح آخر كتاب كتبه ، وأمّا كتاب التاريخ الكبير فإنّه صنفّه عند قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في ليال مقمرة ، يعني ألّفه في المدينة .

ويقول ابن حجر في كتاب تهذيب التهذيب : إنّ كتاب البخاري في الواقع هو كتاب العلل لعلي بن المديني ، سرقه البخاري وكتبه في بخارى .

ولو سلّمنا بصحة هذا الإشكال وأنّه غيرّ رأيه ، فلماذا لم يصرّح أو يشير إلى هذا التغيير ويقول ضعفته في الكتاب الفلاني والآن غيّرت رأيي ، هذه طريقة العلماء في تحديد النسخ في الرأي ؟ ! وأمّا البخاري الذّي فيه تدليسات فمبحث التدليسات مبحث هامّ ، وأحد العلماء يقول : إنّ تدليس العلماء خدعة ، بل جعله البعض في مصاف الذنوب الكبيرة .

وذكر البعض أنّ تدليسات البخاري من نوع التدليس في الشيوخ والتدليس في الشيوخ يعتبر جرماً .

سؤال : في كتاب الكافي نرى شيئاً يشبه هذا ، كقوله : عدّة من أصحابنا أو عن أحدهما عن محمّد عن أحمد ؟ !

الجواب : نعم ، عندنا مثل هذا الإسناد في رواياتنا ، ولكن صرّح من هم أصحابنا ، فالكليني من باب ذكر كلّ شيوخ

الرواية جملةً يقول عدّة من أصحابنا ،وعندنا قرائن في تحديد هؤلاء العدّة أو تحديد محمدّ هل هو محمد بّن مسلم أو محمد بّن يحيى .

وهو ليس مجهولاً كاملاً ; لأنهّ ذكر في سند آخر أو في رواية أخُرى من هو محمد ّ، وفي أي طّبقة من طبقات رواة الكافي .

ولا يوجد لدينا واحد من رواة الكافي بقي مجهولاً إلى الأبد .

وقد ذكر هذا في الكتب الأربعة أو أنّ تلاميذهم ذكروا ذلك .

وإذا رأينا محمّد بن إسماعيل النيسابوري أو من أهل خراسان فهنا قد دارت عليه بحوث رجالية وتمّ توثيقه أو تضعيفه ، فنحن لسنا كالعامّة يكون محمدّ مشتركا بًين الضعيف والصحيح ، يعني لا يوجد تمييز عند العامةّ وتحديد بين ّوكامل ،وهذا يؤدّي إلى سقوط الرواية .

وعدم التمييز في السند يعتبر جرماً ، يجب أن يحصل التمييز ، ولذلك نلاحظ أنّ من إبداعات المجلسي التي بذل جهدا فًيها تمييز الأسانيد في مرآة العقول أو في البحار أو في كتاب الوجعة على الخصوص ، فقد ميّز وصحّح ، وسعيه مشكور .

أمّا عند العامةّ فإن ّابن حجر فقط هو الذيّ عمل في هذا الميدان وألفّ كتاب التغليق والتعليق ،وهكذا كتاب دفع الانتقاض في الردّ على العيني ، ولكن الأجل لم يمهله لإتمامه وبقي ناقصاً .

وفي كتاب التغليق والتعليق إشكالات أوردها على العيني في كتابه «عمدة القاري» ، وقد سعى لتمييز المشتركين في البخاري كما عملنا نحن في بعض كتبنا الحديثية ، وذلك بجلب قرائن للكشف في حالة حصول تقطيع في السند أو أنّ السند غير تام مثلاً ، ولكن حتىّ ابن حجر لم يسلم عمله من المغالطات لتبرير الأخطاء .

ولا وقت لدينا للخوض في إشكالات هذا الكتاب ، وقد طبع كتاب التغليق والتعليق في مجلدين ،وهكذا كتاب «دفع الانتقاض» في الفترة الأخيرة في السعودية .

وفي الختام وصيّتي أنّ هذه المواضيع التي حصل فيها اهتمام في الحوزة وبعض الانتشار ونحن الآن في عصر الارتباطات وكثرة وسائل التواصل ، وذلك لكثرة التهجّمات على مذهب التشيّع ، فيجب أن نعمل ونتسلحّ .

وإذا بقينا على هذه الأفكار البسيطة والتي نعرضها بشكل بسيط وبدائي فنحن إمّا نعرض بشكل بدائي أو لا نوصلها بالشكل المطلوب وخصوصاً في كتبنا التي نصدرها إلى خارج البلاد ; فسوف يشكلون عليها أو يضحكون منها .

فالواقع يجب علينا أن نعمل ونتسلّط على مباني ومناهج العامةّ ، ويجب علينا إذا أردنا الخوض بدون أن نطلع على أسُسهم الفكرية فسوف نتعرّض لمشاكل

واتّهامات تلصق بمذهبنا وبالحوزة العلمية في قم بالخصوص .

ولكن الحمد لله فهنالك تحرّكات قد تمتّ لأجل تعليم الأساليب الفنية ، وقد تمتّ الإجابة على الكثير من المطالب .

وفي كُلّ يوم هنالك الفضائيات تقول شيئاً ، ونحن على رغم الجهود المبذولة لا زال فقواء في هذا المجال .

ويجب أن نعمل بشكل يخفف من تصاعد الإشكالات علينا ، ولكن في الحقيقة لا يوجد لدينا خواء في هذا المجال يستطيعون أن يجيبون على كُلّ الأسئلة ، ويردّون عن كلُ الشّبهات المطروحة . ويجب أن تكون الأجوبة ناضجة وصحيحة لا أنّ العدو يقول شيئاً ونحن نردّه بشيء آخر ، كلُ واحد يتكلم في واد .

أنا قلت لأحد الأشخاص الّذين ألفّ كتاباً : إن كتابك حصل رد عليه فهل قرأت الرد ؟

قال : لا ، ومتى كان ذلك ؟

قلت : قبل سنتين .

فنحن هكذا نجهل الكثير من الأمور بحيث إنّ شخصاً يردون على كتابه وهو نائم لا يدري ! يجب أن يكون هو أولّ مطلع على الرد ، وعدم الاطّلاع يدل على الاستخفاف بالمطالب ، بل يجب أن يكون الاطّلاع بالمستوى المطلوب ، ولا أطيل عليكم أكثر من ذلك ، ولا آخذ وقتكم ، وأشكركم كثيراً على لطفكم واستماعكم .

ترجمة أم علاء الحسون

١١ جمادي الثاني ١٤٢٦ هـ

الصفحة 437

(٤٣ . ٤٤) الغلو بين المطرقة و السندانة

السيّد عادل العلوي

الصفحة 438

الصفحة 439

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيدّ الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمدّ وآله الطيبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين .

إنّ الشيعة الإمامية الاثنا عشرية قد ظلموا من قبل بعض المستشرقين وبعض مؤرخي الإسلام من المسلمين ، وهذا الظلم يُعدّ من الظلم الثقافي على الشيعة والتشيعّ ، كما أن أئمة الشيعة قد ظلموا ، رموز التشيع قد ظلموا ، فما منهم إلا مقتّول أو مسموم أو مشرّد ، والتشيعّ والشيعة على مرّ العصور وطوال التاريخ الإسلامي نجدهم قد ظلموا من قبل الأعداء والأصدقاء ، مظلومية الشيعة واضحة في التاريخ ، المظلومية الاجتماعية والمظلومية السياسية والمظلومية الاقتصادية ، كما يحدّثنا التاريخ

بما فعل معاوية بن أبي سفيان حيث كان يمنع أن يُعطى من الديوان لشيعة أمير المؤمنين ، فكانت محاربة اقتصادية ضدّ الشيعة آنذاك .

والظاهر أنّ المحاربة الثقافية هي أمرّ الحروب والغزوات على التشيّع والشيعة ،ولازال بعض المسلمين في مصنفاتهم ومؤلّفاتهم يحملون على الشيعة الإمامية الاثني عشرية الجعفرية بالخصوص على أنهّم من الغلاة ، وبما أنّ الغالي مذموم عند كُلّ المسلمين كما أنهّ مذموم عند المذاهب وأتباع الأديان الأخرى أيضا فلذا وكان خير ما يمكن أن يحطم كّيان التشيع وّيهدم بنيانه هو اتّهام الشيعة بالغلو ،والحال أنّ الأئمة (عليهم السلام) وأصحاب الأئمةّ قد أنكروا على الغلاة ،وحاربوا الغلاة ، وبيّنوا زيف الغلاة وبطلان عقائدهم ومنهجهم ،وأنهّم ملعونون لعنهم الله في الدنيا وفي الآخرة ، كما سيتضّح هذا المعنى عندما أتعرّض إلى روايات الأئمةّ (عليهم السلام) وكيفية محاربتهم للغالي وللغلو .

الكتب المؤلّفة في الردّ على الغلاة

أنّا نجد أصحاب الأئمةّ (عليهم السلام) قد كتبوا في الردّ على الغلاة ، أذكر لكم بعض المؤلفاتّ والمصنفاتّ التي قد فقدت إلا أنّها من قبل الأصحاب ، يعني قد كتبت من قبل أصحاب الأئمةّ (عليهم السلام) ، منهم : الفضل بن شاذان بن خليل النيسابوري ، من أصحاب الإمام الجواد (عليه السلام) ، له كتاب في الردّ على الغالية المحمّدية ، وسأذكر لكم فرق الغلاة ومنها الفرقة المحمّدية ،وحسن بن علي بن فضّال الكوفي توفيّ سنة ٢٣٢ هـ ، له كتاب في الردّ على الغالية ،وأبو إسحاق الكاتب إبراهيم بن أبي حفص ، من أصحاب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) ، له كتاب في الردّ على الغالية ،وأبو الخطاء أبو الحسن علي بن ميزيار الأهوازي ، من أصحاب الرضا والجواد والهادي (عليهم السلام) ، له كتاب في الردّ على الغلاة ،وأبو جعفر بن أورومة القمي ، من أصحاب الإمام علي الهادي (عليه السلام) ، له كتاب في الردّ على الغلاة ، ويونس بن عبد الرحمن القمي ، من أصحاب الرضا (عليه السلام) ، له كتاب في الردّ على الغلاة ،وأبو جعفر محمّد بن حسن الصفار المتوفىّ سنة ٢٩٠ هـ ، له كتاب في الردّ على الغلاة ،وأبو القاسم سعيد بن عبد الله الأشعري القمي المتوفىّ سنة ٣٠١ هـ صاحب كتاب المقالات والفرق ،وغير ذلك من أصحاب الأئمّة (عليهم السلام) .

كما أنّه عندنا من الكتب القديمة التي تعدّ مصادر لمثل هذا البحث . بحث الفرق وبحث الغلاة . كتاب المقالات والفرق لسعد بن عبد الله الأشعري ، وبيان الأديان لأبي المعالي محمّد الحسين الحسيني العلوي تأليف سنة ٤٨٥ هـ ، ومن كتب أبناء العامّة من أقدم الكتب : التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لمحمّد بن أحمد بن عبد الرحمن الشافعي ،والفرق بين الفرق لعبد الله القاهر البغدادي المتوفّى سنة ٤٢٩ هـ ،والفصل في الملل والأهواء والنحل لأبي محمّد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري المتوفّى سنة ٤٥٦ هـ ،والتبصير في التدين

للإسفرائيني ، وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين لأبي المظفر ، ومقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري ،والملل

والنحل لمحمّد بن عبد الكريم الشهرستاني ،واعتقادات فرق المسلمين للفخر الرازي .

ومن كتب المعاصرين : الشيعة من فرق الغلاة في العراق لأحمد حامد الصرّاف ،وهوية التشيّع للشيخ أحمد الوائلي ، والعلويون بين الأسطورة والحقيقة لهاشم عثمان ،وآراء أئمّة الشيعة في الغلاة للشيخ ميرزا خليل الكمرئي ، وتاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة لعبد الله الفياض ،والغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية لعبد الله سلوم السامرائي ، وتاريخ الشيعة إلى القرن الرابع لمحمّد جواد مشكور ، طبعاً هناك مؤلفّات كثيرة في هذا الباب ذكرت بعض هذه المؤلفاّت لمن أراد التحقيق والمراجعة .

من أين بدأت مسألة الفرق ؟

ورد في الحديث الشريف عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) أنّه قال : ستفترق أُمّتي كما افترقت أمةُ موسى وأمةُ عيسى ، فستفترق أُمّتي إلى ثلاث وسبعين فرقة ، كما أنّ أمةُ موسى افترقت إلى واحد وسبعين فرقة ،وأمةُ عيسى إلى اثنين وسبعين ،وأُمّتي إلى ثلاث وسبعين ، وبطبيعة الحال فرقة واحدة ستكون هي الناجية والباقية من الهالكين .

هذا الخبر [1] ينقله السنّة والشيعة إلاّ أنهّ في كتب السنةّ بالنسبة إلى تعيين الفرقة الناجية يقولون : إن الفرقة الناجية هي ما عليه أنا وأصحابي ، وفي خبر آخر ما عليه الجماعة وعند الشيعة الفرقة الناجية ما عليه أمير المؤمنين وأولاده المعصومين (عليهم السلام) فأصل الخبر موجود وأنّه ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة ، يبقى

1- الكافي ٨ : ٢٢٤ ، الوسائل ١٨ : ٣١ ، بحار الأنوار ١٠ : ١١٤ ، ٢٨ : ٤ ، ١٣ ، ٣٠ ، ٣٠ : ٣٣٧ ، مسند أحمد ٢ : ٣٣٢ ، ٤ : ١٠٢ ، سنن ابن ماجة ٢ : ١٣٢١ ، المستدرك ١ : ٦ ، ١٢٨ و١٢٩ .

بالنسبة إلى تعيين الفرقة الناجية ، فمن المسلمين من يقول : الصحابة والجماعة ، ومنهم من يقول : العترة الطاهرة .

الحق مع مَنْ ؟

بعين الإنصاف وبالتحليل العقلي والتاريخي لو أردنا أن نقول : بأنّ الفرقة الناجية ما عليه أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) نجد بعد رحلة النبي قد اختلف الأصحاب اختلافاً شديداً منذ اليوم الأول ولا زال جسد النبي (صلى الله عليه وآله) ملقى على الأرض ولم يدفن ومن يوم السقيفة ، فكيف تكون الفرقة الناجية ما عليه الأصحاب ؟ !

الأصحاب هم اختلفوا فكيف يكونون هم الفرقة الناجية ؟ !

وكذلك بالنسبة إلى الجماعة ينقلون على أنّ النبي (صلى الله عليه وآله) بشّر عشرة بالجنةّ ، ومن ناحية أخرى نجد بعضهم يلعن بعضاً وبعضهم يكفرّ بعضاً ،ولابد أن يكون الحق واحدا ،والحق إماّ معّ علي (عليه السلام) أو مع عدوه ومثاوئيه ، فلا يُعقل أن تكون الفرقة الناجية عبارة عما عليه الصحابة أو الجماعة .

ثُمّ الفرقة الناجية واختلاف الفرق إلى ثلاث وسبعين فرقة نجد الكتاّب الذين يكتبون عن الملل والنحل وقعوا في حيص وبيص بأنّه ما المراد من الفرقة الناجية والفرقة الهالكة ؟ وكيف أنهّ ستفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة يا ترى هل في الفقه

اختلافهم أو في الأصول ؟

قالوا : هو في الأُصول والعقائد إلاّ أنهّ عندما نرجع إلى التاريخ نجد الفرق أكثر من ثلاث وسبعين فرقة ، بل فقط الشيعة وفقط الغلاة وصلت الفرق بهم إلى أكثر من مائة فرقة ، فهذه الفرق تتنافى مع الحديث الشريف ، لذا حاولوا أن يقولوا : بأنّه بعض الفرق لقلّة أصحابها لا تعُد فرقة من الفرق . ثم يُرى هذه الفرق بعد رحلة النبي (صلى الله عليه وآله) مباشرة إلى أي فرقة تكون الفرق ، يا ترى إلى يوم القيامة ؟ كيف يكون الأمر حيث نجد دائماً في كُلّ زمان تظهر فرق وتدعّي الإسلام فتزداد يوماً بعد يوم إلى أكثر من مئات وألوف الفرق خلال التاريخ الإسلامي .

على كُلّ حال تجد الاختلاف في تفسير الفرق المختلفة ، والظاهر أنّ المراد النبي (صلى الله عليه وآله) ليس تعيين ثلاث وسبعين فرقة بالخصوص ; لأنّه نجد الفرق اليهودية ليست عبارة عن واحد وسبعين فرقة ، وكذلك في المسيحية ليست الفرق عبارة عن اثنين وسبعين .

والظاهر أنّ المراد من ثلاث وسبعين كما في السبعين الكثرة وليس العدد المخصوص ، فالمراد هو الكثرة باعتبار العرب في مقام الكثرة يستعملون السبعين ، والنبي (صلى الله عليه وآله) أراد أن يُبيّن هذا المعنى بأنّ أتباع موسى على نبينا وآله وعليه السلام يفترقون ، ثُمّ بعد ذلك أتباع عيسى بن مريم يفترقون ، إلا أنهّ افتراق المسيحية والنصارى أكثر من افتراق اليهودية كما نجد هذا المعنى الآن أنّ الفرق المسيحية تزيد عن الفرق اليهودية بدرجة ، وبما أنّ الإسلام دين عالمي وأبدي بطبيعة الحال ستكون الفرق فيه أكثر من الفرق اليهودية والمسيحية بدرجة باعتبار عمومية الدين وخلود الدين . وهناك من يدّعي المذهبية والتديّن إلا أنهّ خارج عن الدين .

وهذا المعنى يزداد يوماً بعد يوم ، فلذا تكون الفرق بالنسبة إلى المسلمين أكثر مقارنةً إلى المسيحية واليهودية .

هذا هو ظاهر الحديث الشريف وليس خصوص ثلاث وسبعين حتّى نقع في مشكلة التعداد وأنّه كيف نحجمّ هذه الفرقة أو نكثر هذه الفرقة .

هذا بالنسبة إلى أصل وجود الفرق بين المسلمين باعتبار هذا الحديث الشريف ، طبعاً هناك من ينقد هذا الحديث الشريف من حيث السند ، ولكن يكفينا في صحّة هذا الحديث أنّه وقع ، وأدلّ دليل على إمكان الشيء وقوعه .

وهذا الاختلاف قد وقع ، وما أكثر الاختلاف بين المسلمين وما أكثر الفرق الإسلامية ، فعليه يمكن أن يقال بأنّ الفرق سبعون ، أو ثلاث وسبعون أو مزاد على ذلك ، وهذا العدد من باب الكثرة وليس الخصوصية في العدد ، ثُمّ بعد ذلك لابدّ أن تكون من هذه الفرق فرقة واحدة ناجية والباقية هالكة ، والفرقة الناجية لا يمكن

أن يكون ما عليه «أنا وأصحابي» ; لأنّ الأصحاب اختلفوا ، ولا يمكن أن يكون ما عليه الجماعة ، فإنّ الجماعة اختلفت بالوجدان ، فيبقى أن تكون الفرقة الناجية ما عليه العترة الطاهرة كما تدل على ذلك الأدلّة العقلية والنقلية كحديث الثقلين

والسفينة والغدير وغيرها الكثير ، وهو ثابت في محلّه .

تعريف الغلو

الغلو لغةً : الغليان من غلَيَ وهو يعني الإفراط وتجاوز الحد ، فإن الماء عندما يتجاوز حده في الحرارة ويزداد عن المائة درجة ، فإنّه يغلي لأنّه تجاوز الحد ، ومن يتجاوز الحد يكون غالياً ، فالغلو بمعنى الإفراط[1] . هذا المعنى قد ورد في القرآن الكريم في أربعة مواضع ، في موضعين بالمعنى اللغوي والغليان بالخصوص : ﴿ كَالمُهْلِ يَغْلِيْ فِي البُطُونُ * كَغَلِي الحَمِيْمِ ﴾[2] ، وفي موردين بمعنى الغلو في الدين : ﴿ لا تَغْلُوا في دينِكم ﴾[3] ، فيكون بمعنى الزيادة وبمعنى الإفراط عمّا عليه الدين المقدّس .

الغلو في المصطلح يقال : وهذا من الظلم الثقافي على التشيّع أنّه عندما يقال الغلاة أو الغلو يتبادر إلى الذهن التشيّع والشيعة ، بل عندما يقال الشيعة يتبادر إلى الذهن الغلاة ، فكأنّما الغلو فقط منحصر في التشيّع والشيعة والحال عندما نرجع إلى الفرق الإسلامية نجد أنّ هناك فرقاً عديدة من الغلاة من السنة أيضاً ، كالغلاة العباسيّة الذين يقولون بألوهية المنصور العبّاسي ، الخليفة العبّاسي ، فهناك من يقول بألوهيته ويسمون بالغلاة العباسيّة ، وهم ثلاث أو أربع فرق تنسب إلى الغلاة العبّاسية .

فالغلو والغلاة لم يكن في الشيعة فقط ، وإنّما بين كلّ المسلمين ، هذا أولاً .

1- انظر كتاب العين ٤ : ٤٤٦ ، تاج العروس ١٠ : ٢٦٩ .
2- الدخان : ٤٥ ـ ٤٦ .
3- النساء : ١٧١ .

وثانياً : من الذين اتّهم الشيعة الاثني عشرية بالغلو ابن تيمية في كتابه (منهاج السنة) ، واليوم أتباعه الوهابية التكفيرية الذين يكفّرون المسلمين ، ويتّهمونهم بالشرك ، ويتهّمون الشيعة من المسلمين بالغلو أيضاً .

ثُمّ بالنسبة إلى الشيعة المراد من الغلو والغلاة الغلو بمعنى الزيادة والإفراط في العقيدة ، فإنّه ينقسم الغلو إلى قسمين في بداية الأمر : الغلو في الذات والغلو في الصفات ، الغلو في الذات بالنسبة إلى الله سبحانه وتعالى ، فإنّ الغالي يتجاوز الحد ويدّعي الألوهية والربوبية لغير الله ، فيكون غالياً في الذات ، أي : في الذات الإلهية ، كالعلبائية الذين يدعّون الألوهية والربوبية لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ومن الفرق الغلاتية الجعفرية[1] يدّعون الألوهية لجعفر الصادق (عليه السلام) ، ومن الفرق الغلاتية الخطّابية يدّعون الألوهية لابن الخطاب .

والغلو في الصفات هو أنّ هذه الصفات الإلهية . الخالقية والرازقية و . . . لغير الله وأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) هو الذي يرزق ويخلق ، أو أنّ الإمام والولي هو الذي يرزق ويخلق ، فهذا يسمّى الغلو في الصفات .

معنى الغلو في الذات والصفات

نحن نعتقد بأنّ اللهواحد أحد لا شريك له ، لا ثاني له ، لا ضدّ له ، لا ندّ له ،ولا تركيب فيه فهو واحد أحد ، ونعتقد بالتوحيد في الذات بأنّهواحد أحد في ذاته ، وكذلك التوحيد في الصفات بأنّ الصفات الإلهية لله فقط لا يشترك فيها غير الله هذا يُسمّى التوحيد في الصفات ،وعندنا التوحيد في الأفعال بأنّ ما يصدر من الله سبحانه وتعالى إنماّ هو لله ، ومن التوحيد في الأفعال أنّه ليس في الدير ديّار إلا ّهو ،وعندنا التوحيد في العبادة فإن ّالمستحق للعبادة هو الله سبحانه وتعالى .

1- هذا في قديم الزمان دون الجعفرية في يومنا هذا باعتبار مقارنتهم بالمذاهب الأربعة السنيّة الحنفية والمالكية والشافعية والحنبليّة ، فعرفت الإمامية الاثنا عشرية بالجعفرية باعتبار أنّ الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) رئيس مذهبهم ، وذلك من باب التسامح ، ولتمييزهم من باقي المذاهب المطروحة اليوم في البلاد الإسلامية .

هذه الأقسام الأربعة في التوحيد في علم الكلام ،والغلو إنّما يكون تجاوز هذا الحد بمعنى أن ننسب التوحيد الذاتي لغير الله فنقول بألوهية غير الله سبحانه وتعالى فيكون غلواً في الذات ،والغلو في الصفات ننسب الصفات الإلهية لغير الله سبحانه وتعالى فيكون من الغلو في الصفات ، طبعاً هذا المعنى لم يذكر في الكتب ،والغلو في الأفعال معناه أنّ ما كان لله سبحانه وتعالى في مقام الفعلية والفاعلية ننسبه لغير الله فيكون غلواً في الأفعال ، وكذلك الغلو في العبادة أنّ الله يستحق العبادة فإذا عبد الإنسان غير الله .والعياذ بالله . سيكون غالياً حينئذ ، فالغلو في العبادة من يعبد القمر والشمس والأحجار والأصنام ، وفرعون فإنّه يكون من الغلاة حينئذ ; لأنّه غلا في العبادة ، تجاوز الحد في العبادة ، وكلُ مّن يتجاوز فهو غالي .

الغلو في الذات يوجب الكفر وكذلك الغلو في الصفات وفي الأفعال وفي العبادة إلاّ أنّه بالنسبة إلى الصفات والأفعال وقع اختلاف بين علماء الشيعة منذ اليوم الأوّل على أنّ الغلو في الصفات وكذلك في الأفعال دون العبادة . فإن ّالغلو في العبادة يوجب الكفر ويوجب النجاسة فإنّ الكافر نجس . بأيّ حد ّيوجب الشرك ، وبأي حّد يوّجب النجاسة ؟ أن يكون غاليا فهوً نجس ; لأنّ الخوارج والنواصب والغلاة يعدوّن في الفقه الإمامي من الفرق الكافرة ، أي : وبحسب الحكم الفقهي يحكم عليهم بالنجاسة ، فمتى يكون الغالي نجساً بالنسبة إلى الصفات وبالنسبة إلى الأفعال ؟

اختلفت الشيعة في بداية الغيبة الكبرى في عصر الشيخ الكليني والشيخ الصدوق عليهما الرحمة إلى مدرستين : المدرسة القمّية ،والمدرسة البغدادية .

المدرسة القمّية تتمثّل بالمحدثّين وعلىرأسهم ابن الوليد أستُاذ الشيخ الصدوق والشيخ الصدوق عليهما الرحمة ،والمدرسة البغدادية تتمثّل بالفقهاء والمحدثّين وعلىرأسهم الشيخ الكليني والشيخ المفيد وتلامذة الشيخ المفيد كالسيدّ المرتضى والشيخ الطوسي شيخ الطائفة .

فوقع النزاع بين المدرستين بالنسبة إلى الغلو في الصفات ، فالمدرسة القمّية تقول : بأنّ الغلو في الصفات كلُيّ تشكيكي له مراتب طولية وعرضية ، فأولى المراتب في الغلو في الصفات هو كُلّ من لم يعتقد بسهو النبي (صلى الله عليه وآله) فهو غالي ويستحق اللعن وإن لم يكن كافراً ، فكلُ مّن لم يقل بسهو النبي (صلى الله عليه وآله) فهو من المفوضّة وعليه لعنة الله ،

هذا ما تعتقده المدرسة القمّية .

المدرسة البغدادية .والحقّ مع المدرسة البغدادية . تعتقد أنّ كلُ مّن قال بسهو النبي (صلى الله عليه وآله) فهو مقصر في حقّ النبي (صلى الله عليه وآله) ، وبعبارة أُخرى الغلو هو : تجاوز الحد من الطرفين وانِ أُستعمل في الطرف الإفراطي أكثر ممّا يستعمل في الطرف التفريطي .

الغلو تارة بمعنى الإفراط وأُخرى بمعنى التفريط ، فبالنسبة إلى الإفراط يُعبرّ عنه بالغالي ، وبالنسبة إلى التفريط يعبُر عنه بالمقصّر والقالي ، وكلاهما على جهل ; لأنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) في نهج البلاغة يقول : لا يرى الجاهل إلا مُفرِطاً أو مُفرِطا[1] ، فالإفراط علامة الجهل والتفريط علامة الجهل أيضاً .

فالمدرسة القمّية تقول : إنّ كلُ مّن لم يقل بسهو النبي (صلى الله عليه وآله) فهو غال ،وابن الوليد يقول : إن أوّل مرتبة الغلو[2] أن لا نعتقد بسهو النبي (صلى الله عليه وآله) ،وحتّى عند الشيخ الصدوق أنّ من يقول بالشهادة الثالثة في الأذان فهو من المفوّضة وعليه لعنة الله[3] . فيلعن ويعتبره من درجات الغلو في الصفات .

ولكن المدرسة البغدادية تقول : إنّه إنمّا نقول بالغلو في الصفات فيما إذا نسبنا الصفات الإلهية للأئمة (عليهم السلام) أو للرسول (صلى الله عليه وآله) أصلاً وبالذات ، أي : إذا نسبنا ذلك على نحو الاستقلال وبالذات فإنّ ذلك يستوجب الفسق والكفر ويكون من الغلاة ،

1- نهج البلاغة ٤ : ١٥ ، الحكمة ٧٠ .
2- من لا يحضره الفقيه ١ : ٣٥٩ ـ ٣٦٠ ، ذيل ح ١٠٣١ .
3- وسائل الشيعة ٤ : ٦٤٨ .

يعني نقول كما عند المفوّضة من الغلاة ، طبعاً سيأتي إن شاء الله بحث حول الجبر والتفويض بالتفصيل ،وأنّ عندنا مفوّضة معتزلية ومفوّضة من الشيعة ، وفرق بين الفرقتين المفوّضة من الشيعة الغلاة يقولون بأن الله سبحانه وتعالى فوّض أمر الخلق إلى الأئمّة (عليهم السلام) ، فالأئمة يفعلون ما يشاؤون باختيارهم على نحو الاستقلالية من دون إذن ربّ العالمين ومن دون الحول والقوّة الإلهية أبداً ; لأنّ الله سبحانه وتعالى فوّض الأمر إليهم على نحو الإطلاق ، يقولون بالرازقية والخالقية للأئمّة (عليهم السلام) على نحو الذاتية والاستقلالية كما لله ذلك .

وأهم نزاع بين المدرستين القمّية والبغدادية بالنسبة إلى علم الإمام وعصمة الإمام ، فإنّ سهو النبي (صلى الله عليه وآله) يرجع إلى العصمة ، ونحن نقول : إنّ النبي (صلى الله عليه وآله) والإمام (عليه السلام) من المعصومين ، عُصموا عن الخطأ والزلل والسهو والاشتباه ، وكُلّ ما فيه عنوان الشين فإنهّم عصموا عن ذلك ، هذا ما تقوله المدرسة البغدادية .

ولكن المدرسة القمّية تقول . طبعاً المدرسة القميّة في الزمن القديم لا في يومنا هذا . إن مّن يعتقد بعدم سهو النبي (صلى الله عليه وآله) فهو من الغلاة ،وأنّ النبي لا يعصم عن السهو . هذا النزاع بالنسبة إلى السهو وبالنسبة إلى العصمة .

وهناك نزاع آخر بين المدرستين وهو عبارة عن علم الإمام ،وهل أنّ الإمام يعلم الغيب أو لا يعلم الغيب ؟

المدرسة القمّية تقول بأنّ الإمام (عليه السلام) يعلم موارد جزئية فقط كما ورد في الروايات ، وذلك إذا شاء الله فيعلم بهذه الموارد .

المدرسة البغدادية تقول بأنّ الإمام (عليه السلام) عالم بما كان وما يكون وما هو كائن ، فهو عالم على نحو كلّيّ إلا أنّه إذا قيل هذا العلم على نحو الاستقلالية وبالذات فهذا من الغلو في الصفات ، ويكون القائل به كافراً ونجساً ، ولكن المدرسة البغدادية تقول : إنّما ننسب هذه الصفات إلى الأئمّة (عليهم السلام) على نحو الطولية ، نقول : الإمام عالم بما كان وما سيكون وما هو كائن على نحو الطولية في

علم الله ، في طول علم الله ، وبإذن من الله ، الله أذن له أن يكون عالماً بهذا العلم العامّ بحيث الإمام صاحب الأمر يقول عليه الصلاة والسلام : الدنيا وهذا الكون الوحب ليس عندي إلاّ كفلقة جوزة [1] .

إذا كانت الجوزة مفلوقة عندكم ترون في باطن الجوزة أين الصالح والفاسد منها فأنا أرى الدنيا هكذا ، أرى الكون هكذا ، أرى هذه العوالم هكذا ، الله سبحانه وتعالى أعطاه هذا العلم ، هذا ما تقوله المدرسة البغدادية .

فإذن النزاع بين المدرستين بالنسبة إلى العلم بالغيب وبالنسبة إلى العصمة ، فالمدرسة القمّية تقول بأنّ أولّ مراحل الغلو من لم يعتقد بسهو النبي (صلى الله عليه وآله) وما شابه ذلك وبسهو الإمام أيضاً ، ولكن المدرسة البغدادية تقول كما ورد في الحديث الشريف : «قولّونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم من الفضائل ولن تبلغوا» [2] . حتّى أنّ الإمام الصادق عليه الصلاة والسلام يقول : ما وصل إليكم منّا إنّما هو ألف مكسور [3] ، وليس الألف المستقيم يعني نصف الألف وصل إليكم ، ثمانية وعشرين حرفاً عندنا الحرف الأول حرف الألف ما وصل إليكم منا في فضائل أهل البيت ومقاماتهم ومنازلهم ليس إلا نصف الألف .

وأمير المؤمنين يقول : «قولّونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم ولن تبلغوا» [4] . ما شئتم عام يكفيك أنّ بالنسبة للجنّة التي هي ليست إلاّ دار استراحة المؤمنين يوم القيامة ، النبي الأكرم يقول .وهذا عند الفريقين السنّة والشيعة : إنّه في الجنّة ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين وما لم يخطر على قلب بشر [5] . هذه الجنّة التي هي ليست إلاّ دار استراحة فيها ما لم يخطر على قلب بشر ، يعني مهما

1- بصائر الدرجات : ٤٢٨ ، الاختصاص : ٢١٧ ، مستدرك الوسائل ١٧ : ٢٩٧ .
2- الهداية الكبرى : ٤٣٢ ، الصراط المستقيم ١ : ٩٥ ، الاحتجاج ٢ : ٢٣٤ .
3- الخصال : ٦١٤ ، الاحتجاج ٢ : ١٣٣ .
4- مستدرك سفينة البحار ٧ : ٥٣ .
5- ثواب الأعمال : ٤٤ ، الأحاديث الطوال : ٩٣ .

فكّرت بالجنّة ونعيم الجنّة هناك أشياء أخُرى لم تخطر على ذهن الإنسان ، فإذا كانت الجنة هكذا فكيف بأرباب الجنة ؟ فكيف بأصحاب الجنّة ؟ فكيف بأئمّة الجنّة ؟ فكيف بالذين خلقُت الجنة من نورهم ؟

بلا شك كُلّ ما نقوله في فضائل أهل البيت (عليهم السلام) ليس إلا كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : قولوا فينا ما شئتم ولن . لنفي التأبيد يعني أبداً . تبلغوا ، وما قلتموه إنّما هو عشر معشار أو معشار عشر ، معشار عشر يعني واحد من مائة ; لأنّ العشر واحد من عشرة ، والمعشار يعني واحد من عشرة ، فيكون واحد من مائة كُلّ ما نقول في فضائل أهل البيت (عليهم السلام) في المدرسة البغدادية ليست إلاّ واحد من مائة ، إلاّ أنهّ لا يعدُ هذا من الغلو ; لأنه كّل مُا نّقول في أهل البيت (عليهم السلام) نقوله على نحو الطولية في الله سبحانه وتعالى لا على نحو العرضية .

هذا ما نقف عليه من خلال روايات الأئمّة (عليهم السلام) ، الأئمّة ينكرون على الغلاة الرزقية والخالقية ; لأن هناك من الغلاة من ينسب الرزق والخالقية لنا ، ونحن نتبرّأ منهم ، لكن عندما نرجع إلى الرواية نرى أنّ النبويّ منهم باعتبار أن الغلاة يقولون بهذه الصفات على نحو الشركة .

الشركة متى تصدق ؟

الشركة إذا حجارة رفعها شخصان فحينئذ يقال عنهما : إنّهما رفعا الحجارة بنحو الشركة ، يقال عنهما : شريكان في رفع هذه الحجارة ، فالشركة إنّما يكون أحدهما في عرض الآخر ، فإذا قلنا بالرزقية للأئمة وقلنا بالخالقية للأئمة في عرض خالقية الله ورزقية الله يكون ذلك من الغلو ، وهو كفر ، وهو باطل ، وكُلّ من يقوله نلعنه ، وعليه لعنة الله ولعنة الرسول والأئمة وجميع الناس والملائكة ; لأنّ هذا المعنى يستلزم تصغير الله سبحانه وتعالى .

ومشكلة الغلاة من حبّهم في بعض الأحيان ومن جهلهم في الموارد الأُخرى ، كما سأذكر علل الغلو عند الشيعة وأنهّ في بعض الموارد نجد أنّهم من

إفراط حبّهم ومن جهلهم أرادوا أن يعظّموا الأئمة فصغروّا الله سبحانه وتعالى ، صغروا عظمة الله سبحانه وتعالى ، فهذه الشوكة تؤم تصغير الله ، ألوهية علي بن أبي طالب (عليه السلام) تصغير لله سبحانه وتعالى ، لكن إذا قلنا على نحو الطولية : وأنّهم مربوبون وعبيد ، أشهد أنّ محمدًا عبده ورسوله ، فنقول بأنهمّ عبيد ، عبيد لله سبحانه وتعالى ، ولكن مع هذا نقول الله سبحانه وتعالى أعطاهم هذا المقام الشامخ ، ما المانع بأنّ الله سبحانه وتعالى يعطيهم ذلك .

الإمام العسكري (عليه السلام) يدخل عليه رجل فارسي يتكلّم معه بالفارسية ، ويدخل عليه آخر يتكلّم بلغته ، وثالث بلغة ثالثة ، وربما رابع وبلغة رابعة ، فيتعجّب بعض الأصحاب ويقول : يا بن رسول الله ، أتعرفون اللغات ؟

قال : نعم ، نعرف اللغات العالمية كُلّها .

فتعجّب الراوي من ذلك ، فالإمام أراد أن يرفع تعجبّه على أنّ الله سبحانه وتعالى قادر على أن يعطي علم اللغات إلى ذبابة ، قال : نعم ، قادر أن يعطي علم اللغات إلى ذبابة .

ما المانع من ذلك مع وجود المقتضي وعدم المانع بأنّ الله سبحانه وتعالى يجعل حيواناً يتكلمّ بكلُ اللّغات كالببغاء حيوان يتكلّم بكلُ اللغات ، يمكن ذلك لوجود المقتضي وهي القوة الإلهية المطلقة وعدم المانع ، فيقول الإمام : نحن لسنا أقل من ذبابة عند الله سبحانه وتعالى فإنّه أعطانا هذا العلم .

هذه النكتة المهمّة في غلو الصفات بأنهّم يقولون كلُ مّا لنا من هذه المقامات الله سبحانه وتعالى أعطانا ذلك .

بعبارة أُخرى : لا يقاس بالله أحد ، كلُ شيء في مقابل الله لا شيء حتىّ النبي حتىّ الأئمة ، لا تخف قل ذلك في مقابل الله لا شيء ، كُلّه عدم في مقابل الله ، ﴿ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾[1] ، والفقير يعني المعدوم الذي

1- فاطر : ١٥ .

لا شيء له ، وقال سبحانه مخاطباً نبيّه ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾[1] ، وقل الخطاب للنبي الأكرم ، النبي ناقص العلم في مقابل الله ; لأنّه لا يقاس بالله أحد ، ولكن بالقياس إلى الناس الأئمة (عليهم السلام) قالوا : لا يقاس بنا أحد ، الله سبحانه وتعالى اختار هذه الصفوة أربعة عشر معصوماً ليعطيهم هذه المقامات الشامخة من اليوم الأول منذ الخلقة منذ بدء الخلقة في عالم الأنوار ، خلق نور النبي الأكرم من اليوم الأوّل ، وأعطاه هذه المقامات ، وأنّه صاحب الحقيقة المحمدّية ما المانع من ذلك .

﴿ أَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴾[2] ، على نحو المجازية يطلق الخلق على المخلوق أيضاً ﴿أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ ﴾[3] .

إذن هو صانع إلاّ أنّ صانعية ابن مريم (عليه السلام) تكون في طول صانعية الله ، صانعية عيسى بن مريم ونفخ عيسى بن مريم في هذا الطين فيكون طيراً إنمّا هو بإذن الله ، إنمّا هو في طول الله .

أمّا إذا كالنصارى نقول : ثالث ثلاثة فهو من الغلاة ، إذا كاليهود نقول : إنّ عزيز ابن الله فهو من الغلو .

وإذا قال أحد : إنّ علي بن أبي طالب (عليه السلام)ربّ وإله فهو من الغلاة عليه لعنة الله ، أماّ إذا قلنا بأن هذه الصفات كلها في عوض الله كما في المدرسة البغدادية ،وهي المدرسة الحاكمة الآن على العقائد الشيعية ، الشيعي إنّما يعتقد بأئمته (عليهم السلام) بهذه العقيدة بأنّ الإمام مظهر لأسماء الله ،وأنّه خليفة الله في أرضه ، إنمّا يستخلف الله في أي شيء ؟

يستخلفه في أسمائه الحسنى وصفاته العليا ، فالإمام يكون مظهراً لأسماء الله ، إذا كان اللهرازقاً فما المانع أن يكون الإمام رازقاً أيضاً ، ولكن لا على نحو

1- طه : ١١٤ .
2- الواقعة : ٥٩ .
3- آل عمران : ٤٩ .

الاستقلالية وبالذات حتّى يلزم الغلو في الصفات وإنمّا على نحو الطولية ، كما ورد في الخبر المعتبر : «نحن صنائع الله والخلق صنائعنا»[1] كما عن صاحب الأمر (عليه السلام) فأيّ إشكال في هذا ؟

فإنّه ليس من الغلو أن نقول : نحن صنائع اللهوالخلق صنائعنا في طول صانعية الله سبحانه وتعالى ، إذا كان سبحانه وتعالى ربّ العالمين مربيّا لهذا الكون فإنه بعد التربية الإلهية إنماّ تكون التربية النبوية ، ثم بعد التربية النبوية إنما تكون التربية العلوية ، ثمّ بعد التربية العلوية إنمّا تكون التربية الفاطمية ، ثم التربية الحسينية والحسنية وهكذا كلُ الأئمة (عليهم السلام) تربيتهم إنّما هي في عوض تربية الله ، وبإذنه فبهذا المعنى لا يلزم الغلو في الصفات خلافاً للمدرسة القميّة القديمة ، حيث كانت تعتقد أنّ هذا من أوائل مرحلة الغلو في الصفات .

وأمّا موقف الأئمة بالنسبة إلى الغلو والغلاة هذا ما سيأتينا غداً إن شاء الله .

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

1- الأنوار البهيّة : ٣٥٣ ، الكنى والألقاب ٢ : ١١١ .

الأسئلة والأجوبة

سؤال : إنّ من الواضح أنّ الاختلاف قائم في الأصول بين المدرسة القميّة والبغداديةولا تكون النجاة إلا بالرجوع إلى واحدة من تلك المدرستين ، فما هو الدليل لمواصلتنا بتقديس أعلام المدرسة القمّية إلى يومنا هذا ؟ هذا أولا .

وثانياً : ما هي الأسباب التي دفعت المدرسة القميّة للذهاب إلى ما ذكرتم ، وفضلهم لا ينكر على أحد ؟

الجواب : أمّا جواب السؤال الثاني فهو ، بالنسبة للدافع إلى المدرسة القميّة فإنهّا ابتليت آنذاك بالغلاة في إيران ، يعني كانت المدرسة القمّيةردّة فعل للغلاة في إيران ،والذي يعبرّ عنه بالعلي اللهية أو العلياثية ، حيث كانت هناك طوائف كثيرة من

الإيرانيين يعتقدون بألوهية علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فلذا في مقابل هؤلاء المدرسة القمّية لكي تحجّم نشاط الغلاة وفساد الغلاة ، كما سنذكر أنّ الأئمة (عليهم السلام) كيف يحذرّون الأصحاب وشباب الأصحاب من فساد الغلاة وعقائد الغلاة ، لكي يحجّموا ذلك أخذوا بهذه المقولة بخلاف المدرسة البغدادية ، المدرسة البغدادية كانت الظاهرة ، وكانت الحكومة آنذاك لأبناء العامّة السنيين ، وبطبيعة الحال كانوا من المقصويّن في حق الأئمة عليهم الصلاة والسلام ، ويعتبرونهم مجرد علماء ، يعتبرونهم مجرد رواة للحديث ، وأمّا أنّه إمام معصوم ولابدّ من مودته ، وأنه مفروض الطاعة مطلقا ، ويعلم الغيب بإذن الله فإنّ هذا المعنى لم يكن عندهم ، ولازال يعتقدون بهذا الشيء ، فلذا المدرسة البغدادية كأنّما كانت ردةّ فعل في مقابل أولئك ، وكلا الطائفتين استفادا من الروايات الصحيحة ، يعني عندنا مثلا بالنسبة إلى أولى مراحل المعرفة للتشيّع بأنْ يعرف أمامه بمقدار ، وعندنا هناك مراحل أُخرى لمعرفة الأئمة (عليهم السلام) ، المعرفة عندنا جلالية وجمالية وكمالية ، ثلاث مراحل ، فأغلب الشيعة إنّما يعرفون الأئمة بمعرفة جلالية يجلوّنهم عن غيرهم كما في زيارة

الجامعة ، «ما من شريف ووضيع وعالم وجاهل ومؤمن وطالح إلاّ عرفهم جلالة أمركم» ، هذه معرفة جلالية ، كلُ واحد من المسلمين يعرف الأئمّة بمعرفة جلالية .

وهناك عندنا معرفة جمالية فوق المعرفة الجلالية . طبعاً هذا المعنى ذكرته من قبل فلا أريد أن أُعيده مرةّ أخرى . ، وعندنا معرفة كمالية أكثر من المعرفة الجمالية ، أُمثلّ لك مثالا حتىّ يتضّح الأمر مثلا العين الباصرة ، فإنه إذا رأينا ظاهر العين والشكل الهندسي للعين عرفنا العين بمعرفة جلالية ، بأنّ العين تجلّ عن الأنف وتختلف عن الأنف بهندستها الخاصة ، هذه معرفة جلالية ، وإذا رأينا العين الشهلاء فحينئذ نعرف العين بمعرفة جمالية جمال العين بأنّها شهلاء ، وإذا عرفنا العين بأنّها لا تنظر إلى امرأة أجنبية محرّمة ، عرفنا كمال العين ، أي : عرفنا العين بمعرفة كمالية .

هذه المعارف تختلف ، فالذين كانوا يقولون بالنسبة إلى المدرسة القمّية بمعرفة الأئمة بهذا المقدار هم على حق باعتبار المحيط الذي كان يحيطهم به ، والبيئة التي كانوا يعيشون فيها بهذا المقدار بأنّه معرفة جلالية ، ولكن نحن نقول المعرفة الجلالية يستلزمها التقصير ، وربّما الضلال الذي هو عين التوقفّ وعدم الوصول إلى المطلوب في مقابل الهداية التي بمعنى إراءة الطريق أو الإيصال إلى المطلوب ، لذا الشيخ المفيد عليه الرحمة يقول : إذا كانت هذه النسبة إلى الشيخ الصدوق بأنّه من لم يعتقد بسهو النبي (صلى الله عليه وآله) فهو من الغلاة إذا كانت نسبة صحيحة . يعني الشيخ المفيد في تصحيح الاعتقاد يشكك في هذه النسبة يقول إذا كانت هذه النسبة صحيحة . فكُلّ من يقول بهذا القول فهو من المقصويّن قد قصرّ في معرفة الأئمّة ، فما من وضيع وشريف إلاّ عرفهم جلالة أمركم ، فالمعرفة الجلالية فيها نوع من التقصير ، ولكن باعتبار أنها أولى مراحل المعرفة كالصف الأوّل يكون على حق باعتبار الصف الأوّل باعتبار المعرفة الجلالية ، وأماّ بالقياس إلى المعرفة الجمالية فهو مقصّر ، المدرسة البغدادية إنّما تعرف الأئمة بالمعرفة الجمالية وكذا

وتُعرف الأئمة ، كما في كتاب الكافي في كتاب الحجة عندما نجد الروايات في معرفة الأئمة واقعا إنها معرفة كمالية وجمالية وليست معرفة جلالية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الصفحة 458

الصفحة 459

بداية الندوة ٤٤

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله سيد الأنبياء والمرسلين أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين .

عطفاً على ما سبق في حديثنا حول الغلو والغلاة حيث ذكرنا أن الشيعة والتشيع في مؤلفات ومصنفات المستشرقين وكذلك بعض الكتاب المسلمين قد ظلموا ظلامة ثقافية ، حيث إنهم وأخواً لاسيما من قبل الوهابية وكتاب الوهابية نرى أنهم يحكمون على الشيعة بصورة عامة حتى الشيعة الإمامية الاثنا عشرية بالغلو ، وأنهم من الغلاة ، بطبيعة الحال الهدف إبعاد المسلمين عن الشيعة والتشيع ; لأن الغلو منبوذ كما في الأمم السابقة ، فنرى من الكتاب من ينسب عقائد الغلاة ومعتقدات الغلاة إلى الشيعة بصورة عامة .ولابد من توضيح هذا المعنى ومن رفع الظلامة ، فدار الحديث حول فرق المسلمين ، وأن هذه الفرق إنما ذكرت في كتب الملل والنحل باعتبار ما ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) في كتب الفريقين السنة والشيعة بأنه ستختلف أمته إلى ثلاث وسبعين فرقة فرقة ناجية والباقية من الهالكين . ثم بعد ذلك ذكرنا بعض الكتب المؤلفة في رد الغلاة من قبل أصحاب الأئمة (عليهم السلام) ، وكذلك من قبل الكتاب ومن قبل علماء الشيعة الإمامية بالخصوص ، ثم دار الحديث حول الغلو والغلاة لغة واصطلاحاً ، وانتهينا إلى أن الغلو بمعنى الإفراط والزيادة في الشيء أو التفريط وإن كان الأول هو الأشهر .

الصفحة 460

الصفحة 461

رجوع الغلو إلى التوحيد بأقسامه الأربعة

ويرجع الغلو في الواقع والحقيقة إلى التوحيد بأقسامه الأربعة ، ففي علم الكلام عندنا التوحيد الذاتي ، والتوحيد الصفاتي ، والتوحيد الأفعالي ، والتوحيد العبادي «التوحيد في العبادة » ، فالغلاة زادوا في هذه المرحلة وفي هذه الأقسام الأربعة للتوحيد ، بمعنى أنهم نسبوا الألوهية لغير الله فغلوا في الذات ، ويسمى الغلو في الذات ، ونسبوا الصفات الإلهية لغير الله على نحو

الاستقلال وبالذات ، فكان من الغلو في الصفات ، وهناك الغلو في الأفعال وهو نسبة أفعال الله لغير الله ، والغلو في العبادة معناه أنّهم عبدوا غير الله .

الصفحة 462

الصفحة 463

أهم فرق الغلاة

فرق الغلاة : لا بأس أن أشير إلى أهمّ الفرق المعروفة بالغلو من عصر أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وإلى عصر الإمام الصادق والباقر (عليهما السلام) ، ثُمّ بعد ذلك عصر الأئمة (عليهم السلام) ، ثم الغيبة الصغرى ، وربما تنتهي الفرق إلى أكثر من مائة فرقة من الغلاة .

ولكن ابتداءً نجد أصحاب الكتب التي تتعرّض إلى تعيين الفرق يقسمون الشيعة إلى ثلاثة أقسام : الزيدية والإمامية والغلاة ، ثُمّ بعد ذلك يقسمون الغلاة إلى عشرين طائفة وإلى عشرة طوائف وإلى اثني عشر طائفة وإلى ستين وفي بعض المؤلفات إلى مائة طائفة غلاتية ، وحتّى فرقة الخطابية يقسمونها إلى خمسين فرقة ، أهمّ هذه الفرق السبئية ، وأولّ من يكتب عن الغلاة يتعرّض إلى هذا المعنى على أنّه هناك عبد الله بن سبأ من اليهود ودخل الإسلام لكي يحطمّ الإسلام ويخلق الفتن ، وهو كان السبب في فتنة عثمان حيث ألقى الخلاف بين الأصحاب ، ومن ثُمّ قال بألوهية علي بن أبي طالب (عليه السلام) ; لأنّ عنده عقائد يهودية .

وهذا المعنى عندكم واضح باعتباركم أرباب تحقيق ومن أهل المطالعة أنّ قصّة عبد الله بن سبأ ليست إلا أُسطورة في التاريخ ، ولم ينقلها إلاّ الطوسي عن سيف بن عمر ، وهو من الوضّاعين ومعروف بالكذب والافتراء ، وأنّه من الزنادقة ، فنجد بعدئذ كُلّ من كتب عن الغلاة ينسب الغلاة ابتداءً إلى عبد الله بن سبأ آخذاً مِن الطوسي ومن هذا المؤرخّ ، ويكفيكم ما كتبه العلاّمة العسكري في كتابه «عبد الله بن سبأ» .

أذكر لكم على السريع الفرق ، ثُمّ أدخل في موضوع آخر :

من الفرق السبئية الكيسانية أتباع المختار بن أبي عبيد الثقفي إلاّ أنّ ما ينسب إليه باطل كما هو ثابت في التاريخ .

الصفحة 464

وأمّا في عصر الباقر (عليه السلام) فالكربية : أتباع أبي كرب الضرير ، والجناحية : المنسوبة إلى عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر الطيّار ، والمغيرية : المنسوبة إلى مغيرة بن سعيد البجلي ، والبيانية : المنسوبة إلى بيان بن سمعان التميمي النهدي ، وهو من السبعة الذين لعنهم الإمام الصادق (عليه السلام) كما سيأتينا ذلك ، وأنّه ممن يتنزّل عليهم الشيطان ، والحارثية : أتباع عبد الله بن الحارث المدائني ، وهو من السبعة الملعونين أيضاً ، والمنصورية والمحمّدية ، والخطابية : أتباع محمّد بن مقلاص الأسدي المعروف بابن الخطاب من السبعة الملعونين ، وهو من الإباحية ، فتركوا الواجبات وارتكبوا كُلّ المحرمات ، كما يعتقدون أنّ في كُلّ عصر لابد مّن رسولين : رسول ناطق ورسول صامت ، كالنبي الأكرم وأمير المؤمنين ،

حيث أحدهم الرسول الناطق والآخر الرسول الصامت ، ويقولون بالتناسخ ، وأنّ ابن الخطّاب بعد موته صار من الملائكة ، وأنّه كان نبياً ً ، ثم ُإلّها ، وًغير ذلك من المعتقدات الباطلة .

وقد قُتل مع سبعين شخصا ً في مسجد الكوفة بيد عيسى بن موسى بن علي ابن عبد الله بن عباّس والي الكوفة سنة ١٣٨ هـ .

ومن الفرق الزغية : أتباع زيغ بن موسى الحائك ، وهو ملعون من قبل الإمام الصادق (عليه السلام) ، والعمرية : أتباع عمير بن عمير العجلي ، وتسُمّى بالعجلية أيضا ً .

المعمّرية : أتباع معمّر بن خيثم ، ومن عقائدهم أن ّالإمام الصادق (عليه السلام) هو الإسلام ، والإسلام هو السلام ، والسلام اسم من أسماء الله ، ونحن أبناء الإسلام ، إذن نحن أبناء الإمام الصادق (عليه السلام) ، يعني أبناء الله ، ظهر الشيطان لسوي وزيغ وبيان كما يقول الإمام الصادق (عليه السلام) .

والبشارية والشعيرية والعلبائية : ويعتقدون بألوهية علي (عليه السلام) ، ويقولون بالإباحية أيضاً .

الصفحة 465

هناك فرق نسبت إلى أصحاب الأئمّة الأجلاء لتضعيف مكانتهم بين الناس ، كالزرارية منسوبة إلى زرارة بن أعين ، وهو من أصحاب الإجماع .

والهشامية : باسم هشام بن الحكم ، وافتروا عليه بأنّه يقول بالتجسيم في الله سبحانه .

والنعمانية أو الشيطانية : باسم محمّد بن علي بن نعمان مؤمن الطاق ، وعُرف عند المخالفين بشيطان الطاق .

والجواليقية أو الهاشمية : باسم أبي الحكم هشام بن سالم الجواليقي .

والمفضلية : باسم مفضل بن عمر الجعفي .

واليونسية : باسم يونس بن عبد الرحمن القمّي .

هؤلاء كُلّهم من خيرة أصحاب الأئمةّ (عليهم السلام) ، وما ينسب إليهم كذب وافتراء .

ومن غلاة عصر الإمام الكاظم (عليه السلام) البشرية أو الممطورة : أتباع محمّد بن بشير الذي كان يصورّ لأصحابه أنهّ يتكلّم مع الإمام الكاظم (عليه السلام) بمكر وخديعة ، وقد لعنه الإمام ثلاث مرات ، ودعا عليه الإمام بأن يذيقه الله حرّ الحديد[1] .

وفي عصر الإمام الرضا (عليه السلام) حتّى الإمام العسكري (عليه السلام) كان هناك رجال نسب إليهم الغلو كيونس بن ضبيان ، وحسين بن علي الخواتيمي ، ومحمّد بن فرات هاشم بن أبي هاشم . طبعاً ً نسب إليهم ، وسأذكر هذه المعنى أن ّبعض هؤلاء مبرّؤون عن الغلو . وجعفر بن واقد ، وأبي السمهري ، وابن أبي الزرقاء ، وفارس بن حاتم القزويني ، وحسن بن محمّد المعروف بابن باب القمي ، وعلي بن حسكة ، وقاسم بن يقطين ، وموسى ومحمدّ بن موسى السويعي أو الشويعي .

وهناك ثورات وانتفاضات ضدّ الحكام نسبت إلى الغلاة كالبابكية الخرمية أو الخرم دينية أو المحمرّة ، وعندهم من تعاليم

مسلك خاص ،وهم جماعة سياسية لا علاقة لهم بالتشيّع والشيعة .

1- اختيار معرفة الرجال ٢ : ٥٩١ ، ٧٧٥ ـ ٧٧٨ ، خلاصة الأقوال : ٣٩٣ .

وكالقوامطة أتباع حمدان بن أشعث الملقّب بالقرمطي تفرّقت من الإسماعيلية ، ثاروا في البحرين ضد الحكم العباسّي سنة ٢٨٣ هـ .

وفي الغيبة الصغرى ظهرت الغلاة باسم الشريعية : أتباع حسن الشريعي أو السريعي .

والنميرية : أتباع محمّد بن نصير النميري .

والنصيرية والشلمغانية : أتباع محمّد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر ، كان من أصحاب الإمام الحسن العسكري (عليه السلام) .

وهناك فرق من الغلاة عُرفت بعقائدها كالاثنينية : يعتقدون بألوهية محمّد وعلي ، يعني من قدَمَ محمداً على أمير المؤمنين في مقام الفضيلة يُعبرّ عنهم بالميمية ، ومن سوى بينه وبين أمير المؤمنين بالألوهية عرف بالعينية .

ومن الفرق الأعضائية : يعتقدون بأنّ لله أعضاء كالإنسان .

والأدرية : يعتقدون بألوهية أمير المؤمنين .

والآمرية : يعتقدون بتشريك علي مع النبي (صلى الله عليه وآله) في الرسالة .

والبدائية : يعتقدون بأنّ الله يتغيرّ علمه ويندم على ما يفعل ،وهذا هو البداء الباطل الذي سنذكره .

والتناسخية : القائلون بالتناسخ .

والجعفرية : القائلون بألوهية جعفر بن محمّد الصادق .

والحلولية : القائلون بحلول الله في الأئمّة أو القادة من الغلاة كابن الخطّاب .

والذبابية : القائلون بأنّ محمداً وعليا كذبابتين يتشابهان .

والذمامية : القائلون بأنّ جبرئيل اشتبه بالوحي فيذمّونه .

والذمية : القائلون بألوهية علي وأنّ محمداً نبيه دعا الناس إلى نفسه .

والرجعية : القائلون برجعة علي إلى الدنيا ،وأنّ صوته في الرعد ،وأنّ البرق سنام فرسه .

والسحابية : القائلون بألوهية علي ،وأنّه في السحاب .

والسليمانية : يعتقدون بألوهية سلمان المحمّدي (رضي الله عنه) .

والشريكية : القائلون بتشريك علي مع محمّد في الرسالة .

والطيارية والجناحية : المنسوبون إلى جعفر الطيّار .

والعلوية : القائلون بألوهية علي (عليه السلام) .

والغرابية : القائلون بأنّ علياً ومحمداً كغرابين يتشابهان ، فاشتبه جبرئيل بينهما ، فأنزل الوحي على محمد .

والغمامية أو الربيعية : القائلون بأنّ الله في السحاب ، وفي الربيع ينزل إلى سماء الأرض .

والمخطئة : القائلون بتخطئة جبرئيل في نزول الوحي .

والمخمّسة : القائلون بألوهية النبي ، وأنّه ظهر في خمسة : محمدّ وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) .

والمشبّهة : القائلون بتجسيم الله وأنّه يشبه خلقه .

هذه أهمّ الفرق بالنسبة إلى الغلاة ، الأمر الذي أدّى بالكتاّب أن يكتبوا عن الغلاة وأن يعددون الفرق ويكثرون هذه الفرق .

وقد نسب بعض الفرق الغلاتية إلى ثقات من أصحاب الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) لأسباب وعلل ، منها : أنّ بعض الأصحاب من حواري الأئمّة (عليهم السلام) قد حدثت لهم مكانة بين الناس ، بحيث كان الناس يرجعون إليهم في قضاياهم الاجتماعية والدينية ويأخذون منهم معالم الدين كيونس بن عبد الرحمن ، «خذ معالم دينك من يونس بن عبد الرحمن » ، فلمّا وجد لهؤلاء مكانة بين الناس ، والعدو دائماً يحاول أن يحجم مثل هؤلاء الأشخاص فاتهّموهم بالغلو ، ثمُ نسبوا إليهم جماعة كالزرارية نسبة إلى زرارة ، أو الهشامية نسبة إلى هشام بن الحكم ، وغير ذلك ، هذه علّة .

والعلّة الأخرى أنّ بعض الأصحاب بإذن من الإمام أو بسكوت الإمام كانوا يثورون ضد الحكم آنذاك ، ضد خلفاء الجور ، إلاّ أنّه تفشل ثوراتهم وانتفاضاتهم ، ومن بعد ذلك العدو كان بعد فشل المجاهدين يحطمّ معنويات هؤلاء المجاهدين وأتباع المجاهدين بأن ينسب إليهم مسألة الغلو وما يعتقده الغلاة حتّى يحجم أولئك بين الناس أيضاً ، وكما فشلوا في ثورتهم يسعون إلى نيل شخصيتهم الاجتماعية وأن لا يكون لهم بعد الثورة سمعة طيّبة بين الناس ، بل يلوثون سمعتهم بأن ينسبوا إليهم الغلو ، طبعاً هناك عوامل كثيرة تذكر في هذا الباب إلاّ أنّ الأمر المهم الذي يذكرونه أيضا فيً مسألة الغلو العلل التي أدتّ إلى ظهور الغلاة بين الشيعة بالخصوص تقريباً يذكرون عشر علل .

الأسباب المؤدّية إلى ظهور الغلاة

العامل الأوّل : السذاجة والجهل عند عامة الناس آنذاك باعتبار أنّ الجهل كان حاكما بيّن الشيعة ، ولاسيماّ كانوا مطردين من قبل النظام ، مشرّدين ، فلذا كان يسودهم الجهل غالباً والسذاجة والبساطة ، ومن ثمُ مّن كان يدعيّ شيئا فيً أئمتهمّ سوعان ما يقبلون ذلك حبّاً بأئمتهم وجهلا بما عندهم .

العامل الثاني : الحبّ المفرط والخلق إلاّ أنّه يبتني على الجهل أيضا ً.

العامل الثالث : حبّ الدنيا والجاه لرؤساء الغلاة ، عندما نطالع حياة رؤساء الغلاة نجد أنّهم يحبوّن الدنيا ، وأنهمّ يكسبون الناس ويجذبون الناس إليهم ، فهذا عامل آخر .

العامل الرابع : الإباحية ، الإنسان بطبيعته يحبّ أن يكون مادياً وشهوانياً ، وعنده النفس الأمارة بالسوء ، وبطبيعة الحال يحبّ أن يباح له كلّ شيء ولا يحب أن يكون مقيداً ، فيحاول أن يتحرر من كل شُيّء ، فكان رؤساء الغلاة يستغلون هذا العامل النفسي ويستغلّون هذه الحالة النفسية عند الناس بأن يبيحوا لهم كلّ المحرمات والنواهي الشرعية ، كرفع الصلاة والصوم والحجّ حتّى كانوا . كما سيأتينا . يقولون بجواز اللواط ، بل عند بعض الغلاة ذلك من الطيبات والتواضع كما عند بعض الصوفية ، ويجوز تزويج الأخت وتزويج البنت ، فكانوا يقولون بالإباحية ، والناس يحبّون مثل هذا المعنى ، كما يقال : إنّ بين مسيلمة الكذّاب والنبية التي ادّعت النبوة آنذاك أنه بعد أن اتفقا في ذلك الموضع الخاص خرجا بعد ليلة من مخبئهما بعد أن تزوجا وقالا : إنّ مهرنا رفع صلاة الصبح عن الأمة[1] ، فالناس كبّروا وفرحوا بذلك على أنّ مهر النبي والنبية كان عبارة عن رفع صلاة الصبح .

1- انظر التاريخ الطبري ٢ : ٤٩٩ .

فالناس يحبّون مسألة الإباحية تقريباً .

طبعاً هناك من الملتزمين والمتدينين من ينكر ذلك ، ولكن باعتبار بعض الناس يميلون إلى هذا المعنى ﴿ **بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ** ﴾[1] ، فالغلاة كانوا يستغلّون هذه الحالة النفسية .

العامل الخامس : جذب البسطاء بالكذب الكبير ، ففي علم النفس كما عند السياسيين يقال : اكذب اكذب اكذب حتّى يصدقك الناس ، وفي علم الاجتماع أنّه كلّما تكون الكذبة كبيرة تكون أوقع في نفوس الناس وأسرع في قبول الكذبة ، جرّب فإن قلّي التاريخ أو في حياتك من يكذب بكذبة كبيرة فتجد سرعان ما يتقبّل ذلك مع أنّه ورد : حدّث العاقل بما لا يعقل فإن صدق فلا عقل له ، ولكن الناس يقبلون ذلك ، مثلا في زمن عبد الكريم قاسم على ما أذكر قالوا في ليلة من الليالي : إنّ صورة عبد الكريم قاسم وقعت في القمر ، وإذا تجد الناس كُلّهم أو أكثرهم خرجوا وينظرون إلى القمر ليروا صورة عبد الكريم قاسم في القمر ، ونفس هذا المعنى أحدثوه ضجّة في تركيا على أنّ صورة أتاتورك في القمر ، ونفس هذا المعنى أحدثه السافاك في إيران في أيّام الثورة الإسلامية في ليلة من الليالي خرجت الناس إلى السطوح وإلى الشوارع ينظرون إلى القمر على أنّه ظهر في هذه الليلة في القمر صورة الإمام الخميني قدس سرّه الشريف .

كذبة كبيرة الناس سرعان ما يتقبّلون هذه الكذبة الكبيرة وحتّى أزيدكم علما بعض الكتاب ومن المؤرخين المعروفين لا أذكر اسمه إجلالا له كتب في كتابه أنّي خرجت في تلك الليلة إلى السطح ورأيت حقيقة صورة الإمام في القمر ، يعني حتّى مثل هذا الرجل المؤرّخ الكبير الفاضل العالم قد اشتبه عليه الأمر ; لأنّه كانت كذبة كبيرة جداً ، فطبيعة الناس تتقبل الكذبة الكبيرة ، والغلاة يستغلّون هذا المعنى ، فيكذبون على رعاياهم على أصحاب مذهبهم بكذبات كبيرة ، استمع إلى

1- القيامة : ٤ .

العلويين مثلا وأنّهم ماذا يعتقدون باعتبار عندهم المذهب الباطني ؟

واقعاً يقولون بقضايا عجيبة غريبة الإنسان يتعجّب منها ويتعجبّ أنه كيف الناس تقبل مثل هذه القضايا ؟ ! أو مثلا قضية الغلاة الغرابية على أنّ الرسول الأكرم وأمير المؤمنين كغرابين وجبرئيل لما نزل بالوحي والرسالة اشتبه عليه باعتبار أنّ الإنسان يشتبه عليه التمييز بين غرابين متشابهين فعليه كان المفروض أن ينزل مثلا الوحي على أمير المؤمنين فاشتبه وأنزله على الرسول الأكرم مثلا ،وعندهم ما عندهم في كتب الغلاة .

عندما الإنسان يقرأ العقائد الفاسدة يتعجّب .

أو مثلا التناسخية فمن عقائدهم القول بالتناسخ على أنّ الإنسان عندما يأتي إلى هذه الدنيا إذا فعل صالحاً فإنهّ بعد موته ينتقل إلى جسد آخر صالح ،وأمّا إذا فعل فاسداً فإنهّ ينتقل إلى حمار مثلا أجلكمّ الله حيوان أو ما شابه ذلك ، ينتقل إلى ما هو أسوأ ،وإلى عشرين جسداً ينتقل ، وبعد العشرين ، هذا المعنى موجود عند مذهب العلويين ، أنهّ بعد العشرين يكون نجمة ويصعد إلى السماء ويبقى في السماء نجمة تلمع مثلا ،والناس يقبلون ذلك .

وعندهم الكتاب الباطني ولا يجوز أن ينظر إليه غير المتعلّم بالمذهب العلوي وإذا نظر إليه فإنهّ يعُمى .

أخبرني بعض الإخوة العلويين الذين هداهم الله سبحانه وتعالى إلى التشيّع واستبصروا أنهّ من لم يتعلمّ ، باعتبار أنهمّ كانوا يأخذون العلم من خمسة عشر سنة إلى عشرين سنة خلال خمسة سنوات لابدّ أن يأخذوا علم الباطنية من شيخهم ،وهذا العلم الباطني كُلّ تسعة أشهر لمدةّ أسبوع يذهب إلى الشيخ ويأخذ علمه الباطني ، فيقول : إنه كان بعض الناس الذين لم يأخذوا هذا العلم من الشيخ لم يكن عنده استعداد لينظر إلى هذا الكتاب ولو لحظة واحدة بحيث يوماً ما فتحت الكتاب أمامه فأدار وجهه خوفاً من العمى إذا نظر إلى هذا الكتاب ! هذه العقائد

والخرافات والأكاذيب يطرحوها للناس البسطاء الذين سرعان ما يتقبّلون الكذبة .

هذا تقريباً هو المتفّق عليه ، ولكن هناك عوامل أخرى تذكر وهي قابلة للنقاش كما هو موجود في المفصلات ، مثلا قيل : إنّه من خلال ظلم بني أُمية لأتباع مذهب أهل البيت ورداً عًلى هذا الظلم هناك من ادعىّ الغلو في أهل البيت (عليهم السلام) ، وقيل : من خلال الأعاجم الذين كان المسلمون يسترقّونهم ، فلماّ كانوا يأتون كان ينالهم الظلم من قبل الناس أو من قبل الخلفاء ، فيبحثون عن ملجأ يلجأون إليه ، فكانوا يلتجأون مثلا إلى الأئمّة ويغالون في حقهّم . طبعا ًهذا كلهُ قّابل للنقاش عند بعض الكتّاب من أبناء العامةّ والمستشرقين .

والبعض يحاول ربط مسألة الغلاة باليهودية ،وأنّ أساس الغلاة من اليهودية باعتبار أنّ أساس الغلاة من عبد الله بن سبأ ، وعبد الله بن سبأ إنّما هو رجل يهودي ، وقيل : ظهور الغلاة بعد ثورة الإمام الحسين عند أهل الكوفة ; لأنهّم ندموا على ما فعلوا ، فأرادوا أن يبدّلوا ذلك الخذلان لسيدّ الشهداء فغلوا في الأئمةّ (عليهم السلام) . هذا أيضا قًابل للنقاش .

وقالوا : أساس الغلو من الإيرانيين على أنّه قبل أن يدخل الفرس الإسلام كانوا يعظّمون ملوكهم ويقولون : إنهّم أبناء الله وظلّ الله في الأرض ، فبعدما دخلوا الإسلام أخذوا يغالون في الأئمّة (عليهم السلام) ويقولون : إنهّم آلهة في الأرض وكما أنه إله في السماء إله في الأرض وهو الإمام . وهذا أيضاً قابل للنقاش .

عقائد الغلاة

إنّ عقائد الغلاة تنقسم إلى قسمين : عقائد منحصرة بهم وعقائد مشتركة مع الشيعة الإمامية إلاّ أنهّا مشتركة فقط في الاسم والعنوان لا في المحتوى والمعنى .

المسألة الخطرة الآن هنا أنّه هناك عقائد مختصّة بالغلاة ، منها : الألوهية لغير الله سبحانه وتعالى ، الشيعي الإمامي الاثنا عشري لا يقول بألوهية غير الله ، فإنّه يوحّد الله في ذاته ، التوحيد في الذات ، ولكن الغلاة كلُ الغلاة تقريبا يقولون بالألوهية لغير الله إلاّ أنّ منهم من يقول بألوهية علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ومنهم من يقول بألوهية جعفر الصادق (عليه السلام) ، ومنهم من يقول بألوهية الإمام الكاظم (عليه السلام) ، وغير ذلك .

كما أنّ هذا المعنى موجود عند أبناء العامّة أيضا فمنهم من يقول كالغلاة العباسّية بألوهية المنصور العباسّي ، فيقولون بألوهية أُناس على أنّ الله سبحانه وتعالى هم هؤلاء ، أو يقولون بالحلول بأنّ الله حل في هؤلاء كبعض المسيحية يقولون بالحلول بأنّ الله حلّ في عيسى بن مريم ، أو كبعض الصوفية يقولون بأنّ الله حل في القطب .

هذه تعتبر من خواص معتقدات الغلاة .

ومن معتقدات الغلاة أيضاً أنّ جبرئيل قد أخطأ في نزول الوحي كما ذكرت .

المعتقد الثالث : إثبات العلم الغيبي والمطلق والذاتي للأئمّة (عليهم السلام) على نحو الاستقلال . هذا أيضاً من الغلو في الصفات ، وهو من الكفر .

القول بالتناسخ لإنكار المعاد وجهنّم حتّى يقولوا بالإباحية ; لأنّ التناسخ يستلزم الإباحية باعتبار أنت الآن مباح لك ما تفعل وبعد موتك لا نار ولا جهنّم ولا أيّ شيء ، وانمّا ترجع مرة ثانية إما في شيء مقدس إن عملت صالحا واماً في شيء غير مقدس إن عملت سيّئاً .

القول بالتفويض ، وتشبيه الله بمخلوقاته .

هذه العقائد الستة مشتركة بين كلّ الغلاة تقريباً إلا أنهمّ يختلفون في المصاديق ، وهي من خواص عقائد الغلاة .

وأمّا ما به الاشتراك بيننا وبينهم أو بالأحرى هم أخذوا وخلطوا الحقّ بالباطل لإثبات ما يعتقدون ، منها : العقيدة بالوصاية وخلافة أمير المؤمنين ، نحن الشيعة الإمامية نعتقد بهذا ولنا أدلّتنا على ذلك ، عقلاً ونقلاً ، فإن العلامةّ الحلي لّه كتاب الألفين أقام ألفي دليل على الإمامة ، ألف دليل عقلي وألف دليل نقلي على هذا الأمر ، وأنّ الخليفة بلا فصل بعد الرسول هو أمير

المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فهؤلاء الغلاة أخذوا هذا المعنى وقالوا بالخلافة إلاّ أنّهم حرفوا ذلك ، ثم بُعّد ذلك اعتقدوا بالألوهية ، فاشتركوا في هذا العنوان وهو القول بالوصاية والخلافة ، وينسبون ذلك إلى عبد الله بن سبأ على أنّ عبد الله بن سبأ يقول بالوصاية والخلافة ; لأنّه يعتقد على أنّ موسى كان له وصي ، فكذلك الرسول له وصي وهو علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، فينسبون هذه العقيدة إلى عبد الله بن سبأ ، ومن ثمّ تجد من الكتّاب المعاصرين لاسيمّا من كان في خط الوهابيّة ويدور في فلكهم من يقول على أنّ كلُ الشيعة من الغلاة ، لأن الغلاة يعتقدون بالوصاية والخلافة ، والشيعة يعتقدون بالوصاية والخلافة .

إذن نتيجة ذلك أنّ الشيعة كلُهّم من الغلاة ، والحال أن الشيعة يعتقدون بالوصاية والخلافة ولكن غير ما يعتقده الغلاة ، وفرق بين الاعتقادين وإن كان الاسم واحداً واللفظ واحداً يعني اشتراك لفظي ، ولكن المعنى والمحتوى مختلف.

وكذلك من المشتركات في الاسم والعنوان العقيدة المهدوية ، فنحن نعتقد بالإمام المهدي ، وأنّه ولد وأنّه سيظهر ويملأ الأرض قسطاً وعدلا ، ولنا على ذلك الأدلّة العقلية والنقلية ، وأولئك أيضا يقولون بالمهدوية إلا أنّهمّ حرفوا ذلك وقالوا بأنه مثلا محمّد بن الحنفية هو المهدي أو الإمام الصادق قد غاب وهو المهدي أو الإمام الكاظم قد غاب وهو المهدي ، وغير ذلك ممّا يعتقدونه .

وكذلك العقيدة بالرجعة نحن نعتقد وأولئك أيضاً يعتقدون لكن فرق بين الاعتقادين كما هو مذكور بالتفصيل .

والأمر الرابع تأويل القرآن : نحن نقول بتأويل القرآن ، وأنّ له ظاهراً وباطناً .

التأويل على معنيين : تأويل بمعنى إرجاع المتشابهات إلى المحكمات القرآنية ، والمعنى الآخر للتأويل هو أنّ بعض الآيات القرآنية لها بواطن ، ولا يقف على باطن القرآن إلاّ الله والراسخون في العلم وهم الأئمّة الذين طهرّهم الله سبحانه وتعالى ; لأنّه لا يمس هذا القرآن إلاّ المطهرّون ، والمس بمعنى درك الباطن ، المسّ غير اللمس ، فرق بين المس واللمس ﴿ **لا يَمَسُّهُ إلاّ المُطَهَرَّون** ﴾[1] باعتبار أنّه لا يقف على بواطن القرآن إلاّ من كان مطهراً ، والمطهرّ في القرآن الكريم هم أهل البيت ﴿ **وَيُطَهِرَّكُمَ تُطْهِيرَا** ﴾[2] ، فهذا ما نعتقده على أنّه تأويل الآيات إنمّا نرجع فيها إلى تفسير الأئمة (عليهم السلام) ومن يحذو حذوهم ، ولكن أُولئك قالوا بتأويل الآيات على أنّ هذه الآيات فيها ما يدلّ على التناسخ على عقيدتهم أو يدلّ على الإباحية ، وبأنّ الواجبات عبارة عن رجال نقولاّهم ، والمحرمات عبارة عن رجال نتوأّ منهم فقالوا بمثل هذا التأويل .

لذا من ينسب الغلو لكُلّ الشيعة تمسكا بأن الغالي يقول بالتأويل والشيعي اليوم يقول أيضا بالتأويل ، إذن كل شُيعّي يقول بالتأويل ، وكُلّ من يقول بالتأويل فهو غال ، فيلزم أنّ كلُ شّيعي هو من الغلاة ، والحال أن النّتيجة تابعة لأخس المقدماتّ كما في علم المنطق ، والمقدّمة الأولى قابلة للنقاش للفرق بين التأويل الذي يقول به الغالي والذي يقول به الشيعي الإمامي الاثنا عشري ، والنتيجة إنّما تستلزم لو كانت المقدّمات صحيحة في القياس ، والقياس قول مؤلفّ من عدةّ قضايا متى ما سلمت عند ذلك تسلم النتيجة وتكون النتيجة صحيحة ، فصحّة

1- الواقعة : ٧٩ .
2- الأحزاب : ٣٣ .

النتيجة تابعة للمقدّمات ، وهذه المقدّمات فاسدة ، والنتيجة تتبع أخسّ المقدمّات ، فإذا كانت واحدة من المقدماّت الصغرى أو الكبرى فاسدة فالنتيجة بطبيعة الحال تكون فاسدة .

ومن المشتركات أيضاً القول بالبداء فنحن نعتقد بالبداء وهو حقّ ، وأولئك أيضا يقولون بالبداء ، على أنه المختار قد أخبر جماعة بأنّهم سيفوزوا في الانتفاضة وفي الحرب إلاّ أنهّم انكسروا فبعد الكسر قال ماذا أفعل ؟ أقول : الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ يَمْحُوا اللهّ مَا يَشاءَ وَيثبُت وَعُنْدِه اُم الكِتاْبَ ﴾[1] ، وَهذا بداء حصل لله سبحانه وتعالى ، كان البناء أن ينصركم فخذلكم ، فقال بالبداء .

لكن البداء عند أُولئك بمعنى أنّ الله يجهل وأن الله يندم على ما يفعله ، والبداء عندنا بمعنى الظهور يعني كان شيئا مخفيا ً علينا إلاّ أنّه عند الله كان معلوما ً ، ولكن عندنا كان مخفيا ً ، فبعد ذلك الله سبحانه وتعالى أظهره ، وهذا ورد في الروايات في كتب السنة والشيعة ، كما هو ثابت في محلّه كالصلاة إلى بيت المقدس أولا ً ثم إلى الكعبة ثانيا ً ، هذا خلاصة عقائد الغلاة .

1- الرعد : ٣٩ .

موقف الأئمّة الأطهار (عليهم السلام) من الغلو والغلاة

وأمّا أصل البحث وهو موقف الأئمّة (عليهم السلام) من الغلو والغلاة ، فما هو موقف الأئمة (عليهم السلام) من الغلو والغلاة ؟ الأئمّة (عليهم السلام) حاربوا الغلو والغلاة أشدّ المحاربة ، ورأيت في الروايات أنهّم حاربوهم أكثر من محاربة اليهود والنصارى ، محاربة الغلاة في منطق الأئمّة (عليهم السلام) أكثر مما كان للفرق الأُخرى الكافرة .

إنّ المحور أو المحاور التي يمكن أن نستخلصها من مجموع الروايات تقريباً ما يقارب ١٥٠ رواية عندنا أو أكثر في الغلو والغلاة ، محور هذه الروايات أو المحاور التي يمكن أن نستخلصها هي :

أولاً : رد الغلاة ، وبيان ما هو الصحيح من العقيدة .

ثانياً : بيان علل الغلو ونتائج الغلو ، والغلاة إنمّا يصغرّون الله ليعظموّا غير الله ، يعني تعظيم غير الله على حساب تصغير الله .

ثالثاً : الأئمّة (عليهم السلام) وضحّوا وبينوّا مؤامرة الغلاة بأنهمّ يجعلون أخبارا باسم رواة الشيعة الثقات .

رابعاً : نفي الغلاة ولعنهم والتبرّي منهم من قبل الأئمة (عليهم السلام) غاية التبريّ .

خامساً : محاصرة الغلاة وتحجيم نشاطهم وتحذير الشباب بالخصوص من فسادهم وخطرهم كما في الخبر الشريف .

سادساً : إعلان الجهاد ضدّهم ، بل قتل رموز الغلاة ، وأنّ الإمام العسكري (عليه السلام) قد فعل ذلك يمكن لكم المراجعة إلى بحار الأنوار المجلد الخامس والعشرين من صفحة ٢٦١ إلى ٣٥٠ الباب التاسع وفي الباب ٩٤ رواية ، والباب العاشر وفيه ٢٥ رواية .

طبعاً إنّما فعل الأئمة ذلك في نفي الغلو والغلاة تبعا لمًا في القرآن الكريم ;

لأنّ القرآن أنكر ذلك على الأُمم السابقة على المسيحية واليهودية بأن لا يغلوا في دينهم ، والأئمة (عليهم السلام) يقولون : اعرضوا كلامنا على كتاب الله فإن وافق الكتاب فهو منّا وإلاّ فاضربوه عرض الجدار فإنهّ من زخرف القول ، ولا بأس بذكر بعض الروايات .

الأولى : كتاب المناقب لمحمّد بن أحمد بن شاذان بإسناده إلى الإمام الصادق عن آبائه عن علي (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «يا علي ، مثلك في أُمّتي مثل المسيح عيسى بن مريم افترق قومه ثلاث فرق فرقة مؤمنون ، وهم الحواريون ، وفرقة عادوه وهم اليهود ، وفرقة غلو فيه فخرجوا عن الإيمان ، وإنّ أُمّتي ستفترق فيك ثلاث فرق ; فرقة شيعتك وهم المؤمنون ، وفرقة عدوّك وهم الشاكّون ، وفرقة غلو فيك وهم الجاحدون ، وأنت في الجنةّ يا علي ، وكذلك شيعتك ومحبو شيعتك ، وأمّا عدوك والغالي ففي النار »[1] .

الثانية : نوادر الراوندي بإسناده عن جعفر بن محمّد عن آبائه (عليهم السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : «لا ترفعوني فوق حقّي فإنّ الله تعالى اتخّذني عبدا قبل أن يتخذّني نبيا»[2] .

الثالثة : عن ابن نباتة قال : قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : «اللهم إنّي بريء من الغلاة كبراءة عيسى بن مريم من النصارى ، اللّهم اخذلهم أبداًولا تنصر منهم أحداً»[3] .

الرابعة : عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال : «من قال بالتشبيه والجبر فهو كافر مشرك ، ونحن منه برآء في الدنيا والآخرة .

يا بن خالد ، إنّما وضع الأخبار عنّا في التشبيه والجبر الغلاة الذين صغرّوا

1- مائة منقبة : ٨٠ .
2- النوادر : ١٢٥ .
3- أمالي الشيخ الطوسي : ٦٥٠ .

عظمة الله تعالى ، فمن أحبّهم فقد أبغضنا ، ومن أبغضهم فقد أحبنّا ، ومن والاهم فقد عادانا ، ومن عاداهم فقد والانا ، ومن وصلهم فقد قطعنا ، ومن قطعهم فقد وصلنا ، ومن جفاهم فقد برّنا ، ومن برّهم فقد جفانا ، ومن أكرمهم فقد أهاننا ، ومن أهانهم فقد أكرمنا ، ومن قبلهم فقد ردّنا ، ومن ردّهم فقد قبلنا ، ومن أحسن إليهم فقد أساء إلينا ، ومن أعطاهم فقد حرمنا ، ومن حرمهم فقد أعطانا .

يا بن خالد ، من كان من شيعتنا فلا يتّخذ منهم ولياًولا نصيراً» .

هذا من التحذير الشديد من فتنة الغلاة ،وأنّهم الكذّابون الذين يضعون الحديث عن الأئمة باسم الأئمة (عليهم السلام) .

الخامسة : عن ابن سنان قال : قال أبو عبد الله (عليه السلام) : «إنّا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذّاب يكذب علينا ، ويسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس ، كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) أصدق البرية لهجة ، وكان مسيلمة يكذب عليه .

ثمّ يذكر الإمام بعض الغلاة الذين كذبوا على الأئمة ويقول : لعنهم الله إنا لا نخلو من كذابّ يكذب علينا أو عاجز الرأي كفانا الله مؤونة كُلّ كذابّ وأذاقهم الله حر الحديد »[2] .

السادسة : صاحب الأمر (عليه السلام) في توقيع له جواباً لكتاب كتبه إلى محمد بن علي بن هلال الكرخي : «يا محمد بن علي تعالى الله عزّ وجل عما يصفونه سبحانه وبحمده ليس نحن شركاءه . على نحو الاستقلالية طبعاً في علمه ولا في قدرته»[3] .

وفي الروايات أنّه نحن النمرقة الوسطى ، النمرقة الوسطى عبارة عن الوسادة التي يُتكأ عليها من الطرفين ، فالأئمة شبهوا أنفسهم بهذه النمرقة الوسطى ، بمعنى

1- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢ : ١٣١ ، بحار الأنوار ٣ : ٢٩٤ ، ٥ : ٥٢ ، ٢٥ : ٢٦٦ .
2- مستدرك الوسائل ٩ : ٩٠ ، بحار الأنوار ٢ : ٢١٧ ، ٢٥ : ٢٦٣ ، ٢٨٧ .
3- الاحتجاج ٢ : ٢٨٨ ، بحار الأنوار ٢٥ : ٢٦٦ .

أنّه يرجع إلينا الغالي ويلحق بنا القالي[1] كلاهما لابدّ أن يرجعا إلى الأئمة (عليهم السلام) ،والقالي من قصرّ في حق الأئمة ،والغالي من فرّط في حق الأئمة ، فهم النمرقة الوسطى .

وهذا المعنى ورد في روايات كثيرة ، طبعاً هذه الرواية عن صاحب الأمر (عليه السلام) رواية مفصلة جداً يمكنكم المراجعة إلى بحار الأنوار ج ٢٥ صفحة ٢٦٩ .

السابعة : عن قرب الإسناد ص ٦١ ، عن الفضيل بن عثمان قال سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول : «اتّقوا وعظّموا الله وعظّموا رسوله (صلى الله عليه وآله) ولا تفضلوا على رسول الله أحداً ، فإن الله تبارك وتعالى قد فضله ،وأحبوا أهل بيت نبيكم حباً مقتصداً . أي : الحد الوسط .ولا تغلو .وهو الإفراط في الحب .ولا تفرقوا ،ولا تقولوا ما لا نقول ، فإنكم إن قلتم وقلنا متّم ومتنا ، ثُمّ بعثكم الله وبعثنا فكنا حيث يشاء الله وكنتم »[2] .

الثامنة : عن فضيل بن يسار قال : قال الصادق : «احذروا على شبابكم الغلاة لا يفسدونهم ، فإنّ الغلاة شرّ خلق الله ، يصغّرون عظمة الله ، ويدّعون الربوبية لعباد الله ،والله إن الغلاة شر من اليهود والنصارى والمجوس والذين أشركوا .

ثُمّ قال (عليه السلام) : إلينا يرجع الغالي فلا نقبله ، وبنا يلحق المقصرّ فنقبله .

فقيل له : كيف ذلك يا بن رسول الله ؟

قال : لأنّ الغالي قد اعتاد ترك الصلاة والزكاة والصيام والحج فلا يقدر على ترك عادته إلى طاعة الله عزّ وجل أبداً ،وان

[3]

المقصّر إذا عوف عمل وأطاع» .

التاسعة : عن الهروي قال : قلت للرضا : «يا بن رسول الله ما شيء يحكيه عنكم الناس ؟

1- نهج البلاغة ٤ : ٣٦ ، ح ١٠٩ ، خصائص الأئمّة : ٩٨ .
2- قرب الإسناد : ١٢٩ ، ١٥٩ ، بحار الأنوار ٢٥ : ٢٦٩ .
3- أمالي الطوسي : ٦٥٠ ، بحار الأنوار ٢٥ : ٢٦٥ ، ٧٦ : ٢٢٥ .

قال : وما هو ؟

قلت : يقولون إنّكم تدّعون أنّ الناس لكم عبيد .

فقال : الله فاطر السملوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت شاهد بأنّي لم أقل ذلك قط ،ولا سمعت أحداً من آبائي (عليهم السلام) قاله قط ،وأنت العالم بما لنا من المظالم عند هذه الأئمّة . هذه المظلمة التلريخية والمظلمة الثقافية .وأنّ هذه منها » [1] .

العاشرة : عن علي بن سالم عن أبيه قال : قال أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق : «أدنى ما يخوج به الوجل من الإيمان أن يجلس إلى غال فيستمع إلى حديثه ويصدّقه على قوله ، إنّ أبي حدثّني عن أبيه عن جده أنّ رسّول الله (صلى الله عليه وآله) قال : صنفان من أُمّتي لا نصيب لهما في الإسلام الغلاة والقدرية» [2] .

يعني بهذه الرواية أنّهم خوجوا من الإسلام لذا يحكم عليهم بالكفر ، كما يحكم عليهم بالنجاسة عند فقهائنا الأعلام .

الحادي عشر : عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قوله عزّ وجل : ﴿ **هَلْ انبُوَّكُمْ عُلىٰ مَنَ تنزل ْالشَيَاطِينُ * تَّنزّلِ علىٰ كُلِّ أفاكٍّ أثيمٍ** ﴾ قال : «هم سبعة : المغوة وبيان وصائب والبروي والحرث الشامي وعبد بن الحرث وأبو الخطاب» [3] .

هذا من باب محلربة رؤوس ورموز الغلاة من قبل الأئمّة (عليهم السلام) .

الثانية عشر : عن الحسين بن خالد الصيرفي قال : قال أبو الحسن (عليه السلام) : «من قال بالتناسخ فهو كافر ، ثُمّ قال (عليه السلام) : لعن الله الغلاة إلاّ كانوا يهوداً إلا كّانوا مجوسا .يعني أكثر شوا مّنَ المجوس . إلا كانوّا نصلرى إلا كانوّا قدرية إلاّ كانوا مرجئة إلاّ كانوا حرورية . أي : خوارج . ثمُ قال (عليه السلام) : لا تقاعدوهم ولا تصادقوهم واوؤا

1- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢ : ١٩٧ ، بحار الأنوار ٢٥ : ٢٦٨ ، ٤٩ : ١٧٠ .
2- الخصال : ٧٢ ، بحار الأنوار ٥ : ٨ .
3- الخصال : ٤٠٢ ، بحار الأنوار ٢٥ : ٢٧٠ ، والآيتان في سورة الشعراء : ٢٢١ ـ ٢٢٢ .

منهم وىء الله منهم» [1] .

وفي هذا المعنى روايات إلى ما شاء الله فعليكم بالمراجعة ،وأعاذنا الله وإيّاكم من شرّ الفتن ومن شرّ أصحاب الفتن لاسيماً في آخر الزمان ،وجعلنا الله وإيّاكم من المتمسكين ولاية أمير المؤمنين وأهل بيته الطيبيّن الطاهرين .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

1- عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢ : ٢١٨ ، بحار الأنوار ٢٥ : ٢٧٣ .

الأسئلة والأجوبةtit٣

سؤال : بسم الله الرحمن الرحيم ، يوجد بعض الناس يعشقون الحسين (عليه السلام) ، طبعاً نحن الشيعة نحبّ الحسين (عليه

السلام) ، لكن يشكّل الحسين (عليه السلام) معشوقهم يقول كُلّ شيء بيد الحسين ، أنا لا أدري حتىّ سمعت من أحدهم يقول : أنا حسين اللهي ، ويوجد بعضهم يحبّ صاحب الزمان (عليه السلام) وكُلّ وقتهم يلهجون باسم المهدي (عليه السلام) هؤلاء قسم ، وقسم آخر رأيته في شمال العراق يقال له علي اللهي فهؤلاء ماذا نعتوهم ؟

الجواب : بالنسبة إلى السؤال الأوّل حبّ الحسين (عليه السلام) بهذا النحو إنمّا هو مأخوذ من عابس الشاكري (رضي الله عنه) من أصحاب الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء عندما نزع خوذته وملابسه الحربية يوم عاشوراء ، ودخل من دون لباس الحرب كما هو المألوف ، وأخذ يحارب ويقاتل ، فقيل له : أجننت ؟ أي : بهذا الشكل تدخل ميدان الحرب ، هذا يدلّ على نوع من الجنون .

فقال : حبّ الحسين أجنّني ! هذه مقولة معروفة عن عابس الشاكري ، فحبّ الحسين بهذا المعنى أنه أجنّني باعتبار أن الحبّ إذا زاد عن حدّه يسمّى بالعشق ، والعشق هو الحب المفرط فمن أفرط بالحب فهو عاشق ، وبطبيعة الحال العاشق موحد ، يعني لا يرى إلاّ وجه معشوقه ، كما يذكر في العشق المجازي عن قيس العامري أنّه كان يلهج دائماً باسم ليلى العامرية ، بحيث كان مجنوناً بين الناس وفي الصحاري والوادي ، إذا أرادوا أن يفيق من جنونه يذكرون له اسم ليلى ثلاث أو أربع مرّات ، يقولون : يالليلى يالليلى فيفيق من جنونه .

هذا المعنى موجود في الحبّ المجازي ، وكذلك في الحبّ الحقيقي ، فإنّه من أحب الله سبحانه وتعالى يلهج باسمه ، «واجعل لساني بذكرك لهجاً وقلبي بحبك متيمّاً» ، ومن أحب صاحب الأمر (عليه السلام) يلهج باسمه .

يقال : مجنون العامري كتب في الصحراء كلّها ، فلمّا رأوا الكتابة وجدوا أنّه كتب ليلى ليلى ، قيل له : يا مجنون ماذا تفعل ؟ قال : أسلّي قلبي بذكراها .

وهذا موجود في العشق الحقيقي أيضاً ﴿ ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[1] يتسلّى الإنسان بذكر الله سبحانه وبذكر أهل البيت (عليهم السلام) ، فالحبّ وزيادة الحبّ حتىّ يصل إلى مقام الفناء يصل إلى أنه :

أمرّ على الديار ديار ليلى *** أُقبّل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حبّ الديار شغفن قلبي *** ولكن حبّ من سكن الديارا

والزائر المؤمن في زيارته لأحبّاء الله من الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) يقبّل الأضرحة ويقبّل الجدار من باب الحب لمن سكن هذه الأضرحة وهذا الجدار ، وهذا لا إشكال فيه ، هذا ليس من الغلو ، الغلو هو أنّ ما ليس لهم تنسبه إليهم كالنبوّة بأن تقول الإمام هو النبي (صلى الله عليه وآله) ، هذا من الغلو ، وكذلك صفات الله على نحو الاستقلال لله تنسبها إليهم أو الذات الإلوهية تنسبها إليهم ، هذا من الغلو ، أمّا أن تنسب إليهم مقامات شامخة ، وأنّ الإمام الحسين بإذن الله كلُ شّيء بيده ما المانع أن يكون الإمام الحسين كُلّ شيء بيده ، لكن بإذن الله ؟ ! يعني عندما تسأله تقول له : أنت تقول بأن الإمام الحسين كلّ شيء بيده ، وأنا حسيني الهوى ، وأنا حسيني المعتقد ، أنا حسيني الفداء ، أنا حسيني التضحية ، سله أنّه عندما تقول هذا

المعنى أنّ الإمام الحسين بيده كُلّ شيء يا ترى على نحو الاستقلالية يعني الله فوّض الأمر إلى الإمام الحسين والله جلس كما تقول اليهود أنّه جلس للاستراحة وغُلّت أيدي الله سبحانه وتعالى والأمر كلّه بيد الناس ، الأمر بيد الإمام الحسين وأمير المؤمنين وما شابه ذلك ؟

إذا قالوا بهذا فهذا كفر ، هذا من الغلو ، الآن بيد الإمام الحسين (عليه السلام) كُلّ شيء لكن على نحو التبعيّة والإمكان وبإذن من الله سبحانه ، بمعنى أنّ الله سبحانه

1- الرعد : ٢٨ .

وتعالى أذِنَ له كما أذن للطبيب أن يكون سببا في شفاء المريض مع أنّه هو الذي أمرضني وهو الذي يشفيني ، الشفاء الحقيقي إنّما هو بيد الله هو الشافي وهو المعافي ، ولكن أذِن سبحانه وتعالى أن يكون الشفاء على يد الطبيب ; لذا أمرنا بالرجوع إلى الطبيب ، فليكن شفائي على يد الإمام الحسين (عليه السلام) ، يعني أذِن الله للإمام الحسين (عليه السلام) فإنّه ليس أقل من طبيب ، إذا كان الله سبحانه وتعالى يأذن لطبيب أن يعالج هذا المريض بأقواص مثلا فالإمام الحسين (عليه السلام) بدعائه يعالج هذا المريض ، ما المانع من ذلك مع وجود المقتضي وعدم المانع ؟ !

فمن هذا الباب لا يلزم الغلو ، أمّا إذا قلنا على نحو الاستقلالية كُلّ شيء بيد الإمام الحسين (عليه السلام) فهذا من الغلو .

أمّا العلي ائية الذين يوجدون في المناطق الكردية في إيران بعض هؤلاء الذين يعتقدون بألوهية علي بن أبي طالب نعم ، هؤلاء غلاة كالنصيرية مثلا كالعلوية في تركيا وفي مناطق أُخرى يعتقدون بألوهية علي بن أبي طالب هؤلاء من الغلاة ونحن نرى منهم كما رأى الأئمّة (عليهم السلام) منهم إلاّ إذا كان لهم معتقد غير ذلك كما أخبرنا أثبت بعض العلماء أن العلويين في سورية من الشيعة إلاّ أنّهم خوفا من الطغاة في العصور السابقة وباستيطانهم الجبال ابتعدوا عن المفاهيم الشيعية الصحيحة .

سؤال : نقل محبّ الدين الخطيب في مقدّمته على كتاب التحفة الاثني عشرية أنّ المامقاني في بداية رجاله ذكر أن ما كان يُعدّ غلوا عند القدماء قد أصبح الآن من ضروريات المذهب ، ولأن هذه العبارة أصبحت من العبارات التي يستدل بها الوهابية على أنّ متأخري الاثني عشرية قد أصبحوا من الغلاة حسب فهمهم لعبارة المامقاني ، فما هو شرحكم لعبارة المامقاني ؟

الجواب : لابأس بهذا السؤال إلاّ أنّي قد تعرّضت إلى هذا الأمر بالأمس ، وذكرت النزاع الموجود بين المدرسة القميّة والمدرسة البغدادية ، على أنّ المدرسة

القمّية كانت تعتقد بأنّ من لم يعتقد بسهو النبي (صلى الله عليه وآله) في عصمته ولم يعتقد بسهو الإمام في عصمته فإنّه يكون من الغلاة ، وعلى هذا المبنى نجد ابن الغضائري يضعّف كثيراً من الرواة ومن خيرة الرواة مثلا محمدّ بن سنان وهو الأخ الثاني لعبد الله بن سنان ، وعبد الله بن سنان من أصحاب الإجماع ومن خيرة الأصحاب ، لكن بالنسبة إلى محمّد بن سنان يضعّفونه وينسبون إليه الغلو لماذا ؟

لأنّ الروايات التي تذكر مقامات الأئمّة (عليهم السلام) في الكافي كثير منها من محمدّ ابن سنان ، فهذه الروايات المدرسة البغدادية تحتجّ بها ، ولكن في المدرسة القميّة يعدونّها من الغلو ، فلذا مثل ابن سنان يعدُ غالياً في المدرسة القمية ، ولكنه يعدّ شيعياً مخلصاً عارفاً في المدرسة البغدادية ، فمن هذا المنطلق المامقاني يقول : كلُ أوّ كثروا ممّن نسبُ إليهم الغلو في ما كان يعتقدونه الآن أصبح من ضروريات المذهب ، وبهذا المعنى أنّ نقول بسهو الصدوق أولى من أن نقول بسهو النبي (صلى الله عليه وآله) ; لأنّه من ضروريات المذهب بأنّ النبي (صلى الله عليه وآله) لا يسهو ، والحال الشيخ الصدوق كان يقول بسهو النبي وابن الوليد أستاذه كان يقول : كُلّ من لم يقل بسهو النبي فهو من الغلاة ، وكان يعُد هّذا عنده بداية الغلو ، فأصبح الشيء الذي كان غلوّاً في المدرسة القميّة أصبح من ضروريات المذهب في المدرسة البغدادية .

وهذا لا يعني على أن لا نعتقد بالغلو والعياذ بالله إنّما الاختلاف في تحديد الغلو ، حيث كان في المدرسة البغدادية تحديد الغلو بأن ينسب إلى الأئمّة ما ليس لهم ، كالألوهية كالحلول كالنبوّة هذه الأمور الثلاثة ليس لهم فنسبة هذه الأمور إليهم من الغلو عند الكُلّ ، عند المدرستين ، أماّ عدم سهو النبي (صلى الله عليه وآله) عند المدرسة القميةّ كان يعدُ غلوّا ، وّلكن عند المدرسة البغدادية من يقول بسهو النبي (صلى الله عليه وآله) فهو مقصّر في حقّ النبي ، فهو في مقام التفويط في حقّ النبي ، والجاهل إمّا مفوط أو مفرِّط ، لذا في تصحيح الاعتقاد شيخنا المفيد (قدس سره) يقول : لو صحّ هذا القول من الشيخ الصدوق . يعني يشكك في أصل القول . لكان هذا من التقصير ، كما أنّ

تصحيح الاعتقاد إنّما هو جواب كتاب معتقدات الشيخ الصدوق عليهما الرحمة .

فإذن ، عند المامقاني ما كان يُعدّ من الغلو في بعض الروايات الآن أصبح من ضروريات المذهب لا أنّ الغلاة الذين كانوا يقولون بألوهية علي بن أبي طالب أصبح من ضروريات المذهب ، هذا أمر باطل .

فالذي في قلبه مرض يأخذ ما تشابه عليه الأمر فيأخذ من هذه العبارة ما تشابه عليه الأمر على أنّه شيخهم المامقاني يقول بأنّه ما كان من الغلو في السابق الآن يعُدّ من ضروريات المذهب .

إذن ، النتيجة أنّه كلُ شيعي في يومنا هذا يكون من الغلاة ; لأن مّا كان يقوله الغلاة سابقا يعَدُ منّ ضروريات المذهب لاحقاً ، فكُلّ شيعي يلزم أن يكون من الغلاة .

ونقول في جواب هذه الشبهة على أنّه فرق بين الغلو الذي هو متفّق عليه عند علماء الشيعة جميعاً ، عند الفقهاء والمحدثيّن جميعاً ، على أنّه من يقول بألوهية الأئمةّ ويقول بالحلولية ويقول بالتناسخ ، هذه العقائد المختصةّ بالغلاة كلُ منّ يقول فهو من الغلاة ومحكوم عليه بالكفر ، كما هو محكوم من حيث الطهارة والنجاسة بالنجاسة ، أمّا غير هؤلاء وغير هذه المعتقدات اختلفت المدرسة البغدادية عن القمّية في الزمان القديم في بداية الغيبة الكبرى ، حيث إنّه في المدرسة القميّة كان يعدُ منّ الغلو ، لكن في المدرسة البغدادية يُعدّ من التقصير ، يعني في مقابل الغلو بالضبط ; لأنّ الغلو إفراط والتقصير تفويط ، والجاهل إماّ مفوط أو مفرِّط ، فكان كلا القولين على طرفي نقيض ، كلا القولين كان من الجهل ، والنمرقة الوسطى الأئمةّ الأطهار (عليهم

السلام) أن يلحق بهم القالي ويرجع إليهم الغالي ، فهم النمرقة الوسطى ،ولا زالوا وإلى يوم القيامة .

سؤال : مسألة الغلاة لا يمكن أن تعالج بمسألة المدرسة البغدادية والقمّية حيث إنّ التستري (رضي الله عنه) يقول كلاماً عظيماً ، لماذا لا نحتمل أنّ القميين عندما ضعفوا

واتّهموا بعض الغلاة بالغلو أصلا لا يمكن أن نقول إنّهم اتهّموهم بسبب الروايات الموجودة في الكافي أو الموجودة في البحار ; لأنّه ربمّا هنالك روايات اطلّعوا عليها لا نعرفها نحن ، وكان المدونوّن عندما يجمعون الروايات يحذفون الروايات التي فيها الغلو فلا يمكن أن نحكم الآن في القرن العشرين أنّ رجال القميين عندما كانوا يتهّمون رجلا بالغلو كان بسبب أنهّ روى روايات الأئمّة ،ربمّا عنده روايات في الغلو وعلماء القميين حذفوها من كتبهم والكافي حذفها .

الجواب : كلمة ربمّا علامة الاحتمال وإذا جاء الاحتمال بطل استدلالكم ، هذا الشيء الذي ذكرته موجود والنزاع بين المدرستين موجود في التاريخ فأمّا أنهّ ربمّا يكون هناك رواية خفيت علينا وكانت واضحة عند المحدثيّن في قديم الزمان فبتلك الرواية حكموا عليهم بالغلو ، هذا خارج عمّا نحن فيه ربمّا يكون وربمّا لا يكون لا أدري .

سؤال : نفس السائل : وكذلك أقول ربمّا طعنوا عليه بالغلو بأنهّ يقول بالسهو كذلك هنا احتمال ، أنا أحتمل المدرسة القميّة لمّا كانت تقول إنّ السهو غلو فطعنت ذلك الرجل ; لأنهّ يقول بالسهو .

الجواب : لا ، لأنّه كان لا يقول بالسهو فطعنته بالغلو يعني محمّد بن سنان لا يقول بالسهو .

سؤال : نفس السائل : غير محمّد بن سنان الآن يدافعون عن الغلاة بشكل عجيب أنا أقصد التستري يقول هناك خط موجود يدافع عن الغلاة بشكل ويحاول أن يبرّأهم ، مع أنّ الروايات التي قرأتموها الآن تبينّ أن الشيعة يجب أن تتخذ موقفاً ليس موقفاً مدافعاً للذين اتهّموهم واتهّمهم النجاشي واتهّمهم الطوسي ، لا يمكن الآن أئتي بعد ألف سنة أدافع عنهم ; لأن الروايات التي ذكرتموها الآن تبيّن أنّ أهل البيت أخذوا مسألة الغلاة بشكل جديّ جداً ، وأن المسألة ليست مرتبطة بالسهو للنبي أصلا .

الجواب : ولكن ذكرت أيضاً على أنّ سبب نسبة الغلو إلى بعض الكبار ; لأنهّم أرادوا أن يحذفوهم أو يحجموا نشاطهم العلمي والثقافي منهم زرارة مثلا تنسب إليه طائفة الزرارية ، طائفة من الغلاة تنسب إلى زرارة مع أنّ زرارة من أصحاب الإجماع ، أو هشام بن الحكم تنسب إليه الهشامية ، وكذلك الجواليقية ، فكثير من هؤلاء الغلاة ينسبون إلى هؤلاء الرجال من الثقات .

سؤال : نفس السائل : أحسنتم ، زرارة وهشام مجمع عليهم في الطائفة أنّهم ليسوا من الغلاة ،والآن يوجد منهج يتّخذ هذا الخط حتّى في مثل محمّد بن سنان ، الشيخ المفيد في كتابه الرسالة العلوية يتهّمه بالغلو ،وهو من المدرسة البغدادية ، وليس من المدرسة القمّية ففي كتابه الرسالة العلوية يقول : إنّ محمّد بن سنان عنده كتاب الأظلةّ ، ويتهمّه بالغلو ،والشيخ المفيد معروف أنّه من المدرسة البغدادية .

الجواب : ولكن ما المانع أنّه بعد ألف سنة يأتي المحققون ويبحثون عن محمّد بن سنان ليرون ما يقوله هل هو غلو أو لا ؟! باعتبار أنّ الغلو هو القول بالألوهية والحلولية والتناسخ والبداء الغلط والوصية الغلط والمهدوية الغلط ، أي : بالمفهوم الغلط وليس المفاهيم الصحيحة التي نعتقد بها ، هذه الأمور التي ذكرناها فيها ضابطة حسب هذه الضوابط كلّ من يقول بهذه الضوابط فهو من الغلاة ، ومن لم يقل فهو ليس من الغلاة .

نأتي إلى أمثال محمّد بن سنان نجد أنّهم اتهّموه بالغلو ، ولكن عندما نقرأ رواياته نجد هذه الروايات تذكر عظمة الأئمةّ من دون أن يكون فيها عنوان الألوهية ، بل بالعكس يقولون نزّهونا عن الربوبية وقولوا فينا ما شئتم .

المدرسة القمّية تقول : لا ، لا تقولوا فينا ما شئتم ، لا يحقّ لك أن تقول في الأئمةّ ما شئت ، إنماّ تقول بما ورد عنهم (عليهم السلام) ، والذي ورد أنّ الإمام يعلم بعلم جزئي وليس علمه علماً كلياّ إنّماّ علمه علم جزئي ، فزاعهم بالنسبة إلى علم الإمامة ، وبالنسبة إلى عصمة الإمامة .

فإذن عندما نرجع إلى هؤلاء الرواة في مقام التحقيق في علم الرجال نجد حسب الضوابط الموجودة عندنا أنّه من ينطبق ويدخل تحت هذه الضابطة فهو من الغلاة ، سواء قالوا عنه من الغلاة أو لم يقولوا ، افرض عند الرجاليين لم يقولوا عنه غلاة ولكن بعدما صارت عندنا ضابطة وقاعدة بأنّ الغالي من يعتقد بهذه المعتقدات فنأتي لهذا الرجل ، «اعرف الحق تعرف أهله»[1] ، اعرف الرجال بالحق لا الحق بالرجال .

إنّ الغلو من يقول بالألوهية وبالحلولية وبالتناسخ وما شابه ذلك ، فنأتي إلى هذا الرجل هذا غال أو ليس بغال ؟

نقول : ينطبق عليه هذا العنوان أو لا ينطبق ؟

إذا انطبق فنحكم عليه بالغلو سواء قال النجاشي أو ابن الغضائري : إنّه غال أو ليس بغال .

وإذا لم ينطبق نحكم عليه بعدم الغلو سواء قال النجاشي بذلك أو لم يقل ; لأنّه من اجتهاد الرجال والاجتهاد في علم الدراية والرواية وفي علم الرجال يعدّ من البحث الاجتهادي وليس التقليدي ، إنّ علم الرجال علم اجتهادي ، فكلُ مّجتهد كما يجتهد في الفقه يجتهد في الرجال ; لأنّ الذي يقوله النجاشي يقوله ابن الغضائري وأمثال ذلك ليس إلاّ حدسياّت ، وحدسيات المجتهد إنماّ هو حجّة له وليس حجّة على غيره .

فإذن المجتهد عندما يريد أن يستنبط الحكم الشرعي لابدّ أن يعرف الرجال ويعرف المباني الرجالية ، فأنا الآن اتّضح لي واقعاً في هذه الليلة اتّضح لي أنّ معنى الغلو هو هذا المعنى وهذه القاعدة فعند ذلك استوحت فكل رّجل يتهمّ بالغلو أرجع إلى قاعدتي التي ثبتت عندي فإن وجدت هذه القاعدة تنطبق عليه فأقول إنّه غالي ، ولا آخذ بروايته حتّى ولو كانت الرواية صحيحة عند غيري أنا لا آخذ

1- روضة الواعظين : ٣١ ، بحار الأنوار ٤٠ : ١٣٦ .

بروايته ; لأنّه عندي ملاك ، عندي ميزان ، عندي قاعدة ، عندي ضابطة .

وإذا لم يصدق عليه هذا الميزان والضابطة عند ذلك أقول إنّه ليس غال حتّى ولو قال غيري إنهّ من الغلاة وترك الرواية عنه .

فإذن العمدة الاجتهاد فكُلّ واحد واجتهاده ، التستري رجل مجتهد اجتهد بما يقول ، والمامقاني رجل مجتهد اجتهد بما يقول ، وغداً إن شاء الله تكون أنت رجلا مجتهداً فاجتهد واعمل بما تجتهد فاجتهادك يكون عليك حجة كما يكون على من يقلدكّ إن أصبحت من مراجع التقليد ، بارك الله فيكم .

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .